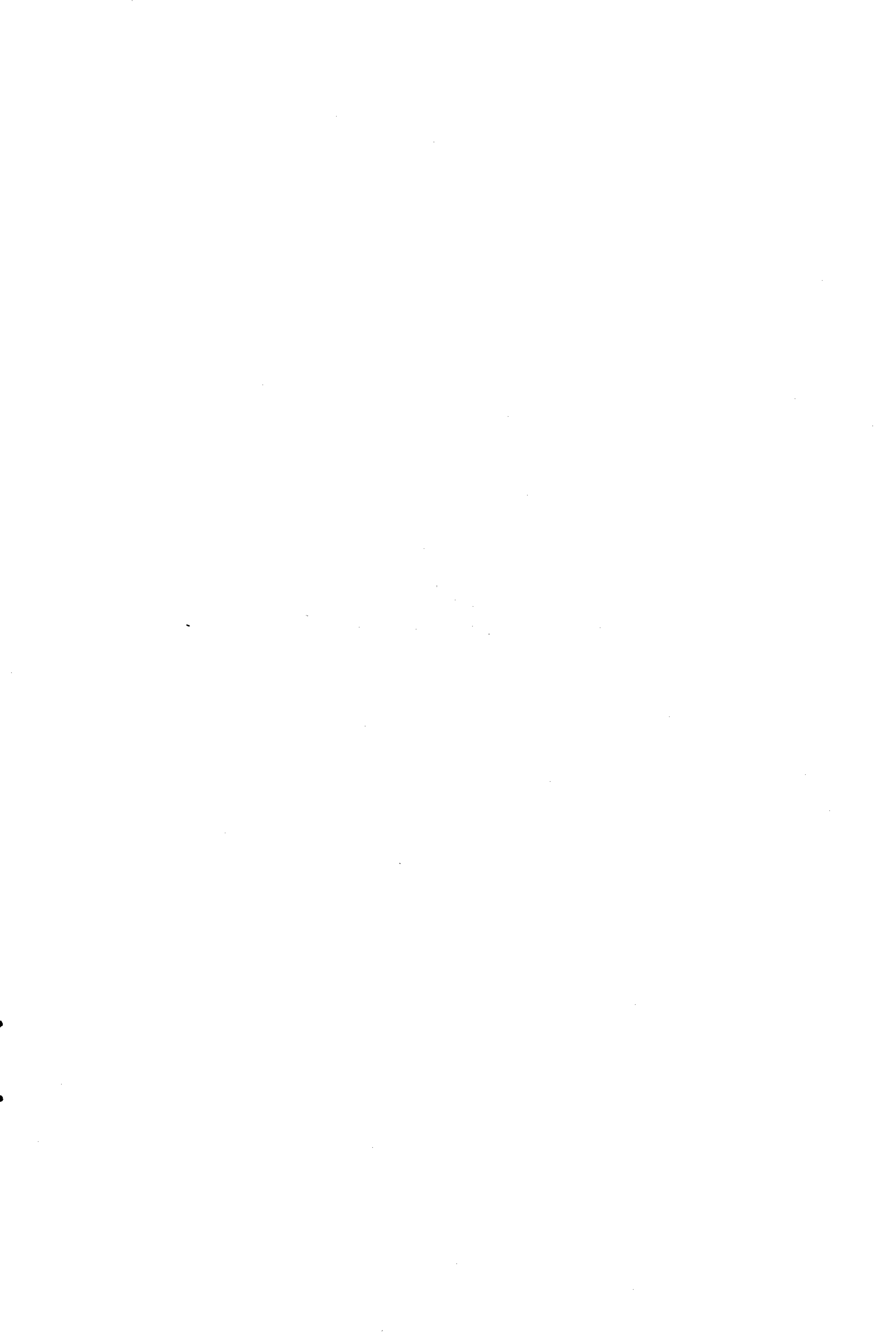
مجلة
الجامعة الإسلامية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

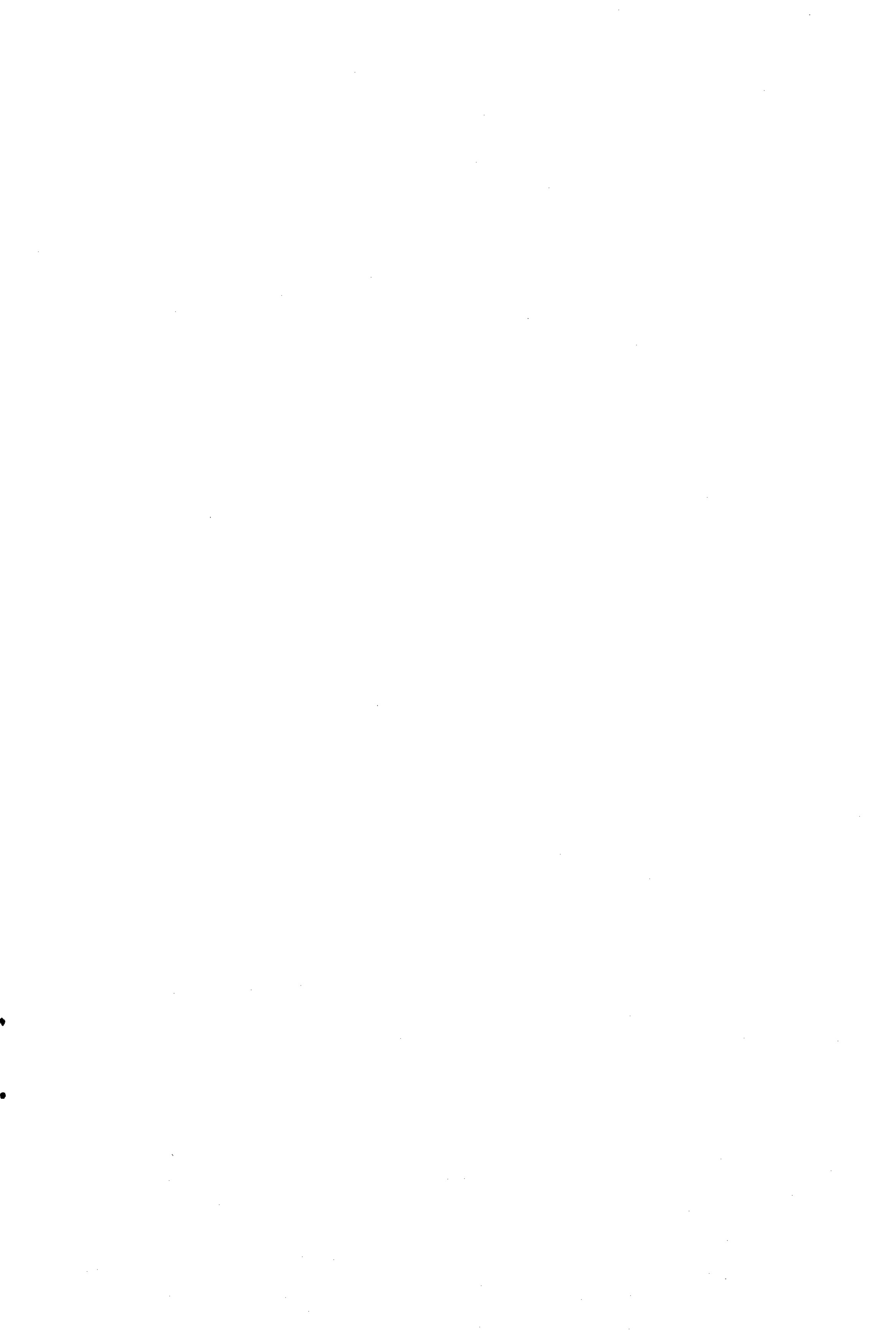
العدد ١٠٧ السنة ٢٩ ١٤١٨هـ/١٤١٩هـ

رقم إيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة
الجامعة الإسلامية



محتـــويات العـــدد

الموضـــــــــوع	الصفحة

تقـــــديم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الصادق الأمين، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، اللهم صل وسلم على عبـــدك ورســـولك محمد، عبد لا يُعْبَدُ، ورسول لا يُكَذَّبُ، بل يُطاع ويُتَّبعُ، ولا يعبـــد الله إلا بمـــا شرع، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أمـــا بعـــد :

فيسرنـــي أن أقدم لهذا الإصدار الجديد من مجلة الجامعة الإسلامية، وقـــد حوى العديد من المواد العلمية القيمة، لنخبة من أعضاء هيئة التدريس، جـــاءت فنونـــها متنوعة، في التفسير بالمأثور، والإلحاد والظلم في المسجد الحرام، بـــين الإرادة والتنفيذ، وتأملات في مماثلة المؤمن للنخلة، وتأريخ اليهود والرد علـــى بعض مزاعمهم الباطلة، وفي اللغة العربية، كلها علـــوم نافعـــة، ولله الحمـــد ، تتمشى مع سمة المجلة وهي مجلة علمية محكمة، تتفق مع منطلقها، حين وضعت في المنطلق الصحيح، من المجلس العلمي، الذي يشرف علـــى الشـــؤون العلميـــة لأعضاء هيئة التدريس، وشؤون البحث العلمي والدراسات والنشـــر، تحقيقـــا لهوية الجامعة الإسلامية، التي هي مؤسسة علمية وثقافية، تعمل على هدي مـــن الشريعة الإسلامية، وتقوم بتوفير التعليم الجامعي، والدراسات العليا، والنـــهوض بالبحث العلمي، والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمـــع في نطـــاق اختصاصها، بالإضافة إلى ما تتميز به الجامعة الإسلامية، في مقرها الرئيســـي، في

المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة، وأزكى التحية، وما تتميز به من عالميتها، وما تحتويه من المنح الدراسية، لأبناء ما يزيد على مائة وأربعين جنسية، من أبناء العالم الإسلامي، التي توفرها حكومة خادم الحرمين الشريفين، من منطلق اهتمامه حفظه الله، واهتمام حكومته، بشؤون المسلمين، وقضاياهم، وهو اهتمام يمليه دين الإسلام، فإن الإسلام هو الدين عند الله، كما قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩]. ولا يقبل الله من أحد دينا غيره، كما قال تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥] . وهو الهدى، ودين الحق، الذي أرسل الله به رسوله، خاتم الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهو: محمد ﷺ بن عبد الله ابن عبد المطلب، من العرب، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، مكة مولده، والمدينة مهاجره. ختم الله به الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فليس بعده ﷺ نبي ولا رسول إلى قيام الساعة. أرسله الله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. والحاجة إلى رسالته فوق كل حاجة، والضرورة إليها فوق كل ضرورة، إذ لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا سعادة، ولا أمن ولا طمأنينة، إلا باتباعها، قال الله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ۞ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]. قال ابن عباس: "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية"[١]. وإلى ذلك كانت دعوته ﷺ، ودعوة من اتبعه إلى يوم القيامة، كما أمره الله عز وجل، بقوله: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٨١/٢، وصححه، ووافقه الذهبي.

اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فأتباعه ﷺ هم الدعاة إلى الله تعالى، وهم أهل البصيرة ، ومن لم يكن من أتباعه فليس من أهل البصيرة، ولا من الدعاة إلى الله وإن زعم ذلك ، وحيث تكفل الله بحفظ دينه إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩]. أقام الله لهذه الأمة من يحفظ بهم أصول الدين ، كلما مضى جيل خلفه جيل بعده، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ بقوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال"، أو كما قال صلى الله عليه وسلم[١].

وممن وفقه الله للقيام بهذا الأمر، ولله الحمد والمنة، الإمام محمد بن سعود –رحمه الله– حين نصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى التوحيد، وكذلك من ورثهم ممن بعدهم، قاموا بهذا الأمر خير قيام.

ولقد كان الأمر جليا لدى الملك عبد العزيز رحمه الله، حيث يقول: "يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي ، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة، التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، وعقيدة جديدة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا، هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعوا إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة، منزهة عن كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٣٦٤٠، وصحيح مسلم ١٩٢٠، وغيرهما من دواوين السنة.

وأوصاب". إلى أن قال رحمه الله: "إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق، بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب.. إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين، فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردا في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس، إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان، يساعدونه ويمدونه بآرائهم وأعمالهم؟.. كلا ثم كلا.. فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا.. أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم، إذا فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب.. إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء، مهما حاول الهدامون هدمه، إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم.."[1].

ولقد صدق عبد العزيز رحمه الله، واستخدم سلطانه في التمكين للإسلام، ورفع رايته، وتطبيق شريعته، في بلاده، فمكن الله له، وفتح عليه، وأبقى ملكه فيه، وفي أبنائه من بعده، بل أعاد لكل سعودي اعتباره، وحفظ به في سلطانه على المسلمين معالم دينهم، وأقام به مناسكهم، وبمملكته نواة وحدتهم، وجمع به فئة جماعتهم، ولازال أبناؤه من بعده على نهجه وسننه، ولا يزالون على ذلك إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [الحج: ٤١].

ونذكر خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله تعالى، فنذكر مفخرة المسلمين

---

(١) انظر: الملك الراشد، ص ٣٦٩-٣٧١، المصحف والسيف، ط٤، ص٥٥،٥٦.

في عمارة الحرمين الشريفين ، والمشاعر المقدسة، والعناية بالمساجد، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والاهتمام بأمر المسلمين، وخدمة قضاياهم.

وما الجامعة الاسلامية، في المدينة المنورة، إلا إحدى المآثر الخالدة، في نشر الاسلام والتمكين له، من مدينة الرسول ﷺ المنورة، توفر حكومة خادم الحرمين الشريفين من خلالها آلاف المنح الدراسية، لأبناء المسلمين، من مختلف الدول والجنسيات، وتضم كليات: للشريعة، واللغة، والقرآن، والحديث، والدعوة وأصول الدين، وداري الحديث بمكة والمدينة، ومعاهد متوسطة وثانوية، وشعبة لتعليم اللغة لغير الناطقين بها، وعمادات: خدمة المجتمع، وشؤون الطلاب، وشؤون القبول والتسجيل، وشؤون المكتبات، والدراسات العليا، والبحث العلمي، وتعنى في مطابعها، بطبع البحوث والرسائل العلمية، وكتب التراث الإسلامي، وغيرها من مطبوعات نافعة، وها هي تصدر هذا العدد (١٠٧) من مجلتها العلمية المحكمة، التي أشارك فيها بهذا التقديم ، سائلا الله العلي القدير، أن تحقق جامعتنا الأهداف النبيلة، التي أنشئت من أجلها، في العلم النافع، والعمل الصالح، هذا واستغفر الله وأتوب إليه وأصلي وأسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مدير الجامعة الإسلامية

د. صالح بن عبد الله العبود

موسوعة التفسير الصحيح

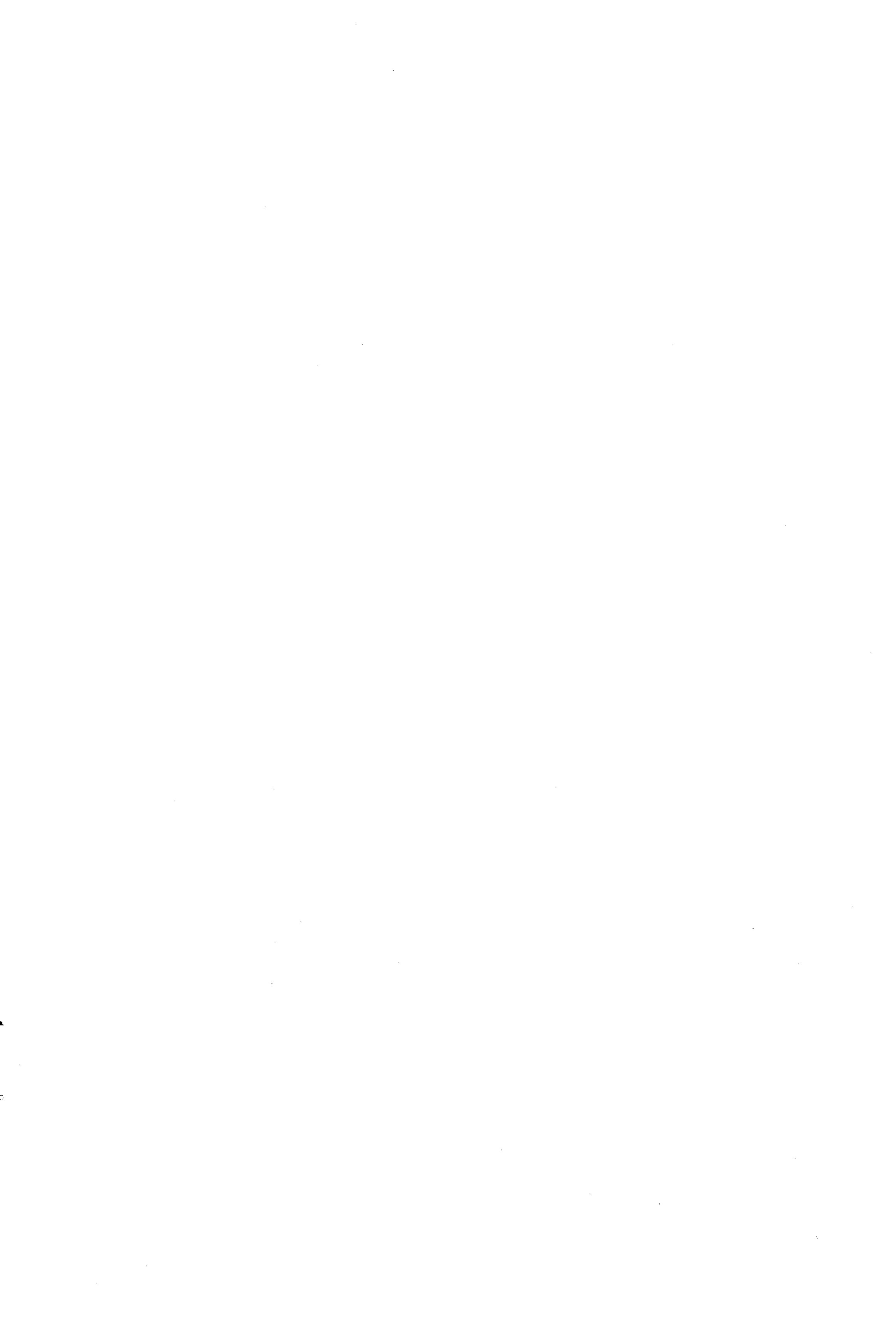
الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور

القسم الثالث

إعداد :

أ.د. حكمت بشير ياسين

كلّيّة القرآن الكريم – الجامعة الإسلاميّة



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شــــرور أنفســـنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمـــا بعـــد :

فهذا القسم الثالث من التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور مــن التفسير بالمأثور) وفيه الحزب الثاني من الجزء الأول من الآية رقم (٧٥) مــن سورة البقرة إلى الآية رقم (١٤١) من السورة نفسها.

سورة البقرة ٧٥

قوله تعالى ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق عن ابن عباس قـــال: ثم قال لنبيه محمد ﷺ ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم قوله تعـلى ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾[١].

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله تعالى ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ قال: هم اليهود[٢].

قوله تعالى ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق عن ابن عباس ﴿وقد كان

(١) التفسير رقم ٧٧٣.
(٢) التفسير رقم ١٣٢٧.

سورة البقرة ٧٥

فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ وليس قوله سمعوا التوراة كلهم قد سمعها، ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها[١].

وأخرج الطبري بإسناده الصحيح عن مجاهد قال : فالذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال : عمدوا إلى ماأنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه[٣].

وأخرج بسنده الحسن عن شيبان النحوي عن قتادة ﴿ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون﴾ قال: هم اليهود وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه بعد ماسمعوه ووعوه[٤].

أخرج البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماتجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ماقبلها ومابعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يامحمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال عبد الله : فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة[٥].

---

(١) التفسير رقم ٧٧٥ .
(٢) التفسير رقم ١٣٢٨ .
(٣) التفسير رقم ٧٨٠ .
(٤) التفسير رقم ٧٨١ .
(٥) الصحيح ـــ المناقب ـــ باب قول الله تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ رقم ٣٦٣٥ .

سورة البقرة ٧٦ - ٧٧

قوله تعالى ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾

وأخرج ابن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عبـــاس﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ أي أن صاحبكم رسول الله ﷺ ولكنه خاصة إليكم، وإذا خلا بعضـــهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكـــان منهم فأنزل الله ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ..... الآية﴾[1].

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده الجيد عن أبي العالية في قول الله ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ في كتابكم من نعت محمد ﷺ[2].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به﴾ قال: كانوا يقولون: إنه سيكون نبي فجاء بعضهم لبعض فقـــالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحتجوا به عليكم[3].

قوله تعالى ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قولـه ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ يعني : ماأسروا من كفرهم بمحمد وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوبـــا عندهم[4].

وأخرج الطبري بإسناده الحسن عن قتادة ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾،

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٠٧/١ .
(٢) التفسير رقم ٧٨٦ .
(٣) التفسير ص ٤٠ .
(٤) التفسير رقم ٧٩١ .

من كفرهم وتكذيبهم محمدا ﷺ إذا خلا بعضهم إلى بعض، ﴿ومايعلنون﴾ إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا: آمنا. ليرضوهم بذلك[١].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿ومايعلنون﴾ حين قالوا للمؤمنين آمنا[٢].

قوله تعالى ﴿ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية: يقول الله ﴿ومنهم أميون﴾ يعني : اليهود[٣].

والمراد بالأميين الذين لايكتبون ومنه قول النبي ﷺ " "إنا أمة أمية لانكتب ولانحسب"[٤]. أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر[٥].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿لايعلمون الكتاب﴾ يقول: لايعلمون الكتاب ولايدرون مافيه[٦].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية : بلفظ : لايدرون مافيه[٧].

وقال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية : اختلف العلماء في المراد بالأماني

---

(١) التفسير رقم ١٣٥٠ .
(٢) التفسير رقم ٧٩٢ .
(٣) التفسير رقم ٧٩٤ .
(٤) انظر تفسير الطبري رقم ١٣٥٥ وما قبله.
(٥) صحيح البخاري ــ الصوم ــ باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب رقم ١٩١٣ ، وصحيح مسلم ــ الصيام ــ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال رقم ١٥ .
(٦) التفسير رقم ١٣٦٠ .
(٧) التفسير رقم ٧٩٥ .

سورة البقرة ٧٨

هنا على قولين: أحـــدهما : أن المراد بالأمنية القـــراءة، أي : لايعلمـــون مـــن الكتاب إلا قراءة ألفاظ دون إدراك معانيها. وهذا القول لا يتناسب مع قولــــه ﴿ومنهم أميون﴾ لأن الأمي لا يقرأ. الثـــاني : أن الاســـتثناء منقطـــع ، والمعـــنى لايعلمون الكتاب، لكن يتمنون أماني باطلة، ويدل لهذا القول : قولـــه تعـــالى ﴿وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم﴾ وقولـــه ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾[1].

ويؤيد ماذهب إليه الشيخ قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وأبي العاليـــة : : فأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قولـــه ﴿ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني﴾ قال : أمثال البهائم، لايعلمون شيئا، قال: إلا أماني. قال: يتمنون علـــى الله الباطل وماليس لهم[2].

وأخرج الطبري[3] وابن أبي حاتم[4] بالإسناد الحسن عن علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس قوله ﴿لايعلمون الكتاب إلا أماني﴾ يقول: إلا أحاديث.

أخرج آدم بن أبي إياس بإسناده الصحيح عن مجـــاهد ﴿لايعلمون الكتاب إلا أماني﴾ إلا كذبا[5].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿إلا أماني﴾ يتمنون على الله ماليس لهم[6].

(١) أضواء البيان ١/١٤١ .
(٢) التفسير ص ٤٠ .
(٣) التفسير رقم ١٣٧٠ .
(٤) التفسير رقم ٧٩٧ .
(٥) التفسير ص ٨١.
(٦) التفسير رقم ٧٩٨ .

سورة البقرة ٧٨ - ٧٩

قوله تعالى ﴿وإن هم إلا يظنون﴾

أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ إلا يكذبون[١].

وأخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ قال: يظنون بغير الحق[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية يعني قوله ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ يظنون الظنون بغير الحق[٣].

قوله تعالى ﴿ فويل﴾

أخرج ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنه قال: الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره[٤]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وابن عجلان اسمه: محمد، وابن المبارك:: هو عبد الله.

وأخرجه الطبري عن محمد بن بشار قال، حدثنا ابن مهدي. قال، حدثنا سفيان، عن زياد بن فياض، قال: سمعت أبا عياض يقول: الويل: مايسيل من صديد في أصل جهنم[٥]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح وأبو عياض هو عمرو بن الأسود العنسي.

---

(١) التفسير ص ٨١.
(٢) التفسير رقم ١٣٧٨ .
(٣) التفسير رقم ٨٠٠ .
(٤) الزهد رقم ٣٣٢ باب صفة النار برواية نعيم بن حماد.
(٥) التفسير رقم ١٣٨٢ .

سورة البقرة ٧٩

قوله تعالى ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثني أبي حدثني أبي الضحاك بن مخلد أبنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ قال: هم أحبار اليهود[1].

ورجاله ثقات سوى شبيب بن بشر صدوق يخطيء والمتن لايحتمل الخطأ بل السياق يشهد له لأن أغلب الذين يكتبون من أهل الكتاب من أولئك الأحبار. فالإسناد حسن.

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤنه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، لاينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم[2].

قوله تعالى ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله...﴾الآية

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله﴾ قال : كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتبا

(١) التفسير رقم ٨٠٦ .
(٢) الصحيح ــ الاعتصام ــ باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء رقم ٧٣٦٣ .

سورة البقرة ٧٩

ليتأكلوا بها الناس، ثم قالوا هذه من عند الله وماهي من عند الله[(١)].

وإسناده صحيح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، حدثني أبي عمرو بن الضحاك، حدثني أبي الضحاك بن مخلد، أبنا شبيب، عن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿الذين يكتبون الكتاب بأيديهم. يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ أحبار يهود وجدوا صفة النبي ﷺ محمد مكتوبا في التوراة: أكحل أعين ربعة جعد الشعرة حسن الوجه ، فلما وجدوه في التوراة محوه حسدا وبغيا، فأتاهم نفر من قريش من أهل مكة فقالوا: أتجدون في التوراة نبيا أميا؟ فقالوا نعم نجده طويلا أزرق سبط الشعر، فأنكرت قريش، وقالوا ليس هذا منا[(٢)].

وإسناده حسن تقدم وله شواهد يأتي ذكرها منها قول أبي العالية الآتي.

وأخرج الطبري بإسناده الصحيح عن مجاهد في قول الله ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله يحرفونه[(٣)].

قوله تعالى ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾

أخرج مسلم بسنده عن جرير مرفوعا: من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولاينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولاينقص من أوزارهم شيء[(٤)].

---

(١) التفسير ص ٤٠ .
(٢) التفسير رقم ٨١٠ .
(٣) التفسير رقم ١٣٩٠ .
(٤) الصحيح ــ العلم ــ باب من سن سنة أو سيئة رقم ١٥ .

سورة البقرة ٧٩ - ٨٠

قوله تعالى ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه يبتغون بذلك غرضا من غرض الدنيا قال الله عز وجل ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾[(١)].

قوله تعالى ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾

وبه عن أبي العالية ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ يعني من الخطية[(٢)].

وأخرج سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن علقمة قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ قال: نزلت في المشركين وأهل الكتاب[(٣)]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود، فجمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم قال لهم النبي ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان، فقال: كذبتم ، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم ياأبا القاسم،وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم : من أهل النار؟ قالوا : نكون فيها يسيرا ، ثم تخلفونا فيها . فقال النبي ﷺ: اخسئوا فيها، والله

(١) التفسير رقم ٨١٦ .

(٢) التفسير رقم ٨١٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢١٠ .

سورة البقرة ٨٠

لانخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم ياأبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك(١).

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾(٢).

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ قال: أياما معدودة بما أصبنا في العجل(٣).

قوله تعالى ﴿قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون﴾

أخرج الطبري بإسناده الصحيح عن مجاهد ﴿قل أتخذتم عند الله عهدا﴾ أي موثقا من الله بذلك أنه كما تقولون(٤).

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن شيبان النحوي عن قتادة ﴿أم تقولون على الله مالاتعلمون﴾ قال: قال القوم الكذب والباطل وقالوا على الله ما لايعلمون(٥).

---

(١) الصحيح ـــ الجزية والموادعة ـــ باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟ رقم ٣١٦.

(٢) التفسير رقم ٨١٨.

(٣) التفسير ص ٤٠، ٤١.

(٤) التفسير رقم ١٤٥١.

(٥) التفسير رقم ٨٢٦.

سورة البقرة ٨١

قوله تعالى ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾: أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ماكفرتم به حتى يحيط كفره بما له من حسنة(١).

وأخرج عبد الرزاق عن معمر في قوله تعالى ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ قال: السيئة: الشرك، والخطيئة: الكبائر(٢). وإسناده صحيح.

وأخرج الطبري بإسناده الصحيح عن مجاهد ﴿بلى من كسب سيئة﴾ شركا، ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ قال: ماأوجب الله فيه النار(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ قال: الكبيرة الموجبة(٤).

وقال الطبري: حدثنا أحمد بن اسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ قال: كل ذنب محيط، فهو ماوعد الله عليه النار(٥).

ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

قال ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. ثنا خالد بن مخلد. حدثني سعيد ابن مسلم بن بانك، قال: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير يقول: حدثني عوف

---

(١) التفسير رقم ٨٢٧، ٨٣٠ .
(٢) التفسير ص ٤١ .
(٣) التفسير رقم ١٤٢٢،١٤٣٢.
(٤) التفسير رقم ٨٣٣.
(٥) التفسير رقم ١٤٣٦.

سورة البقرة ٨١ - ٨٣

ابن الحارث عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ "ياعائشة! إياك ومحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالبا".

قال البوصيري : إسناده صحيح ورجاله ثقات(١).

وأخرجه أحمد بسنده عن سهل بن سعد بنحوه(٢).

وحسن إسناده الحافظ ابن حجر(٣). وذكره ابن كثير في التفسير(٤).

قوله تعالى ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أي خالدا أبدا.

ثم قال وروي عن السدي نحو ذلك(٥).

قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد ابن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ أي من آمن بما كفرتم وعمل ماتركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله لا انقطاع له(٦).

قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾

وبه عن ابن عباس: ثم قال يؤنبهم وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ــ أي ميثاقكم ــ لاتعبدون إلا الله(٧).

---

(١) السنن ــ الزهد ــ باب ذكر الذنوب رقم ٤٢٤٣.
(٢) المسند ٥/٣٣١.
(٣) فتح الباري ١١/٣٢٩.
(٤) ١/٢١٣.
(٥) التفسير رقم ٨٣٤.
(٦) التفسير رقم ٨٣٦.
(٧) التفسير رقم ٨٣٧.

سورة البقرة ٨٣

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ قال: أخذ مواثيقهم أن يخلصوا له ولا يعبدوا غيره وبالوالدين إحسانا إلى آخر الآية[1].

قوله تعالى ﴿وبالوالدين إحسانا﴾

أخرج الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود قال: قلت: يارسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله... الحديث[2].

ذكره ابن كثير في التفسير[3].

قوله تعالى ﴿واليتامى﴾

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح، ثنا يحيى بن محمد المديني، ثنا عبد الله ابن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن سعيد بن عبدالرحمن (بن يزيد) بن رقيش، أنه سمع شيوخا من بني عمرو بن عوف ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد، قال: قال علي بن أبي طالب: حفظت عن رسول الله ﷺ "لايتم بعد احتلام، ولاصمات يومٍ إلى الليل"[4].

وصححه الألباني بالشواهد والمتابعات بعد أن خرجه تخريجا وافيا[5].

---

(١) التفسير رقم ٨٣٨.

(٢) صحيح البخاري ــ مواقيت الصلاة ــ باب فضل الصلاة لوقتها رقم ٥٢٧، صحيح مسلم ــ الإيمان ــ باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم ٨٥.

(٣) ٢١٤/١.

(٤) السنن ــ الوصايا ــ باب متى ينقطع اليتم ١١٥/٣ رقم ٢٨٧٣.

(٥) صحيح الجامع الصغير ٦١٣/٦ وإرواء الغليل ٧٩/٥ــ٨٣.

وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الوهاب بن عطاء أخبرنا جرير بن حازم عن قيس ابن سعد عن يزيد بن هرمز: أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى، لمن هو؟ وعن اليتيم، متى ينقضي يتمه؟ وعن المرأة والعبد يشهدان الغنيمة؟ وعن قتل أطفال المشركين؟ فقال ابن عباس: لولا أن أرده عن شيء يقع فيه ماأجبته، وكتب إليه: إنك كتبت إلي تسأل عن سهم ذي القربى لمن هو، وإنا كنا نراها لقرابة رسول الله ﷺ، فأبى ذلك علينا قومنا، وعن اليتيم متى ينقضي يتمه، قال: إذا احتلم أو أونس منه خير ، وعن المرأة والعبد يشهدان الغنيمة، فلا شيء لهما، ولكنهما يحذيان ويعطيان، وعن قتل أطفال المشركين، فإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلاتقتلهم، إلا أن تعلم منهم ماعلم الخضر من الغلام حين قتله!.

وصححه أحمد شاكر[1] والألباني وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم[2].

قوله تعالى ﴿والمساكين﴾

أخرج الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي، أو لايسأل الناس إلحافا[3]. واللفظ للبخاري.

---

(١) المسند رقم ٢٦٨٥.
(٢) إ رواء الغليل ٥/٨٢.
(٣) صحيح البخاري ــ الزكاة ــ باب قوله تعالى ﴿لا تسألون الناس إلحافا﴾ ١٤٧٦، وصحيح مسلم ــ الزكاة ــ باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له رقم ١٠٣٩.

سورة البقرة ٨٣

قوله تعالى ﴿وقولوا للناس حسنا﴾

أخرج مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا "لاتحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[١].

وذكره ابن كثير في التفسير، وقال قبل أن ساق هذا الحديث : فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسن رضيه الله[٢].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، ثنا أحمد بن عبدالرحمن ــ يعني ــ الدشتكي، حدثني أبي، عن أبيه، عن الأشعث، عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: في قوله ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ قال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٣].

ورجاله مابين ثقة وصدوق إلا جعفر وهو ابن أبي المغيرة وثقه جماعة ، وقال ابن مندة: ليس بالقوي عن سعيد بن جبير وقد ساق ابن مندة رواية عنه ثم قال: لم يتابع عليه ولكن الذهبي أجاب عن ذلك[٤] هذا وقد اعتمد ابن كثير هذا التفسير كما تقدم آنفا.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ يقول: قولوا للناس معروفا[٥].

---

(١) الصحيح ــ البر والصلاة ــ باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء رقم ٢٦٢٦.
(٢) ٢١٤/١.
(٣) التفسير رقم ٨٤٦.
(٤) انظر ميزن الاعتدال ٤١٧/١ والثقات لابن حبان ١٣٤/٦ والثقات لابن شاهين ص٥٥.
(٥) التفسير رقم ٨٤٧.

سورة البقرة ٨٣ - ٨٤

قوله تعالى ﴿وآتوا الزكاة﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص[١].

قوله تعالى ﴿ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس ﴿ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾ أي تركتم ذلك كله[٢].

وأخرج أيضاً بسنده الصحيح عن قتادة قوله ﴿معرضون﴾ قال: عن كتاب الله عز وجل[٣].

قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿لاتسفكون دماءكم﴾ يقول: لايقتل بعضكم بعضا[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: قوله ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم﴾، أي: لايقتل بعضكم بعضا، ﴿ولاتخرجون أنفسكم من دياركم﴾، ونفسك يابن آدم أهل ملتك[٥].

---

(١) التفسير رقم ١٤٦٠.
(٢) التفسير رقم ٨٥٤.
(٣) التفسير رقم ٨٥٥.
(٤) التفسير رقم ٨٥٦.
(٥) التفسير رقم ١٤٦٤.

سورة البقرة ٨٤

ويؤيد هذا القول مارواه الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[١]. واللفظ لمسلم.

وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿ولاتخرجون أنفسكم من دياركم﴾ يقول: لايخرج بعضكم بعضا من الديار وكان في بني إسرائيل إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم، وقد أخذ عليهم الميثاق أن لايسفكوا دماءهم ولايخرجوا أنفسهم من ديارهم[٣].

قوله تعالى ﴿ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾

وبه عن أبي العالية ﴿ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ يقول: أقررتم بهذا الميثاق وأنتم شهود[٤].

وأخرج بسنده الحسن المتقدم عن ابن عباس في قوله ﴿ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ إن هذا حق من ميثاقي عليكم[٥].

---

(١) صحيح البخاري ـــ الأدب ـــ باب رحمة الناس والبهائم رقم ٦٠١١، وصحيح مسلم ـــ البر والصلة ـــ باب تراحم المؤمنين رقم ٢٥٨٦.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢١٦/١.
(٣) التفسير رقم ٨٥٨.
(٤) التفسير رقم ٨٦٠.
(٥) التفسير رقم ٨٥٩.

سورة البقرة ٨٥

قوله تعالى ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾

روى محمد بن اسحاق بن يسار سبب نزول هذه الآية فقال: حدثني محمد ابن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ الآية قال: أنبأهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة وهم حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ماعليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولايعرفون جنة ولانارا ولابعثا ولاقيامة ولاكتابا ولا حلالا وحراما فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ماكان من أسراهم في أيدي الأوس ويفتدي النضير وقريظة ماكان في أيدي الخزرج منهم ويطلبون ماأصابوا من دمائهم وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ أي تفادوهم بحكم التوراة وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لايقتل ولايخرج من داره ولايظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا؟ ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة.

سورة البقرة ٨٥

ذكره ابن كثير في التفسير[١]. وإسناده حسن تقدم وقد أخرجه ابن أبي حاتم مقطعا في عدة مواضع من طريق محمد بن يحيى عن أبي غسان عن سلمة عن محمد بن إسحاق به[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد إلى أبي العالية قال: وقد أخذ عليهم الميثاق إن أسر بعضهم أن يفادوهم فأخرجوهم عن ديارهم ثم فادوهم فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، آمنوا بالفدية ففدوا وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا[٣].

وأخرج بسنده الصحيح عن قتادة قوله ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ قال: والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر[٤].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿وإن يأتوكم أسارى تفدوهم﴾ يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته، وأنت تقتله بيدك؟[٥].

قوله تعالى ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ....﴾ الآية.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن اسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ إلى قوله ﴿ولا هم ينصرون﴾ فأنّبهم بذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فداء أسراهم[٦].

(١) ٢١٦/١.
(٢) التفسير رقم ٨٦١،٨٦٤،٨٦٥،٨٦٨،٨٦٩،٨٧٢،٨٧٥.
(٣) التفسير رقم ٨٧١،٨٧٧.
(٤) التفسير رقم ٨٧٣.
(٥) التفسير رقم ١٤٧٧.
(٦) التفسير رقم ٨٧٩.

سورة البقرة ٨٥ - ٨٦

قوله تعالى ﴿ويوم القيامة يُردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾

قال ابن حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا عفان، ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حبيب السلمي قال: كان يكون أول الآية عاما، وآخرها خاصا وقرأ هذه الآية ﴿ يُردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾[١].

ورجاله ثقات إلا الحسن وعطاء بن السائب فصدوقان وعطاء اختلط ولكن رواية حماد عنه قبل الاختلاط نص على ذلك الحافظان ابن عبد البر[٢] وابن حجر العسقلاني[٣]. والإسناد حسن.

قوله تعالى﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن قتادة قوله ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ قال: استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة[٤].

قوله تعالى ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون﴾ قال: هو كقوله ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[٥][٦].

(١) التفسير رقم ٨٨٠.
(٢) التمهيد ١/١٠٩.
(٣) فتح الباري ٣/٦٤٢.
(٤) التفسير رقم ٨٨٢،٨٨٣.
(٥) المرسلات ٣٥.
(٦) التفسير رقم ٨٨٤.

سورة البقرة ٨٧

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه إذا مر بآية عذاب تعوذ كما تقدم في آخر تفسير آية ٣٧ من هذه السورة.

قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات﴾

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: لم يبين هنا ماهذه البينات ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾[١] إلى غير ذلك من الآيات[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن من طريق ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات﴾ أي الآيات التي وضع على يديه من إحياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم، ومارد عليهم من التوراة مع الإنجيل الذي أحدث إليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله[٣].

(صفة عيسى بن مريم)

تقدم ذكرها عند قوله تعالى ﴿وإذ واعدنا موسى﴾[٤] أنه مربوع الخلق في الحمرة والبياض.

---

(١) آل عمران ٤٩.
(٢) أضواء البيان ١/١٤٢.
(٣) التفسير رقم ٨٨٧.
(٤) آية ٥١.

سورة البقرة ٨٧

قوله تعالى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، ثنا أبي، ثنا أبي، ثنا شبيب بن بشر ثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله ﴿أيدنا﴾ يقول: (قوينا)[١].

ورجاله ثقات إلا أحمد وشبيب فصدوقان وشبيب يخطيء ولكن المتن لايحتمل الخطأ بل تؤيده اللغة.

وقال الشيخ الشنقيطي قوله تعالى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ هو جبريل على الأصح ويدل لذلك قوله تعالى ﴿نزل به الروح الأمين﴾[٢] الآية، وقوله ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾[٣] الآية[٤].

أخرج ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان الواسطي، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، ثنا أبو الزعراء قال: قال عبد الله: روح القدس: جبريل. ثم قال: وروي عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وعطية العوفي والسدي والربيع بن أنس وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك[٥].

ويؤيد هذا القول ماتقدم ومارواه الشيخان بسنديهما عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول "ياحسان أجب عن رسول الله ﷺ،

(١) التفسير رقم ٨٨٨.
(٢) الشعراء ١٩٣.
(٣) مريم ١٧.
(٤) أضواء البيان ١٤٢/١.
(٥) التفسير رقم ٨٩٠.

سورة البقرة ٨٧

اللهم أيده بروح القدس" قال: أبو هريرة: نعم[١]. واللفظ للبخاري.

قوله تعالى ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال: ومارد عليهم من التوراة مع الانجيل الذي أحدث الله إليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله قال ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾[٢].

قال البخاري: وقال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها "كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: ياعائشة، مأزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري[*] من ذلك السم"[٣].

وصله الحافظ ابن حجر بسنده عن أبي بكر بن أبي داود، ثنا أحمد بن صالح، ثنا عنبسة ثنا يونس به[٤].

وأخرجه الحاكم من طريق أحمد بن صالح عن عنبسة به، وصححه ووافقه الذهبي[٥]. وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بنحوه وحسن إسناده

(١) صحيح البخاري ــ الصلاة ــ باب الشعر في المسجد رقم ٤٥٣، وصحيح مسلم ــ فضائل الصحابة ــ باب فضائل حسان بن ثابت رقم ٢٤٨٥.

(٢) التفسير رقم ٨٩٦.

(*) عرف في الظهر كما سيأتي في التخريج التالي.

(٣) الصحيح ــ المغازي ــ باب مرض النبي ﷺ ووفاته رقم ٤٤٢٨.

(٤) تغليق التعليق ١٦٢/٤.

(٥) المستدرك ٥٨/٣.

الهيثمي[١]. وقد تتبع الحافظ ابن حجر أغلب طرقه فقال: هذا قد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبسة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد، وقال البزار : تفرد به عنبسة عن يونس، أي بوصله، وإلا فقد رواه موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله، وله شاهدان مرسلان أيضا أخرجهما إبراهيم الحربي في (غريب الحديث)، له أحدهما من طريق يزيد بن رومان والآخر من رواية أبي جعفر الباقر، وللحاكم موصول من حديث أم مبشر قالت قلت يارسول الله ماتتهم بنفسك؟ فإني لاأتهم بابني إلا الطعام الذي أكل بخيبر، وكان ابنها بشر ابن البراء بن معرور مات، فقال: وأنا لاأتهم غيرها، وهذا أوان انقطاع أبهري، وروى ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة في قصة الشاة التي سمت له بخيبر، فقال في آخر ذلك : وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه، وجعل يقول: (مازلت أجد ألم الأكلة التي أكلتها بخيبر عدادا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري) عرق في الظهر وتوفي شهيدا. انتهى[٢].

قوله تعالى ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان، ثنا أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إنما سمي القلب لتقلبه[٣].

---

(١) مجمع الزوائد ٩/٣٥.

(٢) فتح الباري ٨/١٣١ وانظر تغليق التعليق ٤/١٦٢،١٦٣.

(٣) التفسير رقم ٨٩٨.

سورة البقرة ٨٨

وأخرج الطبري[(١)] وابن أبي حاتم[(٢)] بالإسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قالوا ﴿قلوبنا غلف﴾ قال في غطاء.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿قلوبنا غلف﴾ لاتفقه[(٣)].
وأخرجه الطبري بلفظه بسنده الحسن عن قتادة[(٤)].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو الأودي ثنا أبو أسامة عن النضر بن عربي عن عكرمة ﴿قلوبنا غلف﴾ قال: عليها طابع[(٥)].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وأبو أسامة هو حماد بن أسامة معروف برواية عمرو الأودي عنه[(٦)].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿قلوبنا غلف﴾ قال: هو كقوله ﴿قلوبنا في أكنة﴾[(٧)][(٨)]. وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون﴾

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ قال: لايؤمن منهم إلا قليل[(٩)].

---

(١) التفسير رقم ١٤٩٩.
(٢) التفسير رقم ٩٠١.
(٣) التفسير رقم ٩٠٣.
(٤) التفسير رقم ١٥٠٤.
(٥) التفسير رقم ٩٠٥.
(٦) انظر تهذيب الكمال ٧/٢٢١.
(٧) فصلت ٥.
(٨) التفسير ص٤١.
(٩) التفسير ص٤١.

سورة البقرة ٨٩

قوله تعالى ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل[1].

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا محمد بن عبيد الله بن المنادي فيما كتب إلي، ثنا يونس بن محمد، ثنا شيبان النحوي، عن قتادة قوله ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ قال: هو الفرقان الذي أنزله الله على محمد ﷺ[2].

ورجاله ثقات إلا محمدا صدوق فالإسناد حسن.

قوله تعالى ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾

قال محمد بن اسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، أخبرني عكرمة أو سعيد ابن جبير، عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ماكانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ماجاءنا بشيء نعرفه وماهو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ الآية[3].

وإسناده حسن تقدم وأخرجه الطبري من طريق يونس بن بكير عن ابن

(١) التفسير رقم ١٥١٧.
(٢) التفسير رقم ٩٠٧.
(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٢/١.

سورة البقرة ٨٩

إسحاق به[١]. وكذا ابن أبي حاتم من طريق يونس به[٢].

وأخرج عبد بن حميد ، عن شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿يستفتحون﴾ قال : يستنصرون[٣]. وإسناده حسن.

قال الإمام أحمد: ثنا يعقوب قال حدثني أبي، عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أصحاب بدر قال : كنا لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث مَن فيه سناً عليّ بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لايرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له ويحك يافلان ترى هذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم! قال نعم والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجوا من تلك النار غدا. قالوا له ويحك وماآية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى تراه قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا فقال أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا فقلنا : ويلك يافلان ألست بالذي قلت لنا فيه ماقلت؟

(١) التفسير رقم ١٥٢١.

(٢) التفسير رقم ٩١١.

(٣) انظر تغليق التعليق ٤/١٧٢-١٧٤.

سورة البقرة ٨٩

قال بلى وليس به[١] . أخرجه أبو نعيم الأصبهاني[٢] والبيهقي[٣] والحاكم[٤] من طريق محمد ابن اسحاق به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي ونسبه إلى أحمد والطبراني ثم قال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع[٥]. وذكره السيوطي ونسبه إليهم وزاد ابن قانع[٦].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن سعيد عن قتادة قوله ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل، وقالوا: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم! فلما بعث الله محمدا ﷺ فرأوا أنه بعث من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ﴿فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به﴾[٧].

وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مختصرا[٨]. وهو مرسل ويتقوى بالمرسل الثابت التالي: فقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب: يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمدا، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله.

(١) المسند ٤٦٧/٣.
(٢) دلائل النبوة ٨٤/١.
(٣) دلائل النبوة ٧٨/٢،٧٩.
(٤) المستدرك ٤١٧/٣.
(٥) مجمع الزوائد ٢٣٠/٨.
(٦) الدر ٢١٧/١.
(٧) التفسير رقم ١٥٢٥.
(٨) التفسير ص٤١.

سورة البقرة ٩٠

فقال الله ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[١].

قوله تعالى ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس يقول الله ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾ أي أن الله جعله في غيرهم[٢].

وأخرج بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ قال: هم اليهود كفروا بما أنزل على محمد ﷺ[٣].

وبه عن أبي العالية ﴿بما أنزل الله﴾ قال: هم اليهود قال لنبيه ﷺ ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا﴾ يعني: حسدا[٤].

وأخرجه الطبري بلفظه بسنده الحسن عن قتادة[٥].

قوله تعالى ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾

أخرج عبد الرزاق عن الثوري، عن أبي بكير[٦]، عن عكرمة في قوله

(١) التفسير رقم ٩١٢.
(٢) التفسير رقم ٩١٨.
(٣) التفسير رقم ٩١٦.
(٤) التفسير رقم ٩١٧.
(٥) التفسير رقم ١٥٣٦.
(٦) أبو بكير: في الأصل أبو بكر والتصويب من رواية الطبري وأيضا فإن أبا بكير اسمه مرزوق التيمي الكوفي معروف بالرواية عن عكرمة وبرواية الثوري عنه. (انظر تهذيب التهذيب ١٠/٨٧).

﴿فباءوا بغضب على غضب﴾ قال: كفرهم بعيسى وكفرهم بمحمد ﷺ[١].

ورجال الإسناد ثقات إلا أبابكر فقد ذكره ابن حبان في الثقات كما صرح الحافظ ابن حجر[٢]، إلا أن هذه الرواية قد ثبتت من طرق أخرى كما سيأتي فالإسناد حسن لغيره على الأقل، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية بنحوه[٣]. وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بلفظ: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ[٤].

قوله تعالى ﴿ولهم عذاب مهين﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن مقاتل بن حيان قوله ﴿عذاب مهين﴾ يعني بالمهين: الهوان[٥].

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى، حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار"[٦].

وأخرجه الترمذي من طريق عبد الله بن المبارك عن محمد بن عجلان به ثم

(١) التفسير ص٤١.
(٢) انظر تهذيب التهذيب ١٠/٨٧.
(٣) التفسير رقم ٩٢٠.
(٤) التفسير رقم ١٥٥١.
(٥) التفسير ٦٢٤.
(٦) المسند ٢/١٧٩.

قال حديث حسن صحيح[١]. وحسنه الشيخ الألباني[٢]. وذكر ابن كثير رواية الإمام أحمد[٣].

قوله تعالى ﴿ويكفرون بما وراءه﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما بعده يعني: مابعد التوراة[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن سعيد عن قتادة بلفظ: بما بعده[٥].

قوله تعالى ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل﴾ الآية

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس ثم أنبأهم (برفع)[٦] الطور عليهم واتخاذ العجل إلها دون ربهم[٧].

وقال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: لم يبين هنا ماهذه البينات وبينها في مواضع أخر كقوله ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ وقوله ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء﴾ الآية وقوله ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ الآية. إلى غير ذلك من الآيات[٨].

(١) السنن ــ صفة القيامة رقم ٢٤٩٢.
(٢) صحيح الجامع ٣٢٧/٦.
(٣) التفسير ٢٢٣/١.
(٤) التفسير رقم ٩٢٧.
(٥) التفسير رقم ١٥٥٦.
(٦) قوله : برفع في الأصل : رفع. والتصويب من سيرة ابن هشام ١٩٠/٢.
(٧) التفسير رقم ٩٣٣.
(٨) أضواء البيان ١٤٢/١،١٤٣.

سورة البقرة ٩٣ - ٩٤

قوله تعالى ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ قال: أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم[١]. وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾

الخطاب لليهود فحينما زعموا أنهم أولياء لله رد عليهم سبحانه وتعالى بقوله ﴿قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾[٢].

وقال عبد الرزاق: قال معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة في قوله ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عندالكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله، فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عيانا قال: وقال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا، ولو خرج الذين يباهلون النبي لرجعوا لا يجدون أهلا ولامالا[٣].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وذكره ابن كثير في التفسير مختصرا وصحح إسناده[٤]. وأخرج البخاري الشطر المرفوع[٥].

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، ثنا علي بن محمد الطنافسي، ثنا عثام قال

---

(١) التفسير ص٤١.
(٢) الجمعة ٦،٧.
(٣) التفسير ص٤١،٤٢.
(٤) ١/٢٢٢.
(٥) الصحيح – التفسير ح ٤٩٥٨.

سورة البقرة ٩٤

سمعت الأعمش قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قال لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه[١].

وذكره ابن كثير في التفسير وصحح إسناده[٢]. ومعنى شَرِقَ: غَصَّ.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس يقول الله لنبيه ﷺ ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ[٣].

وأخرج بسنده الجيد عن أبي العالية قال: قال الله تعالى لليهود إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت، فلم يفعلوا حيث قالوا ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ وقالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فقال الله لهم ذلك[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس﴾، وذلك أنهم قالوا ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾[٥] وقالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[٦] فقيل لهم ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[٧].

---

(١) التفسير رقم ٩٤١.
(٢) ٢٢٦/١.
(٣) التفسير رقم ٩٤٢.
(٤) التفسير رقم ٩٤٠.
(٥) سورة البقرة : ١١١.
(٦) سورة المائدة : ١٨.
(٧) التفسير رقم ١٥٧٢.

سورة البقرة ٩٤ - ٩٥

قوله تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿إن كنتم صادقين﴾ بما تقولون أنه كما تقولون[١].

قوله تعالى ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن محمد ابن إسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس قال: يقول الله لنبيه ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ أي يعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك مابقي على الأرض يهودي إلا مات[٢].

وقال أيضا حدثنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي ثنا الحسين بن محمد المروذي ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قوله ﴿والله عليم﴾ قال : عالم[٣].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وقد ذكر سبحانه وتعالى نظير هذه الآية في سورة الجمعة[٤] ثم أكد بأنهم يفرون من الموت فقال ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[٥].

---

(١) التفسير رقم ٩٤٤.
(٢) التفسير رقم ٩٤٥.
(٣) التفسير رقم ٩٤٧.
(٤) آيـة ٧.
(٥) الجمعة ٨.

سورة البقرة ٩٦

قوله تعالى ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ قال: اليهود(١).

وأخرجه الحاكم من طريق قبيصة بن عقبة عن سفيان به وصححه ووافقه الذهبي(٢). وأخرجه الطبري بإسناده الصحيح عن مجاهد(٣).

قوله تعالى ﴿ومن الذين أشركوا يود أحدهم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿يود أحدهم﴾ يعني: المجوس(٤).

قوله تعالى ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا إسماعيل بن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ قال: حببت إليهم الخطيئة طول العمر(٥). ورجاله ثقات والإسناد صحيح.

قوله تعالى ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن محمد بن إسحاق بسنده الحسن عن ابن

---

(١) التفسير رقم ٩٤٩.
(٢) المستدرك ٢/٢٦٣.
(٣) التفسير رقم ١٥٨٦.
(٤) التفسير رقم ٩٥٢.
(٥) التفسير رقم ٩٥٤.

سورة البقرة ٩٦ ـ ٩٧

عباس ﴿وماهو بمزحزحه من العذاب﴾ أي ماهو بمنجيه وذلك أن المشرك لايرجو بعثا بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع ماعنده من العلم(١).

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ يقول: وإن عمر فماذاك بمغنيه من العذاب ولا منجيه منه(٢).

قوله تعالى ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾

أخرج البخاري بسنده عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي فما أول أشراط الساعة؟ ومأول طعام أهل الجنة؟ وماينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفا قال: جبريل: قال: نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية ﴿من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾ الحديث(٣)

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: تلا عليه الآية مذكرا له سبب نزولها والله أعلم(٤).

وسبب نزول هذه الآية ماأخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم بإسناد حسن من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ياأبا القاسم إنا نسألك عن أشياء فإن

(١) التفسير رقم ٩٥٥.
(٢) التفسير رقم ٩٥٦.
(٣) الصحيح ـ التفسير ـ سورة البقرة ـ باب قوله من كان عدوا لجبريل رقم ٤٤٨٠.
(٤) فتح الباري ١٦٦/٨.

سورة البقرة ٩٧

أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك قال: فأخذ عليهم ماأخذ إسرائيل على بنيه: إن قال: الله على مانقول وكيل، قالوا: فأخبرنا من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر فهي التي نتابعك إن أخبرتنا قال: جبريل، قالوا ذاك الذي يترل بالحرب والقتال ذاك عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة، فأنزل الله عز وجل ﴿من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾ إلى آخر الآية[١]. واللفظ لابن أبي حاتم وقد ساقه مقتصرا على الشاهد والحديث طويل.

أخرج الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود أن محمدا ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[٢]. واللفظ للبخاري.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس: قال إنما قوله جبريل كقوله عبد الله وعبد الرحمن[٣].

ورجاله ثقات والإسناد صحيح، وأخرجه من طريق سفيان عن الأعمش به[٤]. وإسناده صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿فإنه نزله على قلبك﴾ يقول نزل الكتاب على قلبك جبريل بإذن الله عز وجل[٥].

---

(١) راجع مواضع تخريجه والحكم على إسناده في الآية ١٩ عند قوله تعالى ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ وانظر تفسير ابن أبي حاتم رقم ٩٥٨.

(٢) صحيح البخاري ــ التفسير ــ سورة والنجم ــ باب فأوحى إلى عبده ما أوحى رقم ٤٨٥٧. وصحيح مسلم ــ الإيمان ــ باب في ذكر سدرة المنتهى رقم ١٧٤.

(٣) التفسير رقم ٩٦٩.

(٤) التفسير رقم ٩٧٠.

(٥) التفسير رقم ٩٦٠.

قوله تعالى ﴿مصدقا لما بين يديه﴾

وبه عن أبي العالية ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ يعني: من التوراة والإنجيل[١].

وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بلفظه[٢].

قوله تعالى ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ جعل الله هذا القرآن: هدى وبشرى للمؤمنين لأن المؤمن إذا سمع القرآن وحفظه ووعاه انتفع به واطمأن إليه وصدق بموعود الله الذي وعد فيه وكان على يقين من ذلك[٣].

قوله تعالى ﴿وميكال﴾

أخرج البخاري عن عكرمة تعليقا بصيغة الجزم فقال: وقال عكرمة: جبر، وميك، وسراف: عبد. إيل : الله[٤].

ووصله الطبري[٥] والحربي في غريب الحديث[٦] بأسانيد يقوي بعضها بعضا عن عكرمة وعن ابن عباس.

قوله تعالى ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) التفسير رقم ٩٦٤.

(٢) التفسير رقم ١٦٣١.

(٣) التفسير رقم ٩٦٥.

(٤) الصحيح ــ التفسير ــ سورة البقرة ــ باب قوله ﴿من كان عدوا لجبريل﴾.

(٥) التفسير رقم ١٦٢٠ــ١٦٢٤.

(٦) انظر تغليق التعليق ٤/١٧٥.

سورة البقرة ٩٩ - ١٠٠

الله ﷺ "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ....." الحديث[١].

قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، ثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير، ثنا ابن اسحاق بسنده الحسن، عن ابن عباس: قال: قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ يامحمد ماجئتنا بشيء نعرفه وماأنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك فأنزل الله عز وجل في ذلك قوله ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون﴾[٢].

وأخرجه الطبري من طريق أبي كريب عن يونس بن بكير به[٣].

قوله تعالى ﴿الفاسقون﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿الفاسقون﴾ قال: العاصون[٤].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال : قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله ﷺ وذكرهم ماأخذ عليهم من

---

(١) الصحيح ـ الرقاق ـ باب التواضع ١١/٣٤٠،٣٤١ رقم ٦٥٠٢.
(٢) التفسير رقم ٩٧٦.
(٣) التفسير رقم ١٦٣٨.
(٤) التفسير رقم ٩٧٧.

الميثاق وماعهد إليهم في محمد ﷺ والله ماعهد إلينا في محمد ولا أخذ علينا ميثاقا، فأنزل الله عز وجل ﴿أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾[١].

وأخرجه أيضا الطبري من طريق أبي كريب عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن سعيد عن قتادة ﴿نبذه فريق منهم﴾ يقول: نقضه فريق منهم[٣].

قوله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: قوله ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب﴾ يقول: نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون﴾ أي: أن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم أفسدوا علمهم، وجحدوا وكفروا وكتموا[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾ الآية. ذكر يهود[٥]. ورجاله ثقات إلا ورقاء صدوق وإسناده حسن.

---

(١) التفسير رقم ٩٧٩.
(٢) التفسير رقم ١٦٣٩.
(٣) التفسير رقم ٩٨١.
(٤) التفسير رقم ١٦٤٥.
(٥) التفسير رقم ٩٨٤.

سورة البقرة ١٠٢

قوله تعالى

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال آصف كاتب سليمان وكان يعلم الإسم (الأعظم) وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين(*) كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل على محمد ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾[1].

وأخرجه النسائي عن محمد بن العلاء عن أبي أسامة به[2]. ورجاله ثقات إلا المنهال وهو ابن عمرو صدوق ربما وهم، وهذه الرواية ليست من أوهامه لأنها قد وردت من طريق آخر بلفظ مشابه كما سيأتي، والإسناد حسن، هذا وقد صحح الحافظ ابن حجر رواية الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير[3].

وقال الواحدي: أخبرنا محمد بن عبد العزيز القنطري، أخبرنا أبو الفضل الحدادي، أخبرنا أبو يزيد الخالدي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمران بن الحارث قال: بينما نحن عند ابن عباس إذ قال: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق ، فإذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة، فيشربها

(*) في الأصل بلفظ من والتصويب من الدر المنثور ١/٩٥.

(١) التفسير رقم ٩٨٨.

(٢) التفسير رقم ١٤.

(٣) انظر فتح الباري ١٠/٢٢٤.

سورة البقرة ١٠٢

قلوب الناس. فاطلع على ذلك سليمان فأخذها فدفنها تحت الكرسي، فلما مات سليمان قال شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان الممنع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم، قال: تحت الكرسي، فأخرجوه فقالوا: هذا سحر، فتناسخته الأمم، فأنزل الله تعالى عذر سليمان ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان﴾[١].

وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن إبراهيم به وصححه الذهبي[٢].

وهاتان الروايتان من أخبار أهل الكتاب ولكنها لاتتعارض مع الكتاب والسنة بل لبعض فقراتها شواهد فهي توافق عصمة سليمان عليه السلام وتبريء ساحته مما ألصق به من المفتريات.

واستراق الشياطين السمع ثابت كما في قوله تعالى ﴿ولقد جعلنا السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾[٣].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من تصديق الكهنة والسحرة والاستعانة بهم في أي حال من الأحوال فأخرج أبو داود[٤]، والترمذي[٥]، وابن ماجة[٦]، وأحمد[٧] والدارمي[٨] كلهم من طريق حماد بن سلمة ، عن حكيم الأثرم، عن أبي

(١) أسباب النزول ص٢٩.
(٢) المستدرك ٢/٢٦٥.
(٣) الحجر ١٦ـــ١٨.
(٤) السنن ـــ الطب ـــ باب في الكاهن رقم ٣٩٠٤.
(٥) السنن ـــ الطهارة ـــ باب في كراهية اتيان الحائض رقم ١٣٥.
(٦) السنن ـــ الطهارة ـــ باب النهي عن اتيان الحائض رقم ٦٣٩.
(٧) المسند رقم ٩٢٧٩، ١٠١٧٠.
(٨) السنن رقم ٩٥٣٢.

تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة "من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل علي محمد ﷺ" واللفظ للترمذي.

وقد تُكلم في سماع أبي تميمة من أبي هريرة ولكن أخرجه الإمام أحمد من طريق خلاس عن أبي هريرة مرفوعا قال "من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"[١]. وقد حسن السيوطي الرواية الأولى[٢]، وصححها الألباني[٣]، وصحح أحمد شاكر الرواية الثانية في تحقيقه لمسند أحمد.

قوله تعالى ﴿يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾

أخرج الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] بالاسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وما أنزل على الملكين﴾ قال: التفريق بين المرء وزوجه.

ويستنتج من هذا التفسير أن ما في قوله ﴿وما أنزل﴾ موصولة وهو قول الجمهور فيما نقله الحافظ ابن حجر[٦].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: قال الله ﴿وما أنزل على الملكين﴾ قال: لم ينزل عليهما السحر. يقول : علما الإيمان والكفر فالسحر من

---

(١) المسند رقم ٩٥٣٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/٢٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي ١/٤٤ وإرواء الغليل ٧/٦٨-٧٠.

(٤) التفسير ١٦٧٥.

(٥) التفسير رقم ١٠٠٣.

(٦) انظر فتح الباري ١٠/٤.

الكفر، فهما ينهيان عنه أشد النهي[١].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ فالسحر سحران: سحر تعلمه الشياطين وسحر يعلمه هاروت وماروت[٢].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لاتعلما أحدا حتى تقولا ﴿إنما نحن فتنة فلاتكفر﴾.

وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه﴾

أخرج مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا "إن إبليس يضع عرشه على الماء. ثم يبعث سراياه. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ماصنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال فيدنيه منه ويقول: نعم أنت"[٣].

وذكره ابن كثير في التفسير[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وتفريقهما أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ويبغض كل واحد منهما إلى صاحبه[٥].

---

(١) التفسير رقم ١٠٠٥.
(٢) التفسير رقم ١٦٧٤.
(٣) الصحيح ــ صفات المنافقين رقم ٢٨١٣.
(٤) ٢٥٢/١.
(٥) التفسير رقم ١٧٠٣.

سورة البقرة ١٠٢

أخرج البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ومافعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثم قال: ياعائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ماوجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: ياعائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين، قلت: يارسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا، فأمر بها فدفنت".

تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام: في مشط ومشاطة، ويقال: المشاطة مايخرج من الشعر إذا مشط، والمشاطة من مشاطة الكتان[1].

قوله تعالى ﴿وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا سلام بن مسكين قال: سمعت الحسن يقول: في قوله ﴿وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ أي: لايضر هذا السحر إلا من دخل فيه[2].

ورجاله ثقات والإسناد صحيح.

---

(١) الصحيح ـــ الطب ـــ باب السحر وقول الله تعالى ل﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الآية ٢٢١/١٠ رقم ٥٧٦٣.

(٢) التفسير رقم ١٠٢٤.

سورة البقرة ١٠٢ - ١٠٤

قوله تعالى ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن سعيد عن قتادة ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ يقول: قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله إليهم: أن الساحر لاخلاق له عند الله يوم القيامة[١].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ﴿وماله في الآخرة من خلاق﴾ ليس له في الآخرة جنة عند الله[٢]. وإسناده صحيح، وأخرجه الطبري بلفظ: حجة.

وأخرج عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال: قال الحسن ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾ قال: ليس له دين[٣]. وإسناده حسن.

قوله تعالى ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله﴾

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿لمثوبة من عند الله﴾ قال: ثواب من عند الله[٤].

وإسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية بلفظه ثم قال: وروي عن الحسن وقتادة والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك[٥].

قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو

(١) التفسير رقم ١٧٠٥.
(٢) التفسير ص٤٣.
(٣) التفسير رقم ١٧١٣.
(٤) التفسير ص٤٣.
(٥) التفسير رقم ١٠٤٠.

سورة البقرة ١٠٤

عكرمة عن ابن عباس ﴿راعنا﴾ أي: ارعنا سمعك[١]. وإسناده حسن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج ثنا أبو معاوية، عن عبد الملك، عن عطاء ﴿لاتقولوا راعنا﴾ قال: كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها قال ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾[٢].

ورجاله ثقات إلا عبد الملك وهو: ابن أبي سليمان ميسرة العزرمي: صدوق له أوهام ولكنه توبع حيث أخرجه الطبري من طريق عبد الرزاق عن عطاء بنحوه. فالإسناد حسن.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن معمر عن قتادة في قوله ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ قال : كانوا يقولون: راعنا سمعك! فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين، فقال الله ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾[٣]

قال القاسمي: وهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة النساء ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾[٤][٥].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿لاتقولوا راعنا﴾ لاتقولوا خلافا[٦].

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/٢٦٢.
(٢) التفسير رقم ١٠٤٦.
(٣) التفسير رقم ١٧٣٠.
(٤) النساء ٤٦.
(٥) محاسن التأويل ٢/٢١٦ وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٦١. حسنه الألباني في حجاب المرأة.
(٦) التفسير رقم ١٧٢١.

سورة البقرة ١٠٤

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النصر، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "بعثت بالسيف حتى يعبد الله لاشريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"(١).

وصححه أحمد شاكر، والشاهد فيه قوله " ومن تشبه بقوم فهو منهم" لأن الله تعالى نهى عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا(٢).

وأخرجه أبو داود من طريق أبي النضر به مقتصرا على الشاهد(٣). وحسنه عبد القادر الأرناؤط(٤). ونقل الشيخ مقبل الوادعي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: سنده جيد(٥).

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿وقولوا انظرنا﴾ فهمنا بين لنا يامحمد(٦).

قوله تعالى ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن قتادة ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ أي: موجع(٧).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه إذا مر بآية عذاب تعوذ كما تقدم في آخر تفسير آية ٣٧ من هذه السورة.

---

(١) المسند رقم ٥١١٥.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٦١/١.
(٣) السنن ـــ اللباس ـــ باب في لبس الشهرة رقم ٤٠٣١.
(٤) انظر هامش جامع الأصول ٦٥٧/١٠.
(٥) انظر هامش تفسير ابن كثير ٢٦١/١.
(٦) التفسير رقم ١٧٤١.
(٧) التفسير رقم ١٠٥٥.

سورة البقرة ١٠٥ - ١٠٦

قوله تعالى﴿ والله يختص برحمته من يشاء﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن مجاهد ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ قال: النبوة، ثم قال وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[١].

قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾

أخرج الطبري[٢] وابن أبي حاتم[٣] بالإسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ يقول: مانبدل من آية أو نتركها لانبدلها.

وقال الطبري: حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال: حدثنا خالد بن الحارث قال: حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال في قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾ قال: إن نبيكم ﷺ أقريء قرآنا، ثم نسيه فلم يكن شيئا، ومن القرآن ماقد نسخ وأنتم تقرأونه[٤]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح إلى الحسن فهو مرسل وله شواهد تأتي بعد الرواية التالية.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ قال: كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه ماشاء وينسخ ماشاء[٥].

وإسناده صحيح إلى قتادة وهو مرسل وله شواهد.

قال مسلم : وحدثني زهير بن حرب وهارون بن عبد الله . قالا : حدثنا

---

(١) التفسير رقم ١٠٥٧.
(٢) التفسير رقم ١٧٤٧،١٧٥٩.
(٣) التفسير رقم ١٠٧٢.
(٤) التفسير رقم ١٧٤٥.
(٥) التفسير ص٤٤.

حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء يقول: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول "لو أن لابن آدم ملء واد مالا لأحب أن يكون إليه مثله، ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب، والله يتوب على من تاب"(١).

وأخرج مسلم بسنده عن أبي الأسود، عن أبيه، قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه، ولايطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم. كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة، كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها. غير أني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها، غير أني حفظت منها: ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة.(٢)

وأخرج البخاري بسنده عن ابن مسعود مرفوعا قال "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت ذكروني ..."(٣).

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وفيه "فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها". واللفظ للبخاري.

وفي رواية مسلم بلفظ رأيت(٤). ويقصد ليلة القدر.

---

(١) صحيح مسلم – الزكاة – باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا رقم ١٠٤٩–١٠٥٠.
(٢) صحيح مسلم – الزكاة – باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا رقم ١٠٤٩–١٠٥٠.
(٣) الصحيح – الصلاة – باب التوجه نحو القبلة حيث كان رقم ٤٠١.
(٤) صحيح البخاري – الاعتكاف – باب الاعتكاف في العشر الأواخر رقم ٢٠٢٧ وصحيح مسلم – الصيام – باب فضل ليلة القدر رقم ١١٦٧.

سورة البقرة ١٠٦

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد العسقلاني، ثنا آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن عبيد بن عمير في قول الله ﴿مانسخ من آية أو ننسها﴾ يقول أو نتركها نرفعها من عندكم فنأت بمثلها، أو بخير منها ومثلها[1].

ورجاله ثقات إلا عصام العسقلاني وورقاء فصدوقان والإسناد حسن.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية أو أكثر من ذلك، ثم تنسى وترفع.[2]

وماتقدم على قراءة نُنْسها، أما على قراءة ننسأها فقد أخرج الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضا عن عطاء وابن أبي نجيح ومجاهد وعبيد بن عمير وعطية قوله ﴿ننسأها﴾ نؤخرها وبلفظ نرجئها[3].

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أُبي، وأقضانا علي وإنا لندع من قول أُبي، وذاك أن أُبيا يقول: لا أدع شيئا سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى ﴿مانسخ من آية أو ننسأها﴾[4].

قوله تعالى ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾

وأخرج الطبري [5] وابن أبي حاتم[6] بالإسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة

---

(١) التفسير رقم ١٧٥١.
(٢) التفسير رقم ١٧٦٣-١٧٦٨.
(٣) الصحيح - التفسير - سورة البقرة - باب قوله ﴿مانسخ من آية أو ننسأها﴾ ١٦٧/٨.
(٤) التفسير رقم ١٧٧١.
(٥) التفسير ١٧٧١.
(٦) التفسير رقم ١٠٧٤.

عن ابن عباس قوله ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وأما قولـه ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ يقول آية فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي[١]. وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: لم يبين هنا هذا الذي سأل موسى من قبل من هو؟ ولكنه بينه في موضع آخر، وذلك في قولـه ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ الآية[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن محمد ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ يا محمد إيتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله في ذلك عن قولهم ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾[٣].

وأخرج الشيخان بسنديهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعا "إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته"[٤]. واللفظ للبخاري.

---

(١) التفسير ص٤٤.
(٢) أضواء البيان ١/١٤٥.
(٣) التفسير رقم ١٠٨١.
(٤) صحيح البخاري ــ الاعتصام ــ باب مايكره من كثرة السؤال ١٣/٢٦٤ رقم ٧٢٨٩، وصحيح مسلم ــ الفضائل ــ باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله رقم ٢٣٥٨.

سورة البقرة ١٠٨

وذكره ابن كثير في التفسير[١].

وأخرج الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة مرفوعا قال " ذروني ماتركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ماستطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"[٢]. واللفظ لمسلم وهو مختصر من حديث فرضية الحج.

وذكره ابن كثير في التفسير[٣].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾، أن يريهم الله جهرة فسألت قريش محمدا ﷺ أن يجعل الله لهم الصفا ذهبا، قال: نعم! وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ ، وكان موسى يسأل، فقيل له ﴿أرنا الله جهرة﴾[٥].

---

(١) ٢٦٧/١.

(٢) صحيح البخاري ــ الاعتصام ــ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٨/١٣ رقم ٧٢٨٨، وصحيح مسلم ــ الحج ــ باب فرض الحج مرة في العمر ٩٧٥/٢ رقم ١٣٣٧.

(٣) ٢٦٨/١.

(٤) التفسير رقم ١٧٨٠.

(٥) التفسير رقم ١٧٧٨.

سورة البقرة ١٠٨

قوله تعالى ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾

تقدم الكلام عن الإيمان في قوله تعالى ﴿الذين يؤمنون بالغيب. . .﴾[١].

وأضيف هنا حديث شعب الإيمان وحديث تذوق طعم الإيمان فقد أخرج الشيخان بسنديهما[٢] عن أبي هريرة مرفوعا "الإيمان بضع وسبعون أوبضع وستون شعبة[٣] فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان". اللفظ لمسلم.

وأخرج مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا"[٤].

وأخرج الشيخان[٥] بسنديهما عن أنس مرفوعا "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

واللفظ للبخاري.

هذا والأحاديث كثيرة جدا في خصال الإيمان وشعبه وأشملها كتاب شعب الإيمان للحليمي وشعب الإيمان للبيهقي وأحاديثه كلها مسندة واختصره القزويني وهو جزء لطيف ومحقق ومخرج ، وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن

---

(١) آية ٣ من هذه السورة.

(٢) صحيح البخاري ـــ الإيمان ـــ باب أمور الإيمان رقم ٩، وصحيح مسلم ـــ الإيمان ـــ باب بيان عدد شعب الإيمان رقم ٥٧.

(٣) قوله: شعبة بالضم أي قطعة والمراد الخصلة أو الجزء (فتح الباري ١/٥٢).

(٤) الصحيح ـــ الإيمان ـــ باب الدليل على أن من رضي بالله ربا... رقم ٥٦.

(٥) صحيح البخاري ـــ الإيمان ـــ باب حلاوة الإيمان رقم ١٦، وصحيح مسلم ـــ الإيمان ـــ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم ٦٧.

سورة البقرة ١٠٩

الكتب المسندة في الإيمان: كتاب الإمام أحمد وابن أبي شيبة والقاسم بن سلام وابن مندة.

قوله تعالى ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن إسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس قال: فكان حيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا إذ خصهم الله برسوله. وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾[1].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ قال: هو كعب بن الأشرف[2]. وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ من بعد ماتبين لهم أن محمدا رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فكفروا به حسدا وبغيا إذ كان من غيرهم[3].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ من بعد ماتبين لهم أن محمدا رسول الله ﷺ والإسلام دين الله[4].

(١) التفسير رقم ١٠٨٨.
(٢) التفسير ص٤٤.
(٣) التفسير ١٠٩٤.
(٤) التفسير رقم ١٧٩٠.

سورة البقرة ١٠٩

قوله تعالى ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾

أخرج الطبري[١] وابن أبي حاتم[٢] بالاسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة في قوله ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ نسخ ذلك كله بقوله ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[٣] وقوله ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر﴾ إلى قوله ﴿وهم صاغرون﴾[٤] فنسخ هذا، واللفظ لابن أبي حاتم.

وأخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة بنحوه[٥]. وكذا أخرجه ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية[٦].

أخرج البخاري بسنده عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال لاتغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله ابن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا، فلا تؤذينا به في مجلسنا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال

(١) التفسير رقم ١٧٩٦.
(٢) التفسير ١٠٩٦.
(٣) التوبة ٥.
(٤) التوبة ٢٩.
(٥) التفسير ص٤٤.
(٦) التفسير رقم ١٠٩٧.

سورة البقرة ١١٠

عبد الله بن رواحة: بلى يارسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد ابن عبادة، فقال له النبي ﷺ: ياسعد ألم تسمع ماقال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادة يارسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به مارأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله عز وجل ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ الآية، وقال الله ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم﴾ إلى آخر الآية، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ماأمره الله به، حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله صلى اله عليه وسلم بدرا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان، هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا[1].

قوله تعالى ﴿وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية في قوله ﴿تجدوه عند الله﴾ فيقول تجدوا ثوابه عند الله[2].

(١) الصحيح ــ التفسير ــ آل عمران ــ باب ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ رقم ٤٥٦٦.

(٢) التفسير رقم ١٠٩٩.

سورة البقرة ١١١

قوله تعالى ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾

وبه عن أبي العالية قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا يهودي، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا نصراني. ثم قال وروي عن مجاهد والربيع والسدي نحو ذلك[١].

قوله تعالى ﴿تلك أمانيهم﴾

وبه عن أبي العالية ﴿تلك﴾ يقول أماني تمنوها على الله بغير حق[٢].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿تلك أمانيهم﴾ أماني يتمنونها على الله كاذبة[٣].

قوله تعالى ﴿قل هاتوا برهانكم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي: حجتكم. ثم قال: وروي عن مجاهد والسدي والربيع نحو ذلك[٤].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿هاتوا برهانكم﴾ هاتوا بينتكم[٥].

قوله تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿إن كنتم صادقين﴾ بما تقولون أنه كما تقولون[٦].

---

(١) التفسير رقم١١٠١.
(٢) التفسير رقم ١١٠٢.
(٣) التفسير رقم ١٨٠٢.
(٤) التفسير رقم ١١٠٢.
(٥) التفسير رقم ١٨٠٤.
(٦) التفسير رقم ١١٠٥.

سورة البقرة ١١٢ - ١١٣

قوله تعالى ﴿بلى من أسلم وجهه﴾

وبه عن أبي العالية ﴿بلى من أسلم وجهه﴾ يقول الله: من أخلص لله[١].

قوله تعالى

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ - أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حريملة: ماأنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ماأنتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾[٢].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ قال: بلى! قد كانت أوائل النصارى على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا، وقالت النصارى ﴿ليست اليهود على شيء﴾، ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ قال: هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) التفسير رقم ١١٠٦.
(٢) التفسير رقم ١١١٠.
(٣) التفسير رقم ١٨١٣.
(٤) التفسير رقم ١١١٢.

سورة البقرة ١١٣

قوله تعالى ﴿وهم يتلون الكتاب﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ قال أي كل يتلو في كتابه تصديق ماكفر به أن تكفر اليهود بعيسى وعندهم في التوراة فيها ماأخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ماجاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يدي صاحبه[1].

قوله تعالى ﴿كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾ قال: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم[2].

وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية[3].

قوله تعالى ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾

قال ابن كثير: وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾[4] وكما قال تعالى: ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾[5][6].

---

(١) التفسير ١١١٣.

(٢) التفسير رقم ١٨١٧.

(٣) التفسير رقم ١١١٦.

(٤) الحج ١٧.

(٥) سبأ ٢٦.

(٦) التفسير ١/٢٧٤.

سورة البقرة ١١٤

قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها . . .﴾

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ النصارى، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه(١).

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ قال: هو بختنصر وأصحابه خربوا بيت المقدس، وأعانته على ذلك النصارى، قال الله ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وهم النصارى لايدخلون المسجد إلا مسارقة إن قدر عليهم عوقبوا ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ قال: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون(٢). وإسناده صحيح.

وقال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: قال بعض العلماء: نزلت في صد المشركين النبي ﷺ عن البيت الحرام في عمرة الحديبية عام ست، وعلى هذا القول: فالخراب معنوي، وهو خراب المساجد بمنع العبادة فيها، وهذا القول يبينه ويشهد له قوله تعالى ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ الآية، وقال بعض العلماء: الخراب المذكور هو الخراب الحسي، والآية نزلت فيمن خرب بيت المقدس وهو بختنصر أو غيره وهذا القول يبينه ويشهد له قوله جل وعلا ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾(٣).

ويؤيد القول الأول قوله تعالى ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين

---

(١) التفسير رقم ١٨٢١.
(٢) التفسير رقم ٤٤.
(٣) أضواء البيان ١٤٦/١.

على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[١]. وقوله تعالى ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[٢].

قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾

القول الأول: أن الآية منسوخة: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا حجاج، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس قال: وأما ما نسخ من القرآن شأن القبلة، قال الله تبارك وتعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال: فصلى رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه الله تبارك وتعالى إلى البيت العتيق وقال ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾[٣].

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الحسن بن محمد بن الصباح عن حجاج بن محمد به[٤]. وأخرجه الحاكم من طريق ابن جريج به وصححه ووافقه الذهبي[٥] وهو كما قالا وعثمان هو ابن عطاء: ضعيف ولا يضر إذ هو مقرون بابن جريج، وعطاء هو: الخراساني حيث صرح ابن الجوزي بذلك فأخرجه من طريق أحمد بن حنبل عن حجاج بن محمد قال: أنبأ ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بلفظه[٦]. ولعل الحاكم والذهبي صححاه على أن المقصود بعطاء : ابن أبي

(١) التوبة ١٧، ١٨.
(٢) الأنفال ٣٤.
(٣) الناسخ والمنسوخ رقم ٢١ ص١٤٦.
(٤) التفسير رقم ١١٣٠.
(٥) المستدرك ٢/٢٦٧، ٢٦٨.
(٦) نواسخ القرآن ص١٤٤.

سورة البقرة ١١٥

رباح ويؤيد ذلك ماذكره الحافظ ابن حجر فقال عند عرضه لطرق ابن عباس في التفسير: ومن طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران وماعدا ذلك يكون عطاء هو الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس فيكون منقطعا إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح[1]. وعلى هذا تبقى المسألة محتملة فإن كان عطاء بن أبي رباح فالإسناد صحيح، وإن كان الخراساني فالإسناد ضعيف ويقويه رواية علي بن أبي طلحة التالية.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان أول مانسخ من القرآن، القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ إلى قوله ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾[2]، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ﴿ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ فأنزل الله عز وجل ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ وقال ﴿أينما تولوا فثم وجه الله﴾[3][4].

وأخرج الإمام أحمد[5] والطبري[6] بأسانيد حسنة عن قتادة بنحوه.

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ص د –٩.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) سورة البقرة ١٤٢.

(٤) التفسير رقم ١٨٣٣.

(٥) انظر نواسخ القرآن ص١٤٥.

(٦) التفسير رقم ١٨٣٣.

سورة البقرة ١١٥

القول الثاني: أنها محكمة وتفسيرها في صلاة السفر تطوعا.

أخرج مسلم بسنده عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[١].

القول الثالث: أنها محكمة وتفسيرها استقبال الكعبة. قال الطبري: حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي سنان، عن الضحاك، والنضر بن عربي، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال: قبلة الله، فأينما كنت من شرق أو غرب فاستقبلها[٢].

ورجاله ثقات إلا أبا سنان وهو سعيد بن سنان البرجمي معروف برواية وكيع عنه[٣]. وهو صدوق له أوهام وباقي رجاله ثقات وأخرجه الطبري عن ابن جريج عن مجاهد[٤]، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق إبراهيم بن أبي بكر عن مجاهد[٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة بن سليمان الكلابي، عن نضر بن العربي، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غربا[٦].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

(١) الصحيح ـــ الصلاة ـــ باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت رقم ٣٣.
(٢) التفسير رقم ١٨٤٥.
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٤/٤٥.
(٤) التفسير رقم ١٨٤٧.
(٥) التفسير رقم ١١٢٩.
(٦) التفسير رقم ١١٣١.

سورة البقرة ١١٦

قال الله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه﴾

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لاأقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا(١).

وأخرج الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ "ماأحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم"(٢).

وذكر ابن كثير هذين الحديثين في تفسيره.(٣)

وقال الشنقيطي عند هذه الآية: هذا الولد المزعوم – على زاعمه لعائن الله – قد جاء مفصلا في آيات أخر كقوله ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ وقوله ﴿ويجعلون لله البنات﴾ الآية(٤).

قوله تعالى ﴿كل له قانتون﴾

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿كل له قانتون﴾ قال : مطيعون. قال : طاعة الكافر في سجود ظله(٥). وكأنه استنبط هذا

---

(١) الصحيح ــ التفسير ــ سورة البقرة ــ باب (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) رقم ٤٤٨٢.
(٢) صحيح البخاري ــ التوحيد ــ باب قول الله تعالى ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ رقم ٧٣٧٨، وصحيح مسلم ــ صفات المنافقين ــ باب لاأحد أصبر على أذى من الله رقم ٢٨٠٤.
(٣) ٢٨٢/١.
(٤) أضواء البيان ١٤٦/١،١٤٧.
(٥) التفسير رقم ١٨٥١.

سورة البقرة ١١٧

القول من قوله تعالى ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾[(١)] ومن قوله تعالى ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾[(٢)].

وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بلفظ: مطيعون[(٣)].

قوله تعالى ﴿بديع السموات والأرض﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية: يعني قوله ﴿بديع السموات والأرض﴾ ابتدع خلقها ولم يشركه في خلقها أحد[(٤)].

قوله تعالى ﴿وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾

والقضاء فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ومثال القول قوله تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[(٥)]، ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾[(٦)]، ومن الفعل قوله ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾[(٧)][(٨)]. وقال ابن كثير عند هذه الآية: يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه إذا قدر أمرا فإنما يقول له كن فيكون كن أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ماأراد كما قال تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ وقال تعالى ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن

---

(١) الرعد ١٥.
(٢) النحل ٤٨.
(٣) التفسير رقم ١٨٥٠.
(٤) التفسير ١١٤٢.
(٥) الإسراء ٢٣.
(٦) الإسراء ٤ وتمامها ل﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾.
(٧) فصلت ١٢.
(٨) انظر المفردات للراغب ص٤٠٦.

سورة البقرة ١١٨

نقول له كن فيكون﴾ وقال تعالى ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾[١].

قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾

ذكر ابن أبي حاتم ثلاثة أقوال وهي: القول الأول: أنهم يهود.

أخرج ابن إسحاق بسنده الحسن عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ يامحمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾[٢]. وأخرجه الطبري[٣] وابن أبي حاتم[٤] بسنديهما عن ابن إسحاق به.

القول الثاني: أنهم كفار العرب.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ قال: هو قول كفار العرب[٥]. وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بلفظه[٦].

القول الثالث: أنهم النصارى.

أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله عز وجل

---

(١) التفسير ٢٨٣/١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٣/١، ٢٨٤.

(٣) التفسير رقم ١٨٦٢.

(٤) التفسير رقم ١١٤٧.

(٥) التفسير رقم ١١٤٨.

(٦) التفسير رقم ١٨٦٣.

سورة البقرة ١١٨

﴿وقال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ قال: النصارى تقوله[١].

واختار الطبري القول الثالث لأن السياق فيهم[٢].

وتعقبه ابن كثير فقال: وفي ذلك نظر وحكى القرطبي ﴿لولا يكلمنا الله﴾ أي يخاطبنا بنبوتك يامحمد ــ قلت ــ وهو ظاهر السياق والله أعلم، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي في تفسير هذه الآية هذا قول كفار العرب ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ قال هم اليهود والنصارى ويؤيد هذا القول وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ إلى قوله ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ وقوله تعالى ﴿وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ الآية وقوله تعالى ﴿بل يريد كل امريء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤاهم مالاحاجة لهم به[٣].

قوله تعالى ﴿لولا يكلمنا الله﴾

أخرج الطبري[٤] وابن أبي حاتم[٥] بالإسناد الحسن عن قتادة في قوله ﴿لولا يكلمنا الله﴾ قال: فهلا يكلمنا الله .

قوله تعالى ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية يقول الله﴿كذلك قال الذين من

(١) التفسير ص ٨٦.
(٢) انظر التفسير ٢/٥٥٢.
(٣) التفسير ١/٢٨٤.
(٤) التفسير رقم ١٨٦٦.
(٥) التفسير رقم ١١٥٠.

قبلهم﴾ يعني: اليهود والنصارى أو غيرهم. ثم قال: وروي عـــن الســـدي وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[١].

وماروي عن قتادة أخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بلفظ: اليـــهود والنصارى وغيرهم[٢].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد بلفظ: هم اليهود[٣].

قوله تعالى ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾

قال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو عبد الله الطـــهراني فيمـــا كتـــب إلي، أبنـــا عبدالرزاق أبنا معمر عن قتادة يعني قوله ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ قـــال: معتـــبرا لمـــن اعتبر[٤]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا﴾

أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنـــهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ قـــال في التوراة ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميـــين أنـــت عبـــدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب بالأســـواق ولايدفـــع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا[٥].

---

(١) التفسير رقم ١١٥١.
(٢) التفسير رقم ١٨٦٩.
(٣) التفسير رقم ١٨٦٧.
(٤) التفسير رقم ١١٥٣.
(٥) الصحيح - التفسير سورة الفتح - باب (إنا أرسلناك شاهدا ومبشـــرا ونذيـــرا) رقـــم ٤٨٣٨.

وأخرج الشيخان بسنديهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: ياصباحاه فاجتمعت إليه قريش قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب تبا لك، ألهذا جمعتنا، فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[1].

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية[2].

قوله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ يبينه قوله تعالى ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ الآية ١٤٥ سورة البقرة.

قوله تعالى ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن قتادة ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ قال: خصومة علمها الله محمدا ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يخاصمون بها أهل الضلالة[3].

وأخرج الشيخان بسنديهما عن معاوية رضي الله عنه مرفوعا "لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"[4]. واللفظ للبخاري. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق قتادة مرسلا[5]. وذكره ابن كثير في التفسير[6].

---

(١) صحيح البخاري ـ التفسير ـ سورة سبأ ـ باب (إن هو إلا نذير لكم) رقم ٤٨٠١، وصحيح مسلم ـ الإيمان ـ باب قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) رقم ٣٥٥.
(٢) التفسير رقم ١١٥٧.
(٣) التفسير رقم ١١٦١.
(٤) صحيح البخاري ـ المناقب ٦/٦٣٢ رقم ٣٦٤١ وصحيح مسلم ـ الإمارة ـ باب قوله ﷺ "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين" رقم ١٠٣٧.
(٥) التفسير رقم ١١٦٠.
(٦) ١/٢٨٦.

سورة البقرة ١٢١

قوله تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن معمر عن قتادة في قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال: اليهود والنصارى[١].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن سعيد عن قتادة قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ آمنوا بكتاب الله وصدقوا به[٢].

وأخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن من طريق شيبان عن قتادة[٣]. واختار الطبري القول الأول[٤].

قوله تعالى ﴿يتلونه حق تلاوته﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، ثنا إبراهيم بن موسى، أبنا ابن أبي زائدة، أنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه. ثم قرأ إذا تلاها يقول: اتبعها. وروي عن عكرمة، وعطاء، ومجاهد، وأبي رزين، وإبراهيم نحو ذلك[٥].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح إلى ابن عباس. وأخرج المروزي عن إسحاق ابن إبراهيم، أنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد مثله[٦]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

---

(١) التفسير رقم ١١٦٣.
(٢) التفسير رقم ١٨٧٨.
(٣) التفسير رقم ١١٦٨.
(٤) التفسير رقم ٥٦٥/٢.
(٥) التفسير رقم ١١٦٦.
(٦) تعظيم قدر الصلاة ٣٩٦/١ رقم ٣٨٤.

سورة البقرة ١٢١ - ١٢٤

قوله تعالى ﴿ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾

أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال "والذي نفس محمد بيده! لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"(١).

قوله تعالى ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون﴾

تقدم تفسير هاتين الآيتين عند الآية رقم ٤٧و٤٨.

قوله تعالى ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾

اختلف المفسرون في المراد بالكلمات.

القول الأول: هي خصال عشر من سنن الإسلام.

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ قال ابتلاه الله بالطهارة(٢).

ورجاله ثقات وإسناده صحيح وأخرجه الحاكم من طريق ابن طاوس به وصححه ووافقه الذهبي(٣). وابن طاوس هو عبد الله، وأخرجه الطبري(٤) وابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق به ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن أبي صالح وأبي الجلد ومجاهد وسعيد بن المسيب والنخعي والشعبي نحو ذلك(٥).

---

(١) الصحيح ــ الإيمان ــ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ رقم ١٥٣.
(٢) التفسير ص٤٦.
(٣) المستدرك ٢/٢٦٦.
(٤) التفسير رقم ١٩١٠.
(٥) التفسير رقم ١١٧٢.

سورة البقرة ١٢٤

القول الثاني: ماأخرجه الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قولـــــه ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قـــال: تجعلني للناس إماما! قال: نعم. قال: ومن ذريتي. قال: لاينال عهدي الظـــالمين. قال: تجعل البيت مثابة للناس. قال: نعم. قال: وأمنا. قال: نعم. قال: وتجعلنـــا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك. قال: نعم. قال: وترينا مناسكنا وتتوب علينا. قال: نعم قال: وتجعل هذا البلد آمنا. قال: نعم. قال: وترزق أهله مـــن الثمرات من آمن منهم. قال: نعم[١].

وأخرج ابن أبي شيبة عن وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجـــاهد ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قال: ابتلي بالآيات التي بعدها[٢].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

القول الثالث: ماأخرجه ابن أبي حاتم بسنده الحسن من طريق ابن إســحاق بسنده عن ابن عباس قال: الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم فأتمهن فراق قومه في الله حين أمر بفراقهم، ومحاجته نمرود في الله حين وقفه على ماوقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافهم، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقـــوه في الله علـــى هول ذلك من أمرهم والهجرة بعد ذلك من وطنه وبـــلاده في الله حـــين أمـــره بالخروج عنهم، وماأمره به من الضيافة والصبر عليها، وماله ومابتلى به من ذبح ولده، حين أمره بذبحه فلما مضى على ذلك من أمر الله وأخلصه البلاء قـــال الله له أسلم قال: أسلمت لرب العالمين، على ماكان من خلاف الناس وفراقهم[٣].

(١) التفسير رقم ١٩١٧.
(٢) المصنف ـــ الفضائل ـــ باب ماذكر مما أعطى الله إبراهيم ١١/٥٢١ رقم ١١٨٧٦.
(٣) التفسير رقم ١١٧٤.

سورة البقرة ١٢٤

القول الرابع: ماأخرجه الطبري عن يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال: قلت للحسن: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قال: ابتلاه بالكوكب، فرضي عنه، وابتلاه بالقمر، فرضي عنه، وابتلاه بالشمس، فرضي عنه، وابتلاه بالنار، فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة، وابتلاه بالختان[١].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح وأبو رجاء هو: محمد بن سيف الحداني، وأخرجه بإسناده الحسن عن قتادة عن الحسن بنحوه وزاد ابتلاه بذبح ابنه[٢].

وقال الطبري: ماحاصله أنه يحتمل أن يكون المراد بالكلمات جميع ماذكر ويحتمل أن يكون بعض ذلك ولايجوز الجزم بشيء منها إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من الحجة ولم يصح شيء من ذلك[٣].

قوله تعالى ﴿فأتمهن﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿فأتمهن﴾ أي: عمل بهن[٤].

وقال الطبري: حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا دواد، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فأتمهن﴾، أي فأداهن [٥].

ورجاله ثقات وإسناده صحيح وعبد الأعلى هو ابن عبد الأعلى. وداود: هو ابن أبي هند. وعبد الأعلى هذا معروف بروايته عن داود ابن أبي هند [٦].

---

(١) التفسير رقم ١٩٣٣.
(٢) التفسير رقم ١٩٣٤.
(٣) انظر التفسير ١٥/٣.
(٤) التفسير رقم ١١٨٢.
(٥) التفسير رقم ١٩٤٠.
(٦) انظر تهذيب التهذيب ٩٦/٦.

سورة البقرة ١٢٤

قوله تعالى ﴿قال إني جاعلك للناس إماما﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿إني جاعلك للناس إماما﴾ فجعله الله إماما يؤتم ويقتدى به. ثم قال: وروي عن الحسن وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[١].

قوله تعالى ﴿ومن ذريتي﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن محمد ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس ﴿ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾ يخبره أي أنه كان في ذريته ظالم لاينال عهده ولاينبغي له أن يوليه شيئا من أمره ، وإن كانوا من ذرية خليله، ومحسن ستنفذ فيه دعوته ويبلغ فيه ما أراب من مسألته[٢].

وأخرج بسنده الجيد عن أبي العالية قال إبراهيم: يارب ﴿ومن ذريتي﴾ يقول اجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به. يقول : ليس كل ذريتك ياإبراهيم على الحق[٣].

قوله تعالى ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾

اختلف المفسرون في تفسير العهد.

القول الأول: الأمان. أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾ قال لاينال عهد الله في الآخرة الظالمون، فأما في الدنيا فقد

---

(١) التفسير رقم ١١٨٣.
(٢) التفسير رقم ١١٨٤.
(٣) التفسير رقم ١١٨٦.

سورة البقرة ١٢٤

ناله الظالم وأمن به، وأكل وأبصر وعاش[١]. وإسناده صحيح.

القول الثاني: دين الله. أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: قال الله ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾ فعهد الله الذي عهد إلى عباده دينه قال: لاينال ديني الظالمين[٢].

القول الثالث: الإمامة. أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿قال لاينال عهدي الظالمين﴾ قال: لايكون إماما ظالما[٣].

القول الرابع: أنه لاعهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا إسحاق الأزرق، ثنا سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾ قال: ليس لظالم عليك عهد في معصية الله أن تطيعه. وروي عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك[٤].

ورجاله ثقات إلا الحسن فصدوق وهارون لابأس به وإسناده حسن.

واختار الطبري أن هذه الآية وإن كانت ظاهرة في الخبر أنه لاينال عهد الله بالإمامة ظالما ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره[٥]. ويؤيد هذا الاختيار قول الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: يفهم من هذه الآية أن الله علم أن من ذرية إبراهيم ظالمين، وقد صرح تعالى في مواضع أخر بأن منهم ظالما وغير ظالم ، كقوله ﴿ومن

(١) التفسير ص٤٦.
(٢) التفسير رقم ١١٨٩.
(٣) التفسير رقم ١٩٤٦.
(٤) التفسير رقم ١١٩٥.
(٥) انظر التفسير ٣/٢٣،٢٤ وتفسير ابن كثير ١/٢٩٤.

سورة البقرة ١٢٥

ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾[(١)]. وقوله ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾[(٢)] الآية[(٣)].

قوله تعالى ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿مثابة للناس﴾ قال: يثوبون إليه[(٤)].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ لايقضون منه وطرا[(٥)]. وإسناده صحيح.

قال عبد الرزاق نا الثوري، عن أبي الهذيل، عن سعيد بن جبير في قوله ﴿مثابة للناس﴾ قال: يحجون ثم يحجون لايقضون منه وطرا[(٦)].

ورجاله ثقات إلا أبا الهذيل وهو غالب بن الهذيل الأودي صدوق رمي بالرفض والأثر ليس له علاقة بالرافضة، والإسناد حسن.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن سعيد عن قتادة بلفظ: مجمعا[(٧)]. وأخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن غالب عن سعيد بن جبير بلفظ: يحجون ثم يعودون[(٨)].

(١) الصافات ١١٣.
(٢) الزخرف ٢٨.
(٣) أضواء البيان ١/١٤٧.
(٤) التفسير رقم ١٩٧٦.
(٥) التفسير ص٤٦.
(٦) التفسير ص٤٧.
(٧) التفسير رقم ١٩٧٥.
(٨) المصنف ٤/١١٢.

سورة البقرة ١٢٥

قوله تعالى ﴿وأمنا﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ يقول أمنا من العدو وأن يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لايُسبون[(١)].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله ﴿وأمنا﴾ قال: تحريمه، لايخاف فيه من دخله[(٢)].

قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾

اختلف المفسرون في المراد بالمقام على أقوال:

القول الأول: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بنائه الكعبة.

أخرج البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت يارسول الله: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى ، وقلت يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب......[(٣)].

وأخرج مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الحديث الطويل والشاهد فيه أن رسول الله ﷺ استلم الركن فرمل ثلاثا، ومشى أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت[(٤)].

---

(١) التفسير رقم ١٢٠٣.
(٢) التفسير رقم ١٩٨١.
(٣) الصحيح ـــ التفسير ـــ سورة البقرة ـــ قوله تعالى ل﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ رقم ٤٤٨٣.
(٤) الصحيح ـــ الحج ـــ باب حجة النبي ﷺ رقم ١٢١٨.

سورة البقرة ١٢٥

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعا ثم صلى خلف المقام ركعتين ......[١]

القول الثاني: الحج كله أي الحرم وعرفات.

قال عبد الرزاق: نا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله ﴿مقام إبراهيم﴾ قال: الحج كله مقام إبراهيم[٢].

وأخرجه الطبري من طريق ابن جريج به[٣] وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق حجاج عن ابن جريج به وأطول، وفيه قال ابن جريج: سألت عطاء[٤]. وعطاء هذا ابن أبي رباح فالإسناد صحيح. ونبه على هذه الفائدة ـ عدم تصريح ابن جريج باسم والد عطاء ـ الحافظ ابن حجر فقال: ومن طريق ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وماعدا ذلك يكون عطاء هو: الخراساني ، وهو لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعا إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء ابن أبي رباح[٥].

القول الثالث: عرفة والمزدلفة والجمار. قال الطبري: حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال لأني قد جعلته إماما، فمقامه: عرفة والمزدلفة والجمار[٦].

(١) الصحيح ـ الحج ـ باب صلى النبي ﷺ لسبوعه ركعتين ٣/٤٨٤ رقم ١٦٢٣.
(٢) التفسير ص٤٧.
(٣) التفسير رقم ١٩٩٠.
(٤) التفسير رقم ١٢٠٦.
(٥) العجاب في بيان الأسباب ص د-٩.
(٦) التفسير رقم ١٩٩٣.

ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن ابن نجيح عن مجاهد بنحوه[١]. والصحيح القول الأول لما ثبت في الصحيح وقد رجحه الطبري[٢] وابن كثير[٣] البغوي[٤].

فصل : وثائق تاريخية ثابتة عن مقام إبراهيم

قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا أبو ثابت، حدثنا الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن المقام كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذكره ابن كثير ثم قال: وهذا إسناد صحيح مع ماتقدم[٥]. ويقصد بما تقدم الآثار التالية عن الإمام أنس ابن مالك وقتادة ومجاهد. فقال عبد الله بن وهب: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس ابن مالك حدثهم، قال رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم[٦]. وإسناده صحيح إلى أنس.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ماتكلفته الأمم قبلها. ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى[٧].

(١) التفسير ص٤٦.
(٢) التفسير ٣/٣٦.
(٣) التفسير ١/٢٩٨.
(٤) التفسير ١/١١٣.
(٥) التفسير ١/٢٩٩.
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) التفسير رقم ٢٠٠٠.

سورة البقرة ١٢٥

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا قال: أول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وذكره ابن كثير والحافظ ابن حجر وصحح إسناده[1].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان: كان المقام في سقع البيت على عهد النبي ﷺ ـ فحوله عمر إلى مكانه بعد النبي ﷺ ـ وبعد قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال: ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا، فرده عمر إليه. وقال سفيان: لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله. قال سفيان: لاأدري أكان لاصقا بها أم لا[2]. وسفيان هذا هو ابن عيينة كما صرح ابن كثير حيث نقل رواية ابن أبي حاتم كاملة [3].

قوله تعالى ﴿مصلى﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثني سهل بن بحر العسكري بالري، ثنا جعفر بن حميد، أنا ابن المبارك، عن زكريا بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال: مدعى[4].

ورجاله ثقات إلا العسكري صدوق فالإسناد حسن.

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قال: أمروا أن يصلوا عنده[5].

---

(١) فتح الباري ١٦٩/٨.
(٢) التفسير رقم ١٢٠٩.
(٣) التفسير ٢٩٩/١، ٣٠٠.
(٤) التفسير رقم ١٢١٠.
(٥) التفسير رقم ٢٠٠٥.

سورة البقرة ١٢٥

قوله تعالى ﴿أن طهرا بيتي للطائفين﴾

قال الطبري: حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن عبيد بن عمير ﴿أن طهرا بيتي للطائفين﴾ قال: من الأوثان والريب[١].

وأخرجه أيضا من طريق ابن جريج عن عطاء به[٢] وعطاء هو ابن أبي رباح كما قرر الحافظ ابن حجر في مقدمة كتاب العجاب في بيان الأسباب، ورجاله ثقات إلا أحمد صدوق فالإسناد حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين ثنا يحيى بن خلف ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة ﴿والطائفين﴾ قال: الطائفون: من يعتنقه[٣].

ورجاله ثقات إلا يحيى بن خلف: صدوق فالإسناد حسن.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿أن طهرا بيتي للطائفين﴾ قال: من الشرك وعبادة الأوثان[٤].

قوله تعالى ﴿والعاكفين﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت قال : قلت لعبد الله بن عبيد بن عمير: ماأراني إلا مكلم الأمير أن يمنع الذين ينامون في المسجد الحرام فإنهم يجنبون ويحدثون، قال: لاتفعل فإن عمر سئل عنهم فقال: هم العاكفون[٥].

---

(١) التفسير رقم ٢٠١١،٢٠١٢.
(٢) التفسير رقم ٢٠١١،٢٠١٢.
(٣) التفسير رقم ١٢١٩.
(٤) التفسير ص٤٦.
(٥) التفسير رقم ١٢٢٤.

ورجاله ثقات وإسناده صحيح وذكره ابن كثير ثم قال: وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول ﷺ وهو عزب[١].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿والعاكفين﴾ قال: العاكفون أهله[٢].

قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا﴾

أخرج الشيخان بسنديهما عن عمرو بن سعيد مرفوعا إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولايعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب....[٣].

وأخرج مسلم بسنده عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله ﷺ "إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم مابين لابتيها" ـــ يريد المدينة ـــ[٤].

قوله تعالى ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾

دعا إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء لأنه كان بواد غير ذي زرع وقد ذكر الله تعالى عنه أنه قال ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك

(١) التفسير ١/٣٠١.
(٢) التفسير رقم ٢٠٢٢.
(٣) صحيح البخاري ـــ العلم ـــ باب ليبلغ الشاهد الغائب رقم ١٠٤، وصحيح مسلم ـــ الحج ـــ باب تحريم مكة وصيدها رقم ١٣٥٤.
(٤) صحيح مسلم ـــ الحج ـــ باب فضل المدينة رقم ١٣٦١.

المحرم . . .﴾ الآية[١]. واستجاب الله سبحانه وتعالى لإبراهيم فصار يجبى إليه ثمرات كل شيء كما قال تعالى ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾[٢].

قوله تعالى ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ يعني من وحد الله وآمن باليوم الآخر[٣].

قوله تعالى ﴿ومن كفر فأمتعه قليل﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أُبي بن كعب رضي الله عنه ﴿ومن كفر﴾ إن هذا من قول الرب قال: ومن كفر فأمتعه قليلا[٤].

قال ابن كثير عند هذه الآية وهذا كقوله تعالى ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾[٥].

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح قال: سمعت عكرمة قال قال الله ﴿ومن كفر﴾ ـــ أيضا ـــ فإني أرزقه من الدنيا حين استرزق إبراهيم لمن آمن، قال ابن أبي نجيح : سمعت هذا من عكرمة، ثم عرضته على مجاهد فلم ينكره[٦].

ورجاله ثقات إلا عصام بن رواد صدوق فالإسناد حسن.

---

(١) إبراهيم ٣٧.
(٢) القصص ٥٧.
(٣) التفسير رقم ١٢٣٢.
(٤) التفسير رقم ١٢٣٣.
(٥) التفسير ٣٠٦/١ والآية في سورة النحل ١١٦،١١٧.
(٦) التفسير رقم ١٢٣٥.

سورة البقرة ١٢٦ - ١٢٧

قوله تعالى ﴿ ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح قوله ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ قال: ثم مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي نجيح سمعته من عكرمة، فعرضته على مجاهد فلم ينكره[١].

وإسناده حسن.

وأخرج الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[٢].

قوله تعالى

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾

قال عبد الرزاق: نا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ قال: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك[٣].

وأيوب هو السختياني، وأخرجه الطبري عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق به[٤] وذكر ابن حجر رواية الطبري وصحح إسنادها[٥].

---

(١) التفسير رقم ١٢٣٧.

(٢) صحيح البخاري ـــ التفسير ـــ سورة هود ـــ باب قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ رقم ٤٦٨٦، وصحيح مسلم ـــ البر والصلة ـــ باب تحريم الظلم رقم ٢٥٨٣.

(٣) التفسير ص٤٧.

(٤) التفسير رقم ٢٠٣٨.

(٥) فتح الباري ٨/١٧٠.

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: ذكر في هذه الآية رفع إبراهيم وإسماعيل لقواعد البيت. وبين في سورة الحج أنه أراه موضعه بقوله ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: عينا له محله وعرفناه به[1].

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم قال لإسماعيل: ياإسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ماأمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ــ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها ــ قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾[2] . وهذا طرف من آخر الحديث الطويل الذي ذكر فيه قصة إسماعيل وأمه في البيت الحرام.

وأخرج الشيخان بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ فقلت: يارسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر. فقال عبد الله بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ مأرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم[3].

واللفظ للبخاري.

---

(١) أضواء البيان ١/١٤٧.

(٢) الصحيح ــ الأنبياء ــ باب يزفون: النسلان في المشي ٦/٣٩٦-٣٩٨ رقم ٣٦٦٤.

(٣) صحيح البخاري ــ التفسير ــ سورة البقرة ــ باب قول الله تعالى ل﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ الآية رقم ٤٤٨٤، وصحيح مسلم ــ الحج ــ باب نقض الكعبة وبنائها رقم ١٣٣٣.

سورة البقرة ١٢٧

وأخرج الشيخان بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لها "ألم تري قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟ فقلت: يارسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت"(١).

وذكر ابن كثير هذه الروايات التي في الصحيحين(٢). وقد قام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بما أراد النبي ﷺ فنقض حجارة الكعبة ثم بناها من جديد وأدخل الحجر وجعل لها بابا للدخول وآخر للخروج وزاد في طول الكعبة، وأخرج مسلم بسنده عن عطاء قال: لما احترق البيت زمن يزيد ابن معاوية، حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ماكان، تركه ابن الزبير. حتى قدم الناس الموسم. يريد أن يجرئهم (أو يحربهم) على أهل الشام. فلما صدر الناس قال: ياأيها الناس! أشيروا علي في الكعبة. أنقضها ثم أبني بناءها. أو أصلح ما وهي منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها. أرى أن تصلح ما وهي منها. وتدع بيتا أسلم الناس عليه. وأحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته، مارضي حتى يجده. فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثا.ثم عازم على أمري. فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها. فتحاماه الناس أن ينزل، بأول الناس يصعد فيه، أمر من السماء. حتى صعده رجل فألقى منه حجارة. فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوه. فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة. فستر عليها الستور. حتى ارتفع بناؤه. وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري ـــ الحج ـــ باب فضل مكة وبنيانها ٤٣٩/٣ رقم ١٥٨٣، وصحيح مسلم ـــ الباب السابق رقم ٤٠٠.

(٢) التفسير ٣١٣/١،٣١٤.

قال "لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة مايقوي على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع، ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه، وبابا يخرجون منه " قال: فأنا اليوم أجد ماأنفق. ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر. حتى أبدى أسا نظر الناس إليه. فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعا. فلما زاد فيه استقصره. فزاد في طوله عشر أذرع. وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك. ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء. أما مازاد في طوله فأقره. وأما مازاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه. وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائه[١].

قوله تعالى ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح قال: سمعت عكرمة مولى ابن عباس يقول: قال إبراهيم: تجعلنا مسلمين لك؟ قال الله: نعم[٢].

وإسناده حسن. وكأنه يعني أن الله تعالى استجاب له. وكذا الأثر الذي يليه.

قوله تعالى ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده المتقدم آنفا عن عكرمة قال: قال إبراهيم ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ فقال الله: نعم[٣].

(١) الصحيح ــ الحج ــ باب نقض الكعبة وبنائها رقم ٤٠٢.
(٢) التفسير رقم ١٢٥٤.
(٣) التفسير رقم ١٢٥٧.

سورة البقرة ١٢٨

وهو كما قال فقد استجاب الله تعالى فقال ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾[١].

قوله تعالى ﴿وأرنا مناسكنا﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء ﴿وأرنا مناسكنا﴾ أخرجها لنا، علمناها[٢].

ورجاله ثقات إلا الحسن صدوق فالإسناد حسن. وحجاج هو ابن محمد. وعطاء هو ابن أبي رباح.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بلفظ: أرنا منسكنا وحجنا[٣].

وأخرج الثوري عن ابن جريج عن عطاء بلفظ: مذابحنا[٤].

وإسنادهما صحيح. وأخرجه الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد بلفظه[٥].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: قوله ﴿وأرنا مناسكنا﴾ فأراهما مناسكهما : الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والإفاضة من عرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، حتى أكمل الله الدين ــ أو: دينه[٦].

وقال أيضا: حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قال ابن المسيب ، قال علي بن أبي طالب : لما فرغ إبراهيم من بناء

---

(١) العنكبوت ٢٧.
(٢) التفسير رقم ١٢.
(٣) التفسير ص٤٧.
(٤) التفسير ص٤٦.
(٥) التفسير رقم ٢٠٦٧م.
(٦) التفسير رقم ٢٠٦٣.

البيت قال: (فعلت أي رب، فأرنا مناسكنا) ـ أبرزها لنا، علمناها ـ فبعث الله جبريل، فحج به[1]. وإسناده صحيح.

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل (قلت لابن عباس) يزعم قومك أن رسول الله ﷺ طاف على بعير بالبيت وأن ذلك سنة، قال صدقوا وكذبوا، قلت ماصدقوا وكذبوا؟ قال: صدقوا طاف على بعير وليس بسنة، إن رسول الله ﷺ كان لايصرف الناس عنه ولايدفع فطاف على بعير كي يسمع كلامه ولاتناله أيديهم (قلت) يزعمون أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة، قال: صدقوا وكذبوا (قلت) ماصدقوا وكذبوا؟ قال : صدقوا قد رمل وكذبوا ليست بسنة، إن قريشا قالت دعوا محمدا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوا رسول الله ﷺ على أن يجيء في العام المقبل فيقيم بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله ﷺ وأصحابه والمشركون من قبل قعيقعان قال لأصحابه: ارملوا وليس بسنة (قلت) يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة، قال: صدقوا إن إبراهيم ﷺ لما رأى المناسك عرض له شيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم انطلق به جبريل عليه السلام حتى أتى به منى فقال مناخ الناس هذا ، ثم انتهى إلى جمرة العقبة فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم انتهى به إلى الجمرة الوسطى فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أتى إلى الجمرة القصوى فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أتى به جمعا فقال هذا المشعر الحرام، ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة، قال ابن عباس أتدري لم سميت عرفة؟ قال لا، قال لأن جبريل قال له عرفت، قال ابن عباس أتدري كيف كانت التلبية؟ قال إن إبراهيم لما أمر أن

(١) التفسير رقم ٢٠٦٩.

يؤذن في الناس بالحج أمرت الجبال فخفضت رؤسها ورفعت له القرى فأذن في الناس بالحج[١].

وأخرجه أحمد من طريق حماد بن سلمة به. وصححه محققه أحمد شاكر[٢].

وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي داود به[٣]. وذكره الهيثمي ثم قال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات[٤]. وقال في موضع آخر رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم وهو ثقة[٥]. وهو كما قال فقد وثقه يحيى بن معين[٦]. وذكره ابن كثير مختصرا وسكت عنه. ولمعظم هذا الحديث شواهد في صحيح مسلم سردها محققو مسند أحمد[٧].

قوله تعالى ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح قال: سمعت عكرمة مولى ابن عباس يقول: قال الله لإبراهيم إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال إبراهيم: تجعلني للناس إماما. قال الله: نعم. قال إبراهيم: وتتوب علينا. قال الله: نعم[٨]. وإسناده حسن.

قوله تعالى ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية والتي قبلها : لم يبين هنا من هذه الأمة

---

(١) منحة المعبود ١/٢٠٧ رقم ٩٩٢.
(٢) المسند رقم ٧٠٧.
(٣) التفسير رقم ١٢٦٠.
(٤) مجمع الزوائد ٣/٣٥٩.
(٥) مجمع الزوائد ٨/٢٠٠،٢٠١.
(٦) انظر تهذيب التهذيب ١٢/١٤٣.
(٧) المسند ٤/٤٣٧ ح٢٧٠٧ طبعة الموسوعة الحديثية باشراف معالي أ.د. عبد الله التركي.
(٨) التفسير رقم ١٢٦٣.

سورة البقرة ١٢٩

التي أجاب الله بها دعاء نبيه إبراهيم وإسماعيل. ولم يبين هنا أيضا: هذا الرسول المسئول بعثه فيهم من هو؟ ولكنه يبين في سورة الجمعة أن تلك الأمة العرب، والرسول هو سيد الرسل محمد ﷺ. وذلك في قوله ﴿هو الذي بعث في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ لأن الأميين العرب بالإجماع. والرسول المذكور نبينا محمد ﷺ إجماعا. ولم يبعث رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا محمد ﷺ وحده[١].

وقال ابن كثير عند هذه الآية : والمراد بذلك محمد ﷺ وقد بعث فيهم كما قال تعالى ﴿هو الذي بعث في الأمين رسولا منهم﴾ ومع هذا لاينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى ﴿قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾.[٢]

قال الحاكم: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك. فقال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى. وبصرى من أرض الشام. قال الحاكم خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه[٣] ووافقه الذهبي. وذكره ابن كثير من طريق محمد بن إسحاق به وقال : وهذا إسناد جيد

---

(١) أضواء البيان ١/١٤٧.
(٢) التفسير ١/٣١٩.
(٣) المستدرك ٢/٦٠٠.

سورة البقرة ١٢٩

قوي(١) وفي التفسير قال: وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخر(٢). ثم ساق الشواهد وهي أحاديث يقوي بعضها بعضا. وصحيحه الألباني(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾ يعني: أمة محمد ﷺ فقيل قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان(٤).

قوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياتك﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن سعيد عن قتادة قوله ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك﴾ قال: ففعل الله ذلك، فبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون وجهه ونسبه يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد(٥).

قوله تعالى ﴿والحكمة﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿والحكمة﴾ أي: السنة(٦).

قوله تعالى ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿العزيز﴾ يقول عزيز في نقمته إذا انتقم، ﴿الحكيم﴾ قال: حكيم في أمره(٧).

---

(١) البداية والنهاية ٢/٢٧٥.
(٢) التفسير ٤/٣٦٠ ط المعرفة.
(٣) السلسلة الصحيحة ح ١٥٤٥.
(٤) التفسير رقم ١٢٦٥.
(٥) التفسير رقم ١٢٦٧.
(٦) التفسير رقم ٢٠٧٨.
(٧) التفسير رقم ١٢٧٦،١٢٧٨.

سورة البقرة ١٣٠ - ١٣٢

قوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ قال: رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله وتركوا دين إبراهيم[١].

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة بنحوه[٢].

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: لم يبين هنا ماملة إبراهيم وبينها بقوله ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ فصرح في هذه الآية بأنها دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ، وكذا في قوله ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم﴾ الآية[٣].

قوله تعالى ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ يقول: ووصى بها يعقوب بنيه بعد إبراهيم[٤].

قوله تعالى ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: أشار إلى أنه دين الإسلام هنا بقوله ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وصرح بذلك في قوله ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقوله ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٥].

---

(١) التفسير رقم ١٢٨٠.
(٢) التفسير رقم ٢٠٨٣.
(٣) أضواء البيان ١٤٨/١.
(٤) التفسير رقم ٢٠٨٦.
(٥) أضواء البيان ١٤٨/١.

سورة البقرة ١٣٣

قوله تعالى ﴿أم كنتم شهداء﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿أم كنتم شهداء﴾ يعني: أهل الكتاب[١].

قوله تعالى ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾

أخرج البخاري تعليقا عن أبي بكر وابن عباس وابن الزبير أن الجد أب[٢]. قال ابن حجر في تغليق التعليق: أما قول أبي بكر أن الجد أب فأسنده المؤلف ــ أي البخاري ــ في فضل أبي بكر وكذا قول ابن الزبير[٣]. وأما قول ابن عباس فقد ذكر من أخرجه كالبيهقي وسعيد بن منصور[٤] وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية مستشهدا لمن استدل بهذه الآية في جعل الجد أبا وحجب به الأخوة[٥].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قوله ﴿إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ فسمى عمه أباه[٦].

قوله تعالى ﴿ونحن له مسلمون﴾

أخرج الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: الأنبياء

(١) التفسير رقم ١٢٨٨.
(٢) الصحيح ــ الفرائض ــ باب ميراث الجد مع الأب والأخوة.
(٣) ٥/٢١٤ وانظر فتح الباري ٧/١٧ رقم ٣٦٥٨.
(٤) تغليق التعليق ٥/٢١٥ وسنن سعيد بن منصور رقم ٤٠-٥٢ والسنن الكبرى ٦/٢٤٦.
(٥) التفسير ١/٣٢٣،٣٢٤.
(٦) التفسير رقم ١٢٩٢.

سورة البقرة ١٣٣ - ١٣٤

إخوة لعلات[١] أمهاهم شتى ودينهم واحد[٢].

وذكره ابن كثير مستدلا على أن الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿مسلمين﴾[٤] يقول: موحدين[٥].

قوله تعالى ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾

أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ....ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه[٦].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ يعني: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[٧].

---

(١) قوله: إخوة لعلات: وفي رواية أولاد علات كما في الصحيحين وقال النووي عندها قال العلماء: أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأما الأخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان. قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما في فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف (صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٩٩، ١٢٠). وقال ابن حجر: العلات الضرائر (الفتح ٦/٨٤٩).

(٢) صحيح البخاري ـــ الأنبياء ـــ باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت...) رقم ٣٤٤٣ وصحيح مسلم ـــ الفضائل ـــ باب فضائل عيسى رقم ٢٣٦٥.

(٣) التفسير ١/٣٢٤.

(٤) قوله: مسلمين كذا في الأصل وكأنه قد فسره عند لفظ مسلمين في موضع آخر ثم أتى به هنا باللفظ نفسه.

(٥) التفسير رقم ١٢٩٥.

(٦) الصحيح ـــ الذكر ـــ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن رقم ٢٦٩٩.

(٧) التفسير رقم ١٢٩٧.

سورة البقرة ١٣٥

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ثنا محمد بن وهب بن عطية الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا القاسم بن هزان الخولاني، ثنا الزهري، ثنا سعيد بن مرجانة قال: قال ابن عباس قوله عز وجل ﴿ماكسبت﴾ من العمل[١].

ورجاله ثقات إلا القاسم قال عنه أبو حاتم: شيخ محله الصدق[٢] والمتن له شاهد من اللغة فالإسناد حسن أما الوليد بن مسلم هو القرشي الدمشقي ثقة لكنه يدلس[٣] وقد صرح بالسماع فلا ضير. قال الطبري وأصل الكسب العمل[٤] وانظر الآية ١٤١ من هذه السورة.

قوله تعالى ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا . . .﴾ الآية

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ماالهدى إلا مانحن عليه فاتبعنا يامحمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله عز وجل ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾[٥].

وإسناده حسن.

قوله تعالى ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿حنيفا﴾ يقول: حاجا[٦].

---

(١) التفسير رقم ١٢٩٩.
(٢) الجرح والتعديل ١٢٣/٧.
(٣) انظر تهذيب التهذيب ١٥١/١١-١٥٥.
(٤) التفسير ٢٧٣/٢.
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٢٤/١.
(٦) التفسير رقم ١٣٠١.

سورة البقرة ١٣٥ - ١٣٦

وقال الطبري: حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا القاسم بن الفضل، عن كثير أبي سهل، قال: سألت الحسن عن (الحنيفية)، قال: حج البيت[١]. ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا قبيصة وعيسى بن جعفر قالا ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿حنيفا﴾ قال متبعا[٢]. وإسناده صحيح.

قوله تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل . . .﴾ الآية

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسروها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا ﴿آمنا بالله وما أنزل. . .﴾ الآية[٣].

ومن فضل هذه الآية ماأخرجه مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر: في الأولى منهما: قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا..... الآية التي في البقرة. وفي الآخرة منهما: آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون[٤].

وأخرج الطبري بسنده عن قتادة قال : أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولايفرقوا بين أحد منهم[٥].

قوله تعالى ﴿والأسباط﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال ﴿الأسباط﴾ هم: يوسف

(١) التفسير رقم ٢٠٩١.
(٢) التفسير رقم ١٣٠٢.
(٣) الصحيح - التفسير - سورة البقرة - باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) رقم ٤٤٨٥.
(٤) الصحيح - صلاة المسافرين - باب استحباب ركعتي سنة الفجر رقم ٧٢٧.
(٥) التفسير رقم ٢١٠٣.

سورة البقرة ١٣٦

وإخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم أمة فسموا الأسباط[١].

وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بنحوه[٢].

قال الشيخ الشنقيطي عند قوله تعالى ﴿وماأنزل إلى إبراهيم﴾: لم يبين هنا هـذا الذي أنزل إلى إبراهيم، ولكنه بين في سورة الأعلى أنه صحف وأن من جملة مافي تلك الصحف ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ وذلك في قولـه ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾[٣].

قوله تعالى ﴿وماأوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيون﴾

قال الشيخ الشنقيطي عند هذه الآية: لم يبين هنا ماأوتيه موسى وعيسى، ولكنه بينه في مواضع أخر. فذكر أن ماأوتيه موسى هو التوراة المعبر عنها بالصحف في قوله ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ وذلك كقوله ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة بالإجماع. وذكر أن ماأوتيه عيسى هو الإنجيل كما في قولـه ﴿وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل﴾[٤].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن شيبان عن قتادة قال: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله[٥].

قوله تعالى ﴿لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾

وأخرج بسنده الصحيح عن سعيد عن قتادة قوله ﴿ لانفرق بين أحد منهم ونحن

---

(١) التفسير رقم ١٣١٠.
(٢) التفسير رقم ٢١٠٤.
(٣) أضواء البيان ١/١٤٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) التفسير رقم ١٣١٤.

سورة البقرة ١٣٧ - ١٣٨

له مسلمون﴾ قال: أمر الله المؤمنين أن لايفرقوا بين أحد منهم[١].

قوله تعالى ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾

أخرج الطبري وابن أبي حاتم بالإسناد الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ ونحو هذا، قال: أخبر الله سبحانه أن الإيمان هو العروة الوثقى، وأنه لايقبل عملا إلا به، ولاتحرم الجنة إلا على من تركه[٢].

قوله تعالى ﴿فإنما هم في شقاق﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية ﴿في شقاق﴾ يعني في فراق[٣].

وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة[٤].

قوله تعالى ﴿فسيكفيكهم الله﴾

وقد أنجز الله وعده وهزم الأحزاب وحده فكفى نبيه ﷺ ومكنه من أعدائه فقتل قريظة وسباهم وأجلى بني النضير[٥].

قوله تعالى ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿صبغة الله﴾ قال: دين الله[٦]. وإسناده صحيح.

---

(١) التفسير رقم ١٣١٥.
(٢) تفسير الطبري رقم ٢١٠٨ وتفسير ابن أبي حاتم رقم ١٣١٧.
(٣) التفسير رقم ١٣٢٠.
(٤) التفسير رقم ٢١١٠.
(٥) انظر صحيح البخاري ــ المغازي ــ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم وباب حديث بني النضير ومخرجه إليهم.
(٦) التفسير ص٤٨.

سورة البقرة ١٣٨ - ١٤٠

وقال الطبري: حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله ﴿صبغة الله﴾ قال: دين الله، ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ ومن أحسن من الله دينا[1]. وإسناده جيد.

وأخرج آدم بن أبي إياس بإسناده الصحيح عن مجاهد في قول الله ﴿صبغة الله﴾ قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها[2].

قوله تعالى ﴿قل أتحاجوننا في الله﴾

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿قل أتحاجوننا في الله﴾ أتجادلوننا؟[3].

قوله تعالى

﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى﴾

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى﴾ أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمدا ﷺ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل[4].

---

(١) التفسير رقم ٢١١٦.

(٢) التفسير ص ٨٩ .

(٣) التفسير رقم ٢١٢٩.

(٤) التفسير رقم ٢١٣٦.

سورة البقرة ١٤٠ - ١٤١

قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ قال: هم اليهود والنصارى كتموا الإسلام، وهم يعلمون أنه دين الله، وكتموا محمدا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل أنه ليس يهوديا[١].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قوله ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ قال : في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما، إنهم كانوا يهود أو نصارى. فيقول الله : لاتكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون[٢].

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: الشهادة: النبي مكتوبا عندهم هو الذين كتموا[٣].

قوله تعالى ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم. . .﴾ الآية

تقدمت هذه الآية برقم (١٣٤) فلينظر تفسيرها هناك.

وأخرج ابن أبي حاتم عند هذه الآية بسنده الحسن عن ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي. وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾[٤].

---

(١) التفسير رقم ١٣٢٨.
(٢) التفسير رقم ٢١٣٢.
(٣) التفسير ص٤٨.
(٤) التفسير رقم ١٣٣١.

سورة البقرة ١٤١

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة قوله تعـــالى ﴿تلك أمة قد خلت﴾ يعني: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[١].

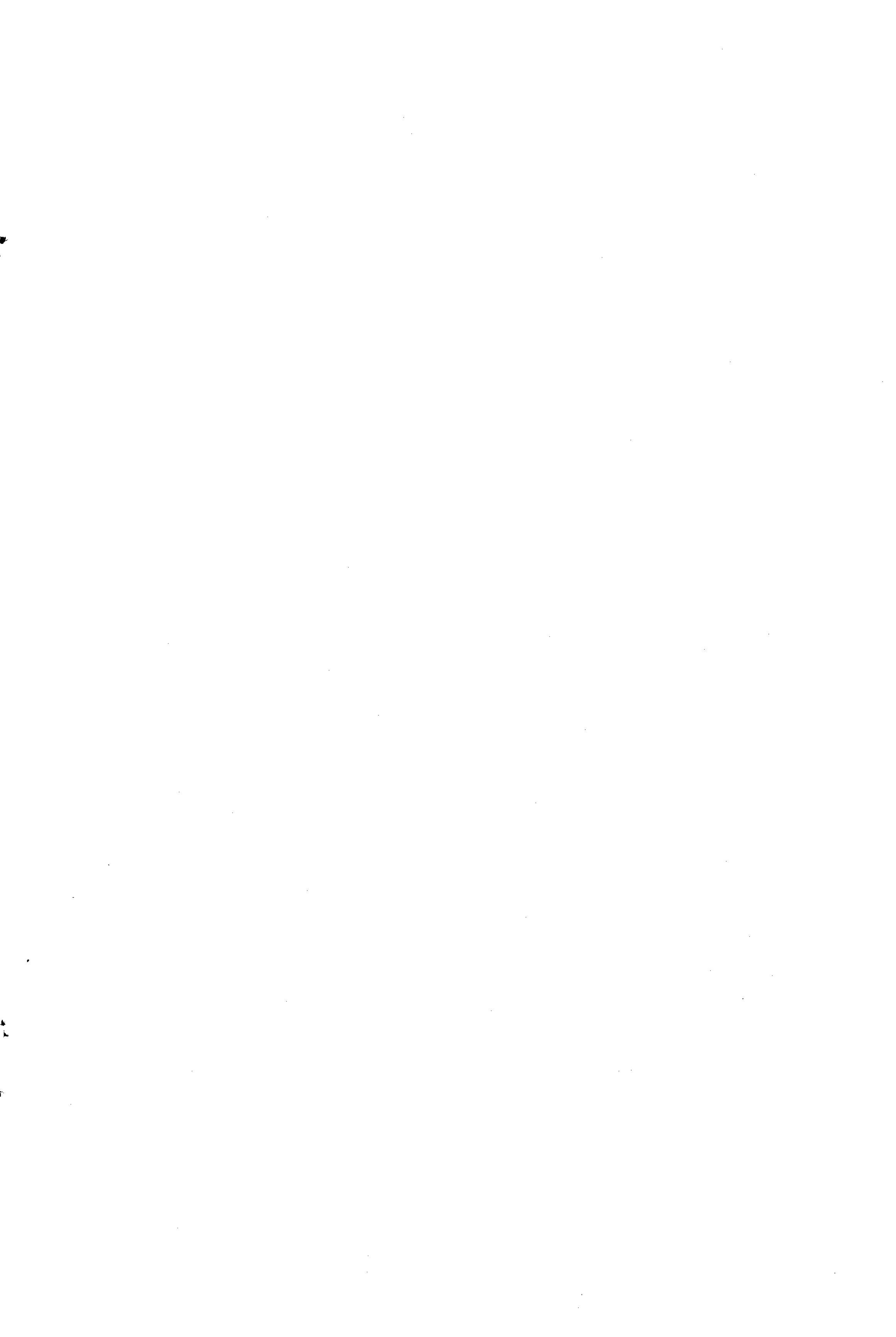
تم القسم الثالث وإلى القسم الرابع إن شاء الله تعالى.

(١) التفسير رقم ٢١٤٠.

الإلحادُ في الظّلم

في المسجدِ الحرامِ بين الإرادةِ والتّنفيذِ

بقلم :
د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود
كلّيّة الدّعوة وأصول الدّين - جامعة أمّ القرى



عناصر البحث

المقــــدمــــة

الحمد لله فعّال لما يريد، بيده الخير، وهو على كل شيء شهيد. والصـــلاة والسلام على القائل: "من يُرِد الله بهِ خَيراً، يُفقِهه في الدين" [1].

أما بعد: فقد كنت في زيارة أحد أقاربي، المقربـــين إلى نفســـي في مدينــة الرياض، وتناول الحديث معه تعلقه الشديد بأرض الحرم، ورغبته الصادقـــة في سكناها، والعيش فيها.

وكأني أسخر منه، حين سألته: ولَمَ لمْ تفعل؟ فالســـبيل ميســـر، والوســـيلة سائرة، وقد منَّ الله عليك بالتبعية لهذا الكيان الكبير، فلا حـــدود ولا قيـــود، وأنت اليوم أصبحت خِلْواً من التزاماتك نحو عملك في الجامعة.!!!

فتبسم ضاحكاً من قولي، وصوّب نحوي نظرة شفقةٍ، وحنان، وقال: هـــو كما قُلْتَ، ولولا آية في كتاب الله لفعلت.

ووجمت مندهشاً وقد أخذ مني الفضول مأخذاً، نظرت إليـــه بلهفــة، وفي عيني سؤال: وما تلك الآية، يرحمك الله؟!.

فتلا قوله تعالى: ﴿ومن يُردْ فيه بإلحادٍ بظلم نُذقْهُ من عذاب أليم﴾ [الحـج /٢٥]. فكأنه أيقظني من سبات عميقٍ في وادٍ سحيق، فأخذت أردد تلاوة الآية الكريمــة في نفسي، ورفعت إليه بصري، وسألته متغابياً : وما الذي في الآية من معنى يحول بينك وبين تحقيق حلمك الجميل؟ فردَّ قائلاً:

الإنسان منّا عرضة للخطأ، والنسيان، فيما يقول، ويفعل، ولا يزال تحيـــط

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

به الملذَّات، والشهوات، والرغبات في نيلها، فيريد أن يحقق لنفسه شيئاً منـــها، إرواءً لغرائزه، فيَهُمُّ بفعلِ معصية، فلا يقع منه في الواقع فعلها، فيصبح موعـوداً من الله بعذاب أليم ، لمجرد أنه همّ بفعلها في المسجد الحرام. بينما الأمر بخلافه في أي مكان آخر من المعمورة. فالسلامة أن نقتصر على زيارهما ـــ شـــرَّفها الله ـــ بين الحين والآخر للحج أو العُمرة، فلا يطول بنا المقـــام إلاّ بقـــدر تأديتـــهما والإنتهاء منهما، فنسلم إن شاء الله تعالى من التعرُّض لسخط الله وغضبه.

هذه المحادثة الصغيرة شدَّتني إلى طلب العلم حول هذه القضية، التي كـــثر الغافلون عنها ممن سكن مكة المكرمة، وجاور المسجد الحرام.

التمهـــيد

إنَّ موضوعاً يبحث في معنى الإلحاد، والظلم، وإرادهما بـــأرض الحـــرم، وجوار المسجد الحرام، له خصائص تختلف في أهميتها، وماهيتها عن غيرها، ممـــا يتعلق بمواضيع شرعية أخرى ، وذلك لحرمة المكان بما يؤكده المولى جلّ وعلا في القرآن الكريم بأكثر من آية.

والقاطنون بمكة المكرمة من أهلها والوافدون إليها ، يهمهم أكثر من غيرهم الوقوف على دقائق هذا الموضوع، وتفاصيله المختلفة، لمن شاء منهم أن ينجـــو من عذاب الله الأليم، بمعرفة أسبابه، ودوافعه.

فما معنى الإرادة؟ وما المراد بالإلحاد، والظلم في الحـــرم؟ ومـــا المقصـــود بالحرم، وبالبيت الحرام، والمسجد الحرام؟.

فشرعت في سبيل ذلك أجمع الآيات من القرآن، والأحـــاديث النبويـــة، وأقوال المفسرين حولها، وأقوال أهل اللغة والتاريخ، والسِّيَر. وكان من الطبيعي أن أحدد المراد بالحرم. أهو المسجد الذي تقام فيه الصلاة بجوار الكعبة، البيـــت

الحرام، وما يحيط به من جهاته الأربع من ساحات، وأروقة، ومرافق ؟ أم هو كل ما دخل في حدود مدينة مكة المكرمة، البلد الحرام؟.

ومن ثم يتبين المكان الذي يؤاخذ فيه الإنسان بإرادته المجرَّدة، ومضاعفة أجر الصلاة فيه إلى مائة ألف صلاة.

والحِلُّ يُطلق على خارج حدود الحرم، حيث المواقيت للحج والعمرة لمن أَمَّ البيت الحرام، فمن تجاوزها وقد تلبَّس بهما أو بأحدهما منها أو من بلده، فقد وجب عليه إتمامهما، والعمل بأحكامهما.

وتختلف المواقيت التي هي أبواب أرض الحرم قرباً وبعداً عنه، ليستعدَّ القادم إلى البيت الحرام من لتهيئةِ نفسه وحاله، بعد أن تجرَّد من المخيط، لتتجرد نفسه من أغراض الدنيا وشهواتها، وتُقْبِل علي ربها مطمئنَّة راضية، تؤدي نسكها ﴿بلدةٌ طيّبة وربٌّ غفور﴾ [سبأ/١٥]، ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطّوّفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج / ٢٩].

ومكة المكرمة القرية الآمنة، كان نواتُها بعض أهل إبراهيم عليه السلام، أسكنهم بوادٍ غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، ودعا الله عز وجل أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ويرزقهم من الثمار ــ كل الثمار ــ فالسكنى كانت (عند) المسجد الحرام، وليست (فيه) مما يدل على أن موضع زمزم حيث ترك إبراهيم ابنه لم يكن من المسجد الحرام حينذاك بل بجواره، والله أعلم، واستجاب الله ــ عز وجل ــ لدعوة نبيه وخليله، فاستقر في ذلك المكان من العرب مَنْ بدد وحشة (هاجَر)، وقوَّم لسان إسماعيل عليه السلام، حتى إذا شبَّ عن الطوق، أنكحوه منهم. ثم عاد الخليل عليه السلام يتفقد تركته، ويعلم من شأنهم ما جدّ عليه.

وكرر ذلك مراراً، حتى جاء أمر الله جلَّ وعلا، يأمرهما بإعادة بنـــاء بيتـــه الحرام بعد أن طمرته الرياح بالرمال، والسيول بالوحل والحجارة، على اعتبـــار أن الملائكة أول من شيده[1]، قــــال تعــالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة / ١٢٧].

حتى إذا شيداه، وأتمّا بناءه توجها إلى ربهما بالدعاء : ﴿ربنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكِتابَ والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة /١٢٨ـ١٢٩].

ثم يمتنّ الله تعالى على عباده أن صيَّر بيته الآمن مثابة لهم يعودون إليه حينـــاً بعد حين، قال عز وجلّ: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بَيْتِيَ للطائفينَ والعاكفينَ والركع السجود﴾ [البقرة/١٢٥].

وكلمة (الحرم) تشمل قرية مكة المكرمة، بمبانيـــها، وطرقـــها، ومرافقـــها العامة، تحيط بالمسجد الحرام ، إحاطة السوار بالمعصم، وليست منه. قال عمر بن الخطاب لمن أبى أن يأخذ ثمن داره التي هدمها قرب المسجد الحـــرام لتوســعته، وتمنَّع من البيع، "إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل عليكم" فوضع أثمان دورهم في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد[2] غير أن لها ما يميزها عن سائر مدن

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٣٠٢/١): وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة، فقيــــل: الملائكة، وقيل آدم. أ.هـــ. وانظر البداية والنهاية (١٦/١)(١٦٦/٣). وانظـــر تفســير القرطبي للآية (١٢٧) من سورة البقرة (١٢/٢)، وتفسير البغوي عند تفسير الآية نفسها (١٤٩/١) وانظر: تاريخ الكعبة المعظمة لحسين عبد الله باســـلامه (ص٤) ط٢ ســـنة ١٣٨٤هـــ.

(٢) انظر " شفاء الغرام " للفاسي (٢٢٤/١) ، رواه عن الأزرقي عن جدّه قال: أخبرني مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج، وانظر "تاريخ الأمم والملوك" لابـــن جريـــر الطـــبري (٢٠٦/٤).

الأرض وقراها على الإطلاق، ففيها يُنهى عن عضد الشجر بكل أنواعه إلا ما استثناه الشارع، وأن لا يُنفَّر صيدها مهما كان حجمه أو نوعه، وتقع الفدية على من فعل شيئاً من ذلك، ولا تحل لُقَطَتُها لواجدها مهما تطاول عليها الزمن[1] وأن يكون لها منشداً أبداً.

و(البيت الحرام) أو (المسجد الحرام) و(الكعبة البيت الحرام) و(البيت) و(البيت العتيق)، لا تأتي إلاّ مُعَرَّفَة، والمراد الكعبةُ نَفْسُها، وما يحيط بها من جهاتها الأربع إلى آخر ما يصل إليه موضع السجود للمؤتَمّ في صلاته بصلاة الإمام فيه، لا يفصل بينهما شيء من المرافق العامة أو الخاصة ، وتكون الصفوف متصلة بحيث لو رآها الناس قالوا: الصفوف متصلة، وذلك عُرْفاً ــ حتى ولو امتدّت إلى أن تشمل قرية مكة كلّها، فتكون أرض الحرم كلها مسجداً.

ولا يجوز للحائض، والنفساء، والجنب المكث فيه إلا عابري سبيل كشأن سائر المساجد الأخرى، ولا يطلب ذلك في غير المساجد.

وإذا أراد الله تعالى الإشارة إلى بيته المطهَّر بمكة وصفه بـ"الحرام"، وإذا أشار ــ جلّ وعلا ــ إلى غيره من المساجد لم يَصِفْهُ بتلك الصفة، كما قال تعالى عن مسجد بيت المقدس: ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾ [الإسراء/٧].

وعن مسجد المدينة قال تعالى: ﴿لمسْجِدٌ أُسّسَ على التقوى﴾ [التوبة/١٠٨].

ولا فرق بين جملة (المسجد الحرام) و (البيت الحرام) فالمساجد بيوت الله، وبيوت الله هي المساجد، وأمكن أن يُضاف البيت إلى اسم الجلالة فيقال: بيت

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم (١١٢) وأطرافه (٢٤٣٤) و (٦٨٨٠). وكتاب البيوع باب ما قيل في الصوَّاغ حديث رقم (٢٠٩) وكتاب اللقطة، باب رقم (٧)، وانظر صحيح مسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، حديث رقم (١٣٥٥).

الله الحرام، ولا يقال: مسجد الله الحرام، لأن المساجد لا تكون إلاّ لعبادة الله وحده، ولا يُقبل عمل فيها إلاّ لله، وهي بمعنى السجود: ﴿وأنّ المساجَد للهِ فلا تدعوا معَ اللهِ أحداً﴾ [الجن/١٨]، بينما البيوت تطلق على أماكن العبادة وغيرها.

وسمِّيت أرض مكة حرماً من أجل ما حُرِّم فيها من عضد الشجر وتنفير الصيد، وغيرهما مما اختصت به دون غيرها من بقاع الأرض، والحُرْمَةُ ما لا يَحِلّ انتهاكُه، ويقال: هُوَ ذو مَحْرَمٍ منها، إذا لم يَحِلّ له نِكاحُها. وحَريم البِئْر وغَيْرِها: ما حولها من مرافقها، وحقوقها[1].

فقرية مكة: هي حريم المسجد الحرام، وهي له كسياج تحيط به، تحول بين هوانه ممن لا يعظمه في نفسه، ويعمل على إهانته، والنيل منه، بعبادة ربه بما لم يُشَرِّعه لعباده للتقرب إليه وطاعته، كالمشركين يعبدون الأوثان، ويستغيثون بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ فأولئك لو تمكنوا من دخول مكة ــ الحرم الآمن ــ لتمكنوا من دخول المسجد الحرام بطريقة أو بأخرى "كالراعي يرعى حول الحمى"، فقطعاً لدابر مثل هذا الاحتمال حُظِر عليهم دخول أرض مكة كلّها، وبالتالي دخول بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجسٌ فلا يَقربُوا المسجدَ الحرامَ بعد عامهم هذا * وإن خِفتُم عَيْلَةً فسوف يُغنيكم الله من فضلِه إن شاء إنّ الله عليمٌ حكيم﴾ [التوبة/٢٨].

وقد كان من المشركين أربابُ تجارة ، يعتادون مكة بأصنافٍ منها، ينتفع بها المسلمون، الذين منهم من اغتمّ عند نزول صدر الآية الكريمة ، خشية الفقر عند انقطاع موارد الرزق، حتى إذا نزل عجزها اطمأنت نفوس المسلمين.

قال ابن حجر: والآية صريحة في منعهم دخول المسجد الحرام، ولو لم

(١) مختار الصحاح، مادة (حرم).

يقصدوا الحج، ولكن لما كان الحج هو المقصود الأعظم صرح لهم بالمنع منـــه، فيكون ما وراءه أولى بالمنع. والمراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله[1].

وقرية مكة المكرمة لها طابع بيئي متميز، الجبال الشاهقة تحيط بـــها مـــن جميع جوانبها، والأودية تتخلل تلك الجبال، وحتى موضع البيت الحرام في وادي غير ذي زرع تغمره مياه الأمطار ، وقد أدَّت السيول إلى هدمه أكثر من مرة من تاريخ إنشائه. غلب على مناخِها طابع الحرارة الشديدة، ولا تكاد تُميَّز فـــروق الفصول الأربعة فيها.

وأَقْدِر لمكة المكرمة بلداً يَسكُن حبها نفوسَ المسلمين، ولكن لا يسـكنها إلاّ من سكنت إليها نفسه، واطمأنت بالإيمان غالباً. ومزاجها من السكان خليـــط، ومن العادات مختلف وجديد. يكاد لا يجمع بينهم مـــن الروابـــط والعـــادات الاجتماعية إلاّ رابط التعلق ببيت الله الحرام، والتقرب إلى الله فيه.

تحسبهم جميعاً وفق ما ينبغي من تقوى لله، وورع، والتزام يليـــق بـــالجوار والجار، عظمة، وحُرمة، غير أنَّها بلد لم تُحصَّن -كغيرها- ضد الشيطان وجنده، فهم يجوبون طرقها، وأنديتها، ويستحوذون على بعض أفئدة سكانها بما يُزَيِّنونـــه من مسائل، ووسائل تغوي السفهاء، فتكاد المعاصي فيها من مرتكبيها تتشـــابه بالمعاصي في غيرها من المدن الأخرى.

ولكن يبقى للمسجد الحرام في مكة المكرمة ما يُميزه عن أي بقعـــة مـــن بقاع الأرض، ذلك هو مؤاخذة من أراد فيه الإلحاد والظلم، -مجـــرد الإرادة-، بعذاب أليم، وفي غيره يستوجب الفاعل لهما العقوبة بمباشرته الحدث ووقوعـــه منه فعلاً وقصداً، لا بمجرد أن يهمَّ بذلك هماً دون الإلمام به، ولا تخلـــو نفـــس

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٢/٨).

بشرية ــ إلاّ من رحم ــ من الهمِّ بفعل يعتبره الشارع معصية يستحق فاعلها عقوبة في الدنيا أو في الآخرة إذا تحقق فعلها منه، وفي الحديث عن ابن عباس يرفعه: "ما مِنْ أَحدٍ مِنْ وَلَدِ آدم ألاّ قد أَخْطأ أو همَّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا"(١).

وخواطر الإنسان، وأفكاره، وهواجسه لا تقف عند قَدْرٍ، ولا تحدها حدود، فلا يشعر الإنسان إلاّ وقد حلَّقت به أفكاره بعيداً عن مكان وجود بدنه، ويتصور، ويتخيل شتى الصور والخيالات، المألوفة، وغير المألوفة، المباحة، وغير المباحة.

وقد تُحَرِّك في نفسه بعض تلك الصور المُتَخَيَّلَة نوعاً من الرغبة في نيلها، والاستمتاع بها، فيتدرج مع خياله في سبل تحقيقها حتى يكتمل في ذهنه مُحققاً، وواقعاً ملموساً، قد ذلل بقدرته على التصور كل العقبات المحتملة دونه، فيترع إلى التنفيذ ويهم بالمباشرة، وتبرز عندئذٍ (الإرادة) فيْصَلاً بين التنفيذ أو الإحجام.

فإن هو سعى في طلب ما نزعت إليه نفسه بنيَّة تحقيقه، في قوة مركَّبة من شهوة، وخاطر، وأمل، واتخذ حيال ذلك الوسائل، والوسائط، والسبل، وأجرى في نفسه مشهداً تجريبياً، تجري فصوله مثال الواقع، فاستهواه واستساغه، وشجعه بجعله واقعاً ملموساً، فهو قد أراد إرادة أكيدة في تحقيق ونيل ما سعى إليه، وتسمى تلك الإرادة المؤكدة (عزيمة)، فإن تم له ما أراد تقرر في حقه الثواب أو العقاب، وإذا حال دون تحقيق إرادته مانعٌ لا يقوى على تذليله، وبقيت معه تلك الإرادة المؤكدة تراوده إلى فعل ما أراد حال تمكُّنه، يسمى فعله

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٤/١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٢) عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لوجود علي بن زيد بن جدعان التيمي، قال أحمد وأبو زرعة: ليس بالقوي.

ذلك إصراراً يؤاخذ عليه في الحرم، والإصرار هو : "الإقامة على الذنب، والعزم على فعل مثله"[1].

وإذا منعه من تحقيق ما أراد مانع من نفسه، كخوفه من الله، وخشيته من العاقبة، وكان قادراً على الاسترسال في طلب مراده، وتحقيق ما أراد، فاستغفر ربه وأناب، فكأنَّه في هذه الحالة لم يصدر عنه شيء البتَّة، بل يثاب على تركه المعصية ــ وقد كان قادراً على فعلها ــ خوفاً من الباري جلّ وعلا.

روى النبي ﷺ حديثاً عن ربه جلّ وعلا أنه قال: "إذا أراد عبدي أن يعْمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها له بمِثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة"[2].

والحديث ــ والله أعلم ــ لم يفرق بين من أراد السيئة في المسجد الحرام، ومن أرادها خارجه، ولكن إن ترك فعل السيئة أو المعصية بعد تمكنه من فعلها، خوفاً من الله فإنَّه يثاب، ولا يؤاخذ بما همَّ به في غير المسجد الحرام.

قال المحاسبي: أما الهمّ الموضوع فهو التَروية إذا خطرت المعصية أيفعلها أم لا؟ فهو يميل بين الفعل والترك ، فلا يُكْتَب عليه شيء حتى يصير إلى أحدهما، فإن صار إلى العَقْد زال عنه الهمّ.

وإن هو صار من الهمِّ إلى الترك صار إلى الطاعة، وكتبت له حسنة، وإذا همّ بفعل حسنة من النفل كتبت له حسنة، فإذا عقد عليها كُتبت له عشراً، فإذا همَّ بحسنة من الفرض أيفعل أو لا يفعل؟ فليس ذلك من حسنة إنما الهمُّ بالحسنة

(١) التعريفات للجرجاني (ص ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدِّلوا كلام الله ﴾، حديث رقم (٧٥٠١) .

هو الهمّ بالنفل[١].

وقال الخطابي: محل كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يُسمى تاركاً إلاّ مع القدرة، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع، كأن يمشي إلى امرأة ليزني بها ــ مثلاً ــ فيجد الباب مغلقاً، ويتعسر فتحه، ومثله من تمكن من الزنا ــ مثلاً ــ فلم ينتشِر، أو طَرَقَه ما يخاف من أذاه عاجلاً[٢]. والله أعلم.

الفصل الأول

الحدود والفروق بين الحرم والمسجد الحرام

المبحث الأول : حدود مكة المكرمة، ومواقيت حرمها الأربعة

من الشمال من طريق المدينة المنورة دون التنعيم[٣]، عند بيوت نِفَار ثلاثة أميال. ومن الجنوب من طريق اليمن، طرف أضاة لَبَن على ستة أميال. وأضاة لبن، سميت كذلك لأن الجبل[٤] المطل عليها يقال له: (لَبَن) بالتحريك، وقيل:

(١) انظر كتابه: المسائل في أعمال القلوب والجوارح، (٧٩)، (والمحاسبي) معروف حاله!.

(٢) انظر كتابه: أعلام الحديث (٢٢٥٢/٣)، وانظر فتح الباري لابن حجر، (٣٢٦/١١).

(٣) روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم مُتسلحين، يريدون غِرَّة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سَلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ الفتح / ٢٨. (انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم (١٣٣ــ ١٨٠٨)، وأبو داود في الجهاد، باب في المنِّ على الأسير بغير فداء. أقول : وبطن الوادي أسفله، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ببطن مكة ﴾ أي : أن جبل التنعيم من مكة، ويقع في أسفلها من ناحية الشمال، والله أعلم، انظر أسباب النزول للواحدي بتحقيق سيد صقر (ص٤٠٥).

(٤) قيل: جبل (لبن) يقال له اليوم (لُبين) عنده حد الحرم الجنوبي و(إضاة) لبن يقال لها اليوم (العُقَيْشِيَّة) نسبة إلى رجل يقال له (عُقيش) كان يملكها، (انظر أخبار مكة للفاكهي، ج١٩٥/٤) والقِري (٥٨٢).

بكسر اللام وإسكان الباء، (والأَضَاة) خَبْتٌ يجتمع سيل وادي مكة فيه، على وزن فتاة. ومن الغرب طريق جدة منقطع الأعشاش على عشرة أميال. و(الأعْشَاش) منطقة رملية تقع بين الحديبية وبين سلسلة جبال (المُرَيْر) و(الجوف)، ويخترقها طريق جدة القديم. وأنصاب الحرم قبل الحديبية[1] بكيل ونصف ، ومن الجنوب الشرقي من طريق الطائف على طريق عرفة من بطن نمرة على أحد عشر ميلاً. ومن الشمال من طريق العراق على ثَنيَّة خَلٍّ بالمُقَطَّع[2]، على سبعة أميال.

و(ثنيَّة خل) يقال لها أيضاً: (خلّ الصِفَاح) نسبة إلى أرض الصِفاح، وهي أرض بيضاء واسعة تقع ضمن (المغْمس الأفيح)[3]. أقول: تُسمى اليوم: الشرائع السُفلى، أو قرية المجاهدين.

ومن الشرق من طريق الجِعْرانة في شعب عبد الله بن خالد بن أُسيد[4]، على تسعة أميال.

وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: نصب إبراهيم

(١) قال الإمام مالك في العُتْبيَّة: والحديبية في الحرم، (انظر فتح الباري لابن حجر: ٣٣٤/٥)، وشفاء الغرام ــ للفاسي (٥٨/١).

(٢) سمي مقطّعاً لأنهم قطعوا منه أحجار الكعبة في زمن ابن الزبير ، "انظر شفاء الغرام للفاسي (٥٦/١)".

(٣) انظر أخبار مكة للفاكهي (١٩٥/٤).

(٤) قال الفاسي: هو فيما أحسب ابن أخي عتّاب بن أُسيد بن أبي العاص الأموي القرشي أمير مكة، لأنه كان لعبد الله المذكور بمكة شهرة لولايته لأمر مكة. وقيل: هو عبد الله بن خالد بن أُسيد الخزاعي، وقيل: آل عبدالله القسري، وقال: وحدُّ الحرام من هذه الجهة لا يُعرف موضعه الآن، إلاّ أن بعض أعراب مكة زعم أنه في مقدار نصف طريق الجِعْرانة، وسئل عن سبب معرفته لذلك فقال: إن الموضع المشهور الذي أشار إليه في محاذاة أعلام الحرم من جهة نخلة، وهي جهة العراق، (شفاء الغرام ــ ج١ ص٥٧).

أنصاب الحرم، يُريه جبريل عليه السلام، ثم لم تُحرَّك حتى كان قُصَي فجددها، ثم لم تُحرَّك حتى كان النبي ﷺ، فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدّدها[١]، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث أربعة من قريش فجددوها: مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وحُويطب بن عبد العُزى، وأزهر بن عبد عوف، ثم جدَّدها معاوية، ثم أمر عبد الملك بتجديدها. وقيل: أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشياطين، فاستعاذ بالله، فأرسل الله تعالى ملائكة حَفَّوا بمكة من كل جانب، ووقفوا حواليها، فحرّم الله تعالى الحرم حيث وقفت الملائكة[٢].

وأما عن المواقيت المكانية ففي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة[٣]، ولأهل الشام الجُحْفَة[٤]، ولأهل نجد قَرْنَ المنازل[٥]، ولأهل اليمن يَلَمْلَمْ[٦]، وقال: "هنَّ لهم ولكل آتٍ عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (٢٥/٥) رقم (٨٨٦٤) وفيه: تميم بن أسد، بدل أُسيد، وكذا ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٩٥/٤)، وقال ابن حجر في الإصابة (٣,٤/١) رقم (٨٣): وأخرجه أبو نعيم، وزاد: (وكان إبراهيم وضعها يُريه إيَّاها جبريل) إسناده حسن، وانظر تعجيل المنفعة للبزار (ص٣٩).

(٢) انظر القِرى لقاصد أم القرى، لمحب الدين الطبري (ص ٦٥٢ ــ ٦٥٣).

(٣) (ذو الحليفة) بالمهملة والفاء مُصغراً، مكان معروف بينه وبين مكة مائتا ميل غير ميلين، وقيل: عشر مراحل، وبينها وبين المدينة ستة أميال، بها مسجد الشجرة، وبئر يقال لها بئر علي، (انظر فتح الباري: (٣٨٥/٣).

(٤) (الجحفة) قرية بين مكة والمدينة على أربع مراحل من مكة، وهي ميقات أهل الشام، ومصر، والمغرب، ويحرم المصريون الآن من رابغ بوزن فاعل، قريب من الجحفة.

(٥) (قرن المنازل) و(قرن الثعالب) واحد ، وهو تلقاء ذات عِرْق على مرحلتين من مكة، وهو ميقات أهل النجدين، نجد الحجاز، ونجد تهامة واليمن.

(٦) (يلملم) جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة، وقيل: وادياً.

مكة يُهِلون من مكة"[1].

قوله: "حتى أهل مكة يهلون من مكة"، قال المحب الطبري: هذا في الحج بالإجماع.

أما العمرة فلا أعلم أحداً جعل مكة ميقاتاً للعمرة في حق المكيِّ، بل عليه أن يخرج من الحرم إلى أدنى الحِلّ، لأمره ﷺ عائشة أن تخرج إلى التنعيم[2] عندما أرادت العمرة بعد الحج.

وعن ابن عمر قال: لما فُتح هذان المصران (البصرة والكوفة)، أتوا عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حدّ لأهل نجدٍ قَرْناً، وهو جَوْر عن طريقنا، وإنا إن أردنا قرْناً شق علينا، قال: "فانظروا حذوها من طريقكم" فحدّ لهم ذات عِرْق[3].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ وقّت لأهل المشرق العقيق[4]، و(العقيق) قريب من ذات عرق، قبلها بمرحلة أو مرحلتين، وكل موضع شقَّه ماء السيل فوسَّعه فهو عقيق[5].

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الحج باب مُهل أهل مكة للحج والعمرة، (فتح الباري: ٣/٣٨٤)، وصحيح مسلم كتاب الحج باب مواقيت الحج والعمرة (١١/١١٨١).

(٢) انظر كتابه القِري لقاصد أم القرى (ص٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الحج باب ذات عرق لأهل العراق، (وذات عرق) بكسرِ العين وسكون الراء بعدها قاف، بينها وبين مكة مرحلتان، والمسافة إثنان وأربعون ميلاً، وهو الحد الفاصل بين نجد وتهامة، (انظر فتح الباريْ ٣/٣٨٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، من كتاب المناسك، باب في المواقيت، حديث رقم (١٧٤)، والترمذي في الحج، باب في المواقيت حديث رقم (٨٣٢)، وقال: حديث حسن، قال الخطابي: الحديث في العقيق أثبت منه في ذات عِرق، (معالم السنن)، وانظر صحيح مسلم كتاب "الحج" باب مواقيت الحج والعمرة، وفيه من حديث جابر أن النبي ﷺ وقّت لأهل المشرق ذات عرق.

(٥) انظر القِري لقاصد أم القرى (ص١٠١).

المبحث الثاني : حــدود المسجد الحرام

قال ﷺ لقريش: "قفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكـم إبراهيم"(١).

وعن أبي ذرٍ قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضــع في الأرض أول؟،
قال: "المسجد الحرام".
قلت: ثم أيّ؟.
قال: "المسجد الأقصى".
قلت: كم بينهما؟.
قال: "أربعون سنة، ثم أين أدركتك الصلاة بَعْدُ فصلِّ فإن الفضل فيه"(٢).

قال المحب الطبري:
إعلم أن المسجد الحرام كان صغيراً، ولم يكن عليه جدار، وإنمــا كــانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فضــاق علــى الناس المسجد فاشترى عمر بن الخطاب دوراً فهدمها، وأدخلها فيه، ثم أحــاط

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه من كتاب المناسك باب موضع الوقوف بعرفة، والــترمذي في الحج باب في الوقوف بعرفات والدعاء بها، وقال: حديث حسن، وابن ماجه في الحــج باب الموقف بعرفات، ومسند الإمام أحمد (٤ /١٣٧) وجامع الأصول حديث (١٥٢٢) قال الإمام الخطابي في معالم السنن (٤٧/٢)، المشاعر: المعالم، وأصلــه مــن قولــك: شعرت بالشيء "أي" علمته، وليت شعري ما فعل فلان، أي: ليت علمي بلغه، وأحاط به، وقال الأزهري (٤٣/٥) في تهذيب اللغة: الحرم قد ضُرب على حدوده بالمنار القديمة التي بيَّن خليل الله ــ عليه السلام ــ مشاعِرها، وكانت قريــش تعرفــها في الجاهليــة والإسلام لأنهم كانوا سكان الحرم، ويعلمون أن ما دون المنار إلى مكة من الحرم، ومــا وراءها ليس من الحرم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب المساجد الباب الأول، والإمام أحمــد في مســنده (١٥/٥.،١٥٦،١٥٧،١٦).

عليه جداراً قصيراً، ثم وسع المسجد عثمان بن عفان فاشترى من قوم، ثم زاد ابن الزبير فيه، واشترى دوراً، وأدخلها فيه[1].

لعل من الملاحظ أن حدود المسجد الحرام على مرِّ العصور لم تتسم مساحتها بالثبات، مما يحيط بالكعبة المشرفة من أروقة، وساحات، ومرافق، بل بالإتساع، والزيادة، والتضعيف خلال أزمنة مختلفة متفاوتة، وذلك لكثرة الوافدين إلى البيت، والآمّين له عاماً بعد عام من شتى صقاع الأرض، خاصة بعد بعثة النبي ﷺ، وما أعقب ذلك من فتوحات للبلدان المجاورة والبعيدة عن جزيرة العرب واتساع رقعة الإسلام، وكثرة من اعتنقه من الأمم الأخرى.

وكان للكوارث التي حلت بالبيت الحرام، من اجتياح السيول وما نتج عنه من هدم، وغرق، وما أصابه من حريق عند إصابته بالمنجنيق، وتصدع لبعض أركانه، وجوانبه لتطاول العهد عليها ، الدافع القوي لدى ولاة الأمر لإصلاحه، وترميمه، وحماية جوانبه من تكرار ما حلّ به من كوارث، وكان يواكب تلك الإصلاحات في الغالب إضافة مساحات جديدة إلى مساحته القديمة.

وكان يتسابق الملوك، والخلفاء، والولاة على العناية بالمسجد الحرام لينالوا بذلك شرف خدمته، تقرباً إلى مولاهم جلّ وعلا.

ويقول المؤرخون[2]: إن أولّ من قام بتوسعة المسجد الحرام هو:

الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سنة سبع عشرة من الهجرة، فقد كانت مساحته في زمن قريش: ألفين ومائة وستة وعشرين متراً مربعاً، فبلغت بعد زيادة عمر رضي الله عنه: ثلاثة آلاف وسِتُّ مائة وثلاثة عشر متراً مربعاً.

(١) انظر كتابه القِرى لقاصد أم القرى (ص ٦٥٧).

(٢) انظر تاريخ ابن جرير (٢٠٦/٤)، وإتحاف الورى (٨/٢)، وأخبار مكة للفاكهي (تحقيق ابن دهيش) (١٥٧/٢-١٧٦).

ثم تلاه خليفته ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنـــه: ســنة ســتة وعشرين من الهجرة، وأحدث زيادة في مساحة المسجد الحرام، قدرها: ثمان مائة وتسع وستون متراً.

وتلاه عبد الله بن الزبير: سنة خمس وستين من الهجرة فأضاف إلى المســاحة القديمة: ألفين وتسع مائة وثلاثة وثمانين متراً مربعاً.

ثم أضاف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك: سنة إحدى وتسعين مــن الهجرة إلى مساحة المسجد الحرام: ألفين وثمان مائة متراً مربعاً.

وأما في العهد العباسي فقد أضاف الخليفة أبو جعفر المنصور: ســنة سـبع وثلاثين بعد المائة الأولى من الهجرة: خمسة آلاف ومئتين وواحداً وعشرين مــتراً مربعاً.

وفي عهد الخليفة محمد المهدي: سنة إحدى وستين ومائة بلغت الزيادة: إثنى عشر ألفاً وخمس مائة واثني عشر متراً مربعاً.

ثم أضاف المعتضد: سنة أربع وثمانين ومئتين من الهجرة: ألفاً وثلاث مائــة وتسعاً وثلاثين متراً مربعاً.

وأخيراً أضاف الخليفة المقتدر : سنة ست وثلاث مائة من الهجرة: سبع مائة وأربعة عشر متراً مربعاً.

فبلغ ما أضيف إلى المسجد الحرام من زيادات منذ عهد عمر بن الخطــاب إلى عهد الخليفة المقتدر، بالإضافة إلى ما كانت عليه مساحته أيام قريــش قبــل البعثة، أكثر من ثلاثين ألف متراً مربعاً.

وبقيت مساحة المسجد الحرام ثابتة منذ عهد الخليفة العباسي المقتــدر إلى عهد الحكم الســعودي في دولته الثالثة، فقد شــرع المــلك عبد العزيز بـــن عبد الرحمن الفيصل يرحمه الله في مشروع كبير لتوسعة المسجد الحرام، وذلــك

سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة وألف من الهجرة، ووافاه الأجل في السنة نفسها ـــ يرحمه الله ـــ وتولى الأمر بعده ابنه الملك سعود يرحمه الله ومضى في تنفيذ وإتمام ما بدأه والده.

ولما انتقلت الولاية للملك فيصل بعد أخيه – يرحمهما الله – واصل تنفيذ وإتمام توسعة المسجد الحرام على أكمل وجه، وأحسنه، وتم ذلك سنة ست وتسعين وثلاث مائة وألف، واستغرق تنفيذ المشروع عشرين عاماً.

فبلغت مساحة المسجد الحرام بعد إتمام التوسعة في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ـــ يرحمه الله ـــ: إحدى وخمسين ومائة ألف مترٍ مربعٍ، وتعرف هذه التوسعة بالتوسعة السعودية الأولى.

وفي العام التاسع بعد الأربع مائة والألف من الهجرة بدأت التوسعة السعودية الثانية، التي تعرف اليوم بتوسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وتمت في العام الثاني عشر بعد الأربع مائة والألف من الهجرة، فأصبحت مساحة المسجد الحرام، مع ما يحيط به من ساحات تزيد على ثمان وعشرين وثلاث مائة ألف متر مربع(١).

وحول مسألة الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما نص عليه قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء/١]، وقع ما يمكن أن نسميه إلتباساً في الفهم، حول المكان الذي أسري برسول الله ﷺ منه، وذلك لورود نوعين من الأحاديث: أكثرها تنص على أن الإسراء تم من

(١) انظر: توسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية (ص٢).

المسجد الحرام[١]، والأخرى تنص على أنه ﷺ كان في بيت أم هانيء[٢] عندما آتاه الملائكة، وشقّ جبريل عليه السلام عن صدره، وبيت أم هانيء حينذاك كان خارج المسجد الحرام.

وفي حديث لأنس بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ ، قال: "فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة[٣]..." وساق الحديث... وبيته كان في الشعب فأخذ الذين يقولون بأن مكة غير المسجد الحرام في مضاعفة المثوبة أو العقاب والأخذ بالإرادة قبل التنفيذ بالأحاديث الدّالة على أن الإسراء إنما كان من المسجد الحرام.

وأخذ الذين قالوا: بأن لا فرق بين أرض مكة والمسجد الحرام في مضاعفة الثواب أو العقاب، والأخذ بالإرادة من الإنسان على فعل المعصية، قبل فعلها منه، إلى حديث أم هانيء عند الحاكم وغيره، وإلى حديث البخاري في كتاب الصلاة.

قال ابن حجر: "وإن كان مختلفاً في (الحطيم) هل هو الحِجْرُ، أم لا؟ لكن المراد بيان البقعة التي وقع ذلك فيها، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها.

وقد تقدم في أول بدء الخلق[٤] بلفظ: "بينا أنا عند البيت" وهو أعم، ووقع

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب: (وكلّم الله موسى تكليماً) حديث رقم (٥٧١٧) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٦٢،١٦٤)، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (١١/٣٠٥-٣١٠).

(٢) انظر الطبراني في الكبير (٢٤/٤٣٢) حديث رقم (١٠٥٩) عن أم هانيء (بات رسول الله ليلة أسرى به في بيتي...)، وانظر تفسير أول سورة الإسراء عند ابن كثير.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة الباب الأول، كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟.

(٤) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة من صحيح البخاري، حديث رقم (٣٢٠٧).

في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر[١]: "فُرج سقف بيتي وأنا بمكة"، وفي رواية الواقدي[٢] بأسانيده أنه ـــ ﷺ ـــ أُسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانيء عند الطبراني: أنه ـــ ﷺ ـــ بات في بيتها، قالت: "ففقدته من الليل، فقال: لها "إن جبريل أتاني".

والجمع بين هذه الأقوال أنه ـــ ﷺ ـــ نام في بيت أم هانيء، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته ﷺ ، ـــ وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه ـــ فترل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد ، فكان مضطجعاً، وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق.

وقد وقع في مراسيل الحسن عند ابن اسحاق: أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع[٣].

المبحث الثالث : الفرق في الاسم والوصف بين أرض مكة المكرمة، وأرض المسجد الحرام مما ذكر في القرآن الكريم

أولاً ـــ مكة المكرمة :

تقع في الجهة الغربية من شبه الجزيرة العربية ، غربي مدينة الطائف، وشرقي مدينة جدة، وجنوبي المدينة المنورة، وهضبة نجد. وبطن مكة ليس فيه ماء، ولم يكن لأحد فيه قرار. بدأت أهميتها للمسلمين بلداً مقدساً منذ أن أسكن فيها

---

(١) هي في صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء؟ وصحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) أنظر: طبقات ابن سعد (٢١٣/١)، وسيرة ابن هشام (٣٦/٢) والروض الأنف (٣٩٩/٣).

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر (٢٠٤/٧).

إبراهيم إبنه إسماعيل – عليهما السلام – مع أمه (هاجر) بأمر من الله. وقول الله تبارك وتعالى على لسان إبراهيم – بعد أن ترك أهله وأراد العودة إلى الشام: ﴿ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم ٣٧].

فقوله تعالى: ﴿بوادي غير ذي زرع﴾ وصف مميز لطبيعة أرض مكة المكرمة الجغرافية، فالوادي ممر تجري فيه سيول الأمطار، وكونه (غير ذي زرع) دليل على عدم صلاح تربة جانبيه للزرع، ولوجود الصخور والأحجار المتناثرة فوقه، ولعدم ملائمة جوه الحار الجاف لانبات كثير من أنواع الشجر، والزروع التي تحتاج إلى رطوبة الجو، وغزارة المياه لكي تنمو وتعطي ثمارها. فالموقع الذي اختاره الخليل عليه السلام لأهله لا يختاره إنسان بإرادته ومعرفته البشرية، لخلوه في الظاهر من أكثر عناصر الحياة أهمية للإنسان وهما: الماء والغذاء. مما يدل على ان الله جل وعلا بعلمه وحكمته، اختار له ذلك المكان ليترك أهله، ويعود من حيث أتى وهو مطمئن على مصيرهم لثقته برعاية الله لهم، وله معاً.

لذلك عندما أوقفته (هاجر) وسألته: إن كان الله هو الذي أمره بتركهم في هذا المكان المقفر، أجاب: نعم. قالت: إن الله لن يضيعنا[1].

وأنبط الله ماء زمزم ، حيث وضع الفتى – عليه السلام – جرى ماءً غَدَقاً، فرحت به الأم المتعبة، فأخذت تحوطه بيديها كي لا يضيع في التراب، شفقة منها، ولهفة عليه. فسقت، وأسقت واطمأنت، و خلتْ.

ومر بهما نفر من جرهم، اعتادوا اجتياز هذا الوادي المقفر ، ولم يعهدوا فيه ماء، ولا طيراً تحوم حوله. وقد شدهم رؤية طير فوقهم صافات ويقبضن ، فبعثوا

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب يزفون: النسلان المشي رقم (٩) وفتح الباري لابن حجر (٦/٣٩٦) رقم الحديث (٣٣٦٤).

بأحدهم يستجلي الأمر، حتى إذا وقف على هاجر، ورأى الماء عندها، سألها المشاركة فيه، فأبت عليهم ذلك إلا أن يكون أمر الماء إليها، فوافق ذلك هوى في نفوسهم، وهوت أفئدتهم إليها فحطوا عن رحالهم، وأقاموا مشكّلين بذلك النواة الأولى لمجتمع مكة المكرمة، مما مكن إسماعيل عليه السلام عند نشأته، وفي نشأته من تعلم لغتهم، وفنونهم في الفروسية، حتى إذا شب عن الطوق زوجوه منهم.

وأخذ الخليل عليه السلام يعاودِ زيارة تركته في ذلك المكان، مرة بعد مرة: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ [البقرة ٢٦].

ولم تزل أرض مكة حرماً آمناً منذ خلق الله السموات والأرض. وإنما سأل الخليل عليه السلام ربه تبارك وتعالى أن يجعلها آمنة من الجدب والقحط، وأن يرزق اهلها من الثمرات(١).

ثم يمضي الله – جل وعلا – في مشيئته، تحقيقاً، وتثبيتاً، فيأمر خليله وابنه إسماعيل، عليهما السلام – برفع قواعد بيته المندثرة، وبنائِه للمرة الثالثة بعد بناء الملائكة، وآدم عليه السلام. قال تعالى يصف فعلهما: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت، وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم﴾ [البقرة ١٢٧].

وكان ذلك كما بينه الله تعالى في كتابه : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران ٩٧].

فالأمن لمن دخله، عرض مغر لأولئك الذين يعيشون الخوف في مجتمعاتهم لا يأمنون على شيء مما يملكون. فإذا اجتاز حدود الحرم إليه استشعر الأمن لنفسه

(١) انظر شفاء الغرام – للفاسي – (٧٢/١).

من نفسه ، فإن وجد من يعكر صفو ذلك الأمن في المسجد الحرام فذلك من الإلحاد والظلم فيه، عندها يذقه الله من عذاب أليم.

ويأمر الله جل وعلا خليله عليه السلام، بدعوة الناس إلى حج بيته الحرام طلباً لمغفرته ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج /٢٩].

ومنذ ذلك النداء الخالد أصبح لمكة المكرمة ـــ قرية المسجد الحرام ـــ مكانة قدسية راسخة في عقول العباد، ونفوسهم على مدى العصور والأزمان، يؤمون كعبتها بقدر كبير من الخشوع، والتعظيم، حتى إذا أشرق نور الإسلام، وبعث الله محمداً بالفرقان ، أكد ـــ تعالى ـــ وجوب قصد البيت الحرام على كل مسلم مرة في العمر، عند استطاعته ذلك: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران/٩٧].

وأقسم تعالى في كتابه العزيز بالبلد الأمين: ﴿لا أقسم بهذا البلد * وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ [البلد/١ـــ٢]. وقال تعالى: ﴿والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين﴾ [التين/١ـــ٣].

وورد في القرآن الكريم ذكرها في أكثر من آية، وبأكثر من اسم، فهي (البلد)، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ [إبراهيم/٣٥].

وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً﴾ [البقرة/١٢٦].

والبلد في اللغة: صدر القُرى.

وهي (البلدة) في قوله تعالى: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ [النمل/٩١].

وهي (أم القرى) في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ [الشورى/٧].

وهي (بكة) في قوله تعالى: ﴿إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين﴾ [آل عمران/٩٦].

وقال عكرمة، ومقاتل بن حيَّان:

البيت وما حوله (بكَّة) وما وراء ذلك (مكة)(١).

وهي (القرية) في قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ [محمد/١٣].

والقرية: اسم لما يجمع جماعة من الناس، من قولهم: قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه. وهي خير وأحب الأرضين إلى الله قال ﷺ: "والله إنك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"(٢).

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه التَفَتَ إلى مكة، وقال: "أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك"(٣).

وهي (مكة) كما في قوله تعالى: ﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ [الفتح/٢٤].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير آية آل عمران رقم (٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وأحمد (٣٠٥/٤)، والدارمي (٢٥١٣) كلهم من طرق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره.. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه تحت رقم (٣٩٢٦) من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثَيم حدثنا سعيد بن جبير وأبو الطفيل عن ابن عباس، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وانظر تحفة الأشراف (٥٥٣٩)، والدر المنثور للسيوطي (٤٦٣/٧).

وهي (الحرم) في قوله تعالى: ﴿أولم نمكّن لهم حرماً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [القصص/٥٧].

وفي قوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطّف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت/٦٧].

قال ابن كثير: أخبر الله عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى، حيث قالوا لرسوله: ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ أي: نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا من حولنا مِن أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل، لأن الله تعالى جعلهم في بلد آمن، وحَرَمٍ معظَّم، آمِن منذ وضع ، فكيف يكون هذا الحرم آمِناً لهم في حال كفرهم، وشركهم، ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا، وتابعوا الحق[1]؟.

قال الأزهري: فإن قيل: كيف يكون حرماً آمناً وقد أخيفوا، وقُتِلوا في الحرم؟، فالجواب بأن الله عز وجل جعله حَرَماً آمناً أمراً، وتعَبُّداً لهم بذلك لاإجباراً فمن آمن بذلك كفّ عما نُهي عنه اتباعاً، وانتهاءً إلى ما أمر به، ومن ألحد وأنكر أَمْرَ الحرمِ وحُرمَتَهُ فهو كافر مباح الدم، ومن أقرَّ وركب النهي فهو فاسق[2].

ثانياً : المسجد الحرام

نصت أكثر آيات الكتاب الكريم على تسميته بالمسجد الحرام، كما في سورة:

(١) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية (٥٧) من سورة القصص.
(٢) انظر تهذيب اللغة (٥/٤٣).

البقرة الآيات: (١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧)

والتوبة الآيات: (٢، ٧، ١٩ ، ٢٧)

والأنفال الآية: (٣٤)

والإسراء الآية: (١)

والحج الآية: (٢٥)

والفتح الآيتان: (٢٥، ٢٧)

و(الحرام) ضد (الحلال)، و(أحرم) الرجل بالحج والعمرة لأنَّه يَحْرُمُ عليه ما كان حلالاً من قبل كالصيد، والنساء.

و(المسجد الحرام) عَلَمٌ على المسجد الذي بداخله الكعبة المشرفة، بيت الله. وكذلك (البيت الحرام)[1]، و(بيتك المحرم)[2]، و(البيت العتيق)[3]، و(البيت)[4]، و(البيت المعمور)[5] و(بيتي)[6].

عند تتبع الآيات الواردة في الكتاب الكريم التي تصف مكة المكرمة، والأخرى التي تصف بيت الله المسجد الحرام، يظهر بجلاء الفرق بين الموضعين، فمكة المكرمة قرية تضم الدور ، والشوارع، والميادين، والشجر، والحجر، وكل ما يحتاجه الإنسان من مرافق كالأسواق، والمساجد، والسجون، والشُرَط، وأصحاب الحرف، كالحدادين، والنجارين، والبُناة، والخبَّازين، والتُجار، إلى غير

(١) سورة المائدة (٧٩).
(٢) سورة إبراهيم (٣٧).
(٣) سورة الحج (٢٩،٣٣).
(٤) سورة البقرة (١٢٥،١٢٧،١٥٨) وآل عمران (٩٦،٩٧)، والأنفال (٣٥).
(٥) سورة الطور (٤).
(٦)سورة البقرة (١٢٥).

ذلك من الأمور التي تكون في القُرى، والمدن العامرة بالسكان.

والمسجد الحرام: الذي يضم في جنباته الكعبة المشرفة، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيل عليهما السلام، وبئر زمزم، والركن اليماني، والحجر الأسود، وما يحيط بكل ذلك من ساحات، وأروقة، وما ينتظم فيها من صفوف المصلين خلف إمام واحد مهما اتّسعت دائرة المصلّين حول البيت المعمور، وما استحدث ويستحدث من ساحات حول المسجد الحرام تكتظ بالمصلين عند كثرة الآمّين للمسجد الحرام في موسم الحج والعمرة وغيرهما.

فإذا اتصلت الصفوف من هناك إلى حيث من يؤم المصلين فهو من المسجد الحرام، عيناً، وحكماً.

بعد ذلك ندرك أن لكل منهما وصفاً قائماً بذاته، وخصوصيته ثابتة لا تجوز على أحدهما بدل الآخر، أو يشتركان فيه.

جاء في الأثر عن ابن عمر قوله: إن الله ــ عز وجل ــ اختار الكلام فاختار القرآن، واختار البلاد فاختار الحرم، واختار الحرم فاختار المسجد، واختار المسجد فاختار موضع البيت[1].

والكعبة من المسجد قِبْلة المسلمين أينما وجدوا، وحيث ما حلوا تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة/١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة/١٥٠].

قال الإمام الشافعي: (شطره) جهته في كلام العرب، وكذلك (تلقاءه) أي: استقبل تلقاءه، وجهته.

(١) انظر المطالب العالية لابن حجر (٣٦٣/١).

قال خفاف بن نُدْبَة[1]:

ألا مَن مُبْلغٍ عمراً رسُولاً وما تُغْنى الرسالةَ شطْر عمْرو

وهذا كله مع غيره من أشعارهم يُبيِّن أن شطر الشيء: قصدَ عين الشيء، إذا كان مُعَايناً فبالصواب، وإذا كان مُغيَّباً، فبالإجتهاد بالتوجه إليه، وذلك أكثر ما يمكنه فيه[2].

إذاً كلما كان المسلم يرى الكعبة بعينه المجرّدة، فلا يجزئه عند الصلاة إلاّ استقبال عينها، كما لو كان قذيفة أُطلقت من مَدْفَعٍ نحو الكعبة ، وكلما بَعُدَ عن مركز البيت الحرام اتسعت جهة القبلة إليه، كوضع (الفرجار) يكون طرفاه مُتطَابقين، ثم يأخذ كل طرف يبتعد عن مركز الدائرة حتى تصل الزاوية بينهما إلى (١٨٠ْ) درجة.

فمن صلّى في المسجد الحرام استقبل عين الكعبة، ومن كان بمكة استقبل جهة المسجد الحرام، ومن كان خارجها استقبل جهتها ، ومن كان خارج جزيرة العرب اتجه نحو جزيرة العرب[3].

والكعبة البيت الحرام منذ انشائها إلى أن ترك إبراهيم الخليل عليه السلام بعض أهله في موضع قرب البيت العتيق، لم يستقر حولها من السكان أحد

---

(١) هو خفاف ــ بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء ــ بن عمير بن الحارث بن الشريد أبو خراشة ينسب إلى أُمة، يقال: خفاف بن ندبة، وهي أمة سوداء، وخفاف أسود حالك، شاعر، فارس، صحابي، شهد فتح مكة وحنيناً، والطائف، [انظر الأغاني ــ دار الثقافة ــ ١٨/٢٢، و شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٧٤، ٢/٣٣١، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/١٤٨) رقم (١٥٤٧)].

(٢) انظر الرسالة للشافعي (ص٣٤ــ٣٨)، ومعرفة الآثار والسنن للبيهقي (٢/٣١٥).

(٣) الذي نقل عن علي بن أبي طالب "شطره" قِبَله، وقال: والذي روي مرفوعاً (البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض " حديث ضعيف.

ــ والله أعلم ــ وبعد دعوة إبراهيم ربه بأن يجعــل ﴿أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾، وبعد أن نبع زمزم، وأعاد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناء الكعبة، تقــاطر الناس نحو مكة وازداد تقاطرهم بعد أذان الخليل فيهم بالحج بأمر من الله: ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ [الحج/٢٧].

ومع كثرة الوافدين إلى المسجد الحرام أصبح من الضروري أن يجد هــؤلاء الوافدون أماكن لطعامهم، وشرابهم، وقضاء حاجاتهم، ونومهم وسائر حاجــاتهم الأخرى خارج المسجد الحرام الذي لا تجوز فيه إلاّ أمور العبادة مــــن صــلاة، وذكر، وتلاوة قرآن، وطواف[١]، ولقوله تعالى : ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [البقرة/١٢٥].

فانتشرت حول المسجد الحرام الأماكن الخاصة، والعامة، والدور، والأزقة، والمرافق العامة والخاصة، وهذا مما جعله الله تعالى للإنسان في الأرض، وأمتنَّ بــه عليه، قال جلّ ذكره: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً...﴾ [النحل/٨٠]، تأوون إليها وتستترون بها، وتنتفعون، مما شكَّل حول المسجد الحرام من جهاته المختلفة مــا يشبه القرية المأهولة بالسكان الذين هوت أنفسهم إلى بيت الله الحرام، فــآثروا الجوار بالاستقرار فعُرفوا بعد ذلك بأهل الله[٢]، فأصبح للقرية حُرمة مســتمدة

(١) أخرج مسلم في صحيحه عن أنس قال: بينا نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جــاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ، مَهْ . قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تزرموه، دعوه " فتركوه حتى بال، ثم إنّ رسول الله ﷺ دعاه، فقال لــه: " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عزَّ وجــل، والصلاة، وقراءة القرآن "، [انظر صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البــول (١.. ــ ٢٨٥)].

(٢) روى أن الرسول ﷺ لما استعمل عتّاب بن أسيد على أهلِ مكة قال له: يا عتّاب أتـدري على من استعملتك على أهل الله تعالى فاستوص بهم خيراً " قال ابن أبي مُليكة: كـــان أهل مكة فيما مضى يُلْقَوْنَ فيقال لهم: يا أهل الله، وهذا من أهل الله. انظــر القِــرى لقاصد أم القرى، (ص٦٤٩)، وعند الفاكهي في أخبار مكة (٦٥/٣) أتــدري أيــن =

من حُرمة البيت الحرام، أكَّد ذلك الرسول ﷺ يوم فتح مكة إذ قال: "إن هذا البلد حرّمهُ الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحُرمة الله عز وجل إلى يوم القيامة..."[1].

وهو ما يدل على أن هذه البقعة من الأرض محرمة عند الله منذ خلق السموات والأرض، فكان من الأسباب والمسببات بعد ذلك ما جعل من تلك البقعة المباركة موضعاً لبيته الحرام: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين...﴾ [آل عمران/٩٦].

ثم أن الله تبارك وتعالى جعل البيت موضعاً يُرجع إليه مرة بعد أخرى قال جلّ ذكره: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً...﴾ [البقرة/١٢٥].

و(ثاب) الناس: اجتمعوا، وجاءوا[2].

وشعر كل من جاور المسجد الحرام ــ أو هكذا يجب أن يكون ــ بحرمته ، وعظمته ، ورضي العيش بمكة ــ قرية المسجد الحرام ــ كل من عايش في نفسه حب الخير، وكراهة المعصية، وكان للعبادة في حياته الجانب الأهم.

ومنهم من أخذ على نفسه ترويضها على الطاعة، متأثراً بمن حوله في المجتمع، فأصبح الطابع المميز لأكثر سكان مكة المكرمة الرغبة في الطاعة، والإستزادة من فعل الخيرات، مما أكسبهم محبة غيرهم من الوافدين عليهم، أو بلغته أخبارهم، فأصبح مجتمع مكة مجتمعاً آمناً كما قال تعالى ممتنا، ومُبكّتاً لبعض

= بعثتك؟ بعثتك على أهل الله، ليس بلد أحب إلى الله عز وجل، ولا إليّ منها، ولكن قومي أخرجوني فخرجت، ولو لم يخرجوني لم أخرج. وانظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/٧٨)، وانظر الكامل لابن عدي (٧/٢٧).

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها (٤٤٥ ــ ١٣٥٣).

(٢) انظر مادة (ثوب) من الصحاح وغيره.

أهله الذين كذبوا محمداً ﷺ حينذاك، معللين ذلك بخوفهم من جيرانهم اليهود والنصارى أن يتخطفوهم إذا آمنوا، واتبعوا الرسول ﷺ، ويمنعوا عنهم تجارهم. وهي حجة واهية فالأمن لجيران المسجد الحرام أمر واقع، وملموس منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، وكان محفوظاً بحفظ الله له رغم ما أدخله بعض العرب فيه من عبادة الأوثان، فهل يأمنون وهم مشركون، ويخافون إذا هم آمنوا؟!

إنها دعوى باطلة، قال تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نُتَخَطَّف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنّا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾ [القصص/٥٧].

وقال تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمناً ويُتخطَّف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ [العنكبوت/٦٧].

وقال تعالى: ﴿لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش/١ــ٤].

وإذا أسقطنا الأفعال المشينة التي خالف فيها مجتمع مكة القديم، أوامر الله بطاعته، وتوحيده، واجتناب نواهيه، وسببه ما طرأ على أهلها من شرك، ووثنية، فإنا نجده مجتمعاً يجنح أهله ويحرصون على فعل الخير، وإشاعته حفاظاً على مصالحهم، ومكانتهم المقدسة عند جيرانهم لكونهم جيران بيت الله الحرام.

فقد تحالف أهله في وقت من الأوقات على نصرة المظلوم، وكفّ يد الظالم، على شكل معاهدة ومُعاقدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، مثل: حلف المُطيِّبين، وحلف الفضول، وأنشأوا دار الندوة.

قال الرسول ﷺ: "شهدت حلف المُطَيَّبين مع عمومتي، وأنا غلام، فما أُحب أن لي حُمر النَّعم وأني أنكثه"[1]، وكان بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيمٌ قد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٢٢) وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد، =

اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جَفنة وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا المطيِّبين[١].

وكذا حلْف الفضول عندما تداعت قبائل من قريش : بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العُزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مُرة، فتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُردُّ عليه مظلمته[٢].

وأما دار الندوة فهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور[٣]. وكان بينهم من تكفل برفادة الحجيج وآخر بسقايته قال السهيلي: كانت الرفادة خرْجاً تُخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصي بن كِلاب فيصنع به طعاماً للحاجّ فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وخطب فيهم قائلاً: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله، وزوّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة[٤].

وقال أبو طالب :

وكُنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثنوا صُعْر الخدود نُقِيمها[٥]

= ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر مسند الإمام أحمد (١٩/١، ١٩٣)، كلاهما من طريق إسماعيل بن أمية، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف، وانظر الكامل لابن عدي (١٦١/٤) وأبو نُعيم في معرفة الصحابة (ص٤٩٥).

(١) انظر الروض الأُنف (٦١/٢).

(٢) المصدر السابق (٦٣/٢).

(٣) المصدر السابق (٥٥/٢).

(٤) المصدر السابق (٥/٢).

(٥) انظر الإملاء المختصر للخشني (١٦٦/١).

وهم بذلك قد استشعروا حرمة المكان من حرمة الجوار.

وحتى عندما أشرك من أهل مكة لم يسقطوا من حسابهم تلك المهابة لبيت الله الحرام، وما وضعه بعضهم من أصنام حول الكعبة، إنما هو وسيلة ــ بزعمهم ــ تقربهم إلى رب البيت، كما أشار قوله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زُلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار﴾ [الزمر/٣].

المبحث الرابع : حاضروا المسجد الحرام

قال الله تعالى: ﴿ ..ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة/١٩٦].

(حاضري) مادهّا (حَضَر)، و(الحَضَر) بفتحتين خلاف البدو، وهم الذين يسكنون القُرى، والمدن، والأرياف، لا يبرحونها إلاَّ ليعودوا إليها، والبدو لايستقرون في مكان إلاّ بقدر ما يجدون الماء والكلأ ثم يرحلون إلى أماكن أخرى طلباً لهما، فالتنقل من سمات حياهم.

وفلانٌ (حاضر) بموضع كذا، أي: مقيم به[1].

و(حاضروا المسجد الحرام) هم الناس من الحَضَر الذين تقع مساكنهم داخل حدود الحرم إلى المسجد الحرام، "ممن هو حوله ممن بينه، وبينه من المسافة مالا تقصر إليه الصلوات"[2].

وقد جاء ذكر حاضرِي المسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدْي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي مَحِله فمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك

(١) انظر مختار الصحاح (بتصرف).

(٢) انظر تفسير الطبري (٤/١١).

عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ [البقرة/١٩٦].

قال ابن كثير: شرع تعالى في بيان المناسك بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما، واتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم، وإتمامهما إنشاؤهما جميعاً من الميقات. والآية نزلت حين حال المشركون بين رسول الله ﷺ وبين الوصول إلى البيت عام الحديبية.

وقوله تعالى: ﴿فإن أمنتم فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾، وفي هذا دليل على مشروعية التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله، وفعلناها مع رسول الله ﷺ ثم لم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتى مات[1].

وقال تعالى : ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ أي: فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم إلى أوطانكم، روى البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال : تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج، وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة، فأهلّ بعمرة ثم أهلّ بالحج فتمتعّ الناس مع رسول الله ﷺ.

فلما قدم النبي ﷺ مكة قال للناس: "من كان منكم أهدى فإنه لا يحل لشيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة، وليقصِّر، وليحللّ ثم ليهل بالحج، فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله"[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب جواز التمتع، وفي تفسير سورة البقرة آية (٣٣)، باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج.

(٢) انظر تفسير ابن كثير في تفسير الآية رقم (١٩٦) من سورة البقرة. (بتصرف).

قوله تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾، قال الطبري: اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾، بعد إجماعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم[١].

ومعنى لا يتمتع أهلها أي: لا يتمتعون بالعمرة إلى الحج، والتمتع أحد نسك الحج الثلاثة: القِران، والإفراد، والتمتع.

ولم يُلْزَمُوا بذلك لكونهم من حاضري المسجد الحرام، ومن رغب الحج منهم يُهِل من بيته، قال قتادة: "ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول: يا أهل مكة لامتعة لكم، أُحلت لأهل الآفاق، وحـُرِمت عليكم ، إنما يقطع أحدكم وادياً ــ أو قال: "يجعل بينه وبين الحرم وادياً ــ ثم يُهل بعمرة"[٢].

وعليه فمن جاء من أهل الحرم بعمرة في أشهر الحج وتحلل فهو متمتع لادم عليه. ومن أحرم قارناً لا يطرح إحرامه حتى يتحلل التحلل الأول في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، بعد رمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير من شعره، ولا دم عليه.

والقرى حاضرة المسجد الحرام التي لا يتمتع أهلها منها:

١ ــ المُبَطَّنَة: وقيل المطمئنة بمكة المطلة عليها نخلتان.

قال البلادي: "تسمى اليوم المضيق، تبعد خمسة وأربعين كيلاً عن مكة المكرمة على طريق حاج العراق القديم[٣].

٢ ــ مَرُّ الظهران: تسمى اليوم الجموم ، أو وادي فاطمة، تبعد ثمانية عشر كيلاً عن عمرة التنعيم"[٤].

---

(١) انظر تفسيره (١١/٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير آية (١٩٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر كتابه: قلب الحجاز (ص١٣).

(٤) انظر صحيح الأخبار لابن بليهد (١٣٩/٢).

٣ ــ عُرَنَة: قال البلادي: "هي الوادي الفحل الذي يخترق أرض المغمس، فيمر بطرف عرفة من الغرب عند مسجد نمرة، ثم يجتمع مع وادي نعمان، غير بعيد من عرفة، ثم يأخذ الوادي اسم عُرنة فيمر جنوب مكة على حدود الحرم[(١)].

٤ - ضجنان: بالتحريك، حرة شمال مكة المكرمة على مسافة أربع وخمسين كيلاً على طريق المدينة المنورة، تعرف اليوم بحرَّة المحسنية[(٢)].

٥ ــ الرجيع: بفتح الراء وكسر الجيم وآخره عين معجمة ــ ماءٌ يعرف اليوم باسم الوطيَّة، يقع شمال مكة المكرمة على قرابة سبعين كيلاً، قبيل عُسفان إلى اليمين[(٣)].

٦ ــ فجٌّ: من قرى معبَّد بن حرب بمنطقة الجموم[(٤)].

٧ ــ وذي طوى: وادٍ من أودية مكة المكرمة، يسيل في سفوح جبل أذاخر والحجون من الغرب[(٥)].

٨ ــ جبل التنعيم: قال أنس أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم، متسلحين يريدون غَرَّة النبي ﷺ وأصحابه فأخذهم سَلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾[(٦)] [الفتح/٢٤].

---

(١) انظر كتابه: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٠٥.
(٢) المصدر السابق (ص١٣٨).
(٣) المصدر السابق (ص١٣٨)، وانظر تفسير الطبري (١١٢/٤).
(٤) انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ص ١٧٥.
(٥) المصدر السابق (ص١٨٨).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب قول الله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم..﴾ (١٣٣ــ ١٨٠٨)، وأبو داود في الجهاد باب في المن على الأسير بغير فداء، =

٩ ــ الحديبية: قال المحب الطبري: الحديبية قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم[١]، ونقل ابن حجر عن العُتْبِية قول مالك: والحديبية من الحرم[٢].

الفصل الثاني

الإرادة ــ الإلحاد ــ الظلم

قال الله جل ذكره: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم...﴾ [الحج/٢٥].

هذه الآية الكريمة جمعت مفردات هذا الفصل كاملة وهي: الإرادة، والإلحاد، والظلم، وهذا لبُّ البحث ومُعْظَمُه.

والمعنى الإجمالي للآية يبيِّن أن الكافر من شأنه الإعراض عن طريق الله القويم، الذي بيَّنَه لعباده، بواسطة رسله، ليبقي على أغراضه الدنيئة، ويهمه أن يجد غيره من الناس يشاركه نهجه ، ومعتقده، فيقومان بمنع من استطاعا عن الهدى.

وكفار قريش زادوا على ذلك ــ بحكم نفوذهم القوي في مكة ــ بمنع المؤمنين، ممن اعتنق الإسلام من أمة محمد ﷺ، ممن يقصدون المسجد الحرام للطواف فيه حول الكعبة، وملازمته بالإنقطاع إلى العبادة فيه لله، وكانوا لا

ـــ وأحمد في مسنده (٣/١٢٤،٢٩)، (ص٥,٤)، وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٠٥.

(١) انظر كتاب القِرى لقاصد أم القُرى (ص٦٢١).

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥/٣٣٤) وانظر القِرى لقاصد أم القرى لمحب الدين الطبري، (٦٥٢) وقال : ذكر ذلك صاحب القبس في شرح موطأ مالك، وأخرج عبد بن حميد عن قتادة ﴿ فهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة ﴾، قال: بطن مكة الحديبية، انظر الدر المنثور للسيوطي (٦/٥٢٧).

يفرقون بين مسلم أهل الحرم، وغيره ممن يقصده من خارج الحرم، وهم يفعلون ذلك نكاية بالمسلمين من أصحاب محمد ﷺ.

وبصنيعهم هذا قد عدلوا عن القصد، وأعرضوا عن الحق، وسلكوا طريقاً معوّجاً، ظالمين أنفسهم، والآخرين.

وحتى في حالة عجزهم عن الانتقام من المسلمين حسياً، أو معنوياً، فإنهم يضمرون ذلك في أنفسهم، فتوعدهم الله عز وجل بعذاب أليم، وأنكر عليهم صدهم المؤمنين عن شهود بيته، وقضاء مناسكهم فيه، ودعواهم أنهم أولياؤه.

المبحث الأول : الإرادة

قال في اللسان: وأراد الشيء: أحبه، وعُنِيَ به.

وقال الجوهري وغيره: والإرادة (المشيئة)[١].

وقال الجرجاني: في تعريفاته ـــ الإرادة: ميلٌ يعقبه اعتقاد النفع[٢].

وقال الألوسي: الإرادة في الأصل قوة مركبة من: شهوة، وخاطر، وأمل، وبين الإرادة والشهوة عموم من وجه، لأنّها قد تتعلق بنفسها، بخلاف الشهوة فإنها إنما تتعلق باللذّات، والإنسان قد يريد الدواء البشع، ولا يشتهيه.

ويشتهي اللَّذيذ ولا يريده إذا علم فيه هلاكه، وقد يشتهي ويريد[٣]. وإن صحَّ أن نقسم الإرادة إلى أطوار، أو مراحل تسبق التنفيذ من الإنسان للفعل، صح أن نقول هي خمسة:

١ ـــ الهاجس: ويعبرون به عن الخاطر الأول، فإذا تحقق في النفس سمَّوه

(١) الصحاح، واللسان: مادة (رود).

(٢) انظر كتابه التعريفات (ص٢٦).

(٣) انظر تفسيره روح المعاني (٢٠٨/١).

إرادة، فإذا تردد الثالث سمّوه، هِمّةً. وفي الرابعة سمّوه عزماً، وعند التوجه إلى القلب ــ إن كان خاطرَ فعلٍ ــ سمّوه قصداً، ومع الشروع في الفعل سمّوه: نيَّة[١].

٢ ــ الخاطر: هو ما يَرِد على القلب من الخطاب، أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه[٢].

٣ ــ حديث النفس: ويسمى وسواساً، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق/١٦]. أي: ما تحدثه به وهو ما يخطر بالبال، والوسوسة الصوت الخفي[٣].

وفي الحديث: "إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست ــ أو حدثت ــ به أنفسها، مالم تعمل به أو تكلّم"[٤].

٤ ــ الهمُّ: بمعنى القصد والإرادة مطلقاً، أو بمعنى القصد الجازم والعقد الثابت[٥]. وفي الحديث القدسي: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"[٦].

---

(١) انظر تعريفات الجرجاني (٢٨٤).

(٢) المصدر السابق (١٠٧).

(٣) انظر تفسير روح المعاني للألوسي (١٧٨/٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الأيمان والنذور باب إذا حنِث ناسياً في الأيمان، حديث رقم (٦٦٦٤)، ومسلم في كتاب الإيمان (٢٠١-٢٠٢).

(٥) انظر تفسير روح المعاني (٢١٣/١٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الرقاق باب من همّ بحسنة أو بسيئةٍ، حديث رقم (٦٤٩١).

قال ابن حجر: الهمُّ ترجيح قصد الفعل، تقول: هممت بكذا أي: قصدته بهمتي، وهو فوق مجرد خطور الشيء بالقلب.

قال: وقد وجدت عن الشافعي أن المؤاخذة إنما تقع لمن همّ على الشيء فشرع فيه، لا من همَّ به ولم يتصل به العمل.

قال: استثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهمُّ بالمعصية، ما يقع في الحرم المكي، ولو لم يصمم، لقوله تعالى: ﴿ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥].

أخرج الثوري في تفسيره[١] عن السدي عن مرة عن ابن مسعود قال : "ما من رجل يَهمُّ بسيئة فتكتب عليه، إلاّ أن رجلاً لو همَّ بِعَدَن أَبْيَنَ[٢] أن يقتل رجلاً بالبيت الحرام إلاَّ أذاقه الله من عذاب أليم"[٣].

ويؤكد ذلك أن الحرم يجب إعتقاد تعظيمه، فمن همَّ بالمعصية فيه خالف

---

(١) رواية الثوري في تفسيره: من همَّ بخطيئة ولم يعملها لم تكتب عليه حتى يعملها، ولو أن رجلاً همَّ ـــ وهو يقدر ـــ أن يقتل رجلاً عند البيت لأذاقه الله عذاباً أليماً، انظر تفسيره ص١٦٨.

(٢) (أبين) موضع في جبل عدن، نسبت إليه مدينة (عدن) لشهرته (انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرةالنبوية، لعاتق بن غيث البلادي، ص١٤، وص٢٠..).

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٢١٠/١٢): إسناده صحيح، وقال: وقد ذكر شعبة أن السدي رفعه لهم، وكان شعبة يرويه عنه موقوفاً، وأخرجه أحمد (٤٢٨/١) عن يزيد بن هارون عن شعبة عن السدي عن مرة عند عبد الله، قال الحاكم في المستدرك (٣٨٨/٢): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه الطبري (٩٥/١٧) في تفسيره من طريق أسباط بن نصر عن السدي موقوفاً، والحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) عن الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود، وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة، قال: " ما من عبدٍ يهمُّ بذنب فيؤاخذه الله بشيء حتى يعمله، إلاّ من همَّ بالبيت العتيق شراً، فإنه من همّ به شراً عجل الله له، (انظر الدر المنثور للسيوطي ٢٩/٦) وانظر علل الدارقطني (٢٦٩/٥).

الواجب بانتهاك حرمته، وتعقب هذا المبحث بأن تعظيم الله آكد من تعظيم الحرم، ومع ذلك من همَّ بمعصيته لا يؤاخذه، فكيف يؤاخذ بما دونه؟!

ويمكن أن يجاب عن هذا بأن إنتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم إنتهاك حرمة الله، لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله، فصارت المعصية في الحرم أشد من المعصية في غيره، وإن اشترك الجميع في ترك تعظيم الله تعالى.

نعم، من همَّ بالمعصية قاصداً الإستخفاف بالحرم عصى، ومن همَّ بمعصية الله قاصداً الإستخفاف بالله كفر، وإنما المعفو عنه، من همَّ بمعصية ذاهلاً عن قصد الإستخفاف[1].

٥ ــ العزم: أو العزيمة، في اللغة: عبارة عن الإرادة المؤكدة.

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنَّها مصبحين ولا يستثنون﴾ [القلم/١٧ــ١٨]، في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم[2].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"، قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟!، قال: "إنَّه كان حريصاً على قتل صاحبه"[3]، فعلل بالحرص.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: لَمّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾.

---

(١) انظر كتابه فتح الباري (٣٢٨/١١).

(٢) انظر تفسيره (٢٤١/٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الإيمان باب: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...} حديث رقم (٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٢٨٨٨/١٤).

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا، وعصينا؟، بل قولوا: سمعنا، وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير".

قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلمّا اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في أثرها: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل عز وجل: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[(١)].

قال ابن حجر: المراد بالمحاسبة: ما يخفي الإنسان مما يصمّم عليه، ويشرع فيه، دون ما يخطر له، ولا يستمر عليه[(٢)].

قال الألوسي: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله...﴾ أي: يجازيكم به يوم القيامة، وأما تصور المعاصي ، والأخلاق الذميمة فهو لعدم إيجابه اتصاف النفس به، لا يعاقبه عليه ما لم يوجد في الأعيان، وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم"، أي: إن الله لا يعاقب أمتي على تصور المعصية، وإنما يعاقب على عملها، وقيل:

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، وانظر شرح النووي عليه (٢/١٤٤) .
(٢)انظر كتابه فتح الباري (٨/٢٠٦ ــ ٢٠٧).

إذا وصل التصور إلى حدّ التصميم والعزم، يؤاخذ بــه، لقولــه تعــالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة/٢٢٥].

لأنا نقول: المؤاخذة بالحقيقة على التصميم والعزم على إيقاع المعصيـــة في الأعيان، وهي أيضاً من الكيفيات النفسانية التي تلحق بالملكات، ولا كذلـــك سائر ما يحدث في النفس[١].

قال ابن حجر:

المؤاخذة على أعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزم المؤاخذة علــى عمل القلب بقصد معصية الجارحة إذا لم يعمل المقصود.

وقسَّم بعضهم ما يقع في النفس أقساماً:

أضعفها أن يخطر له، ثم يذهب في الحال، وهذا من الوسوسة وهــو معفــوٌّ عنه، وهو دون التردد.

وفوقه أن يتردد فيهمُّ به، ثم ينفر عنه، فيتركه، ثم يـــهمُّ بــه ثم يتركــه، ولايستمر على قصده، وهذا هو التردد فيعفى عنه، وفوقه، أن يميل إليه، ولاينفر منه، بل يُصمم على فعله، فهذا هو العزم، وهو منتهى الهمُّ وينقسم إلى قســمين: أن يكون من أعمال القلوب صرفاً، كالشك في الوحدانية، أو النبوة، أو البعث، فهذا كفر، ويعاقب عليه جزماً.

ودونه المعصية التي لا تصل إلى الكفر، كمن يحب ما يبغض الله، ويبغض ما يحبه الله، ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك، فهذا إثم.

أن يكون من أعمال الجوارح، كالزنا، والسرقة، فهو الــذي وقــع فيــه النــزاع، فقيل: لا يؤاخذ بذلك أصلاً.

---

(١) انظر تفسيره روح المعاني (٣/٦٤).

أخرج مسلم عن طريق همّام عن أبي هريرة رفعه: "قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال: أرقبوه فإن عملها فاكتبوها"[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ [آل عمران/١٣٥].

قال القرطبي قوله : (ولم يصروا) قال القاضي أبو بكر بن الطيب : إن الإنسان يؤاخذ بما وَطَّنَ عليه بضميره، وعزم عليه بقلبه من المعصية، قال: وهذا الذي صار إليه القاضي هو الذي عليه عامة السلف، وأهل العلم من الفقهاء، والمحدِّثين، والمتكلِّمين.

ولا يلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يهمُّ الإنسان به، وإن وطَّن عليه لايؤاخذ، ولاحجة له في قوله ﷺ: "من همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت سيئة واحدة"، أي: أظهرها، أو عزم عليها[2].

وقيل : من فعل المعصية، ولم يتب منها ثم همَّ أن يعود إليها فإنه يعاقب على الإصرار، جزم به ابن المبارك، وغيره.

ويؤيده أن الإصرار معصية إتفاقاً، فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة، فإذا فعلها كتبت عليه معصية ثانية[3].

(١) انظر صحيحه كتاب الإيمان، باب: إذا همَّ العبد بحسنة (٢٠٣ ـ ١٢٨)، وانظر فتح الباري لابن حجر، (٣٢٧/١١) .
(٢) تفسير القرطبي (٢١٥/٤).
(٣) انظر فتح الباري، لابن حجر (٣٢٧/١١).

قال في التعريفات:

الإصرار: الإقامة على الذنب، والعزم على فعل مثله[(١)].

المبحث الثاني : الإلحـــاد

قال في اللسان: قال أبو عبيدة: لَحَد في الدِّين، يلْحَد، والْحَدْ: مال، وعدل، وقيل: لحد: مال، وجار، قال ابن السكيت: الملْحِد: العادل عن الحق، المدْخِل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألْحَدَ في الدِّين، و(لَحَدَ) أي: حاد عنه[(٢)].

وقُرِيء: (لسان الذي يَلْحَدون إليه ...) ـ بفتح الحاء المهملة ـ قال الفراء: يميلون إليه (ويُلحِدون) ـ بكسر الحاء المهملة، يعترضون.

روي عن الأحمر: لَحَدْت: جُرْت، ومِلْت، وألحَدْتُ: ماريت، وجادلت[(٣)].

وألحَدَ الرجل أي: ظلم في الحرم، وأصله: قوله تعالى: ﴿ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم...﴾.

والإلحـــاد في المسجد الحـــرام :

قال الزجاج: الإلحاد فيه: الشك في الله، وقيل كل ظالم فيه مُلْحِد.

وقيل: من يُرد متلبساً بالميل عن الحق وهو ظالم أن يُحْدِثَ في المسجد الحرام ما لا يرضي الله، نذقه من عذاب أليم[(٤)].

قال ابن العربي: قوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم...﴾ تكلم الناس في دخول الباء

(١) كتاب الجرجاني (ص٣٧).

(٢) مادة / ل / ح / د .

(٣) رواه ابن قتيبة في غريبة (١/٢٥١)، و(الأحمر) هو أبان بن عثمان بن يحيى اللؤلؤي، من شيوخ أبي عبيدة، من علماء اللغة، (انظر بغية الوعاة: ١/٤٠٥).

(٤) انظر معجم ألفاظ القرآن (ص٣٧٧).

ههنا، فمنهم من قال: إنها زائدة، وهذا مما لا يُحتاج إليه في سبيل العربية، لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف.

فيقال المعنى: ومن يهم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلماً، لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلاّ أنه قد صار في عرف الشريعة ميْلاً مذموماً، فرفع الله الإشكال، وبيَّن أن الميل بالظلم هو المراد هنا[1].

وقيل: ألحد في الحرم: ترك القصد فيما أُمر به، ومال إلى الظلم.

وفي الحديث: "احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه[2]"، أي: ظلم وعدوان، وفي حديث طهْفة: "لا تُلْطِط في الزكاة، ولا تلحد في الحياة"[3].

أي: لا يجري منك ميل عن الحق ما دمت حيّاً.

روى الطبري ــ بسنده عن ابن عباس قوله: الإلحاد: التكذيب.

وعند قتادة ــ يلحدون: يشركون[4].

وقيل ــ الإلحاد: الزيغ. ويلحدون: يحوِّرون.

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن النبي ﷺ، قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحِد في الحرم..." وذكر الحديث [5].

قال ابن حجر: قوله: (أبغض) هو أفعل من البغض.

قال المهلب وغيره: المراد بهؤلاء الثلاثة أنهم أبغض أهل المعاصي إلى الله، فهو كقوله: "أكبر الكبائر"، وإلاّ فالشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي.

---

(١) انظر كتابه أحكام القرآن (١٢٧٦/٣) [تحقيق على محمد البجاوي/ دار المعرفة بيروت].

(٢) رواه أبو داود في سننه من كتاب المناسك باب تحريم حرم مكة ، وإسناده ضعيف فإن فيه جعفر بن ثوبان وشيخه عمارة بن ثوبان وثقهما ابن حبان، وهما مجهولان.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث (٢٥/٢.) .

(٤) انظر تفسيره (٢٨٢/١٣ ــ ٢٨٣).

(٥) انظر كتاب الديات، من صحيح البخاري، باب من طلب دم امريء بغير حق.

قوله : "ملحد في الحرم" أصل الملحد المائل عن الحق، والإلحاد: العدول عن القصد، واستُشكل بأن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق؟!!، والجواب: أن هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف بها من ارتكب معصية كان ذلك إشارة إلى عظمها وقيل: إيراده بالجملة الأسمية مشعر بثبوت الصفة ثم التنكير للتعظيم، فيكون ذلك إشارة إلى عظم الذنب.

وحديث ابن مسعود: "ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه..."[١]، ظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره، وهو مشكل، فيتعين أن المراد بالإلحاد فعل الكبيرة ، وقد يؤخذ ذلك من سياق الآية، فإن الآيتان بالجملة الإسمية في قوله تعالى: ﴿ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم...﴾ الآية، يفيد ثبوت الإلحاد، ودوامه، والتنوين للتعظيم، أي: من يكون إلحاده عظيماً[٢].

قال ابن عمر: كنا نتحدث أن الإلحاد (في المسجد الحرام) أن يقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، وكلاّ والله"، ونُسب ذلك أيضاً إلى عبد الله بن عمرو بن العاص[٣].

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم...﴾ قال: الشرك، وقال عطاء: الشرك، والقتل.

وقيل: صيد حمامه، وقطع شجره، ودخوله غير محرم[٤].

وقال أهل العلم: الإلحاد في الحرم: القتل، والمعاصي[٥].

---

(١) أخرجه الثوري عن السدي عن مرة عن ابن مسعود، سبق تخريجه ص ١٦٤ .

(٢) انظر كتابه فتح الباري (١٢/٢١٠).

(٣) انظر حلية الأولياء (١/٢٩٠) وتفسير الطبري (١٧/١٤١) وأخبار مكة للأزرقي (٢/١٣١) وللفاكهي (٢/٢٥٦).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٢/٣٤).

(٥) انظر القِرى لقاصد أم القرى، لمحب الدين الطبري (ص٦٤٦).

وعن عمرو بن العاص: الإلحاد في الحرم: ظلم الخادم فما فوق ذلك[1].

وقيل: أصل (الإلحاد) في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كل معوَجٍّ غير مستقيم، ولذلك قيل لِلَحْد القبر لحد، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه.

وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرق بين (الإلحاد) و(اللحد)، فيقول في (الإلحاد) إنه العدول عن القصد، وفي (اللحد) إنه الركون إلى الشيء، وكان يقرأ جميع ما في القرآن (يُلحِدون) بضم الياء وكسر الحاء، إلاّ التي في النحل: ﴿لسان الذي يلحَدون إليه أعجمي﴾ فإنَّه كان يقرؤها (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء.

وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد، وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد، بمعنى واحد[2].

وقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ [الأعراف/١٨٠]، ــ أي: يميلون فيها عن طريق الحق ويسمونه ــ سبحانه ــ بغير ما ينبغي أن يُسمى به، قال مكي بن أبي طالب القيسي: وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عمّا هي عليه، فسموا بها آلهتهم، وأوثانهم، وزادوا فيها، ونقصوا منها، فسموا بعضها (اللات) اشتقاقاً من (الله) و(العزى) من (العزيز)[3].

وقوله تعالى: ﴿إن الذي يلحدون في آياتنا لا يخْفَون علينا﴾ [فصلت/٤٠]، أي: يطعنون في صحتها، أو يأولونها تأويلاً خاطئاً.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (١٥١/٥).
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٨٣/١٣).
(٣) انظر كتابه: العمدة في غريب القرآن.

وقولــه تعــالى: ﴿لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النمل/١٠٣]، أي: كلام الرجل الذي يشيرون إليه زاعمين كذبــاً أنــه يُعلّــم الرسول، هو كلام مبهم غير بيِّنٍ[1].

المبحث الثالث: الظــلم

(الظلم) لغة: وضع الشيء في غير محله.

وشرعاً: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل.

وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحدِّ[2].

قال ابن العربي: (الظلم) في الحقيقة، لغة، وشرعاً: وضع الشــيء في غــير موضعه، وذلك يكون بالذنوب المطلقة بين العبد ونفسه، وبالذنوب المتعدِّيــة إلى الخلق، وهو أعظم.

والجنايات تعظم على قدر عظم الزمان، كالأشهر الحرم، وعلى قدر عظــم المكان، كالبلد الحرام.

فتكون المعصية معصيتين:

إحداهما: بنفس المخالفة.

والثانية: باسقاط حرمة الشهر الحرام، والبلد الحرام[3].

قال في اللسان: ومن أمثال العرب في الشَبَهِ: من أَشْبه أباه فما ظلم، قــال الأصمعي: ما ظلم، أي: ما وضع الشبه في غير موضعه.

قال: وأصل الظلم: الجوْر، ومجاوزة الحدِّ[4].

---

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن (٣٧٧).

(٢) انظر تعريفات الجرجاني (ص١٦٤).

(٣) انظر كتابه أحكام القرآن (١٢٧٦/٣).

(٤) اللسان، مادة / ظ / ل / م .

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله، لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام/٨٢]، شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟.

فقال رسول الله ﷺ: "إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[1].

قال ابن حجر : وجه الدلالة منه أن الصحابة فهموا من قوله (بظلم) عموم أنواع المعاصي، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وإنما بيَّن لهم أن المراد أعظم أنواع الظلم وهو الشرك. فدلّ على أن الظلم مراتب متفاوتة.

قال: قوله: ﴿ولم يلبسوا﴾ أي: لم يخلطوا، وقال محمد بن اسماعيل التيمي في شرحه : خلطُ الإيمان بالشرك لا يُتصور، فالمراد أنهم لم تحصل لهم الصفتان، كفر متأخر عن إيمان متقدم، أي: لم يرتدوا.

ويحتمل أن يراد أنهم لم يجمعوا بينهما ظاهراً وباطناً، أي: لم ينافقوا[2].

وقول الله تعالى فيما يتعلق بالمسجد الحرام : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.

قال ابن العربي: المعنى: ومن يَهمُّ فيه (بميل) يكون ذلك (الميل) ظلماً، لأن الإلحاد هو الميل في اللغة، إلاّ أنه قد صار في عُرف الشريعة ميلاً مذموماً، فرفع الله الإشكال وبيَّن أن الميل بالظلم هو المراد هنا[3].

---

(١) انظر كتاب استتابة المرتدين من صحيحه، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته حديث رقم (٦٩١٨)، وانظر صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإيمان وإخلاصه (١٩٧) .

(٢) أنظر كتابه فتح الباري (١/٨٧ / ٨٨).

(٣) انظر كتابه أحكام القرآن (٣/١٢٧٦).

وقال ابن كثير: ضمَّن الفعل ههنا معنى (يَهِمُّ) ولهذا عدّاه (بالباء) فقال: ﴿ومن يُرد فيه بإلحاد﴾ أي: يَهِمُّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار، وقوله: ﴿بظلم﴾ أي: عامداً، قاصداً أنه ظلمٌ، ليس بمُتأولٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿ومن يرد...﴾ الإرادة هنا إرادة تصميم، وإصرار من المريد على ما أراد فعله في المسجد الحرام من أنواع المعاصي والذنوب، وما كان سوى ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا يتعلق عليها حكمٌ، وهي مما وضعه الله تعالى عن عباده، قال ﷺ : "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت بها أنفسها ما لم تَعْمل أو تتكلم به"[٢].

ألا ترى أن من أكره على الكفر، فكفر، لا يكفر لأن قلبه مطمئن بالإيمان، وقد اختصَّ الباري جل وعلا بعلم ما تُخفي الصدور ، وربط كل عمل للعباد بما علمه عنهم من نوايا حسنة، أو سيئة.

والنية تصحح القول والعمل، ما كان خالصاً لله، وما كان رياءً وسمعة، والثواب والعقاب يُقوَّمَانِ على هذه القاعدة الحكيمة، فلا يُظلم أحد مثقال ذرة، ولا دخل للأهواء والأغراض في القضاء، إذ لا يعلم حقيقة النية إلاَّ الله.

---

(١) انظر تفسيره عند آية (٢٥) من سورة الحج.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان (٢٠٢ / ١٢٧) باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس (شرح النووي ١٤٧/٢).

المبحث الرابع : بعض خصائص البلد الأمين (القرية، والمسجد)

أولاً : (القرية)

وهي كل ما يحيط بالمسجد الحرام، من دور، ومرافق عامة، وخاصة، اتخذها الإنسان لنفسه، وعمرها، وفق حاجاته الأساسية والضرورية للعيش في الحياة الدنيا، وذلك منذ قبول (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام، نفراً من جرهم مشاركتها ماء (زمزم).

وأخذ ذلك المجتمع الصغير ينمو، ويتسع مع مضي الوقت والزمان، واكتسب أهمية عظمى في نفوس العباد منذ أن خوّل الباري جل وعلا خليله إبراهيم، وابنه إسماعيل ــ عليهما السلام ــ برفع قواعد أول بيت وضع للناس، الكعبة البيت الحرام، بيتاً لله في الأرض.

فكان من الطبعي أن يكتسب جيرانه حرمة من حرمته، ومكانة من مكانته تفوق كل حرمة وكل مكانة في أي بقعة من الأرض.

نصحت إحدى نساء العرب أبناءها في الجاهلية ــ وكانت شاعرة بليغة ــ بما يجب عليهم فعله تجاه البلد الحرام قائلة:

أَبنيَّ لاَ تَظْلِم بمكة ... لا الصَّغيرَ ولا الكبير
واحْفَظ محارمَها بُنيَّ ... ولا يَغْرَّنكَ الغَرور
أَبنيَّ من يَظْلم بمكة ... يَلْقَ أطراف الشُّرور
أَبنيَّ يُضْربُ وجهَه ... ويَلُحْ بخديه السعير
أَبنيَّ قَدْ جَربتُها ... فوجدتُ ظالمها يبور

الله آمنها وما بُنيتْ بعرصتها قصور
والله آمن طيرها والعُصم تأمن في ثبير
ولقد غزاها تُبَّعٌ فكسا بَنيَّتَها الحبير
وأذل ربي ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي إليها حافياً بفنائها ألفا بعير
والفيل أَهْلك جيشَه يُرمون فيها بالصخور
فاسمع إذا حُدِّثت وأفْهم كيف عاقبة الأمور[1]

وقال عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي حين خرج ومن معه إلى اليمن:

فسحَّت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أَمْنٌ وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامُهُ يظل به آمناً وفيه العصافر[2]

ومكة بحرمها وحريمها، حرَّمها الله، ولم يحرمها الناس ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: قال يوم الفتح، فتح مكة: "إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يَحِلَّ القتالُ فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلاّ ساعة من نهار، فهو حرام، بحُرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يَلتقِطُ لقطته إلاَّ من عرَّفها ولايختلي خلاها"، وزاد في رواية: "إن الحرم لا يُعِيذ عاصياً، ولا فاراً بدمٍ ولافارّا بخَرْبَةٍ"[3].

---

(١) المرأة اسمها: سُبيعة بنت الأَحبِّ، من هوازن من قيس عيلان، (انظر سيرة ابن هشام (٢٦/١)، وانظر الإملاء المختصر في شرح غريب السير ـــ للخشني (٨١/١).

(٢) انظر الإملاء المختصر (١١٦/١).

(٣) (بخربة) بفتح الخاء المعجمة، وإسكان الراء، أصلها سرقة الإبل، وتطلق على كل خيانة، وفي صحيح البخاري : إنها البلية، وقال: الخليل: هي الفساد في الدين من (الخارب) وهو اللص المفسد في الأرض، (النووي في شرحه على صحيح مسلم " ١٢٨/٩ ").

وقال ﷺ: "لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح"[1]. هذا مما يؤكد أمنها واستقرارها، فالسلاح يحتاجه من احتاج الدفاع عن نفسه أو ماله أو عرضه، وهو عون للخائف على السكينة والإطمئنان، والشعور بهما، والله جل وعلا قال عن المسجد الحرام: ﴿ومن دخله كان آمناً . .﴾، وبالتالي القرية من حوله سياج له تحفظ وتحقق دواعي ذلك الأمان فهي آمنة، وإن جاء من خالف هذا التوجيه، وأرهب أهله وأفزعهم، فهو كالمسلم أمر بالصلاة ولا يصلي، عصياناً وتمرداً، وأمر بالصوم فلا يصوم،وأمر بالزكاة ولا يزكي.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً...﴾ الآية من سورة [البقرة /١٢٦].

قيل: اختلف العلماء في مكة وحرمها، هل صار ذلك حرماً آمناً من الجبابرة، والخسوف، والزلازل بسؤال الخليل عليه السلام ؟.

أم لم يزل حرماً آمناً منذ خلق الله السموات والأرض؟، وهو الصحيح، وإنما سأل الخليل عليه السلام ربه تبارك وتعالى أن يجعل ذلك آمناً من الجدب، والقحط، وأن يرزق أهل من الثمرات.[2]

قال تعالى موجهاً نبيه ﷺ أن يقول ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها...﴾ [النمل/٩١].

وامتدح الرسول ﷺ مكة، عندما هاجر منها إلى المدينة بقوله: "والله إنك

---

(١) الحديث والروايات من صحيح مسلم كتاب الحج أحاديث رقم (٤٤٥ إلى ٤٤٩)، وانظر صحيح البخاري كتاب الحج باب لا يُعضَد شجر الحرم. وقبله كتاب العلم ليبلغ الشاهد الغائب.

(٢) انظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للفاسي (٧٢/١).

خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"[١].
وقال أنس: الدجال يطأ كل بلدة إلاّ مكة والمدينة[٢].

وقال مجاهد: إذا قَتَل في الحرم، قُتِل في الحرم، وإذا أصاب حداً في الحرم أقيم عليه في الحرم، وإذا قَتَل في غير الحرم ثم دخل أمِنَ[٣].

قال ابن عباس: إذا دخل القاتل الحرم لم يُؤْوَ، ولم يُبايع، ولم يُجالس، ولم يُسْقَ حتى يخرج[٤].

وعن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: العمرة على الناس كلهم إلاّ على أهل مكة، فإنها ليست عليهم عمرة، إلاّ أن يقدم أحدهم من أفق من الآفاق[٥].

روى علقمة بن نضلة قال: توفي النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وما تُدعى رباع مكة إلاّ السوائب، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن[٦].

قال ابن العربي: والذي عندي الآن فيها أن النبي ﷺ افتتح مكة عَنْوة، لكنّه مَنَّ عليهم في أنفسهم، فسموا الطلقاء، ومَنَّ عليهم في أموالهم وأمر مناديه فنادى: من أغلق عليه بابه فهو آمن، وتركهم في منازلهم على أحوالهم من غير

---

(١) انظر ابن ماجه في المناسك، باب فضل مكة رقم (٣١٠٨) والمستدرك للحاكم (٣/٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه الترمذي في المناقب في فضل مكة (٤٠١٧)، وقال: حسن غريب صحيح. ومسند أحمد (٤/٣٠٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل المدينة باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم في الفتن (١٢٣ــ٢٩٤٣).
(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة (١٠/١١٦)، عن أبي بكر قال: حدثنا أبو الأحوص عن خصيف ومصنف عبد الرزاق (٩/٣٠٤)، عن الثوري عن منصور.
(٤) انظر سنن البيهقي (٩/٢١٤)، ومصنف عبد الرزاق (٥/١٥٢) و (٩/٣٠٤)، والمحلى لابن حزم (١٠/٤٩٣) وتفسير الطبري (٤/١٣) والدر المنثور (٢/٥٥).
(٥) انظر الفاكهي (٣/٧٤) رقم (١٨٢٢) والدر المنثور للسيوطي، (١/٢٠٩).
(٦) انظر سنن ابن ماجه كتاب المناسك، باب أجر بيوت مكة، رقم (٣١٠٧)، قال في الزوائد: إسناده صحيح على شرط مسلم.

تغيير عليهم، لكن الناس إذا كثروا واردين عليهم شاركوهم، بحكم الحاجـــة إلى ذلك(١).

قال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي مُتملّكَة.

وعن أسامة بن زيد، قال : قلت: يا رسول الله أين تنـــزل غداً؟ في حَجَّتِهِ، قال : "وهل... ترك لنا عقيلٌ منـــزلاً؟ ثم قال : نحن نازلـــون بخيف بني كنانـــة - المُحصَّب - حيث قاسَمَتْ قريش على الكفر"(٢).

قوله: "هل ترك لنا عقيلٌ منزلاً" دليل على بقاء دور مكة لأربابها(٣).

ثانياً : المسجد الحرام

ويراد به الكعبة بيت الله الحرام، وما أحاط به من جميع جهاته المختلفة، وما يلحق به من أروقة، وساحات مهما اتسعت ، وتكون فيه صفوف المصلين متصلة خلف إمام واحد.

ووصفه (بالحرام) خاص به دون غيره من أماكن العبادة التي ذكرها الله في كتابه العزيز، فإذا جاء ذكر غيره من أماكن العبادة جاء مجـــرداً، أو موصوفـــاً بصفة أخرى، حتى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...﴾ [الإسراء/١].

وقال تعالى عن مسجد قباء في المدينة: ﴿...لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه...﴾ [التوبة/١٠٨].

والمسجد هو مكان السجود في أي مكان طاهر مـــن الأرض، قـــال ﷺ:

(١) انظر كتابه أحكام القرآن (٣/١٢٧٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، من كتاب الجهاد، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب.
(٣) انظر القِرى (٥٤٨).

"جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"[1]. ومواضع عبادة الله وحده تسمى مساجد، قال الله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً...﴾ [الجن/١٨].

وهي بيوت الله، تشريفاً لها، وتعظيماً لمكانتها، ومن أقدسها وأشرفها الكعبة بيت الله الحرام، حيث تضاعف الحسنات، وتضاعف السيئات، ويؤاخذ الإنسان فيه إذا همَّ بسيئة، وأصرّ على تنفيذها، وأعد لذلك عدّته، وإن لم يقع منه الفعل. بل يؤاخذ فيه الإنسان حتى على ما يصدر عنه من لغو الحديث.

قال ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ: "كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، وكلاَّ والله"[2].

وهذا مما اختص به المسجد الحرام دون سائر حرم مكة المكرمة، حتى يكون لبيت الله ما يميزه دون غيره من سائر بقاع الأرض.

أخرج عبد بن حميد عن عكرمة، قال: ما من عبدٍ يَهِمُّ بذنب فيؤاخذه الله بشيء حتى يعمله، إلاَّ من همَّ بالبيت العتيق شراً، فإنه من هَمَّ به شراً عجل الله له"[3].

ومكة ـــ قرية المسجد الحرام ـــ لها أيضاً ما يميزها عن غيرها من القرى، وقد سبق ذكر شيء من ذلك في هذه الرسالة.

ويختص المسجد الحرام دون غيره من المساجد بالطواف حول كعبته المشرفة، وهو نوع من العبادة، والتقرب إلى الله، لا يجزيء، ولا يجوز في أي بُقْعَةٍ من بقاع الأرض سواه.

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التيمم، الباب الأول، وصحيح مسلم، كتاب المساجد (٣،٤،٥).

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق (٥/٢٨)، وتفسير الطبري (١٧/١٤١)، وتفسير القرطبي (١٢/٣٤).

(٣) انظر الدر المنثور (٦/٢٩)، وفتح الباري (١١/٣٢٨).

وفيه مقام إبراهيم، حجر قام عليه ليرفع قواعد البيت كما أمره ربه، فأصبح من شعائر الله، أُمر المسلمون بالصلاة خلفه.

وفيه بئر زمزم، ومنه الماء المبارك، لسقيا الوافدين للحج والعمرة، ماؤه لاينضب، وفيه الحجر الأسود وحِجْرُ إسماعيل.

والصلاة فيه ــ الفريضة والنافلة ــ تفْضُل على الصلاة في غيره بمائة ألف[١]، قال ابن عباس : "من صلى في المسجد الحرام، حول بيت الله الحرام، في جماعة كتب الله تعالى له خمساً وعشرين مرة مائة ألف صلاة".

قال له رجل من التابعين : أعن رأيك هذا يا ابن عباس، أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: لا، بل عن رسول الله[٢].

فقوله : "في المسجد الحرام، حول بيت الله الحرام"، تخصيص لأرض مسجد الكعبة دون غيرها من الأرضين.

وحول الأخذ (بالإرادة) دون (التنفيذ) واستحقاق المريد لعذاب أليم، وإن لم يقع منه ما أراد، بل بمجرد الإرادة، وقع التباس: هل هو أمر خاص بالمسجد الحرام دون غيره من البقاع في الأرض؟ أم هل تكون المؤاخذة في قرية مكة كلها باعتبارها حرماً تضاعف فيها السيئات والحسنات كالمسجد الحرام؟.

مكة المكرمة كما سلف لم يكن لها وجود قبل ترك إبراهيم عليه السلام

(١) انظر مسند الطيالسي عن ابن الزبير، ورواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام... حديث رقم (١٤٠٦)، قال في الزوائد: صحيح ورجاله ثقات.

(٢) رواه الفاكهي بسند حسن إلى ابن عباس عن عبد الله بن منصور عن عبد الرحيم بن زيد العميِّ عن أبيه عن سعيد بن جبير. عبد الرحيم كذّبه ابن معين، وأبوه ضعيف، (انظر أخبار مكة للفاكهي (٩٢/٢) رقم ١١٨٩، وانظر شفاء الغرام للفاسي (٨٠/١ ــ ٨١).

بعض أهله بواديها، ونبط الماء من بئر زمزم.

ثم قيام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع قواعد البيت الحرام ممتثلَيْن لأمر ربهما، وقد أمرهما بأن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود.

ثم أَمَرَ ــ سبحانه ــ نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج إلى الكعبة بيت الله الحرام.

كل هذه مراحل أساسية في تكوين مجتمع مكة المكرمة ، حتى أصبحت قرية مأهولة، يجد فيها كل قاصدٍ لبيت الله الحرام ما يحتاجه من مرافق ، وضروريات، لطعامه، وشرابه، وسباته، وقضاء حاجته، وسائر الأمور التي يتره بيت الله عنها.

وورد في حقها ما يميزها عن سائر بقاع الأرض، وعرفت في القرآن الكريم بأم القرى ، والأم لها من الحقوق والواجبات ما ليس لغيرها من القرابات على ولدها.

وكان وجود الكعبة بيت الله الحرام في حريمها سبباً في إضفاء القدسية، والبركة في سائر أرضها المحاطة بأنصبة ومعالم تفصلها عن غيرها.

وإذا أُطلق المسجد الحرام، فلا يُعرف منه إلاّ البقعة المحيطة بالكعبة من جميع جهاتها، إحاطة السوار بالمعصم، من أروقة وساحات، تتصل صفوف المصلين للفريضة فيها خلف إمام واحد.

وهذه البقعة كما بدأت ضيقة، وما أصبحت عليه الآن من اتساع كبير، بما لحقها من إضافات كانت خارج حدود المسجد الحرام، فإنها قابلة للزيادة، والإتساع وفق حاجة المسلمين، وتزايد أعداد الحجاج والمعتمرين الذين يقصدون البيت الحرام لأداء نسكهم. فهذه الزيادات تدخل تحت اسم المسجد الحرام، وتكتسب أحكامه، وحرمته، مهما امتدت أو اتسعت ، ويبقى ما وراءها خارجاً عنها.

وحرمة المسجد الحرام أصل تفرع عنه حرمة المكان المحيط به، وقد اكتسب (الفرع) بعض خصائص (الأصل)، ولكن يبقى للأصل ما يميزه عن الفرع.

وأرض المسجد الحرام، والكعبة بعينها مركز الدائرة، وما أحاط بها حريم لها، يتسع للمصلين خلف إمام واحد، وما كان خارج ذلك فهو بمثابة السياج حول أرض الحمى، يطوّق المكان، ويمنع عنه وصول المغرضين ، المعادين لرب البيت ومليكه.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يُغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ [التوبة/٢٨].

جاء في الصحيح عن أبي هريرة قوله:

بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مُؤذّنين يوم النحر، نؤَذّنُ بمنىً ، أَلاَّ يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان.

قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردفَ رسول الله ـ ﷺ ـ عليّاً، فأمره أن يؤذن "ببراءة".

قال أبو هريرة: فأذّن معنا عليٌّ في أهل مِنى يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُرياناً[1].

قال ابن حجر: والغرض منه الإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...﴾، كان في هذه القصة[2]. وقوله: "وألاّ يحج بعد العام مشرك"، هو منتزع من قوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد

(١) رواه البخاري في صحيحه من كتاب الصلاة باب ما يُستر من العورة.
(٢) انظر فتح الباري (٨/٨٣).

عامهم هذا﴾ والآية صريحة في منعهم دخول المسجد الحرام ولو لم يقصدوا الحج، ولكن لـمَّا كان الحج هو المقصود الأعظم صرح لهم بالمنع منه، فيكون ما وراءه أولى بالمنع. والمراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله[1].

قال الطبري:

يقول للمؤمنين: فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم، وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرم، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام[2].

ومادة (قرب) جاءت أحياناً في كلام الله تعالى للتحذير، والتنبيه ، من الدنو ـــ مجرد الدنو ـــ من حدود الله، ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ [البقرة/١٨٧]، وليس المراد الوقوع فيها، بل التحذير مما يمكن أن يؤدي إلى انتهاكها.

وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن...﴾ [الأنعام/١٥١]. فإن التحذير، والتنبيه عن المقدمات، والأسباب التي مع الاسترسال فيها ، وتسلسلها يدنو المؤمن من فعل الفاحشة إلى أن يقع فيها في النهاية.

وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ [الإسراء/٣٢]. فالنظر إلى الأجنبية والإسترسال في ذلك، ومحاولة الخلوة بها، ومحادثتها، من مقدمات الزنى في الغالب.

فإذا منع المؤمن نفسه من الإسترسال في النظر إلى الأجنبية ممتثلاً قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...﴾ [النور/٣٠]، فإنه بذلك يقطع السبب الرئيس المؤدي ـــ في الغالب ـــ إلى الوقوع في فعل الفاحشة.

وفي الحديث قوله ﷺ: "فالعينان تزنيان، وزناهما النظر، واليدان تزنيان

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٢٠).

(٢) انظر تفسيره (١٤/ ١٩١) بتحقيق محمود شاكر.

وزناهما البطش، والرِجْلانِ يزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القُبل"[1].

وكذلك الأمر بالنسبة لحدود الله، فكلما تساهل المؤمن في أسبابها، ودواعيها، ولم يكن لديه من الورع والتقوى، ما يحذره الإقتراب، وقع لا محالة فيها.

كما جاء في قوله ﷺ: "الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مُشْتبهات لايعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشتبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يُوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى، إلا إنّ حِمى اللهِ في أرضه محارمُه..."[2].

فقوله جلّ وعلا محذراً المؤمنين التساهل مع المشركين في دخولهم إلى المسجد الحرام ، اقتضى أن يمنعوهم عن مجرد الإقتراب إليه، بأن جعل لحرم مكة حدوداً لا يجوز لمشرك أن يتجاوزها حتى لا يصل بشكل أو بآخر إلى المسجد الحرام عينه. رُوي عن عطاء قوله: لم يَعْنِ المسجد وحده، إنما عني مكة والحرم[3].

فالمقصود إذاً هو المسجد الحرام ــ البيت الحرام ــ لذاته، كما يفعل الإنسان عند تشييده للأسوار، والقلاع، والحصون، حول مدينته أو قريته. وذلك لحمايتها، فلو تساهل مع العدو أن يجتازها ولو بقدر يسير، فقد السيطرة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٧) كتاب القدر، باب قدِّر على ابن آدم حظّه من الزنى وغيره (٢٠٤٦/٤) وأبو داود (٢١٥٣) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٣/٢، ٣٤٤، ٣٧٢، ٤١١)، كلهم من طريق سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في صحيحه، من كتاب المساقاة، رقم (١٠٧) .

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره (١٩١/١٤)، وانظر الدر المنثور (١٦٥/٤).

في النهاية على صده من اجتياح الدور، والأبنية ، فالحكيم إذاً الذي يحتاط للأمر قبل وقوعه، لا إذا قُضي الأَمر ووقع، نَدِمَ، واسترجع.

ومكة، أرض الحرم نهى رسول الله ﷺ أن يُعضد شجرها، وينفَّر صيدهـــا، وتلتقط لقطتها، ويختلي خلاها[1]. ومعلوم أن هذه الأشياء لا يوجد معظمـــها في المسجد الحرام، بل في أطراف المدينة وضواحيها، في الأودية والشعاب، والجبال، والسهول، مما يدل على أن الحظر خاص بحرم مكة دون المسجد الحرام، ولكنـــه إن وجد في المسجد الحرام فمن باب أولى أن يكون الحظر أشد.

وورد في الحديث أن الصلاة في المسجد الحرام تتضاعف مائة ألف مرة عن الصلاة فيما سواه، وبذلك تتميز بقعته عن سائر بقــــاع الأرض، وتبقـــى لـــه خصوصية ليست لسائر أرض الحرم حوله، ولا يختلـــف إثنـــان في أن الصـــلاة بقرب الكعبة، واستقبال عينها أكثر تفضيلاً من الصلاة خارج المسجد الحرام لمن استقبل جهتها.

وفي سير الصحابة والتابعين لم يظهر أن أحداً منهم سكن في الحل، واتخـــذ لنفسه موقعين، الأول لأمور عبادته في الحرم والثاني لأهله وعياله وشئون دنيـــاه في الحل. إلاَّ ما ورد في الأثر أن ابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العـــاص قـــد اتخذا لنفسيهما فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أرد أحدهمــــا العبادة من صلاة وغيرها دخل الفسطاط الذي في الحرم، وإذا أراد شـــيئاً مـــن أمور الدنيا دخل الآخر الذي في الحل[2].

وهذا يراد به أرض الحرم دون المسجد الحرام، وهو ورع منهما، يصعـــب

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الحج، باب لا يُعضد شجر الحرم.

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق (٥/٢٨)، وتفســـير الطـــبري (١٧/١٤١) وحليـــة الأوليـــاء (١/٢٩).

على كل من أراد ذلك أن يفعله ، لأن أكثر المصالح الدنيوية داخل أرض الحرم، وكذا جلّ الدور والمرافق فيها. ومثل هذا الفعل لا يتأتى إلاّ إذا اعتبرنا (الحل) أرض مكة و(الحرم) أرض المسجد الحرام.

فوجب أن نفصل بين أرض الحرم وبين المسجد الحرام في مضاعفة الأجر، والمؤاخذة (بالإرادة) المجردة لئلا يجد الناس القاطنون بجوار بيت الله عنتاً ومشقة و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

ولو نذر أحدهم الإعتكاف في المسجد الحرام لزمه في البيت الحرام، ولايجزئه مكاناً آخر في حرم مكة، مما يدل أن هناك تخصيصاً وتعميماً للمراد بالحرم، والمسجد الحرام.

قيل: المسجد الحرام مسجد الجماعة، ويؤيده قوله ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلاّ المسجد الحرام" والإشارة بمسجده إلىمسجد الجماعة، فينبغي أن يكون المستثنى كذلك[1].

والذين احتجوا بمكث رسول الله ﷺ بعد حجّه بالأبطح يصلي فيه الصلوات المفروضة[2]، قالوا: لرسول الله ﷺ أشد حرصاً على مضاعفة الأجر له وللمؤمنين، فلو لم ير أن مصلاه في الأبطح يضاعف فيه الأجر كالمسجد الحرام سواء، لما اختار الأقل على الأكثر؟!

---

(١) انظر القِري (ص ٦٥٧).

(٢) أخرج البخاري في كتاب الحج، باب من صلّى العصر يوم النفر بالأبطح، عن أنس أن النبي ﷺ صلّى الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، ثم رقد رقدة، بالمحصَّب، ثم ركب إلى البيت فطاف به، وعن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺلما أتم نسكه دخل البيت، فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهر على ظهر الكعبة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً... إلى أن قال: " ولم يترل رسول الله ﷺ في تلك الأيام بيتاً من بيوت مكة، وإنما أمر بقبة ضُربت له بالأبطح فكان هناك حتى خرج منها، (انظر القِرى لمن قصد أم القُرى (ص٢٦.) .

والجواب : أن رسول الله ﷺ لم يحج سوى حجة واحدة، وحج معه ما يربو على مائة ألف نسمة كلهم يتبعونه، ويقتدون به.

وهو ﷺ كما وصفه ربه في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة/١٢٨]. فهو يرأف بالمؤمنين، ويرحمهم، فلو لزم المسجد الحرام يصلي فيه كل فرض من مكانه في الأبطح، يتبعه المسلمون شيباً وشباناً، رجالاً ونساءً.

والمسافة بين المطرحين لا تقل عن كيلين اثنين تقريباً فسيبعث مثل هذا الفعل مشقة كبيرة على الناس، وحسرة وألماً في صدور العجزة، وغير القادرين على الإقتداء، وموضع الأبطح مكان فسيح، وهو من أقرب المواضع الفسيحة من المسجد الحرام، لاستيعاب ذلك العدد الكبير. أو كما وصفته عائشة رضي الله عنها في قولها: نزول الأبطح ليس بسنة، إنما نزله رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح بخروجه[1]، قال ابن حجر: (أسمح) أي: أسهل لتوجهه إلى المدينة، ليستوي في ذلك البطيء، والمعتدل، ويكون مبيتهم وقيامهم في السحر، ورحيلهم بأجمعهم إلى المدينة[2]. والله أعلم،،،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الحج، باب المحصَّب، ومسلم في صحيحه، من كتاب الحج رقم (٣٣٩).
(٢) انظر فتح الباري (٣/٥٩١).

النتائج والتوصيات

من خلال ما تقدم تبين أن هناك فرقاً بين المسجد الحرام، وبين حرم مكة، فيما يتعلق بمضاعفة الحسنات والسيئات، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ المسجد الحرام، بأن تكون تلك الإرادة بالسوء في جوفه ، ولا يؤاخذ المؤمن بالإرادة المجردة قبل أن يفعل أو يقول بأرض الحرم، أو غيرها سواه، ولكن يبقى لحرم مكة ما يميزه عن سائر البقاع الأخرى سوى المسجد الحرام.

والعمل الصالح فيها بنية الإخلاص، يبارك، وأحرى للقبول من فاعله، والعمل السيء فيها أكثر بشاعة من مؤمن يتبطن أرض الحرم، ويشتمُّ روحانية بيت الله الحرام.

وهو دليل من فاعله على قلة إحساسه بالمسئولية، وقلة تعظيمه لشعائر الله، وضعف تقواه. وكذلك من رحمة الله بعباده، وخاصة جيران بيته المحرم ألاَّ يحملهم ما لا يُطيقون، أو يؤاخذهم بما لا يستطيعون ردّه، أو التحكم فيه، كحديث النفس والوساوس.

وفي قوله تعالى: ﴿ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ [البقرة/٢٨٦]، إرشاد للمؤمنين، يتوسلون به إليه، ويدعونه جلّ وعلا بما يرفع عنهم المشقة، أو التعرض لسخطه، وعذابه، بما يأتونه نسياناً منهم، أوعند غلبة الهوى والنفس والشيطان عليهم.

فهم كسائر خلقه جلّ وعلا ليسوا معصومين عن الخطأ، والمعاصي، وليسوا كهيئة الملائكة عباد الله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم/٦].

وبعد ذلك وقبله يُفترض فيمن جاور المسجد الحرام من المؤمنين أن يكون على قدر ذلك الجوار في سلوكه، ومنهجه وعقيدته، وألاّ يصدر عنه من أفعال، وأقوال إلاّ ما يُرضي رب البيت، ومليكه ، وفق ما سنَّه، وشرعه على لسان نبيه ﷺ .

وأن لا يلحد في بيته بلفظ الشرك أو فعله، فيميل عن الحق ويتبع سبيل المجرمين: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء/٤٨،١١٦].

وإذا بلغ بالمسلم السَّفه، أو الجهل، أوالطغيان حدّ الإشراك بالله الواحد الأحد في بيته، وتحت ظل كعبته، فقد ظلم نفسه ظلماً عظيماً، واستحق من الله ـ عدلاً وإنصافاً ـ عذاباً أليماً، وإن كان منه ذلك مجرد إرادة: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان/١٣].

وما من شيء يُسخط الرحمن، ويُغضبه، مثل الإشراك به، ومن ثم ما من شيء من الأفعال أو الأقوال محبب إلى الله، مثل توحيده ، والثناء عليه من خلقه، وصدق الله القائل: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً﴾ [النساء/١٤٧].

وهذه الأمور وغيرها أكسبت أرض الحرم قدراً، وهيبة، ومكانة مقدسة، في نفوس جميع المسلمين، مما يتوجب معه أن يكون لها ما يواكب هذه القدسية من مرافق، وخدمات. كوجود محطة بث مرئي خاصة، تتشابه في برامجها مع إذاعة نداء الإسلام. والحد من عمل البنوك داخل أرض الحرم.

وإحكام مداخل الحرم البرية وغيرها، لمراقبة الداخلين إلى أرض الحرم،

ومنع من يصدر في حقه حكم شرعي ــ يُجرِّمه أخلاقياً وسلوكاً، وإبعــاد مــن يدان بشيء من الزندقة، والفسوق، والبدع المخلة.

هذا ما منَّ الله به عليَّ ويسّره حول هذا الموضوع الخطير، وإني اعتــذر إلى الفقهاء والمؤرخين بخاصة عن أي قصور فيما أوردته من مسائل وأحكام تتعلــق بفنيهما. سائلاً المولى عز وجل أن يُلهمنا الصواب في القول والعمل.

وآخر دعوانا: ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس/١٠].

المراجـــع

١ ـ أحكام القرآن لابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة. بيروت.

٢ ـ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. لأبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. الناشر: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة. سنة ١٤٠٧هـ.

٣ ـ أخبار مكة للأزرقي. تحقيق: رشدي الصالح ملحس. مطابع دار الثقافة. ط٤. سنة ١٤٠٣هـ بمصر.

٤ ـ أسباب النزول للواحدي. تحقيق: سيد صقر. ط٢. سنة ١٤٠٤هـ. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

٥ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. مراجعة عبد الله العلايلي. الناشر: دار الثقافة ـ بيروت. ط٣. سنة ١٣٨١هـ.

٦ ـ الإصابة في تميز الصحابة. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. الناشر: مؤسسة الحلبي. القاهرة.

٧ ـ الإملاء المختصر في شرح غريب السير. للخشني. بتحقيق أ.د عبد الكريم خليفة. الناشر: دار البشر. سنة ١٤١٢هـ. عمان. الأردن.

٨ ـ تفسير الثوري. تعليق: امتياز علي عرشي. طبعة وزارة المعارف الهندية. سنة ١٣٨٥هـ.

٩ ـ تفسير الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". بتحقيق: محمود وأحمد شاكر. دار المعارف.

١٠ ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي. الناشر: دار الأندلس ـ بيروت. سنة ١٣٨٥هـ.

١١ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) عن طبعة دار الكتب المصرية. ط٣. دار القلم سنة ١٣٨٦هـ.

١٢ ـ تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد أحمد الأزهري. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. الدار المصرية للتأليف والترجمة. سنة ١٣٨٤هـ.

١٣ ــ توسعة وعمارة الحرمين الشريفين. رؤية حضارية. الناشر: مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر. الطبعة الثانية. سنة ١٤١٢هـ.

١٤ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: مكتبة الحلواني ــ ومطبعة الملاح. مكتبة دار البيان. سنة ١٣٨٩هـ.

١٥ ــ حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد الأصفهاني. المكتبة السلفية. دار الفكر.

١٦ ــ الدر المنثور في التفسير المأثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. الناشر: دار الفكر للطباعة. سنة ١٤٠٣هـ.

١٧ ــ الرسالة للشافعي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مكتبة دار التراث بالقاهرة. سنة ١٣٩٩هـ.

١٨ ــ روح المعاني للألوسي. الناشر: إدارة الطباعة المنيرية. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٩ ــ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. للسُهيلي. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. الناشر: دار الكتب الحديثة. القاهرة. سنة ١٣٨٧هـ.

٢٠ ــ سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. دار الحديث للطباعة والنشر. بيروت. سنة ١٣٨٨هـ.

٢١ ــ سنن ابن ماجه.

٢٢ ــ سنن البيهقي. مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن. الهند. سنة ١٣٥٢هـ.

٢٣ ــ سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن. الناشر: دار إحياء السنة النبوية.

٢٤ ــ السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: مصطفى السقا. إبراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٢٥ ــ شرح أبيات المغني. لعبد الله بن عمر البغدادي. تحقيق عبد العزيز رباح. الناشر: دار المأمون للتراث. دمشق. ط٢. سنة ١٤٠٧هـ.

٢٦ ــ شرح النووي على صحيح مسلم. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط٢. سنة ١٣٩٢هـ.

٢٧ ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. لتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي. تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

٢٨ ــ صحيح الأخبار. لابن بليهد. الطبعة الثانية. سنة ١٣٩٢هـ.

٢٩ ــ صحيح الإمام البخاري. الجامع الصحيح. الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية، سنة ١٣٩٧هـ، بالمملكة العربية السعودية.

٣٠ ــ صحيح مسلم. بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ــ سنة ١٣٧٤هـ.

٣١ ــ طبقات ابن سعد الكبرى. طبعة دار صادر. بيروت.

٣٢ ــ العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي. بتحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: مؤسسة الرسالة. ط٢. سنة ١٤٠٤هـ.

٣٣ ــ غريب الحديث لابن قتيبة. تحقيق: عبد الله الجبوري. إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف العراقية. سنة ١٣٩٧هـ.

٣٤ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٣٥ ــ القِرى لقاصد أم القرى لمحب الدين الطبري. الناشر: دار الفكر. الطبعة الثالثة. سنة ١٤٠٣هـ.

٣٦ ــ كتاب التعريفات. لعلي بن محمد الجرجاني. بتحقيق: د. عبد المنعم الحفني ــ دار الرشاد ــ القاهرة.

٣٧ ــ لسان العرب لابن منظور. دار صادر / دار بيروت. سنة ١٣٨٨هـ.

٣٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتاب. بيروت. سنة ١٩٦٧م.

٣٩ ــ المحلى لابن حزم. تصحيح: محمد خليل هراس. مطبعة الإمام. بمصر.

٤٠ ــ مختار الصحاح.

٤١ ــ المسائل في أعمال القلوب والجوارح. للحارث بن أسد المحاسبي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. الناشر عالم الكتب ــ القاهرة. سنة ١٩٦٩م.

٤٢ ــ المستدرك على الصحيحين. لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري. توزيع دار الباز للنشر. مكة المكرمة.

٤٣ ـــ مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٤٤ ـــ مسند الطيالسي. سليمان بن داود بن الجارود الفارسي. طبعة مجلس المعارف النظامية. حيدر أباد الدكن. سنة ١٣٢١هـ. الناشر: دار الكتاب اللبناني. دار التوفيق.
٤٥ ـــ مصنف بن أبي شيبة. تحقيق: عبد الخالق الأفغاني. الناشر: الدار السلفية بالهند. ط٢. سنة ١٣٩٩هـ.
٤٦ ـــ مصنف عبد الرزاق. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. منشورات المجلس العلمي. الناشر: المكتب الإسلامي بيروت. سنة ١٣٩٠هـ.
٤٧ ـــ المطالب العالية. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٤٨ ـــ معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي. مع سنن أبي داود. إعداد: عزت عبيد الدعاس. الناشر: دار الحديث والطباعة والنشر. سنة ١٣٨٨هـ.
٤٩ ـــ معجم ألفاظ القرآن الكريم. مجمع اللغة العربية. الهيئة المصرية العامة. سنة ١٩٧٣هـ.
٥٠ ـــ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية. حمد الجاسر. الناشر: دار اليمامة. الرياض.
٥١ ـــ المعجم الكبير للطبراني. الدار العربية للطباعة. أعظمية نجيب باشا.
٥٢ ـــ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. للمقدم عاتق بن غيث البلادي. دار مكة. سنة ١٤٠٢هـ.
٥٣ ـــ معجم قبائل الحجاز. لعاتق بن غيث البلادي. الناشر: دار مكة للنشر. ط٢ ـــ سنة ١٤٠٣هـ.



بقلم :
د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
كلّيّة الدّعوة وأصول الدّين – الجامعة الإسلاميّة

الحمد لله الذي غرس شجرةَ الإيمان في قلوب من اختارهم لعبوديته، واختصَّهم بوافر فضلِه وجزيلِ نعمته، وفضّلهم بمنّه ورحمتِه على سائر خليقتِه، فهي ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد بن عبد الله ورسوله، وخيرته من خَلْقه، وأَمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده ، أرسله رحمةً للعالمين، وقدوةً للعالمين، ومحجةً للسالكين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فلا يخفى على مسلمٍ ما للإيمانِ من أهميّةٍ عظيمةٍ، ومكانةٍ عاليةٍ رفيعةٍ، ودرجةٍ ساميةٍ مُنيفةٍ، فهو أعظمُ المطالبِ، وأَجَلُّ المقاصدِ، وأنبلُ الأهداف؛ إذ به ينال العبدُ سعادةَ الدنيا والآخرة، ويُدرِك أهمَ المطالب وأجَلَّ المقاصد، ويظفرُ بالجَنَّةِ ونعيمِها، وينجو من النارِ وسخَطِ الجبَّارِ، وينالُ رضى الربِّ فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذّذُ بالنظرِ إلى وجهه الكريم في غير ضرّاءَ مضرّة ولا فتنةٍ مضلّةٍ، وثمراتُ الإيمان وفوائدُه كثيرةٌ لا تُحصى، فكم للإيمان من فوائدَ عظيمة، وثمارٍ يانعةٍ، وخيرٍ مستمرٍّ في الدنيا والآخرة.

ولما كان الإيمان بهذه المثابة وعلى هذا القدرِ من الأهمية، كانت النصوص المبيّنة لفضله والدالّة على شريف قدره كثيرةً جداً ومتنوّعةً؛ إذ إنَّ مِن حكمة الله البالغة ونعمته السابغة على عباده أنْ جعل الأمر كلّما كانت الحاجة إليه أعظم والضرورة إليه ألزم كانت براهينُه وطرقُ تحصيله وسُبُلُ نيلِه أوفر وأكثر، وحاجة العباد إلى الإيمان هي أعظم الحاجات، وهي أعظم من حاجتهم إلى طعامهم وشرابهم وسائر شؤونهم؛ ولذا كانت دلائلُ الإيمان أقوى الدلائل، وبراهينُه أصحَّ البراهين ، وسبلُ نيله وتحصيله أيسرَ السبل مسلكاً وأقربَها مأخذاً

وأسهلَها مُتناولا؛ ولذا أيضا تنوّعت وتعدّدت براهينُ الإيمان ودلائله الموضحة له إجمالاً وتفصيلاً.

وإنَّ من أعظم دلائل الإيمان التي اشتمل عليها القرآن ضربَ الأمثال التي بها تتّضح حقيقتُه، وتستبينُ تفاصيلُه وشعبُه، وتظهرُ ثمرتُه وفوائدُه.

والمَثلُ هو عبارة عن قولٍ في شيء يُشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما من الآخر وتصويره، ولا ريب ((أنَّ ضربَ الأمثالِ مما يأنسُ به العقلُ، لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى ــ وكلامه المشتمل على أعظم الحِجَج وقواطع البراهين ــ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(١)، وقد اشتمل منها [أي القرآن] على بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعضُ السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتدُّ بكاؤُه ويقول: لست من العالِمين))(٢).

وكان قتادة يقول: ((اعقِلوا عن الله الأمثال))(٣).

ومن هنا رأيتُ أن أقدِّم هذه الدراسة لأحدِ أمثال القرآن والسنة المشتملة على بيان الإيمان وتقريبه، وإيضاح أصلِه وفرعه وشُعبِه وثمراته، ومن الله وحده العونُ والتوفيقُ.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٤)، فهذا مَثَلٌ بديعٌ عظيمُ الفائدَة، مُطابقٌ لما ضُرِب له تمام المطابقة،

(١) سورة: العنكبوت، الآية: (٤٣).
(٢) الكافية الشافية لابن القيم (ص:٩).
(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٦).
(٤) سورة: إبراهيم، الآيات (٢٤،٢٥).

وقد بدأه الله بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾

أي: ألم ترَ بعين قلبك فتعلمَ كيف مثّل الله مثلاً وشبّهه شبهاً للكلمة الطيّبة كلمة الإيمان، وختَمَه بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

أي: أن القصد من ضرب هذا المثل وغيرِه من الأمثال هو تذكيرُ الناس ودعوتُهم إلى الاعتبار وعقلِ الخطاب عن الله.

ولا شك أنَّ هذا البدء والختم في الآية فيه أعظم حَضٍّ على تعلُّمِ هذا المثل وتَعَقُّلِه، وفيه دلالة على عِظم شأن هذا المثل المضروب، كيف لا وهو يتناول بيان الإيمان الذي هو أعظم المطالب وأشرف المقاصدِ على الإطلاق.

وعندما نتأمّل هذا المثل العظيم نجِدُ أنَّ الله تبارك وتعالى ذَكَر فيه مُمثَّلاً له، ومُمثَّلاً به، ووجهَ المثلية بينهما، فالممثَّلُ له هو الكلمة الطيّبة، والممثَّلُ به الشجرةِ الطيّبة، ووجه المثلية هو كما قال الله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فشبَّهَ تبارك وتعالى كلمةَ الإيمان الثابتة في قلب المؤمن وما يترتّب عليها من فروع وشُعب وثمار بالشجرة الطيّبة الثابتة الأصل الباسقةِ الفرع في السماء علوّاً، التي لا تزالُ تؤتِي ثمراها كلَّ حين، ومن يتأمّل في المُمثّلِ به وهو الشجرة الطيّبة، والممثّل له وهو كلمة الإيمان في قلب المؤمن وما يترتّب عليها من ثمارٍ يجدُ أوصافاً عديدةً متطابقة بينهما، وقد أُشيرَ إلى بعضها في الآية كما تقدّم.

ولذا يقول ابن القيّم رحمه الله: ((وإذا تأمّلتَ هذا التشبيه رأيتَه مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعُها من الأعمال الصالحة صاعدةً إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تُثمر الأعمال الصالحة كلَّ وقتٍ، بحسب ثباها في القلب، ومحبَّة القلب لها، وإخلاصِه فيها، ومعرفتِه بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتِها حقَّ رعايتها، فمَن رسخت هذه الكلمة في قلبه

بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتَّصف قلبُه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسنَ صبغة منها، فعرَفَ حقيقةَ الإلهية التي يُثْبتها قلبُه لله ويشهدُ بها لسانُه وتصدِّقُها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمَها عن كلِّ ما سوى الله، وواطأ قلبُه لسانَه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحُه لمن شهد له بالوحدانية طائعةً سالكةً سُبلَ ربِّه ذُلُلاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلبُ سوى معبوده الحق بدلاً؛ فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرَتَها من العمل الصالح الصاعدِ إلى الله كلَّ وقت، فهذه الكلمة الطيّبةُ هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الربّ تعالى، وهذه الكلمةُ الطيّبةُ تُثمرُ كلماً كثيراً طيّباً يقارِنُه عملٌ صالحٌ فيرفع العملُ الصالح الكلمَ الطيّب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾، فأخبر سبحانه أنَّ العملَ الصالحَ يرفعُ الكلِمَ الطيِّب، وأخبر أنَّ الكلمةَ الطيّبة تُثمر لقائلها عملاً صالحاً كلَّ وقت.

والمقصود أنَّ كلمةَ التوحيد إذا شهد بها المؤمنُ عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً، متَّصفاً بموجبها قائماً قلبُه ولسانُه وجوارحُه بشهادته؛ فهذه الكلمةُ الطيّبةُ هي التي رفعتْ هذا العملَ من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متَّصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرها كلَّ وقت))[1].

وقد صحّ في الحديث عن النبي ﷺ أنَّ الشجرةَ الطيّبة هي النخلة، وذلك فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، وهو مخرّج في الصحيحين من طرق كثيرة عنه رضي الله عنه.

فقد روى البخاري ومسلم عن إسماعيل بن جعفر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ من الشجر شجرةً

(١) إعلام الموقعين (١/١٧٢،١٧٣).

لا يسقطُ ورقُها، وإنَّها مثلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع النـــاس في شــجر البوادي[١]. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النخلة، فاستحييت، ثم قـــالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: هي النخلة)).

قال: فذكرتُ ذلك لعمر. قال: لأَنْ تكون قلتَ : هي النخلة، أحبّ إليّ من كذا وكذا[٢]. وهذا لفظ مسلم.

ورواه البخاري من طريق سليمان، عن عبد الله بن دينار به[٣].

ومن طريق مالك، عن عبد الله بن دينار به[٤].

وروى البخاري ومسلم عن ابن أبي نُجيح، عن مجاهد قال: صحِبتُ ابـــنَ عمر إلى المدينة فلم أسمعهُ يحدِّث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً قال: كنـــا عند النبي ﷺ، فأُتي بجُمّار، فقال: ((إنَّ من الشجر شجرةً مثلها كمثل المسـلم)). فأردتُ أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ. قال النبي ﷺ: ((هي النخلة))[٥].

ورواه البخاري من طريق أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عمـــر رضـــي الله عنهما قال: ((كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جُمَّاراً، فقال: ((من الشجر شجرةٌ كالرجل المؤمن)). فأردتُ أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أحدثهم. قال: ((هـــي النخلة))[٦].

---

(١) أي: ((ذهبت أفكارهم في أشجار البادية، فجعل كلٌّ منهم يفسِّرها بنوع من الأنـــواع، وذهلوا عن النخلة)). فتح الباري لابن حجر (١٤٦/١).

(٢) البخاري (٣٨/١)، ومسلم (٢١٦٤/٤).

(٣) البخاري (٣٨/١).

(٤) البخاري (٦٣/١).

(٥) البخاري (٤٣/١)، ومسلم (٢١٦٥/٤).

(٦) البخاري (١١٥/٢).

ورواه البخاري من طريق الأعمش قال: حدّثني مجاهد، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((بينا نحن عند النبي ﷺ جلوسٌ، إذ أُتِي بجُمّار نخلة، فقال النبي ﷺ: إنَّ من الشجر لما بركته كبركة المسلم)). فظننت أنّه يعني النخلة، فأردت أن أقول هي النخلة يا رسول الله، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة، أنا أحدثهم، فسكتُّ، فقال النبي ﷺ: ((هي النخلة))[1].

ورواه البخاري من طريق زُبيد، عن مجاهد به مختصراً[2].

ورواه مسلم من طريق أبي خليل الضُّبَعِيِّ، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: ((أخبروني عن شجرة، مثلُها مثلُ المؤمن))، فجعل القوم يذكرون شجراً من البوادي. قال ابن عمر: وأُلقي في نفسي أو روعي أنها النخلة. فجعلتُ أريد أن أقولها، فإذا أسنانُ القوم، فأهابُ أن أتكلّم، فلما سكتوا، قال رسول الله ﷺ: ((هي النخلة))[3].

ورواه مسلم أيضاً من طريق سيف، عن مجاهد به[4].

وروى البخاري ومسلم عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تُشبه أو كالرجل المسلم لا يتحاتُّ ورقُها ولا ولا ولا[5]، تؤتي أكلها كلَّ حين. قال ابن

---

(١) البخاري (٣/٤٤٤).

(٢) البخاري (٣/٤٤٥).

(٣) مسلم (٤/٢١٦٥).

(٤) مسلم (٤/٢١٦٦).

(٥) تكرّر النفي ثلاث مرات هكذا على طريق الاكتفاء في لفظ البخاري، ووقع ذكر النفي مرة واحدة في رواية مسلم، فاستشكل ذلك بعض الرواة، وظنَّ ((لا)) زائدة.
قال إبراهيم بن سفيان ــ أحد رواة صحيح مسلم ــ: ((لعلَّ مسلماً قال: ((وتؤتي أكلها)). وكذا وجدت عند غيري أيضاً، ولا تؤتي أكلها كلَّ حين)). صحيح مسلم (٤/٢١٦٦).

=

عمر: فوقع في نفسي أنَّها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلّمان، فكرهتُ أن أتكلّم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد وقع في نفسي أنَّها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلَّم؟ قال: لم أرَكُم تكلَّمون فكرهتُ أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: لأَنْ تكون قلتَها أحبُّ إليّ من كذا وكذا))[١].

وروى البخاري من طريق محارب بن دِثار: سمعت ابنَ عمر يقول: قال النبي ﷺ: ((مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ورقها ولا يتحاتُّ. فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردتُ أن أقول هي النخلة ــ وأنا غلام شاب ــ فاستحييت، فقال: هي النخلة))[٢].

ورواه البخاري تعليقاً من طريق حفص بن عاصم، عن ابن عمر مثله[٣].

فهذا مجموع ما في الصحيحين من طرق لهذا الحديث العظيم، وللحديث طرقٌ أخرى خارج الصحيحين في السنن والمسانيد والمعاجم، سيأتي الإشارة إلى شيء منها.

= ظنّ أنَّ لفظة ((لا)) في الحديث متعلّقةٌ بقوله: ((تؤتي أكلها))، فاستشكل هذا، فقال: ((لعل مسلماً رواه ((وتؤتي أكلها)) أي بإسقاط ((لا)).

قال القاضي وغيرُه من الأئمة: ((وليس هو بغلط كما توهّمه إبراهيم، بل الذي في مسلم صحيحٌ، بإثبات ((لا))، وكذا رواه البخاري بإثبات ((لا))، ووجهه أنَّ لفظة ((لا)) ليست متعلّقة بـ ((تؤتي))، بل متعلّقة بمحذوف تقديره: لا يتحات ورقها، ولا مكرّر، أي لا يصيبها كذا ولا كذا)). شرح صحيح مسلم للنووي (١٥٦/١٧).

قال الحافظ ابن حجر: ((وقد وقع عند الإسماعيلي بتقديم: ((تؤتي أكلها كل حين)) على قوله: ((لا يتحاتُّ ورقها)) فسلِم من الإشكال)). فتح الباري (١٤٦/١).

(١) البخاري (٢٤٦/٣)، ومسلم (٢١٦٦/٤).

(٢) صحيح البخاري (١١٣/٤).

(٣) صحيح البخاري (١١٣/٤).

ثم إنَّ البخاري ــ رحمه الله ــ وقد روى الحديث في مواطن عديدة من صحيحه فقد روى الحديث في كتاب التفسير من صحيحه، في باب: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وهو بذلك يشير إلى أنَّ المراد بالشجرة المذكورة في الآية هي النخلة، فيكون الحديث بذلك مفسِّراً للآية.

وقد ورد هذا صريحاً فيما رواه البزار من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ((قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ . . .﴾ فقال: أتدرون ما هي؟ قال ابن عمر: لم يَخْفَ عليَّ أنَّها النخلة، فمنعني أن أتكلّم مكان سِنِّي، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة))(١).

قال ابن حجر: ((ويُجمع بين هذا وبين ما تقدّم أنّه ﷺ أُتي بالجُمّار فشرع في أكله تالياً للآية قائلاً: إنَّ مِنَ الشجر شجرةً ... إلى آخره، ووقع عند ابن حبان من رواية عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ يخبرني عن شجرة مثلها مثل المؤمن، أصلها ثابت وفرعها في السماء؟ ...)) فذكر الحديث، وهو يؤيّد رواية البزار))(٢).

ويؤيّد هذا أيضاً الروايات الكثيرة الواردة عن السلف الصحابة وغيرهم في تفسير الشجرة الطيّبة في الآية بأنّها النخلة.

فقد روى الترمذي وغيره عن شعيب بن الحبحاب قال: كنّا عند أنس فأتينا بطبق عليه رطب، فقال أنس رضي الله عنه لأبي العالية: ((كُلْ يا أبا العالية، فإنَّ هذا من الشجرة التي ذَكَر الله في كتابه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قال: هكذا قرأها يومئذ أنس)).

---

(١) أورده الحافظ في الفتح (١/١٤٦).
(٢) فتح الباري (١/١٤٦،١٤٧).

ورواه الترمذي من وجه آخر مرفوعاً، وقال: ((هذا الموقوف أصح))(١).

وقد جاء هذا المعنى عن غير واحد من السلف، منهم: ابن عباس، ومجاهد، ومسروق، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد(٢).

وقد أفصح رسول الله ﷺ عن المعنى المتقدّم، وهو تشبيه المؤمن بالنخلة في أوجز عبارة، وذلك فيما رواه الطبراني في المعجم الكبير والبزار من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ((مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها مِنْ شيئ نفعك))(٣).

والنخلة إنما حازت هذه الفضيلة العظيمة بأَنْ جُعلت مثلاً لعبد الله المؤمن؛ لأنّها أفضلُ الشجر وأحسنُه، وأكثرُه عائدة.

---

(١) سنن الترمذي (رقم:٣١١٩)، ورواه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والرامهرمزي في الأمثال كما في الدرّ المنثور للسيوطي (٥/٢٢).

(٢) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري (٨/٢٠٤ ــ ٢٠٦)، والدر المنثور للسيوطي (٥/٢٢،٢٣).

ومن السلف من ذهب إلى أنّ المراد بالشجرة الطيبة هي المؤمن نفسه، وممن روي عنه ذلك ابن عباس، وعطية العوفي، والربيع بن أنس، روى ذلك عنهم ابن جرير في تفسيره (٨/٢٠٤).

قال ابن القيّم رحمه الله: ((ولا اختلاف بين القولين، والمقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبّهةٌ به وهو مشبّه بها، وإذا كانت النخلة شجرةً طيّبةً، فالمؤمن المشبّه بها أولى أن يكون كذلك)). إعلام الموقعين (١/١٧٣).

ومنهم من ذهب إلى أن المراد بالشجرة الطيّبة شجرة في الجَنّة، روى ذلك ابن جرير (٨/٢٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم قال: ((أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال هي النخلة لصحَّة الخبر عن رسول الله ﷺ ...)).

قال ابن القيّم رحمه الله: ((ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة فالنخلة من أشرف أشجار الجنّة)). إعلام الموقعين (١/١٧٣).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢/رقم:١٣٥١٤).

قال الحافظ في الفتح (١/١٤٧): ((وإسناده صحيح)).

وقد أفرد أبو حاتم السجستاني ــ رحمه الله ــ كتاباً خاصاً بالنخل ، بيّن فيه فضله وخصائصه وأسماءه، وذكر أبحاثاً عديدةً مفيدةً متعلّقةً به، قال في أوله:

((النخلة سيّدة الشجر، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه، وقد ضربها الله جلّ وعزّ مثلاً لقول ((لا إله إلا الله)) فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي قول: ((لا إله إلا الله))، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة. فكما أنَّ قول ((لا إله إلا الله)) سيّد الكلام، كذلك النخلة سيّدة الشجر))[١].

ثم أخذ يفصّل القول في الكلام على هذه الشجرة الكريمة الفاضلة، واستشهد لقوله إنَّها مخلوقة من طين آدم عليه السلام بما ساقه بسنده من طريق مسرور بن مسعود التميمي قال: حدّثني الأوزاعي، عن عروة بن رُويم، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: ((أكرِموا عمَّتكم النخلة، فإنها خُلقت مِنَ الطين الذي خُلق منه آدم، وليس شيء يُلقح غيرها، وأطعِموا نساءكم الوُلَّد الرُّطَب فالتمر، وليس شيء من الشجر أكرم على الله جلّ وعزّ من شجرة نزلت تحتها مريم ابنة عمران)).

إلا أنَّ إسناد هذا الحديث واهٍ، فلا يصلح للاحتجاج، تفرّد به مسرور بن مسعود وهو متّهم.

قال ابن الجوزي: ((لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال ابن عدي: مسرور غير معروف وهو منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بما يرويها))[٢].

---

(١) كتاب النخل (ص:٣٣).
(٢) الموضوعات (١/١٢٩).

وقال الذهبي: ((غمزه ابن حبان، فقال: يروي عن الأوزاعي المناكير الكثيرة))[١].

وعلى كلٍّ، فلا ريب في فضل النخلةِ وشرفِها وتميّزها، ويكفيها فضيلةً أنَّها خُصّت من بين سائر الشجر بأن جُعلت مثلاً للمؤمن، وفي النصوص المتقدّمة ما يدلّ على أنواع من الفضائل والميزات للنخلة؛ كثبات الأصل وارتفاع الفرع، وإيتائها أكلها كلّ حين، ووصفها بالبركة، وأنَّها لا يؤخذ منها شيء إلا نفع، ونحو ذلك مما يدل على فضل النخلة وتميّزها.

ثمّ ها هنا أمرٌ مهمّ، وهو أنَّ النبي ﷺ عندما شبَّه المؤمن بالنخلة، لا شك أنَّ ثَمّ هناك أوجهاً عديدةً في الشبه بين المؤمن المطيع لله الذي قامت في قلبه كلمةُ الإيمان وانغرست في صدره وأخذت تُثمر الثمارَ اليانعة والخيرَ المتنوّع وبين النخلة.

ولا ريب أنَّ الوقوفَ على أوجه الشبَّه بينهما والحرص على معرفة ذلك والفقه فيه أمرٌ جديرٌ بالاهتمام والعناية؛ لعظم فائدته وكثرة منافعه، والله تعالى قد أرشد في كتابه إلى فهم هذا عندما مثّل المؤمن بها وذكر بعض أوجهِ الشَّبَّه بينهما حيث قال: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾

فهذه أربعة وجوه في الشبه بينهما، ومن يتأمّل في الممثَّل والممثَّل به يجد بينهما من أوجه الشبّه الشيء الكثير ، ومن يطالع كلامَ أهل العلم في هذا الباب يقف من ذلك على لطائفَ جمّة وفوائد مهمّة. ولعَلّي فيما يلي أستعرض جملةً من أوجه الشبه بينهما من خلال ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في ذلك في كتب التفسير وشروحات الحديث وغيرها.

---

(١) الميزان (٥/٢٢٢)، وانظر: السلسلة الضعيفة للعلاّمة الألباني حفظه الله (١/٢٨٣،٢٨٤).

فمن هذه الأوجه(١):

أولاً: أنَّ النخلة لا بدّ لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، وكذلك شجرة الإيمان لا بدّ لها من أصل وفرع وثمر، فأصلها الإيمان بالأصول الستة المعروفة، وفرعُها الأعمال الصالحة، والطاعات المتنوّعة، والقربات العديدة، وثمراتُها كلُّ خير يحصِّلُه المؤمن، وكلُّ سعادة يجنيها في الدنيا والآخرة.

روى عبد الله في السنة عن ابن طاووس، عن أبيه قال: ((مثل الإيمان كشجرة؛ فأصلها الشهادة، وساقها وورقها كذا، وثمرُها الورع، ولا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه))(٢).

قال البغوي رحمه الله: ((والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أنَّ الشجرةَ لا تكون شجرةً إلاَّ بثلاثة أشياء؛ عِرق راسخ، وأصلٌ قائم، وفرع عالٍ، وكذلك الإيمان لا يتمّ إلا بثلاثة أشياء؛ تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأبدان))(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: ((الإخلاص والتوحيد شجرةٌ في القلب فروعُها الأعمال، وثمرها طِيبُ الحياة في الدنيا، والنعيمُ المقيمُ في الآخرة، وكما أنَّ ثمار الجَنَّة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوفُ والهمُّ والغمُّ وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزَّقومُ والعذاب المقيم، وقد

(١) وانظر في ذلك: مفتاح دار السعادة (١/١١٦ ــ ١٢٢)، وإعلام الموقعين (١/١٧١ ــ ١٧٥)، تفسير البغوي (٣/٣٣)، فتح الباري لابن حجر (١/١٤٥،١٤٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/٣٥٩،٣٦٠)، تفسير القاسمي (١٠/٣٧٢٧).

(٢) السنة لعبد الله (١/٣١٦).

(٣) تفسير البغوي (٣/٣٣).

ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم))[١].

ثانياً : أنَّ النخلة لا تبقى حيّةً إلاّ بمادة تسقيها وتنميها، فهي لا تحيا ولا تنمو إلاّ إذا سُقيت بالماء، فإذا حبس عنها الماء ذبلت، وإذا قطع عنها تماماً ماتت، فلا حياة لها بدونه، وهكذا الشأنُ في المؤمن لا يحيا الحياة الحقيقية ولا تستقيم له حياته إلاّ بسقي من نوع خاص، وهو سقيُ قلبه بالوحي، كلامِ الله وكلامِ رسوله ﷺ؛ ولهذا سمّى الله الوحيَ روحاً في نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢]، وقوله: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[٣]؛ لأنَّ حياة القلوب الحقيقية إنّما تكون به، وبدونه فإنَّ الإنسان يكون ميتا ولو كان بين الناس من الأحياء ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[٤]، ولذا يقول الله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فهذا وجه شبهٍ ظاهرٍ بين المؤمن والنخلة، فالنخلة لا تحيا إلاَّ إذا سُقيت بالماء، والمؤمن لا يحيا قلبُه إلاَّ إذا سُقي بالوحي، وكما أنَّ الأرض الميتة إذا أنزل الله عليها الماء اهتزَّت وربَتْ وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيجٍ، فكذلك القلب الميّت إذا سمع الوحي وقَبِلَه صَلُحَ وحسُنَ ونما فيه من الخير الشيءُ الكثير.

ولذا لّما حذّر الله في سورة الحديد من عدم الخشوع لذكر الله كحال الذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، قال عقِب ذلك

(١) الفوائد (ص:٢١٤،٢١٥).
(٢) سورة: الشورى، الآية: (٥٢).
(٣) سورة: النحل، الآية: (٢).
(٤) سورة: الأنعام، الآية: (١٢٢).
(٥) سورة: الأنفال، الآية: (٢٤).

سبحانه: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١) وفي هذا إشارة إلى أنّ الذي يُحيي الأرض بعد موتها بالماء فهو كذلك يُحيي القلوبَ بعد موتها بالوحي، ولكن ذلك إنّما يكون لمن عقل آيات الله.

وبهذا يتبيّن أنّ ((شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبُها بسقيها كلَّ وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكّر على التفكّر والتفكّر على التذكّر، وإلاّ أوشك أن تيبس، وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الإيمان يَخْلَقُ في القلب كما يَخلَقُ الثوبُ فجدّدوا إيمانكم))(٢). وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك، ومن هنا تعلم شدّة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظّفها عليها وجعلها مادة لسقي غِراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم))(٣).

ثالثاً: أنّ النخلةَ شديدةُ الثبوت، كما قال الله تعالى في الآية المتقدمة:﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾، وهكذا الشأنُ في الإيمان إذا رسخ في القلب فإنه يصير في أشدّ ما يكون من الثبات لا يزعزعه شيء، بل يكون ثابتاً كثبوت الجبال الرواسي.

سئل الأوزاعي رحمه الله عن الإيمان أيزيد؟ قال : ((نعم حتى يكون كالجبال،

---

(١) سورة: الحديد، الآية: (١٧).

(٢) روى الحاكم (٤/١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم كما يخلَق الثوب فاسألوا الله أن يجدّد إيمانكم)).
وقال الحاكم: ((رواته مصريون ثقات))، ووافقه الذهبي.
ورواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٥٢/١)، وقال الهيثمي: ((إسناده حسن))، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (رقم:١٥٩٠)، والسلسلة الصحيحة (١١٣/٤).

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم (١٧٤/١).

قيل: أينقص؟ قال: نعم حتى لا يبقى منه شيء))[١].

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن زيادة الإيمان ونقصانه فقال: ((يزيد حتى يبلغ أعلى السموات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع))[٢].

رابعاً: أنَّ النخلة لا تنبت في كلِّ أرض، بل لا تنبت إلاّ في أراضٍ معيّنةٍ طيّبة التربة، فهي في بعض الأماكن لا تنبت مطلقاً، وفي بعضها تنبت ولكن لا تثمر، وفي بعضها تُثمر ولكن يكون الثمر ضعيفاً، فليس كلُّ أرض تناسب النخلة.

قال أبو حاتم السجستاني: ((قالوا: وإنَّما يرديه ويسيء نبته طعمة الأرض، فيجيء ضخماً كثير القشر، سريع اليبس ثَنتاً، أي: عَفِناً، جَخِراً نَخِراً، والجخرُ: الضخم الذي ليست له قوة ولا تعجبه الأرض فيميل وينتفخ وتخوي نخلته وتردؤ، وإذا كان في أرض جيّدة السر جاء أبيضَ رقيقاً، وتراه كأنَّ طرفه يدري لا يُعوِّجه شيء حتى يدرك الماء بعُدَ أو قَرُب، وإذا كان العِرْق في أرضٍ طيّبةِ الطين وقف ساعةً يشرع في الماء؛ لأنَّه يرجع إلى طينة طيبة وطعمة تعجبه، ولم ينحدِر إلاّ طلبَ الماء، فلما شام الماءَ وقف، وإذا انحدر من أرضٍ خبيثة الطين ليس لها سرٌّ انخرط حتى يتثنى في الماء عفناً؛ لأنّه إنما ساقه طلب الماء، فلما وجد طعمة الماء جعل انخراطاً فيه مِن بُغض ما فوقه))[٣]. فليست كلُّ أرضٍ تناسب النخلة.

وهكذا الشأنُ في الإيمان فهو لا يثبت في كلِّ قلب ، وإنَّما يثبتُ في قلب من كتب الله له الهدايةَ وشرح صدرَه للإيمان، والقلوب أوعيةٌ متفاوتةٌ، ولهذا صحّ في الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثلُ ما بعثني الله

(١) رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/٩٥٩).
(٢) رواه ابن أبي يعلى في الطبقات (١/٢٥٩).
(٣) كتاب النخل (ص:٦٦،٦٧).

به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب الأرضَ ، فكانت منها طائفةٌ قبلت الماءَ فأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادب قد أمسكت الماءَ فنفَع الله به النَّاسَ فشربوا منها ورعوا وسقوا، وأصابت طائفة أخرى إنَّما هي قِيعان فلا تمسك ماءً ولا تنبتُ كلأً، كذلك مثلي ومثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِمَ وعلَّم، ومثَل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به))[1].

خامساً: أنَّ النخلةَ قد يخالطها دغلٌ ونبت غريبٌ ليس من جنسها قد يؤذي النخلةَ، ويضعف نموها، ويزاحمها في سقيها؛ ولهذا تحتاج النخلة في هذه الحالة إلى رعايةٍ خاصّة وتعاهدٍ من صاحبها بحيث يُزال عنها هذا الدغل والنوابت المؤذية، فإن فعل ذلك كمُل غرسه، وإن أهمله أوشك أن يغلب على الغرس فيكون له الحكم ويضعف الأصل.

وهكذا الأمر بالنسبة للمؤمن، لا شك أنَّه يصادفُه في الحياة أمورٌ كثيرةٌ قد توهي إيمانَه وتُضعف يقينَه، وتزاحم أصلَ الإيمان الذي في قلبه؛ ولهذا يحتاج المؤمن أنْ يحاسب نفسَه في كلِّ وقت وحين، ويجاهدها في ذلك، ويجتهد في إزالة كلِّ وارد سيئ على القلب، ويُبعد عن نفسه كلَّ أمر يؤثِّر على الإيمان كوساوس الشيطان، أو النفس الأمّارة بالسوء، أو الدنيا بفتنها ومغرياتها أو غير ذلك، والله يقول: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

سادساً: أنَّ النخلةَ كما أخبر الله ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ والأكل الثمر، فهي تؤتي ثمرها كلَّ حين ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً إمّا تمراً أو بُسراً أو رُطَباً.

وكذلك المؤمن يصعد عملُه أوّل النهار وآخره، قال الربيع بن أنس: ﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾: ((أي كلّ غدوة وعشية؛ لأنَّ ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً وصيفاً

---

(١) صحيح البخاري (١/٤٥)، وصحيح مسلم (٤/١٧٨٧).
(٢) سورة: العنكبوت، الآية: (٦٩).

وشتاءً، إمّا تمراً أو رطباً أو بُسراً، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره))(١).

وقال الضحاك: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: ((تخرج ثمرها كلَّ حين، وهذا مثل المؤمن يعمل كلَّ حين كلَّ ساعة من النهَار، وكلَّ ساعة من الليل وبالشتاء والصيف بطاعة الله))(٢).

وقد أورد ابن جرير رحمه الله عن السلف عدّةَ أقوال في المراد بقوله تعالى: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ ثم قال : ((وأولى الأقوال في ذلك عندي قول من قال: عنى بالحين في هذا الموضع: غدوة وعشية وكلَّ ساعة؛ لأنَّ الله تعالى ذكرُه ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كلّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً، ولا شك أنَّ المؤمنَ يُرفع له إلى الله في كلِّ يوم صالح من العمل والقول، لا في كل سنة أو في كل ستة أشهر أو في كلِّ شهرين، فإذا كان ذلك كذلك فلا شك أنَّ المثل لا يكون خلافاً للممثَّل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك كان بيِّناً صحة ما قلنا. فإن قال قائل: فأيُّ نخلة تؤتي في كلِّ وقت أكلاً صيفاً وشتاء؟ قيل: أما في الشتاء فإنَّ الطلع من أكلها، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسر والرطب والتمر، وذلك كلّه من أكلها))(٣).

ثم روى عن قتادة أنه قال: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: ((يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف)).

سابعاً: أنَّ النخلةَ فيها بركةٌ في كلِّ جزء من أجزائها، فليس فيها جزء لا يُستفاد منه، وهكذا الشأنُ بالنسبة للمؤمن، وقد جاء في صحيح البخاري في

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/٣٣).
(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٨/٨).
(٣) تفسير الطبري (٢١٠/٨).

بعض ألفاظ حديث ابن عمر المتقدّم من رواية الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: ((إنَّ من الشجر لما بركته كبركة المسلم ...)) الحديث.

((وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرّة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك يُنتفع بجميع أجزائها حتى النَّوى في علف الدوابّ والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى ، وكذلك بركة المسلم عامّة في جميع الأحوال، ونفعُه مستمر له ولغيره حتى بعد موته))(١).

ثامناً: أنَّ النخلةَ كما وصفها النبيّ ﷺ: ((لا يسقط ورقُها)) وبين المسلم والنخلة في هذا وجه شبه يتضح بما رواه الحارث بن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر، ولفظه: قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: إنَّ مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة، أتدرون ما هي؟ قالوا : لا. قال: هي النخلة، لا تسقط لها أنملة، ولا تسقط لمؤمن دعوة))(٢).

قال القرطبي في تفسيره مبيِّناً أهميةَ هذه الزيادة وعِظم فائدتها: ((وزاد فيه الحارث بن أسامة زيادةً تساوي رحلة عن النبي ﷺ قال: ((وهي النخلة لا تسقط لها أنملة، وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة)) فبيّن معنى الحديث والمماثلة))(٣).

والدعاء مأمور به كما هو معلوم، وموعود عليه بالإجابة كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٤) لكن الدعاء سببٌ مقتضٍ للإجابة مع

(١) فتح الباري لابن حجر (١/١٤٥،١٤٦).
(٢) فتح الباري (١/١٤٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٣٦).
(٤) سورة: غافر، الآية: (٦٠).

استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تتخلّف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه وآدابه والتي من أعظمها حضور القلب ورجاء الإجابة، والعزم في المسألة(١).

وذكر ابن القيّم رحمه الله في معنى الحديث وجهاً آخر وهو أنَّ ذلك يدلّ على: ((دوام لباسها وزينتها فلا يسقط عنها صيفاً ولا شتاءً، كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافيَ ربَّه تعالى))(٢).

تاسعاً: أنَّ النخلة وُصفت في الآية بأنَّها طيّبة، وهذا أعمّ من طيب المنظر والصورة والشكل، ومن طيب الريح وطيب الثمر وطيب المنفعة، والمؤمن أجلّ صفاته الطيب في شؤونه كلّها وأحواله جميعها، في ظاهره وباطنه وسرِّه وعلنه؛ ولهذا عندما يدخل المؤمنون الجَنَّةَ تتلقّاهم خزنتها وتقول لهم: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾(٥).

فالطيب أَجَلُّ صفاتهم وأجمل نعوتهم وأحسن حليتهم في أحوالهم كلها، في أقوالهم وأعمالهم وفي حركاتهم وسكناتهم وشؤونهم جميعها.

عاشراً: أنَّ النخلةَ وُصفت بأنّها: ((ما أخذتَ منها من شيء نفعك)) كما في حديث ابن عمر المتقدّم، و ((النخلة كلها منفعة، لا يسقط منها شيء بغير

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص:٣٦٨).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/١١٦).
(٣) سورة: الزمر، الآية: (٧٣).
(٤) سورة: النحل، الآية: (٣٢).
(٥) سورة الحج، الآية: (٢٣،٢٤).

منفعة، فثمرها منفعة، وجذعها فيه من المنافع ما لا يُجهل للأبنية والسقوف وغير ذلك، وسعفُها تُسقف به البيوت مكان القصب، ويُستر به الفُرَج والخَلَلُ، وخوصُها يُتخذ منه المكاتل والزنابيلُ وأنواعُ الآنية، والحُصُر وغيرها، ولِيفُها وكربها فيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس))[1].

وهكذا الشأن بالنسبة للمؤمن مع إخوانه وجلسائِه ورفقائه، لا يُرى فيه إلاّ الأخلاق الكريمة، والآداب الرفيعة، والمعاملة الحسنة، والنصح لجلسائه، وبذل الخير لهم، ولا يصل إليهم منه ما يضر، بل لا يصل إليهم منه إلاَّ ما ينفع كالكلمة الطيّبة والموعظة الحسنة والخلق الجميل والعون والمساعدة ونحو ذلك، فهو كالنخلة ما أخذتَ منه من شيء نفعك.

حادي عشر: أنّ النخل بينه تفاوت عظيمٌ في شكله ونوعه وثمره، فليست النخيل في مستوى واحد في الحسن والجودة، بل بينه من التفاوت والتمايز الشيء الكثير، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، فهو متفاوت في طعمه ومنظره ونوعه، وبعضَه أفضل من بعض.

وهكذا الشأن بين المؤمنين، فالمؤمنون متفاوتون في الإيمان، وليسوا في الإيمان على درجة واحدة، بل بينهم من التفاوت والتفاضل الشيء الكثير، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيّم (١/ ١٢٠).
(٢) سورة الرعد، الآية: (٤).
(٣) سورة فاطر، الآية: (٣٢).

ثاني عشر: أنَّ النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد، وغيرُها من الدوح العظام تميلها الريح تارة، وتقلعها تارة، وتقصف أفنانها، ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة ، فكذلك المؤمن صبورٌ على البلاء لا تزعزعه الرياح، وقد اجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على أقداره المؤلمة، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

ثالث عشر: أنَّ النخلةَ كلَّما طال عمرُها ازداد خيرُها وجاد ثمرُها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيرُه وحسن عمله.

روى الترمذي عن عبد الله بن بُسر: أنَّ أعرابياً قال: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: ((من طال عمرُه وحَسُن عملُه))[3].

وروى أيضاً عن أبي بكرة: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أيّ الناس خير؟ قال: ((من طال عمرُه وحَسُن عملُه)). قال: فأيّ الناس شرّ؟ قال: ((من طال عمره وساء عملُه))[4].

وروى الإمام أحمد، والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن عبد الله بن شدّاد : أنَّ نفراً من بني عُذْرَة ثلاثةً أتوا النبيَّ ﷺ فأسلموا قال: فقال النبي ﷺ :

(١) سورة البقرة، الآيات: (١٥٥،١٥٦،١٥٧).
(٢) سورة الزمر، الآية: (١٠).
(٣) سنن الترمذي (٤/٥٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧١).
(٤) سنن الترمذي (٤/٥٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧١).

((من يكفينيهم)) قال طلحةُ: أنا، قال: فكانوا عند طلحة فبعث النبي ﷺ بعثاً فخرج فيه أحدُهم فاستشهدَ، قال: ثم بَعَثَ بعثاً آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالثُ على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استُشهد أخيراً يليه، ورأيت الذي استُشهد أوَّلَهم آخرَهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله ﷺ: ((ما أنكرتَ من ذلك، ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يُعمَّرُ في الإسلام يَكثُر تكبيرُه وتسبيحُه وتهليلُه وتحميدُه))(١).

رابع عشر : أنَّ قلبَ النخلة ــ وهو الجُمّار ــ من أطيب القلوب وأحلاها، وقد مرّ معنا في بعض طرق حديث ابن عمر المتقدّم: ((أنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بجُمَّار وشرع في أكله ثم قال: إنَّ من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم)).

وجُمّار النخلة حلو الطعم جميل المذاق، وهو من أطيب القلوب وأحسنها، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب وأحسنها، لا يحمل إلاّ الخير ولا يبطن سوى الاستقامة والصلاح والسلامة.

خامس عشر: أنَّ النخلة لا يتعطّل نفعها بالكليّة أبداً، بل إن تعطلت منها منفعة ففيها منافع أخر، حتى لو تعطّلت ثمارها سنة لكان للناس في سعفها وخوصها وليفها وكربها منافع وآراب، وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير قط، بل إن أجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانبٌ، فلا يزال خيرُه مأمولاً وشرُّه مأموناً، روى الترمذي عن النبي ﷺ أنّه قال : ((خيركم

(١) المسند (١/١٦٣)، والسنن الكبرى للنسائي كتاب: عمل اليوم والليلة (رقم:١٠٦٧٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (رقم:٦٥٤).

من يُرجى خيرُه ويؤمنُ شرُّه، وشرُّكم من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شرُّه))(١).

ولذا ورد عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: ((هي النخلة لا تزال فيها منفعة))(٢)، وهكذا الشأن في المؤمن ـ كما هو في النخلة ـ لا يزال فيه منفعة، بل منافع وذلك بحسب حظّه ونصيبه من الإيمان.

سادس عشر: أنَّ النخلةَ سهلٌ تناول ثمرها ومتيسّر، فهي إمَّا قصيرة فلا يحتاج المتناول أن يرقاها، وإمّا باسقة فصعودها سهلٌ بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال غيرها، فتراها كأنَّها قد هُيّئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها ، وكذلك المؤمن خيره سهلٌ قريبٌ لمن رام تناوله لا بالغرِّ ولا باللئيم.

سابع عشر: أنَّ ثمرها من أنفع ثمار العالَم، فإنَّه يؤكل رطبه فاكهة وحلاوة، ويابسُه يكون قوتاً وأُدْماً وفاكهة، ويُتخذ منه الخلّ والحلوى ، ويدخل في الأدوية والأشربة، وعموم النفع به أمرٌ ظاهر، وهكذا الشان في المؤمن في عموم منافعه وتنوّع خيراته ومحاسنه.

وكما أنَّ ثمر النخلة لطعمه حلاوة فكذلك الإيمان له حلاوة لا يذوقها إلاَّ صحيح الإيمان، ولهذا قال ﷺ: ((ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وَجَد بهنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلاّ لله، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار))(٣).

قال أبو محمد بن أبي جمرة: ((إنَّما عبَّر بالحلاوة لأنَّ اللهَ شبَّه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصلُ الإيمان، وأغصانُها اتّباع الأمر واجتناب النهي، وورقُها ما يهتمّ

(١) سنن الترمذي (رقم:٢٢٦٣)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (رقم:٣٣٢٠).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/٢٠٥).

(٣) رواه البخاري (١/٢٢)، ومسلم (١/٦٦).

به المؤمنُ من الخير، وثمرها الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها))(١).

ثامن عشر: ومن طريف ما يُذكر هنا حول تطابق الصفات بين النخلة في كلِّ أجزائها مع صفات المؤمن ما ذكره ابن القيم رحمه الله حيث قال: ((وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المسلم وجعل لكلِّ منفعة منها صفة في المسلم تقابلها ، فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزائه من المسلم صفةَ الحدَّة على أعداء الله وأهل الفجور، فيكون عليهم في الشدّة والغلظة بمترلة الشوك، وللمؤمنين والمتقين بمنزلة الرطب حلاوة ولينا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٢)))(٣).

ولذا يوصف بعض أهل العلم الذين لهم بلاءٌ في الردّ على المبطلين، وبعضُ المجاهدين الذين لهم بلاءٌ في مقاتلة أعداء المسلمين بأنّهم شوكة في حلوق الأعداء.

فهذه بعض أوجه الشبه بين المؤمن وبين النخلة، وقد ذكر بعضُ الشرّاح أوجهاً في الشبه أخرى لكنها ضعيفة وبعضها باطل ، وقد لخّص ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري فقال: ((وأمّا من زعم أنَّ موقعَ التشبيه بين المسلم والنخلة من جهة كون النخلة إذا قُطع رأسها ماتت، أو لأنَّها لا تحمل حتى تلقح، أو لأنَّها تموت إذا غرقت، أو لأنَّ لطلعها رائحة مَنيِّ الآدمي، أو لأنَّها تعشق، أو لأنَّها تشرب من أعلاها فكلّها أوجه ضعيفة؛ لأنَّ جميع ذلك من المشابهات مشترك في الآدميين لا يختصّ بالمسلم، وأضعف من ذلك قول من زعم

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٦٠).
(٢) سورة: الفتح، الآية: (٢٩).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٢٠،١٢١).

أنَّ ذلك لكونها خُلقت من فضلة طين آدم، فإنَّ الحديث في ذلك لم يثبت، والله أعلم))[١].

بما تقدّم يُعلم أنَّ الإيمان شجرةٌ مباركة عظيمةُ النفع غزيرةُ الفائدة كثيرةُ الثمر، لها مكان خاص تُغرس فيه، ولها سقيٌّ خاص، ولها أصل وفرع وثمار.

أمَّا مكانها فهو قلب المؤمن، فيه توضع بذورها وأصولها، ومنه تتفرّع أغصانها وفروعها.

وأمّا سقيها فهو الوحي المبين، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فبه تُسقى هذه الشجرة، ولا حياة لها ولا نماء إلا به.

وأمّا أصلها فهو أصول الإيمان الستة وأعلاها الإيمان بالله تعالى، فهو أصل أصول هذه الشجرة المباركة.

وأمّا فروعها فهي الأعمال الصالحة والطاعات المتنوّعة والقربات العديدة التي يقوم بها المؤمن.

وأمّا ثمارها فكلُّ خير وسعادة ينالها المؤمن في الدنيا والآخرة، فهو ثمرة من ثمار الإيمان ونتيجة من نتائجه.

وقد أفرد الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في هذا الباب رسالة لطيفة أسماها: ((التوضيح والبيان لشجرة الإيمان)) أتى فيها على أهمّ معالم هذه الشجرة المباركة شجرة الإيمان بدأها رحمه الله بتفسير الإيمان وبيان حدِّه، ثمّ ثنّى بذكر أصوله ومقوّماته ومن أيّ شيء يستمدّ، ثم ثلّث بذكر فوائده وثمراته، وانطلق في ذلك رحمه الله من الآية الكريمة المتقدّمة المشتملة على تمثيل كلمة الإيمان في قلب المؤمن التي هي أفضل الكلمات بالنخلة التي هي أطيب الأشجار.

---

(١) فتح الباري (١٤٧/١).

ثم إنَّ ((هذه الشجرة متفاوتة في قلوب المؤمنين تفاوتاً عظيماً، بحسب تفاوت هذه الأوصاف التي وصفها الله بها، فعلى العبد الموفّق أن يسعى لمعرفتها ومعرفة أوصافها وأسبابها وأصولها وفروعها ويجتهد في التحقق بها علماً وعملاً، فإنَّ نصيبه من الخير والفلاح والسعادة العاجلة والآجلة بحسب نصيبه من هذه الشجرة))[1].

وخير ما يُوضّح به أصول هذه الشجرة وفروعها حديث شعب الإيمان المعروف الذي خرّجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شُعب الإيمان))، فهذا الحديث فيه أعظم بيان لهذه الشجرة المباركة أصولها وفروعها سواء القائم منها بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، ولهذا يقول الإمام ابن منده ــ رحمه الله ــ في كتابه الإيمان بعد أن أورد حديث ابن عمر المتقدّم والمشتمل على تمثيل المؤمن بالنخلة: ((... ثم فسّر النبي ﷺ الإيمان بسنته إذ فهم عن الله مَثَلَه فأخبر أن الإيمان ذو شُعب أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، فجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان، وجعل شعبه الأعمال))[2].

وقد اجتهد جماعةٌ من شراح هذا الحديث في عدِّ هذه الشُعب وحاولوا حصرها، وصنّفوا في هذا مصنّفات عديدة مختصرة ومطوّلة، واتّبعوا في ذلك طرائق متنوّعة، إلاّ أنَّ أحسن طريقةٍ في ذلك طريقةُ ابن حبان رحمه الله، إذ هي طريقة فذّة فريدة استغرقت وقتاً طويلاً وجهداً بالغاً.

قال رحمه الله في وصف طريقته هذه: ((وقد تتبّعت معنى الخبر مدّةً، وذلك

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي (ص:٦،٧).

(٢) الإيمان (٢/٣٥٠).

أنَّ مذهبنا أنَّ النبيَّ ﷺ لم يتكلّم قطّ إلاّ بفائدة، ولا من سننه شيءٌ لا يُعلم معناه، فجعلتُ أعُدُّ الطاعات مِن الإيمان، فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً، فرجعتُ إلى السنن، فعددتُ كلَّ طاعةٍ عدَّها رسول الله ﷺ من الإيمان، فإذا هي تنقُصُ من البضع والسبعين، فرجعتُ إلى ما بين الدّفتين من كلام ربِّنا، وتلوتُه آيةً آيةً بالتدبّر، وعددتُ كلَّ طاعةٍ عدَّها الله جلّ وعلا من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضممتُ الكتاب إلى السنن، وأسقطتُ المُعادَ منها، فإذا كلّ شيء عدّه الله جلَّ وعلا من الإيمان في كتابه، وكلُّ طاعة جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان في سننه تسعٌ وسبعون شعبةً لا يزيد عليها ولا ينقُص منها شيء، فعلمتُ أنَّ مراد النبي ﷺ كان في الخبر أنَّ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة في الكتاب والسنن، فذكرتُ هذه المسألة بكمالها بذكر شعبه في كتاب (وصف الإيمان وشعبه) بما أرجو أنَّ فيها الغُنْية للمتأمّل إذا تأمّلها، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب)) (١).

وهي طريقةٌ مجهدةٌ ولا شك، ومما يؤسف حقاً أنَّ كتابه (وصف الإيمان وشعبه) الذي أودعه جهده هذا مفقودٌ لا يُعرف له وجود الآن، بل أشار الحافظ ابن حجر في الفتح إلى أنّه لم يقف عليه.

وقد قام الحافظ رحمه الله بتلخيص شعب الإيمان من خلال ما جمعه غيرُ واحد من أهل العلم فخرج بملخّص عظيم النفع لشُعب الإيمان، فقال رحمه الله: ((وقد لخّصتُ ممّا أوردوه ما أذكره، وهو أنَّ هذه الشُعب تتفرّع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه: الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنَّه ليس كمثله شيء،

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان (١/٣٨٧،٣٨٨).

واعتقاد حدوث ما دونه. والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشرّه، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار. ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه: الصلاة عليه، واتباع سنته. والإخلاص، ويدخل فيه: تَرْكُ الرياءِ والنفاقِ. والتوبةُ، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه: توقير الكبير، ورحمة الصغير. وترك الكِبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحِقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال: التلفّظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلّم العلم وتعليمه، والدعاء، والذّكر، ويدخل فيه: الاستغفار. واجتناب اللّغو.

وأعمال البدن، وتشتمل عل ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختصّ بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حساً وحكماً، ويدخل فيه: اجتناب النجاسات. وستر العورة، والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة كذلك، وفكّ الرِّقاب، والجود، ويدخل فيه: إطعام الطعام، وإكرام الضيف. والصيام فرضاً ونفلاً، والحج، والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك. والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفّارات. ومنها ما يتعلّق بالاتباع، وهي ست خصال: التعفُّف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق. وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد. ومنها ما يتعلّق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة. والمعاونة على البِر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإقامة الحدود، والجهاد،

ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائـــه، وإكـــرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حلّه. وإنفاق المال في حقه، ومنه تـــرك التبذير والإسراف. وردّ السلام، وتشميت العاطس، وكفّ الأذى عن النـــاس، واجتناب اللّهو، وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة، ويمكـــن عدّها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضمّ بعضه إلى بعض مما ذُكـــر، والله أعلم))[١].

لكن ينبغي أن يُعلم أنَّ حصرَ هذه الشُعب وعدّها ليس شرطاً في الإيمان، بل يكفي المسلم من ذلك أن يقرأ كتاب الله وسنةَ رسوله ﷺ ويقوم بما فيهما مـــن أوامر، وينتهي عمّا فيهما من نواهي، ويصدِّق بما فيهما من أخبار، فمـــن قـــام بذلك فقد قام بشعب الإيمان، ونصيبُ العبد من هذه الشُعب هو بحسب نصيبـــه من القرآن والسنة علماً وعملاً وتطبيقاً.

ولذا يقول القاضي عياض ـــ رحمه الله ـــ: ((تكلّف جماعةٌ حصـــرَ هـــذه الشُعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقـــدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان))[٢].

ثم إذا كان مثلُ المؤمن مثل النخلة ووجه الشبه بينهما ظاهرٌ في أمورٍ كثـــيرةٍ تقدّم الإشارة إلى شيء منها، فإنَّ المؤمنين في ديارهم مثلهم مثل نخيل كثـــيرة في جنّة مباركة تـــؤتي أطايب الثمار وأحسن الأكل في كلِّ حين بإذن ربِّها.

وإذا كان هذا مثلُ المؤمنين في ديارهم فإنَّ مَثَل المصلحين فيهم مثل الفـــلاّح في بستانه، ومعلوم أنَّ أهل الفلاحة في بساتينهم ليسوا على مستوى واحـــد في الكفّاءة والقدرة وحسن الرعاية للنخيل والزروع والثمار، بـــل بينـــهم مِـــن

(١) فتح الباري (١/٥٢،٥٣).
(٢) فتح الباري (١/٥٢).

التفاوت في ذلك ما الله به عليم، ولا بأس هنا من ضرب ثلاثة أمثلة لثلاثة من الفلاّحين في مزارعهم يتّضِحُ به المُرَادُ والمقصود.

المثال الأول:

فلاّحٌ صفتُه فيما يراه الرائي غير مرضيّة، فهو حادٌّ الطبع، أحمر العينين، شديدُ الغضب، سريعٌ في اتّخاذ تدابيره، قليلُ الأناة، يتعامل مع نخيله في حديقته معاملة غريبة خرج بها عن سمت الحق في الفلاحة، واعتزل فيها طريق الصواب في ذلك، وذلك أنّه اعتقد في نخله أنَّ النخلة لا تكون مستحقةً هذا الاسم [أي النخلة] وما يصحب ذلك من رعاية وعناية إلاّ إذا كانت صحيحةً سليمةً مكمّلةً لا نقص فيها بوجه، ولهذا فإنّه إذا دبَّ إلى نخلةٍ من نخيله شيءٌ من النقص أو اعتراها شيءٌ من المرض أو داخلها شيءٌ من الخلل، فإنّه يبادر بلا هوادة ولا أناة إلى اجتثاثها من أصلها وقلعِها من جذورها ، ثم يلقي بها بأبعد ما يكون من مكان وراء حائطه. هذا دأبه مع نخيله، لا يهتمّ بأمر الإصلاح ولا يعتني بجانب الرعاية والعناية فيه، ولا ريب أن النتيجة الحتمية لهذا العمل هو تبدُّد حديقته، وتفكّك نخيله، وتناقصُه شيئاً فشيئاً.

أما المثال الثاني:

فهو فلاّحٌ آخر يتعامل مع نخيله بطريقة أخرى غريبة وعجيبة، إذ يعتقد أنَّ النخلة لا يصح وصفُها بالنقص مطلقاً، فكما أنَّ النخلة الميتة لا ينفعها وجود بعض أجزائها، فكذلك النخلة الحيّة القائمة لا يضرّها نقص بعض أجزائها، فالنخيل جميعه عنده سواء في درجة واحدة، المريض منه وما اعتراه نقصٌ والصحيح، كلُّه عنده بمستوى واحد وعلى درجة واحدة، بل يصرّح بأنّه سواسية كأسنان المشط لا فرق بينه ولا تمايز ولا تفاضل، حتى آل به الأمرُ إلى

عدم التمييز بين ثمار النخيل وأنواع التمور مما يُعلم بالضرورة عند كلّ أحد تمايزه وتفاضله.

ثم إنَّ هذا المعتقد الغريب أورث عند هذا الفلاح نوعاً غريباً من التعامل مع حديقته، فهو لا يتعاهدها بالرعاية، ولا يهتمّ بها في أمر السقاية، ولا يعتني بها، ولا يتفقّدها، وقد يمرض الكثير من نخيله، وقد يعتري العديد منه أنواعٌ من النقص والخلل والفساد فلا يكترث بهذا ولا يهتم، بل لا يزال مع ذلك كلّه معتقداً تمامَه وكماله وسلامته، ولا ريب أنَّ النتيجة الحتمية لهذا التصرّف هو ذهاب حديقته وزوالها بأسرع ما يكون.

أما المثال الثالث:

فهو فلاّحٌ نشأ على حبّ فلاحته منذ صغره، فهو حكيمٌ في رعايته لها، عالمٌ بطرق إصلاحِها وأسباب قوّتِها ونمائها، صبورٌ على شدّهَا ولأوائها، دقيقٌ في القيام بمستلزماها ومتطلباهَا، يهتم بنخله من أوّل غرسه تمام الاهتمام ، ويتعاهده بالسقي والإصلاح وإزالة النباتات الغريبة الدخيلة التي قد تؤذيه وتضرّه، يهتم بنخله كلّه دون تفريق بين قويِّه وضعيفه وجيِّده ورديئه، فما كان منه قوياًّ صحيحاً سليماً فإنَّ عينَه تقرُّ به ويَسُرُّ تمامَ السرور بحسنه وسلامته وكماله، ويواصل معه في هيئة أسباب ثباته وبقائه، وما كان منه ضعيفاً مريضاً ناقصَ النموِّ فإنَّ قلبه يألم له ويحزن لضعفه ونقصه ويتعامل معه معاملةً حكيمةً، فلا يجتثّه من أصله ويطرحه خارج حديقته، ولا يهمله بالكلية فيتركه بدون رعاية وعناية، بل يتّخذ في سبيل إصلاحه وتقويمه التدابيرَ الحكيمةَ، والمناهجَ السليمةَ، والطرقَ الصحيحةَ القويمة، والتي من شأنها بتوفيق الله وتسديده صلاحُ نخله وثباته وحسن نمائه، ولا ينقطع عند اتّخاذ هذه التدابير عن مشاورة ذوي الفضل والحنكة والتجربة، ثم هو قبل هذا كلّه قويُّ الصلة بالله عظيمُ الثقة به، يبرأ من حول نفسه وقوّته، ويعتقد أنّه لا حول له ولا قوّة إلاّ بالله العظيم الذي بيده أزمَّةُ

الأمور، ولذا فإنّ لسانه رطبٌ من ذكر الله، يُكثر من قول ((ما شاء الله لا قـوّة إلاّ بالله)) ، فلا تزال حديقتُه في نماء، ولا تزال نخيله في كثرة وازدياد بمرأى جميل ومظهر حسن تؤتي من أنواع الثمار وأطايب الأكل كلَّ حين بإذن ربِّه، ثم هـو عظيم الحمد لربِّه، كثيرُ الثناء عليه، عالمٌ بأنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فهذه ثلاثة أمثلة يتّضح من خلالها تنوّعُ مناهج المشتغلين بالإصلاح وتبـاينُ طرائقهم، ولا بأس من إيضاح أمرٍ غير خاف على المتأمِّل، وهو أنَّ المثـال الأول مضروب لحال المعتزلة والخوارج في التعامل مع عباد الله المؤمنين، فهم أهل شـدّة وغِلظةٍ وفضاضةٍ ، ومِن معتقداهم الفاسدة الحكمُ على مرتكب الكبيرة بالخروج من الإيمان والخلود يوم القيامة في النيران، والمثال الثاني مضروب للمرجئـة في تعاملهم مع المؤمنين ، فهم أهل ارتخاء وخَوَر، وقلّة مبالاة بأمر المؤمنين، وقد نشأ هذا فيهم بسبب شؤم معتقدهم حيث يرون أنَّ الأعمال ليست من الإيمـان، ثم هم متفاوتون في ذلك تفاوتاً عظيماً حتى إنَّ منهم من صار إلى القول بأنَّ الإيمان لا يضرّ معه ذنبٌ مهما عظُم، كما أنَّ الكفرَ لا تنفع معه طاعةٌ، وأمـا المثـال الثالث فهو مضروب لأهل السنة والجماعة والحق والاستقامة أهل المنهج العدل الوسط، وخيرُ الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصـير المفرطـين، ولم يلحقوا بغلوّ المعتدين، ومنهج أهل السنة مع العصاة من أهل الملّة هو أنَّـهم لا يكفِّروهم ولا يخرجوهم بذلك من الدين كالخوارج والمعتزلـة، ولا يحكمـون بكمال إيماهم وتمامه كالمرجئة، بل يقولون: هم مؤمنون ناقصوا الإيمان، فيحبّوهم على ما عندهم من الإيمان، ويُبغضوهم على ما عندهم من العصيان، ويرحموهـم وينصحون لهم ويحرصون على استصلاحهم وهدايتهم بأرفق السُـبل وأحسـن الأساليب في حدود قواعد الشريعة وأصولها المعلومة.

وبهذا تمّت هذه التأملات، والله أعلم، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى (١٤٠٨هـ).
- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين لابن القيّم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- الإيمان لابن منده، تحقيق: د / علي بن محمد بن ناصر فقيهي، نشر الجامعة الإسلامية، الأولى (١٤٠١هـ).
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض (١٤٠٦هـ).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥هـ).
- جامع العلوم والحكم لابن رجب، دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى (١٤٠٨هـ).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت، الأولى (١٤٠٣هـ).
- زاد المسيرفي علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة (١٤٠٤هـ).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المجلد الثاني: المكتب الإسلامي الرابعة (١٤٠٥هـ). المجلد الرابع: مكتبة المعارف، الرياض، الرابعة (١٤٠٨هـ).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، المكتب الإسلامي (١٤٠٥هـ).
- السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق: د / محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الأولى (١٤٠٦هـ).
- سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٧هـ).
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيّد كسروي حسن، دار

الكتب العلمية بيروت، الأولى (١٤١١هـ).

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: د / أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الأولى.
- شرح صحيح مسلم للنووي، المطبعة المصرية.
- صحيح البخاري دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢هـ).
- صحيح البخاري، المطبعة السلفية، الأولى (١٤٠٠هـ).
- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، المكتب الإسلامي، الثانية (١٤٠٦هـ).
- صحيح سنن الترمذي للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى (١٤٠٨هـ).
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
- الفوائد لابن القيم، تحقيق: بشر محمد عيون، نشر دار البيان، الأولى (١٤٠٧هـ).
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيّم، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة.
- مجمع الزوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي بيروت، الثالثة (١٤٠٣هـ).
- المستدرك للحاكم، دار المعرفة، بيروت.
- المسند للإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت.
- معالم التنزيل للبغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الأولى (١٤٠٦هـ).
- المعجم الكبير للطبراني، نشر مكتبة ابن تيمية.
- مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق: علي بن حسن بن عبد الحميد، دار ابن عفان، نجد، الأولى (١٤١٦هـ).
- الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٥هـ).
- ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
- النخل، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د / إبراهيم السامرائي، دار اللواء، الرياض، الأولى (١٤٠٥هـ).

مُوجز تاريخ اليهود
والرّدّ على بعض مزاعمهم الباطلة

بقلم :
د. محمود عبد الرحمن قدح
كلّيّة الدّعوة وأصول الدّين – الجامعة الإسلاميّة

مقــدمــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله مِن شــرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فلا هادي لــه، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبــده ورســوله وخاتم أنبيائه ورسله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحســانٍ إلى يوم الدين.

أمــا بعــد:

فإنَّ (تأريخ الأديان) من المباحث الرئيسة التي يشتمل عليها علم الأديــان، وهو مبحث يهتم بدراسة تأريخ ونشأة الديانة وتطورها، وتأثيرها على المجتمــع الإنســانــي.

وقد اهتم علماؤنا المتقدّمون في مؤلّفاهم بدراسة تأريخ الأديان، وبــالمراحل والتطورات التي يمر بها أتباع الأديان، ورصد انحرافاهم عن الدين الحق، لِمَــا في ذلك من الفوائد في إظهار الحق وإزهاق الباطل، ومعرفة أسباب الانحراف عـــن الدين الحق لتوقّيها وتحذير الناس منها.

وهذه دراسة موجزة عن موضوع (موجز تأريخ اليهود والرد على بعـــض مزاعمهم الباطلة) لمعرفة حقيقة اليهود المعاصرين، وإظهار فساد دينهم وبطلانه، والرد على بعض دعاويهم وفضح ادّعاءاهم الكاذبة ، حيث إنَّ اليهود قد جعلوا تأريخهم جزءاً من دينهم المنحرف وكتابهم المحرَّف.

وقد قسمت الدراسة في الموضوع كالآتي:

- التمهيد: ويشتمل على تعريف ومصطلحات.
- المبحث الأول: موجز تأريخ بني إسرائيل واليهود.
- المبحث الثاني: مزاعم يهودية باطلة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد على وآلــــه وصحبـــه أجمعين.

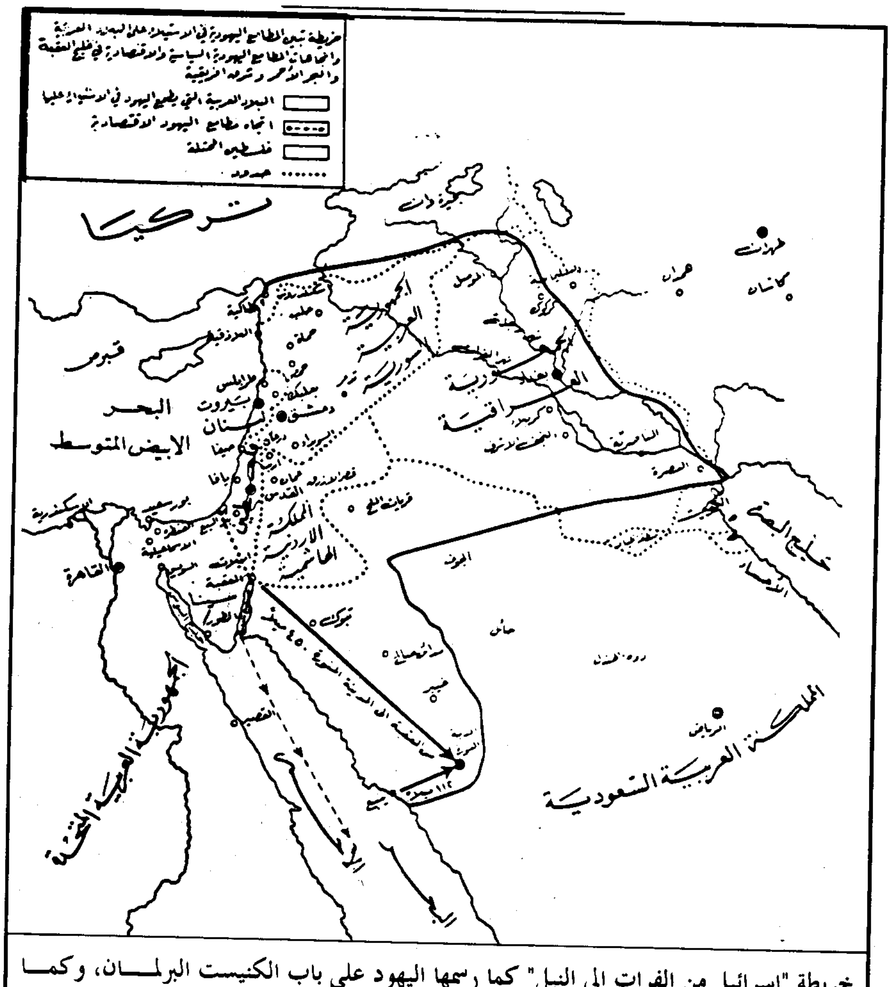
وكتبـــــــه

د. محمود بن عبد الرحمن قدح

تمهـــيد

تعريف ومصطلحات:

فلسطين جغرافياً وتأريخياً



خريطة "إسرائيل من الفرات إلى النيل" كما رسمها اليهود على باب الكنيست البرلـمـــان، وكمـــا وزّعوها في نيويورك قبل العدوان بأيّام، ويبدو فيها أنّهم لا يكتفون بفلسطين، بل يتطلّعون إلى ضم العراق والأردن وسوريا وجزء من المملكة العربية السعودية ومنها المدينة المنـــورة وجـــزء مـــن جمهورية مصر العربية.

إن المنطقة التي سيتركز الحديث عليها أثناء دراستنا لليهودية وتأريخهم هي فلسطين، فمن المناسب معرفة بعض المعلومات عنها:

فأما مساحتها فتبلغ حوالي ٢٧,٠٠٠ كم٢، وتتمتع بموقع استراتيجي مهم جداً حيث تقع في قلب العالم الإسلامي، وفي ملتقى ثلاث قارات (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، وفي مركز مهم بالنسبة للمواصلات البرية والبحرية والجوية. وتتميز كذلك بأراضي خصبة جداً وثروات معدنية كبيرة.

وأما تأريخها فقد سكنها الفينيقيون –من القبائل العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية– في الألف الثالث قبل الميلاد (سنة ٣٠٠٠ق.م)، وإلى الجنوب منهم نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالي سنة ٢٥٠٠ق.م. على ضفة الأردن الغربية وسميت المنطقة باسمهم فأصبحت تُدعى (أرض كنعان) ووردت كثيراً بهذا الإسم في التوراة أيضاً، وفي حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م. نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات تسمى قبائل فلستين جاءت من جزيرة كريت (اقريطش) واختلطت بالكنعانيين فأصبحت البلاد تعرف بفلسطين[١]، وقد كانت تسمى بـ(أرض كنعان) في التوراة قبل دخول إبراهيم عليه الصلاة والسلام إليها[٢] وبعده إلى زمن دخول بني إسرائيل إليها بعد موسى عليه الصلاة والسلام، أما إطلاق اسمهم عليها فقد كان في آخر عهد القضاة تقريباً في زمن نبي لهم اسمه صموئيل، مع بقاء الكنعانيين فيها[٣].

وقد بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد منذ عهد النبي ﷺ الذي سيّر جيشاً سنة

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٦٨٥، ٧٨٩، اليهودية ص٤١ د. أحمد شلبي.
(٢) انظر: سفر التكوين ١٢/٥.
(٣) انظر: سفر صموئيل ١٣/٩، وأخبار الأيام الأول ٢٢/٢.

ثمان من الهجرة النبوية إلى (مؤتة)(١) لمقاتلة الروم(٢)، ثم كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة النبوية(٣)، وفي آخر عهده ﷺ جهّز جيش أسامة بن زيد ﷺ إلى تخوم البلقاء من الشام(٤)، وقد سيّر الصديق ﷺ ذلك الجيش بعد وفاة النبي ﷺ(٥). وفي عهد الخليفة الصديق ﷺ كانت موقعة (أجنادين)(٦) التي نصر الله فيها جيش المسلمين بقيادة خالد ابن الوليد ﷺ ونتج عنها فتح عدة مدن بفلسطين منها: نابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا وغيرها، وبهذا مُهّد الطريق للزحف إلى بيت المقدس(٧)، ودعم ذلك موقعة (اليرموك)(٨) التي انتصر فيها المسلمون.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وجّه جيشاً بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ﷺ لفتح بيت المقدس التي حاصرها مدة أربعة أشهر حتى طلب أهلها الصلح واشترطوا أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ، وهكذا كان فجاء عمر ﷺ وكتب لهم وثيقة الأمان وبنى مسجده في بيت المقدس(٩).

---

(١) منطقة تقع في شرق الأردن شمال البتراء، وعلى مسيرة أحد عشر كيلا جنوب الكرك. انظر: (المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص٢٣٧ محمد شرّاب).

(٢) انظر: السيرة النبوية ٤/٢٣-٤٥ لابن هشام، تاريخ الإسلام (المغازي) ص٤٧٩ للذهبي.

(٣) انظر: المرجعين السابقين ٤/٢١٥-٢٣٦، ص٦٢٧.

(٤) انظر: المرجعين السابقين ٤/٣٨٤،٣٨٥-٣٩٦، ص٧١٣.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ص١٩ للذهبي.

(٦) منطقة بفلسطين في الجنوب الغربي لبيت المقدس، من أعمال الخليل. انظر: (المعالم الأثيرة ص٢٠ محمد شُرَّاب).

(٧) انظر: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ص٨١-٨٣.

(٨) نهر اليرموك طوله ٥٧ كيلاً، وهو الحد الفاصل بين سورية والأردن، وقد نشبت معركة اليرموك في سهل الواقوصة. انظر: (المعالم الأثيرة ص٢٩٧) محمد شُرَّاب.

(٩) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص١٦٢ للذهبي، البداية والنهاية ٧/٥٥ لابن كثير.

وبهذا الفتح أصبح بيت المقدس منذ شهر رجب سنة ١٦هـ دار إسلام يجب على المسلمين فيها إظهار أحكام الإسلام وشعائره والدفاع عنها، وإذا ما استولى الكفار عليها وأصبحت (دار الإسلام المحتلة أو المغتصبة) فإنه يتعين على المسلمين المقيمين فيها الجهاد لاسترداد حقهم وأراضيهم من الكفرة المغتصبين، كما يتعين على المسلمين المجاورين لها القيام بالجهاد مع أهلها كما فعل الملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى حينما استردها من الصليبيين الكفرة وأعادها إلى المسلمين، ونسأل الله عز وجل أن يرفع راية الجهاد، وأن يؤيد المسلمين بنصر من عنده عز وجلّ ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[1].

العبرانيون، بنو إسرائيل، اليهود

إن من الشعوب التي سكنت أرض فلسطين في التأريخ القديم، شعب بني إسرائيل الذين سنتحدث عن تاريخهم، لكننا نجد مسميات أخرى لهم، كالعبرانيين، واليهود، فهل هي مصطلحات مترادفة ؟ أم أن بينها فرقاً ؟ !

وقبل أن نخوض في الحديث عن موضوع دراستنا (تأريخ اليهود)، كان لا بد من الإجابة على السؤال المطروح ؛ لصلته الوثيقة بموضوع الدراسة، فنقول – مستعينين بالله –:

* أما العبرانيون : – في الاصطلاح – فهي كلمة مرادفة لـ (بني إسرائيل) المتحدرين من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وتسمى لغتهم العبرية أو العبرانية[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٥٩٦، دروس اللغة العبرية ص٣٢،٣٣ د. ربحي كمال.

وقد اختلف في أصل هذه التسمية على أقوال منها:-

١- أنها نسبة إلى (عابر) أو (عيبر) وهو الجد الخامس في سلسلة نسب إبراهيم عليه الصلاة والسلام في التوراة[١].

٢- أنها نسبة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الملقب في التوراة بـ(ابرام العبراني)[٢] لعبوره نهر الفرات أو نهر الأردن.

ولم ترد هذه التسمية في القرآن الكريم، وإنما وردت في السنة النبوية الصحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: ((فانطلقت به (النبيﷺ) خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى - ابن عم خديجة - وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب)) [٣].

ووردت كذلك في حديث أبي هريرة ﷺ، قال: ((كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤])) [٥].

---

(١) انظر: سفر التكوين ١٤/١١.

(٢) انظر: تكوين ١٣/١٤. للتوسع (انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٥٩٦، دروس اللغة العبرية ص٣٦ د. يحي كمال، تأريخ بني إسرائيل ٣٠-٣١ محمد دروزة، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١٨ د. محمد سيد طنطاوي، اليهودية ص٤٦-٤٧ د. أحمد شلبي).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (انظر: صحيح البخاري ضمن فتح الباري ٢٢/١).

(٤) سورة البقرة، آية ١٣٦.

(٥) أخرجه البخاري. (انظر: فتح الباري ١٧٠/٨، ٣٣٣/١٣).

* وأما بنو إسرائيل: -في الاصطلاح- فهم الأسباط الإثنا عشر أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام ومن جاء من نسلهم.

* وأما (إسرائيل): فهو نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى: ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزّل التوراة ﴾[1].

وبما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل - أن عصابة من اليهود جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله - وفيه: قال رسول الله ﷺ ((أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ﷺ ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، و أحب الشراب إليه ألبانها ؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد...))[2]. الحديث.

وقد ذكرت التوراة قصة سبب تسمية يعقوب عليه الصلاة والسلام بإسرائيل، حينما صارعه ملاك في صورة إنسان حتى طلوع الفجر، ولم يطلقه يعقوب حتى قال له: لا يدعى اسمك فيما بَعْد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت[3].

وقد جاء ذِكْر بني إسرائيل في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيراً، خاصة في مجال تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم وعلى آبائهم وأسلافهم ودعوتهم، إلى

(١) سورة آل عمران، آية ٩٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١/٢٧٣،٢٧٨، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٢٤٧، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٢٦٦،٢٦٧.

(٣) انظر: سفر التكوين ٣٢/٢٤-٣٢، قاموس الكتاب المقدس ص٦٩،١٠٧٤.

الدخول في الإسلام ومتابعة النبي محمد ﷺ وتهييجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل، قال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم. . .﴾ (١) الآيات.

وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحـــق كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا(٢).

* وأما اليهود -في الاصطلاح- فهم المتبعون لشريعة التـــوراة مـــن بـــني إسرائيل وغيرهم(٣).

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعـــالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٤). قال: إن لفظ (الذين هـــادوا والنصارى) يتناول جميع أهل الكتاب – التوراة والإنجيل – الذين كانوا قبـــل النسخ والتبديل، والذين كانوا بعد ذلك، فهذا الاسم لا يختص بالكفار منـــهم، كما أن لفظ (بني إسرائيل) ولفظ (أهل الكتاب) ليس مختصاً بالكفار، ولكـــن كانوا مسلمين ومؤمنين مع كونهم من بني إسرائيل ومن أهل الكتاب، وكذلـــك من اليهود والنصارى(٥).اهـ

(١) سورة البقرة، آية ٤٠، ٤٧.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٦.
(٣) أي من غير بني إسرائيل لأن أجناساً من الروم والخزر قد اعتنقوا الديانة اليهودية المنحرفـة وليسوا من بني إسرائيل -فيما سنبينه إن شاء الله تعالى- فعلى هذا فإن مصطلح اليـــهود أعم من بني إسرائيل.
(٤) سورة البقرة، آية ٦٢. ونظيرها في سورة المائدة، آية ٦٩ قوله تعالى: ﴿إن الذين ءامنـــوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.
(٥) انظر: كتاب (تفسير آيات أشكلت) ١/٢٧٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميـــة ٧/٥٥.

واختلف في أصل تسميتهم باليهود على أقوال منها:

١- قيل: سمُّوا يهوداً من (الهوادة) وهي المودّة، لمودهم في بعضهم لبعض.

٢- وقيل: من (التهوّد) وهي التوبة، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إنا هدنا إليك﴾[1]، أي تبنا. فكأنهم سُمُّوا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودهم في بعضهم البعض.

٣- وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهوّدون ـ أي يتحركون ـ عند قراءة التوراة[2].

٤- ورد أن (يهوذا) هو الابن الرابع ليعقوب عليه الصلاة والسلام ونسب إليه سبط من الأسباط الاثني عشر، ثم أطلق اسمه على المملكة الجنوبية (مملكة يهوذا) لأن ملوكها كانوا من سبط يهوذا وتمييزاً لها عن (مملكة إسرائيل الشمالية) وفيها الأسباط العشرة، وحينما تشتت الأسباط وأُخِذَ سبط يهوذا إلى السبي البابلي فقد توسع معناه، فصار يشمل جميع من رجعوا من الأسر من بني إسرائيل، ثم صار يطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم[3].

قال البيروني: إنه قد أبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة (يهوذا - يهودا) لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء الأعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها.ا.هـ[4].

وقال المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس: ومن ذلك الزمان - ٥١٥ ق.م

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٠٧ في ذكر الأقوال السابقة.

(٣) انظر: خطط المقريزي ٣/٥٠٣، قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٤، الشخصية الإسرائيلية ص٢٨-٣١ د. حسن ظاظا.

(٤) صبح الأعشى ١٣/٢٥٣.

- يختفي ذكر الأسباط العشرة الأخرى، فمن عاد منهم - أي من السبي البابلي - إلى فلسطين اختلط بسبطي يــهوذا وبنيــامين، وفي ذلــك الحــين سُــمي الإسرائيليون يهوداً، ودُعيت بلادهم اليهودية[١].اهـ

والقول الأخير - في نظري - أقرب الأقوال إلى الصواب ؛ لما بيّنــــاه[٢]، والله أعلم.

وقد تكرر ذكر اليهود في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيراً، خاصــة في سياق بيان كفرهم وأقوالهم الباطلة وإظهار خزيهم وفضائحهم والتحذير مــن مكائدهم وشرورهم، حيث لم ترد هذه التسمية في مقام المدح لهم، وإنمــا وردت في مقام الــذم والتقريع لهم، ومن تلك الآيــات القرآنية الدالة على ذلــك : قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٣].

- و قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٤].

- و قولــه تعــالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

---

(١) انظر: تاريخ الإسرائيليين، ص٣٢.

(٢) وقد رجح هذا القول الشيخ محمد صديــق خــان - رحمــه الله تعــالى - في كتابــه: (لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، ص١١١) وغيره.

(٣) سورة المائدة، آية ٦٤.

(٤) سورة النساء، آية ٤٦.

أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُم لَا يَسْتَكْبِرُون﴾[1].

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن اليهود.

أسماؤهم الأخرى:

لليهود أسماء وأوصاف أخرى نذكر منها الآتي:

* أهل الكتاب: لأهم يؤمنون بالكتاب المترل على موسى عليه الصلاة والسلام، و هو التوراة، وهذا الاسم يشترك فيه معهم النصارى.
* أهل التوراة: لإيمانهم بشريعة التوراة وأنها مؤبدة لا تنسخ.
* أهل السبت: لتعظيمهم يوم السبت وتحريم العمل فيه.
* قوم موسى أو أمة موسى: لانتسابهم إليه وإلى شريعته، واعتقادهم أنه ليس هناك نبي أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام.
* المغضوب عليهم: لأنهم علموا الحق فلم يعملوا به فاستحقوا غضب الله عليهم ولعنته، قال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا - أي أن المراد

(١) سورة المائدة، آية ٨٢.
(٢) سورة التوبة، آية ٣٠.
(٣) سورة الجمعة، آية ٦-٨.

بقوله تعالى ﴿ غيرالمغضوبعليهم﴾[1] هم اليهود – اختلافاً ، وذكر الإمام ابن كثير أحاديث مروية في ذلك[2].

المبحث الأول

موجز تأريخ بني إسرائيل واليهود

لمعرفة حقيقة اليهود المعاصرين وفهم ديانتهم المحرفة ونقد كتبهم المقدسة لديهم، فإنه ينبغي دراسة تأريخ بني إسرائيل ، لأن اليهود جعلوا تأريخهم الطويل جزءاً من دينهم المنحرف وكتابهم المحرّف، واعتبروه تراثاً مقدساً يستمدون منه شعائرهم وأخلاقهم وشعاراتهم وأفكارهم، وإن نظرةً سريعة إلى ما تتضمنه كتبهم المقدسة لديهم تُبَيِّن لنا أن ثلاثة أرباع محتوياتها تشتمل على سرد تأريخ بني إسرائيل الطويل وما جرى لهم من الحوادث في مختلف الأزمنة والأمكنة.

يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس: ولا يخفى أن معظم تأريخ اليهود حتى خراب أورشليم مأخوذ من التوراة، فهي خزانة تأريخهم وحكاية ما حلّ بهم من العبودية والظلم، وما أصابوه من العز والفوز والسؤدد، كما أنها كتاب وحيهم ومجموعة معتقدهم وشرائعهم الدينية والأدبية والمدنية، فالناظر في تاريخهم لا بد له أن يعتمد التوراة لاستخلاص أخبارهم[3].

ولما كان تأريخهم طويلاً يمتد لعشرات القرون، ومليئاً بالأحداث والروايات والقصص، فإنه يصعب الإحاطة بتفاصيله في هذه الدراسة الموجزة، لا سيما وقد

(١) سورة الفاتحة، آية ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣١،٣٢.

(٣) تاريخ الإسرائليين، ص٣،٤.

كتبت في تأريخهم المجلدات والرسائل الجامعية الكثيرة، ومنها:

- كتاب (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) - للإستاذ محمد عزة دروزة.

- وكتاب (التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القـــرآن الكـــريم منه)، وكتاب (التاريخ اليهودي العام)، وكتاب (بنو إسرائيل بين نبـــأ القـــرآن الكريم وخبر العهد القديم)، وكلها للدكتور صابر طعيمة.

- وكتاب (اليهود نشأقم وعقيدقم)، زكي شنودة.

- وكتاب (اليهود في تاريخ الحضارات الأولى)، للدكتور غوستاف لوبون، وغيرها من المؤلفات العديدة.

لذلك سنكتفي في هذه الدراسة بموجز عن تأريخ بـــني إســـرائيل وأبـــرز الأحداث التي مرت هم خلال تأريخهم الطويل في النقاط الآتية:

المطلب الأول: بـــدء تأريخهم.

* إن تاريخهم يبدأ من إسرائيل –وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام– الذي نشأ وعاش في أرض الكنعانيين (أرض فلسطين)، وقد ولد له اثنا عشر ولداً من أربع نسوة وهم كالآتي:-

- رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يسّاكَرُ، زبلون –وأمهم ليئة.
- يوسف عليه الصلاة والسلام، بنيامين –وأمهما راحيل.
- دان، نفْتالي –وأمهما بِلْهة جارية راحيل.
- جاد، أشير –وأمهما زِلفة جارية ليئة[1].

وهؤلاء الأولاد الإثنا عشر هم أصل الأسباط الإسرائيليين.

---

(١) انظر: سفر التكوين ٣٥/٣٣.

* ثم قصة يوسف عليه الصلاة والسلام المشهورة مع إخوته وأبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام، وانتقال إسرائيل (يعقوب) وبنيه للعيش في أرض مصر معززين مكرّمين في ظل يوسف عليه الصلاة والسلام[١].

* وبعد وفاة يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام وتوالي السنون وتعاقب الملوك، تغير حال بني إسرائيل في مصر من العزة والكرامة إلى المذلة والمهانة، لأن فرعون مصر اضطهد بني إسرائيل واستعبدهم[٢] قال تعالى:﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم﴾[٣].

المطلب الثاني: قوم موسى.

* فأرسل الله تبارك وتعالى موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ابني عِمرام بن قَهَات بن لاوي بن يعقوب[٤] عليه الصلاة والسلام إلى فرعون وقومه مؤيّدين بالمعجزات لدعوتهم إلى الإيمان بالله وحده ورفع العذاب عن بني

(١) وردت القصة مفصلة في سورة يوسف، وفي سفر التكوين من الإصحاح ٣٧ - إلى الإصحاح ٤٥.

(٢) ذكرت عدة أسباب لذلك الإضطهاد، منها:
أ- أن فرعون رأى رؤيا أفزعته مضمونها أن زوال ملكه سيكون على يد رجل من بني إسرائيل. (انظر: تفسير ابن كثير ٩٣/١).
ب- لخشيته من تكاثر عددهم واستفحال نفوذهم. (سفر الخروج ٩،٨/١).
ج- أن زمن دخول بني إسرائيل إلى مصر كان في فترة حكم ملوك الرعاة (الهكسوس) غزاة أرض مصر، وحينما طرد المصريون الهكسوس من أرضهم واستعادوا ملكهم فإنهم إضطهدوا بني إسرائيل المتعاونين مع الحكام السابقين. (انظر: قصص الأنبياء ص١٥٣، ١٥٤ عبد الوهاب النجار، اليهودية ٥١-٥٤، ٥٩-٦١ د.شلبي).

(٣) سورة البقرة، آية ٤٩.

(٤) سلسلة النسب من سفر التكوين ١٦/٦-٢٠، وقد عاش موسى في القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريباً.

إسرائيل، فكذب فرعون وقومه وعصوا وكفروا بالله وآياته، فأمر الله رسوله موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر، فأتبعهم فرعون بجنوده، فأغرقهم الله في اليمّ، ونَجَّا موسى وقومه إلى أرض سيناء.

* وكان قوم موسى عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل - الذين خرج بهم من مصر - قد عاشوا في العبودية والذل والوثنية سنوات مديدة، ففسدت عقائدهم وخبثت نفوسهم وضعفت همتهم وظهر عنادهم وكسلهم وتواكلهم وتخاذلهم وعصيانهم لأمر الله ورسوله، ونريد أن نقف هنا بعض الوقفات لنبين بعض أخلاق سلف اليهود وآبائهم ممن كانوا مع موسى عليه الصلاة والسلام في الأمور الآتية:

- أنهم شكّوا في موت فرعون بعد أن أغرقه الله في البحر، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح[1]. قال تعالى:﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾[2].

- ولما جاوزوا البحر ونجوا قال تعالى:﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون * إن هؤلاء متبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾[3].

- وحينما وصلوا إلى صحراء سيناء وأحسوا بالعطش تذمروا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام[4] قال تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٤٦.
(٢) سورة يونس، آية ٩٢.
(٣) سورة الأعراف، آية ١٣٨-١٣٩.
(٤) انظر: سفر الخروج ١٧/١-٧.

بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[١].

ـ وبعد أن شربوا وأطفؤا ظمأهم جأروا بالشكوى إلى موسى من الجـوع وسألوا الطعام[٢] قال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى﴾[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المنّ ينـزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاؤا، والسلوى طائر يشبه بالسماني كانوا يأكلون منه[٤].

ـ ثم طلبوا بعد ذلك المكان الظليل الذي يقيهم من حر الصحراء فسأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه ذلك، قال تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٥].

وعلى الرغم من كثرة الآيات والمعجزات من الله عز وجل لقوم موسى، فقد أظهروا العناد والمكابرة وعدم الإيمان حتى يروا الله جهرة، قال تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ۝ ثم

---

(١) سورة البقرة، آية ٦٠.

(٢) انظر: سفر الخروج صح١٦.

(٣) سورة طه، آية ٨٠.

(٤) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره ١/٩٨-١٠٠، كما ذكر أقوالاً أخرى في تعريف المن والسلوى.

(٥) سورة البقرة، آية ٥٧. وانظر: تفسير ابن كثير ١/١٠٠-١٠١، فيما نقله عن السدي ووهب بن منبه وغيرهما في تفسير الآيات الكريمة السابقة.

بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾[2].

وبعد هذه المعجزات والآيات البينات التي امتن الله بها على بني إسرائيل فإنهم – حينما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه لأخذ التوراة على جبل طور سيناء واستبطأوا رجوعه– رجعوا إلى ما ألفوه من الوثنية بمصر فعبدوا العجل[3]، قال تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ۝ ولما سُقِط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾[4]، ومع فداحة الذنب وعظم الخطيئة فإن رحمة الله عز وجل أكبر، وعفوه تبارك وتعالى أوسع وأعظم قال تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ۝ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون﴾[5].

(١) سورة البقرة، آية ٥٥-٥٦.

(٢) سورة النساء، آية ١٥٣.

(٣) انظر: سفر الخروج صح ٣٢، وتتهم توراة اليهود هارون عليه الصلاة والسلام بأنه صنع العجل لبني إسرائيل وأمرهم بعبادته، وقد برّأ الله عز وجل في القرآن الكريم هارون عليه الصلاة والسلام من هذه التهمة الباطلة وكشف عن المجرم الحقيقي وهو السامري. قال تعالى: ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري. فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾. [سورة طه، آية ٨٧،٨٨].

(٤) سورة الأعراف، آية ١٤٨-١٤٩.

(٥) سورة البقرة، آية ٥١،٥٢.

ولكن ذلك العفو كان لابد له من الكفارة[١] قال تعـالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾[٢].

ــ ولما جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام بما شرع لهم في التوراة فإنهم لم يقبلوها حتى رُفع الجبل فوقهم كأنه ظلة، قال تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾[٣].

ومع هذا كله لم يحمد بنو إسرائيل ما هم فيه من النعيم رب غفور وشراب طهور وطعام سائغ لا يكلفهم أدنى مجهود وظل ممدود بـل ظلـوا يضجـرون ويتكاسلون ويطلبون ويعاندون ويتمادون حتى قالوا[٤] ما أخبر الله عز وجل بـه عنهم في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[٥].

فأمرهم الله عز وجل أن يدخلوا الأرض المقدسة (بيـت المقـدس وأرض الخيرات) ووعدهم بالنصر، وطلب موسى ذلك من قومه، فقال عز وجـل:﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما

---

(١) انظر: سفر الخروج صح (٣٢).
(٢) سورة البقرة، آية ٥٤.
(٣) سورة الأعراف، آية ١٧١.
(٤) انظر: سفر العدد صح (١١).
(٥) سورة البقرة، آية ٦١.

لم يؤت أحداً من العالمين۞يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدبا ركم فتنقلبوا خاسرين۞قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون۞قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ۞قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ۞قال ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۞قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾[١].

فحكم الله عليهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة يســـيرون دائمـــاً لا يهتدون للخروج منه حتى[٢] مات ذلك الجيل المتخاذل العاصي الذي خرج بـــه موسى من مصر ولقي من أذاهم وعصيانهم ما لا يوصف، قال الله عز وجل مبيناً أذاهم لموسى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[٣].

۞ وتوفي هارون ومن بعده موسى عليهما الصلاة والسلام في ذلك التيـــه، وأقام الله في بني إسرائيل يوشع بن نون[٤] (فتى موسى) عليهما الصلاة والســـلام

---

(١) سورة المائدة، آية ٢٠ - ٢٦.

(٢) انظر: سفر العدد صح١٣، ١٤، ٣٢.

(٣) سورة الصف، آية ٥.

(٤) يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء بني إسرائيل ثبتت نبوته عند المســـلمين السنة الصحيحة بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمـــا يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولمـــا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفـــات وهـــو منتظر أولادها، قال: فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلـــك فقـــال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئاً، فحبست عليه حتى فتـــح الله عليه... الحديـــث)) =

نبياً لهم خليفة عن موسى عليه الصلاة والسلام، ولما انقضت مدة التيه خــرج يوشع عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل إلى بيت المقدس فحاصرها وفتحـها الله عليهم، وأمرهم الله عز وجل حين دخولهم الأرض المقدسـة ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين۝ فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾[1].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عـن النـبي ﷺ قـال: ((قيـل لبـني إسـرائيل: (ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدّلوا وقالوا: حِطة حبة في شعرة))[2].

فتعساً لهؤلاء القوم الذين يقابلون الإحسان بالإساءة، والمعروف بـالمنكر، والنعمة بالجحود، فاستحقوا بذلك غضب الله عز وجل عليهم.

• وبعد دخولهم الأرض المقدسة بدأ يوشع عليه الصلاة والسـلام يكمـل فتوحاته ويقسم الأراضي التي غنمها على أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر، وبعد وفاة يوشع عليه الصلاة والسلام تولى قيادة بني إسرائيل قضاتهم. ومـن هنـا

= - أخرجه البخاري مختصراً. (انظر: فتح البـاري ٢٢٣/٩) ، ومسـلم ١٣٦٦/٣ واللفظ له، والإمام أحمد ٣١٨/٣، ويبين لنا حديث أبي هريرة الآتي اسـم هـذا النبي الكريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس)).

- أخرجه الإمام أحمد ٣٢٥/٢ وصححه ابن كثير (انظر: قصـص الأنبيـاء ص٣٧٧) والألباني (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح٢٠٢)، وراجع سفر يشوع صح(١٠).

(١) سورة البقرة، آية ٥٨،٥٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري (انظر: فتح الباري ١٦٤/٨،٣٠٨)، ومسلم ٢٣١٢/٤، وأحمد ١١٨/٢، وراجع تفسير ابن كثير ١٠٣/١.

يُقَسِّم المؤرخون المراحل التاريخية التي مرت على بني إسرائيل منذ دخولهم الأرض المقدسة (فلسطين) إلى العصور الآتية:

المطلب الثالث: عصر القضاة.

نسبة إلى القضاة الذين تولوا الحكم في أسباط بني إسرائيل الإثنى عشر بعد وفاة يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام، وينتهي هذا العصر بآخر قاض لبني إسرائيل وهو صموئيل ، ومدة هذا العصر ٣٥٠ سنة على حساب سفر القضاة، والتحقيق العلمي يثبت أن هذا العصر لا تزيد مدته عن ١٠٠عام[١].

ومن سمات هذا العصر كثرة النزاعات والحروب الداخلية والخارجية بين الأسباط الإثني عشر وغيرهم، وتكرر حوادث الارتداد والكفر منهم، وانتشار الزنا بينهم ومن ذلك ما ورد في سفر القضاة الإصحاح (١٢) (وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا إله آبائهم الذين أخرجهم من مصر، وساروا وراء آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها...) وتكرر ذلك الكفر والشرك منهم مرات عديدة في فترات مختلفة بنص سفر القضاة[٢]، وحينما فسد القضاة وأخذوا الرشوة وحكموا بين الناس بالظلم والهوى طلب بنو إسرائيل من نبي لهم يدعى (صموئيل) وهو آخر قضاهم أن يختار لهم ملكاً يوحد صفوفهم ويقيم النظام بينهم ويقاتل أمامهم[٣]، وبذلك يبدأ العصر الثاني وهو عصر الملوك.

---

(١) انظر: تاريخ بني إسرائيل ص١٢٢ محمد دروزة، دائرة المعارف البريطانية ٢/٨،٩، اليهودية والمسيحية ص٨٣ د. محمد الأعظمي.

(٢) راجع الإصحاحات ٣،٤،٦،١٠،١٣،١٧.

(٣) انظر: سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٨.

وقد بين الله عز وجل السبب الذي لأجله طلب بنو إسرائيل تعيين ملـــك عليهم، فقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾[١].

المطلب الرابع: عصر الملوك.

ويبدأ باختيار شاؤل[٢] ملكاً على بني إسرائيل، ثم داود، ثم سليمان عليهما الصلاة والسلام.

ومن أبرز حوادث هذا العصر: بناء داود عليه الصلاة والسلام للـــهيكل، وإتمام بنائه في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام وتسميته بـــ(هيكل سليمان)، وتكرر حوادث الانحراف والكفر في بني إسرائيل بنص سفر الملوك الأول في الإصحاح (١١).

وقد بلغ الكفر والفجور عند اليهود إلى حد وصف النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بارتكاب الكبائر حتى الشرك بالله، وهذا من الكذب والبهتان والتحريف الموجود في كتب اليهود المقدسة لديهم[٣]، وبعد

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٦،٢٤٧.
(٢) ورد اسمه في القرآن الكريم (طالوت). سورة البقرة، آية ٢٤٧.
(٣) انظر: سفر صموئيل الثاني صح١١، سفر الملوك الأول صح١١.

وفاة سليمان عليه الصلاة والسلام انقسمت مملكة بني إسرائيل، وكان ذلك بداية العصر الثالث.

المطلب الخامس: عصر انقسام مملكة بني إسرائيل.

بعد وفاة سليمان عليه الصلاة والسلام اجتمع بنو إسرائيل في أورشليم لتنصيب رحبعام بن سليمان مكان أبيه، ولكنهم اشترطوا عليه تخفيف الأحكام التي فرضها عليهم سليمان، لكنه رفض ذلك فانحاز معظم الشعب (١٠ أسباط) إلى مبايعة يربعام بن نباط (وكان أحد قادة جيوش سليمان فانشق عنه وهرب إلى مصر وعاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان) وبايع سبطا يهوذا وبنيامين رحبعام، وبهذا انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى دولتين متنازعتين:

١- إحداهما في الشمال وتسمى (مملكة إسرائيل أو مملكة السامرة) أو (المملكة الشمالية) وعاصمتها (شكيم) التي بناها يربعام.

٢- والأخرى في الجنوب وتسمى (مملكة يهوذا) أو (المملكة الجنوبية) وعاصمتها (أورشليم).

وأبرز حوادث هذا العصر ما يأتي:-

أ - وقوع بني إسرائيل في الردة والكفر والفجور منذ بداية عصر الانقسام وتكرر ذلك منهم مرات عديدة في أزمنة مختلفة[1].

ب - سلسلة الحروب والنكبات المستمرة بين المملكتين ومع البلاد المجاورة لها.

---

(١) انظر: سفر الملوك الأول الإصحاحات (١٢،١٤، ١٥،١٦، ١٧، ١٨،١٩،٢٢)، وسفر الملوك الثاني الإصحاحات (١،١٣،١٥، ١٦،١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣،٢٤).

جــ – الغزو الآشوري بقيادة الإمبراطور الآشوري (تغْلث فلاسر) علــى مملكة إسرائيل الشمالية ، والقضاء عليها وتدميرها تدميراً نهائياً ونقل من بقي من أهلها أسرى إلى آشور (العراق) على يد الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني في عام ٧٢٢م، وبذلك كانت نهاية مملكة إسرائيل الشمالية[١].

د– ضياع التوراة وإهمالها سنوات مديدة ثم ادعاء العثور عليها من غــير قصد في عهد الملك يوشيا من ملوك مملكة يهوذا بعد تدمير مملكة إسرائيل[٢].

المطلب السادس: عصر السبي البابلي.

بقيت مملكة يهوذا الجنوبية تكافح وتناضل الطامعين فيها من أجل البقاء إلى أن جاء فرعون مصر فزحف على مملكة يهوذا سنة ٦٠٨ ق.م فاحتلها، واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سلطة الآشــوريين، وقد ثار لذلك البابليون –الذين خلفوا الآشوريين وورثوا ممتلكاتهم– وجــاءوا بقيادة ملكهم بختنصر (نبوخذ نصر) الذي احتل أورشليم وأحرق هيكل سليمان وهدمه، ودمّر أسوار ومنازل أورشليم، وأخذ من بقي من بني إسرائيل عبيـداً إلى بابل وهذا ما يعرف في تاريخ اليهود بـ(الأسر أو السبي البابلي) ســنة ٥٨٦ ق.م. تقريباً، وفيه وقع (التدمير الأول) لهيكل سليمان، وكان ذلك القضاء المبرم على مملكة يهوذا أو ما تبقى من مملكة بني إسرائيل[٣].

(١) انظر: سفر الملوك الثاني الإصحاح (٢)، قاموس الكتاب المقدس ص٧٨، القدس عربيــة إسلامية ص٧٤،٧٥ د. سيد فراج راشد.

(٢) انظر: سفر الملوك الثاني الإصحاح (٢٢، ٢٣).

(٣) انظر: سفر الملوك الثاني صح (٢٤،٢٥)، وسفر اخبار الأيام الثاني صح(٣٦)، قــاموس الكتاب المقدس ص٤٥٨،٨٩٩، وتاريخ بني إســرائيل ص٢٠٧،٢٠٨ لمحمــد دروزة، واليهودية ص٨٤ د. أحمد شلبي.

وقد عاش بنو إسرائيل في المنفى أو السبي البابلي مدة طويلة، انحرفوا خلالها عن الدين الحق وتأثروا بوثنية أسيادهم البابليين ومن جاء بعدهم[1].

المطلب السابع: عصر العودة من السبي إلى أورشليم.

في سنة ٥٣٩ ق.م احتل الفرس بلاد بابل وورثوا ممتلكاتهم، وأظهر ملك الفرس (كورش) تعاطفا نحو بني إسرائيل حيث سمح لهم بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق.م، ولكن الكثيرين منهم فضلوا البقاء في بابل، وعاد بعضهم على صورة جماعات كان أولها بقيادة زَرُبَّابَل وكان عددهم خمسين ألف يهودي ثم تحت قيادة عزرا ثم نحميا[2].

وأبرز حوادث هذا العصر ما يأتي:-

١- إعادة بناء مدينة أورشليم وهيكل سليمان[3].

٢- يزعم اليهود بأن (عزرا) أعاد التوراة المفقودة -في السبي البابلي- من حفظه، وأنه الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها، وأنه مؤسس نظم اليهود المتأخرة (في القرن الخامس ق.م) ولذلك يلقب بـ(الكاهن الكاتب أو الوراق)[4].

٢- يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس في كتابه (تاريخ الإسرائيليين)[5] :((ومن ذلك الزمان يختفي ذكر الأسباط العشرة الأخرى، فمن

(١) انظر: تاريخهم في فترة السبي البابلي في (سفر دانيال، وحزقيال، وأستير، وعزرا).
(٢) انظر: (سفر عزرا، سفر نحميا، قاموس الكتاب المقدس ص٤٥٨).
(٣) انظر: (سفر عزرا صح٣٠٦، وسفر نحميا صح٦).
(٤) انظر: سفر عزرا صح(٧)، قاموس الكتاب المقدس ص٦٢١، السنن القويم في تفسير العهد القديم ٥/٨٠،٨١، قصة الحضارة ٢/٣٦٦ ول ديورانت.
(٥) انظر: تاريخ الإسرائيليين ص٣٢.

عاد منهم إلى فلسطين اختلط بسبطي يهوذا وبنيامين، وفي ذلك الحــين سُــمَّي الإسرائيليون يهوداً ودُعيت بلادهم اليهودية)). ا.هــ

ومن الجدير بالذكر أن الجماعات اليهودية العائدة إلى فلسطين عاشت تحت ظل الحكم الفارسي لتلك البلاد، ومن بعده في ظل حكم الإسكندر المكــدوني (اليوناني) [١] ومن بعده حكم البطالسة[٢] المصريين (أحد قادة الإسكندر الذيــن اقتسموا مملكته بعد و فاته)، ثم جاء الحكم الروماني على فلسطين سنة ٦٣ ق.م، وفي فترة الحكم الروماني ولد وعاش النبي الكريم عيسى بن مريم عليه الصــلاة والسلام.وقد حاول اليهود مراراً وتكراراً في ظل الحكومات المتعاقبة الســابقة إعادة مجدهم السابق في فلسطين وعزهم الزائل وحلمهم الكبير في إقامة مملكــة مستقلة لليهود، ولكن كانت محاولاهم الكثيرة تبوء بالفشل والندم والدم حيــث تنتهي ثوراهم باضطهادهم وتدميرهم وقتلهم وتشريدهم وذلهــم وهوانهــم[٣]، عقاباً لهم من الله وغضباً عليهم لكفرهم وفجورهم وقتلهم الأنبياء والصــالحين وإفسادهم في الأرض.

المطلب الثامن: عصر الشتات (الدياسبورا)[٤].

على أثر ثورة من الثورات المتكررة التي كان يقوم بها اليهود ســـنة ٧٠م

(١) الإسكندر الكبير ملك مكدونيا (٣٣٦-٣٢٣ ق.م) اتسعت دولتــه فشــملت فــارس والعراق والشام ومصر واستولى على أكثر الأرض في زمنه. (انظر: قــاموس الكتــاب المقدس ١٠١، المنجد في الأعلام ٤٣).

(٢) لقب خلفاء الإسكندر المقدوني، وأولهم بطليمــوس الأول (٣٢٣-٢٨٥ق.م) (انظــر: قاموس الكتاب المقدس ١٧٩).

(٣) انظر: سفر المكابيين الأول والثاني، تاريخ الإسرائيليين ص٣٢-٧١ شاهين مكاربوس.

(٤) كلمة يونانية أخذها العبريون إلى لغتهم وتعني التفرق في الأرض والذهاب فيــها أشــتاتاً (انظر: الشخصية الإسرائيلية ص٦٥ د. حسن ظاظا).

دمّر الإمبراطور الروماني تيطس (هيكل سليمان) مرة ثانية وقتل وسبى عدداً كبيراً من اليهود[1].

وفي سنة ١٣٥م قام اليهود بثورة أخرى زمن الإمبراطور الروماني أدريانوس الذي دمّر مدينة أورشليم، وبنى مكان الهيكل معبداً لـ(جوبيتير) كبير آلهة الرومان وغيّر اسم المدينة إلى (إيليا كابيتولينا)، وتخلص من اليهود فيها بالقتل والتعذيب والتشريد والنفي ومنعهم من دخولها[2]. فازداد تشتت اليهود وتفرقهم في أنحاء العالم -عما كانوا عليه من قبل منذ التدمير الثاني للهيكل- في دول آسيا وأوروبا وإفريقيا.

يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس: ((إلى هنا ينتهي تأريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم)) [3] ا.هـ.

ومع تشتتهم فإن العذاب كان يحل بهم أينما حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل البلاد التي يسكنون فيها بسبب كفرهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض وإشاعتهم للفتن والرذائل وأكل أموال الناس بالباطل قال الله تعالى

---

(١) انظر: تاريخ الإسرائيليين ص٧١-٧٨، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص٣٨١ دروزه، أبحاث في الفكر اليهودي ص٣٦،٣٧ د. حسن ظاظا.

(٢) انظر: أبحاث في الفكر اليهودي ص٣٦-٣٨ د.حسن ظاظا، التاريخ اليهودي العام ١٥٢/١ د.صابر طعيمة، القدس عربية إسلامية ص١٢٦-١٢٨ د.سيد فرج، اليهودية العالمية ص٢٦ عبد الله التل.

(٣) انظر: تاريخ الإسرائيليين ص٧٧.

عنهم: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾[1].

فكان عقاب الله عز وجل عليهم بأن سلّط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة قال تعالى:﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾[2].

وقال الله عز وجل: ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرّتين ولتعلن علواً كبيراً ۞ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ۞ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ۞ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرةٍ وليتبّروا ما علوا تتبيراً ۞ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ [3].

فسلط الله عليهم الآشوريين والفراعنة المصريين والبابليين واليونانيين والبطالسة المصريين الوثنيين ثم الرومان الوثنيين والنصرانيين قديماً وحديثاً لقرون عديدة، ثم بعد بعثة النبي ﷺ سلطه الله عز وجل عليهم فأجلى بني قينقاع وبني النضير عن المدينة النبوية وقتل بني قريظة وحارب يهود خيبر حتى استسلموا له وصالحوه، ثم أوصى بإخراجهم من جزيرة العرب فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) انظر: تاريخ الإسرائيليين ص٧٧.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٦٧.

(٣) سورة الإسراء، آية ٤-٨.

((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً))[1].

وفي العصر الحديث كان اليهود يسامون سوء العذاب في الدول الأوروبية النصرانية وغيرها فمثلاً اضطهدوا في بريطانيا سنة ١٢٩٨م حينما أمر الملك ادوارد الأول بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية، وفتك البريطانيون باليهود فتكاً ذريعاً.

وفي فرنسا اضطهدهم الملك لويس التاسع، وفي عهد الملك فيليب الجميل سنة ١٣٠٦م، وفي سنة ١٣٢١م نكل بهم الفرنسيون وطردوهم، وأيضاً في سنة ١٥٨٢م طردوا مرة أخرى.

وفي إيطاليا حاربهم بابوات الكنيسة الكاثوليكية حرباً شعواء، وفي سنة ١٥٤٠م ثار عليهم الإيطاليون فقتلوهم وطردوهم.

وفي روسيا حدثت مذابح فظيعة في عهد الحكم القيصري النصراني خاصة في سنة ١٨٨١م، وسنة ١٨٨٢م، وسنة ١٩٠٢م حيث قتل اليهود بالآلاف.

وفي ألمانيا ظل القتل والطرد باليهود قائماً في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين، وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر النازي إبتداء من توليه الحكم في ألمانيا ١٩٣٣م إلى ١٩٤٥م[2].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ٣/١٣٨٨ وغيره عن عمر ﷺ، وأخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)). (انظر: فتح الباري ٦/٢٧١).

(٢) راجع في تفصيل تلك الإضطهادات: تأريخ الإسرائيليين ص٨٠-٩٧ شاهين مكاريوس، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص١٠٦-١٢٠ عبد الله التل، التاريخ اليهودي العام ٢/٤٧-٧٣ د. صابر طعيمة، الشخصية الإسرائيلية ٨٤-٩٠ د. حسن ظاظا، بنو إسرائيل في القرآن الكريم ص١١٣،١١٤ د. محمد عبد السلام.

يتبين لنا من هذه الأمثلة والنماذج لاضطهادات اليهود في كل البلاد الـتي نزلوا بها أنهم تعرضوا لنقمة أهل البلاد التي سكنوها وغضبهم يستوي في ذلـك تاريخهم القديم والوسيط والحديث والمستقبل أيضاً حسب الوعيد الإلهي في الآية الكريمة بأنهم يسامون العذاب إلى يوم القيامة ويكون ذلك على يد المسـلمين إن شاء الله كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة في أن المسلمين سيقاتلون اليهود فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر: تعال يا مسلم فإن ورائي يهودي فاقتله[١].

المطلب التاسع: تجمعهم في فلسطين في العصر الحديث.

مما سبق نجد أن اليهود لم تقم لهم قائمة ولا دولة ولا كيان في فلسـطين إلا في عصرنا المؤلم حينما تحالفت اليهودية الماكرة مع الصليبية الحاقدة –التي احتلت بلاد المسلمين بجيوشها الصليبية– في تشريد المسـلمين وسـلب أراضيـهم في فلسطين وخاصة بيت المقدس ومنحها أو بيعها لليهود وتشجيع هجرهم إليها من شتى بقاع الأرض لإقامة دولة غاصبة لهم في فلسطين وقد مرّت إقامـة تلـك الدولة المشؤمة بالمراحل الآتية:–

– لعل أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت في كتاب (نداء اليهود) الذي أصدره السير هنري فنش بإنجلترا عام ١٦١٦م[٢].

– ثم جاء الجنرال نابليون بونـابرت الفرنسـي الـذي دعـا اليـهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشـرق في عام ١٧٩٨م ووجه إلى اليهود بياناً سماهم فيه (ورثة فلسطين الشرعيين)، ولكن

---

(١) أخرجه البخاري: (انظر فتح الباري ٦/١٠٧).

(٢) انظر: القدس عربية إسلامية ص١٦٧ د. سيد فرج، التاريخ اليهودي العـام ٢/١٩٤ د. صابر طعيمة.

هزيمة نابليون حالت دون إكمال المؤامرة[1].

- ثم توالت نداءات وكتابات زعماء ومفكري اليهود إلى اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود وإقامة دولة لهم فيها بشتى الوسائل ومن أبرز هؤلاء:-

- الحاخام (زفى هيرش كاليشر ١٧٩٥-١٨٧٤م) في كتابه (البحث عن صهيون).
- والحاخام (موسى هيس ١٨٢١-١٨٧٥م) في كتابه (من روما إلى القدس).
- والمفكر اليهودي (بيريتز سمولنسكن ١٨٤٢-١٨٨٥م) في كتابه (فلنبحث عن الطريق) وغيرهم[2].

- تكونت في أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها عشرات الجمعيات والمنظمات اليهودية التي ترعى شؤون اليهود ومصالحهم، ومن أبرزها (جمعية أحباء صهيون) التي قدمت عام ١٨٨٢م طلباً للقنصل العثماني في روسيا يطلبون الإقامة في فلسطين فكان الرد بالرفض القاطع من السلطان عبد الحميد العثماني[3][4].

- استطاع اليهود أن يتغلغلوا في الأوساط الدينية والاجتماعية والمالية والإعلامية والسياسية في البلاد الغربية ذات النفوذ العالمي مثل بريطانيا وروسيا

(١) انظر: التاريخ اليهودي ٢/١٩٥ د. صابر طعيمة.
(٢) انظر: الصهيونية ص٤٠ العوضي، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية ص٢١ د. محمد زعروت.
(٣) السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨م) آخر سلاطين الخلافة العثمانية الأقوياء، تعرض تاريخه للتشويه لمقاومته النفوذ الغربي اليهودي. (انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧، ٥٨٧ محمد فريدبك).
(٤) انظر: صراعنا مع اليهود ص٣٤ محمد إبراهيم ماضي.

وفرنسا ثم أمريكا وغيرها، وأن يُسَخِّروا حكومات وشعوب تلك البلاد في تحقيق المصالح اليهودية والأهداف الصهيونية والتي كانت تلتقي مع المطامع والمصـــالح الصليبية ضد الإسلام والمسلمين.

فأما في المجال الديني فقد استطاع اليهود أن يندسوا في الكنيسة النصرانيـــة ويصلوا إلى أعلى المناصب الكنســـية حـــتى منصـــب (بابـــا الفاتيكـــان)[1]، ويستصدروا من مجمع (مؤتمر) الفاتيكان العالمي الثاني المنعقد في عـــام ١٩٦٣م قراراً بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه الصلاة والسلام، ثم أصدر البابا بولـــس السادس في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م عن المجمع المسكوني بياناً اشتهر باسم (وثيقـــة التبرئة) يؤكد فيه ما سبق[2].

وأما في المجال المالي فقد ظهرت إمبراطوريات مالية يهودية في أوروبا وامتـــد نشاطها إلى أمريكا ومن أبرز تلك الإمبراطوريات الماليـــة عائلـــة (روتشـــيلد) اليهودية وغيرها التي قامت بتمويل الحركات الثورية والمنظمات الصهيونية التي تخدم مصالح اليهود[3].

وأما في المجال الإعلامي فقد سيطر اليهود عن طريـــق المـــال بشـــرائهم

(١) للتوسع إقرأ كتاب (بابوات من الحي اليهودي) تأليف -واكيم بيرنز، تعريـــب -خـــالد أسعد عيسى.

(٢) للتوسع إقرأ كتاب (نحن والفاتيكان وإسرائيل) تأليف -أنيس القاسم، الناشـــر: مركـــز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية -بيروت- ١٩٦٦م. وكتاب (إســـرائيل حرّفـــت الأناجيل والأسفار المقدسة ص٢١ وما بعدها) للأستاذ أحمد عبد الوهاب -مكتبة وهبـــة - القاهرة- ١٩٧٢م.

(٣) إقرأ كتاب (حكومة العالم الخفية) تأليف يشيريب سيبريد وفيتش - ترجمة مأمون ســـعيد إصدار دار النفائس- بيروت - ١٩٨٢م، وكتاب (اليهود وراء كل جريمة ص٨٥ ومـــا بعدها) وليم كار.

وإنشائهم للمؤسسات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية وعن طريقها كانوا يتحكمون في الحكومات والشعوب وتوجيههم حسب خطط اليهود وأهدافهم ومصالحهم.

ومن الأمثلة التي تدل على السيطرة اليهودية على الإعلام أن وكالة (رويتر) أسسها (جوليوس باول رويتر الألماني) وكان يهودياً اسمه (إسرائيل بير جوزافات) وقد أسس وكالته سنة ١٨٤٨م، كما أن (وكالة أنباء هافاس) أسسها أحد اليهود من عائلة هافاس سنة ١٨٣٥م ، وأصبحت فيما بعد الوكالة الرسمية لفرنسا[١].

وأما في المجال السياسي فقد استطاع اليهود السيطرة عليه والتغلغل فيه عن طريق الإغراء المالي والجنسي والتأثير الإعلامي والجمعيات الماسونية للوصول إلى أعلى المناصب السياسية أمثال اليهودي (بنيامين دزرائيلي) رئيس وزراء بريطانيا[٢]، وأعضاء الحزب الشيوعي في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي - الذي أطاح بالحكم القيصري النصراني- كان معظمهم من اليهود، وكذلك أعضاء الكونجرس الأمريكي ووزراء ومستشارو الرئيس الأمريكي ومعاونوه[٣].

---

(١) انظر للتوسع: (السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمي) تأليف - زياد أبو غنيمة، وكتاب (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية) تأليف- فؤاد سيد الرفاع.

(٢) دزرائيلي، بنيامين أيرل بيكنسفيلد (١٨٠٤-١٨٨١م) سياسي ومؤلف بريطاني، من سلالة يهودية، تولى عدة وزارات واختير رئيساً للوزارة في ١٨٦٧م، وفي ١٨٧٤-١٨٨٠م. (انظر: الموسوعة العربية ٧٩٢/١، المنجد في الأعلام ص٢٨٦).

(٣) إقرأ للتوسع في السيطرة اليهودية على المال والسياسة كتاب (اليهودي العالمي) تأليف هنري فورد.تعريب: خيري حماد، منشورات دار الآفاق الجديدة -بيروت، وكتاب (الأخوة الزائفة) تأليف: جاك تني - عضو مجلس الشيوخ الإمريكي، تعريب - أحمد التازوري، مؤسسة الرسالة - بيروت، وكتاب (النشاط السري اليهودي) تأليف - =

– في عام ١٨٩٦م أصدر الصحفي اليهودي (ثيودور هرتزل)[١] كتابه (الدولة اليهودية) ودعا إلى مؤتمر (بازل) بسويسرا عام ١٨٩٧م حضره زعماء اليهود وحاخاماتهم من جميع أنحاء العالم وتقرر فيه إنشاء (المنظمة الصهيونية العالمية) واختيار فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود بعد تجميعهم فيها من أنحاء العالم وبذل كافة الجهود لتحقيق ذلك.

– في عام ١٩٠١م أنشأ هرتزل (الصندوق اليهودي الوطني) لشراء الأراضي في فلسطين، وعرض على السلطان عبد الحميد العثماني رشوة مالية ضخمة مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين فرفض السلطان –رحمه الله– ذلك العرض الدنيء وقام بطرد هرتزل.

– في عام ١٩٠٩م تمكن الماسونيون من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وعزله بانقلاب عسكري عليه، وتولي حزب الاتحاد والترقي (معظم أعضائه من يهود الدونمة السلانيك والماسونيين) للسلطة الفعلية في تركيا، ثم قاموا بإلغاء الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤م على يد مصطفى كمال أتاتورك (عميل الغرب)[٢].

– ثم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م أصدر وزير خارجية بريطانيا (بلفور)[٣]

= غازي محمد فريج، وكتاب (خطر اليهودية العالمية) تأليف – عبد الله التل، وكتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) و(اليهود وراء كل جريمة) تأليف –وليم كار، و(جذور البلاء) –عبد الله التل، وغيرها من الكتب الكثيرة.

(١) ثيودور هرتزل (١٨٦٠–١٩٠٤م) يهودي نمساوي، زعيم الصهيونية الحديثة (المنجد ٧٢٧).

(٢) انظر: للتوسع كتاب (دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية) تأليف د. محمد زغروت، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(٣) بلفور، أرثر جيمس (١٨٤٨–١٩٣٠م) سياسي بريطاني شغل عدد مناصب وزارية. (انظر: الموسوعة الميسرة ١/٣٩٩ المنجد ص١٤١).

وعده المشؤم بمنح اليهود حق إقامة وطن قومي لهم في فلسطين ومساعدقم في ذلك.

– وفي نفس العام ١٩١٧م احتلت الجيوش البريطانية فلسطين بعد هزيمة الدولة العثمانية حليفة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م-١٩١٧م)، ثم وضعت فلسطين وما جاورها تحت الانتداب البريطاني بموافقة عصبة الأمم المتحدة (الدول الغربية) في ٢٥ إبريل من عام ١٩٢٠م إلى عام ١٩٣٢م حيث قامت بريطانيا بتحقيق وعد بلفور المشؤم في تشجيع ودعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتوطينها وحمايتها، فهاجر إلى فلسطين أثناء مدة الانتداب البريطاني ما يقرب من ١١٨ ألف يهودي كوّنوا عصابات إرهابية مسلحة مثل الهاجاناه[١]، والأرجون[٢]، وشتيرن[٣]، وقوات البالماخ[٤] وغيرها بهدف الإستيلاء على أراضي المسلمين وتشريدهم وإرهابهم، وقد اندمجت تلك العصابات اليهودية بعد ذلك في (جيش الدفاع) في الدولة اليهودية.

– في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين بين المسلمين واليهود وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

– ثم في ١٥ مايو ١٩٤٨م أعلن بن جوريون قيام دولة يهودية في فلسطين[٥] على أثر إعلان بريطانيا انتهاء الانتداب، وقد تسارعت الدول الغربية الصليبية التي تتلاقى مصالحها ومطامعها مع المخططات اليهودية إلى

---

(١) كلمة عبرية تعني الدفاع.

(٢) إختصار جملة تعني (المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل).

(٣) تعني (المحاربون من أجل إسرائيل).

(٤) تعني (سرايا الصاعقة).

(٥) انظر: فلسطين عربية إسلامية ص١٧٠-١٧٤ د. سيد فرج.

الاعتراف بالدولة اليهودية الغاصبة وفي مقدمة تلك الدول إمريكــا وروسـيا وفرنسا.

– وقد استطاعت الدولة اليهودية التي سُميت باسم (إســرائيل) ترسـيخ وجودها بل توسيع أراضيها المغتصبة في المنطقة العربية الإسلامية بدعم حلفائـها الغربيين –وخاصة إمريكا وروسيا– حيث قامت بــاحتلال القــدس الغربيـة وجنوب النقب عام ١٩٤٩م، ثم احتلال القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزه وصحراء سيناء وهضبة الجــولان عــام ١٩٦٧م، وبنــاء المسـتوطنات الإسرائيلية على الأراضي المحتلة. كل ذلك سعياً وراء تحقيق الحلــم الصــهيوني اليهودي بما يسمى (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، ولكن تقلّص ذلـك الحلم حينما تمكنت الجيوش العربية في حرب رمضان ســنة ١٣٩٣هـــ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م) من تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي وخط بارليف الــذي لا يقهر – بزعمهم –، واستعاد المصريون صحراء سيناء، مما دفع باليهود إلى تغيـير إستراتيجيتهم في اختراق البلاد العربية فسعت إلى توقيع معــاهدة السـلام في كامب ديفيد بأمريكا عام ١٩٧٨م بين الرئيس المصري محمد أنور الســادات والرئيس الإسرائيلي مناحيم بيجين.

– وعلى الرغم من ذلك فقد قامت إسرائيل بغزو جنوب لبنان في نفــس عام ١٩٧٨م وإحتلالها وتشريد أهلها وقتل الأبرياء الآمنين ، وواصلت إسرائيل إعتدائها واجتياح لبنان حتى وصلت إلى بيروت عام ١٩٨٢م ولا تزال تواصل إعتداءاتها.

– وبعد جهود حثيثة من الولايات المتحدة الأمريكية ومصــر والإتحـاد السوفيتي ودول أخرى عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط في ٣٠ أكتوبر عام ١٩٩١م بالعاصمة الأسبانية (مدريد) لوضع حد للصراع العربي الإســرائيلي

بحضور الفلسطينيين والإسرائيليين على مائدة المفاوضات لإقامة ســـلام دائـــم وعادل بين شعوب الشرق الأوسط.

ولكن يجب علينا أن لا ننسى مع ذلك أن اليهود أعداؤنا ماضياً وحـــاضراً ومســـتقبلاً قـــال تعـــالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..﴾[1] والصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفار – إذا حدث مع وجود المصلحة أو الضرورة حسب ما يراه ولي أمر المسلمين – لا يلزم منه مودتهم ولا محبتهم ولا موالاتهم ولا يقتضي تمليكهم لما تحت أيديهم بل يجب على المســـلمين أن يعدوا العدة ما استطاعوا حتى تنتهي الهدنة المؤقتة، أو يقوى المسلمون علـــى إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة، ويجب قتالهم عند القدرة حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[2]. ولن يتحقق ذلـــك إلا إذا عاد المسلمون إلى دينهم وتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم وطبقـــوه في حياتهم وجميع شؤونهم أفراداً وأسراً ومجتمعات وحكومات ودولاً، فـــإذا تحقـــق ذلك كانوا جديرين بنصر الله عز وجل لهم وهزيمة أعدائهم واستعادة مقدساتهم ومجدهم فيكونون خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[3].

ولا توجد أمة تستطيع تخليص البشرية من شرور اليهود ودولتهم إلا أمـــة الإسلام، إن هذه الدولة اليهودية – التي لا تزال تنفث سمومها وتواصل عدوانها

---

(١) سورة المائدة، آية ٨٢.

(٢) انظر: للتوسع نـــص فتـــوى سماحـــة مفـــتي المملكـــة العربيـــة الســـعودية الشـــيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –حفظه الله ووفقه– في حكم الصلح مع الكفار الذي نشر في جريدة المسلمون السنة العاشرة العدد ٥١٦، ٥٢٠ عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤م.

(٣) سورة محمد، آية ٧.

ومكائدها ضد المسلمين، وتعيث في الأرض شروراً وإرهاباً وفتناً وفساداً – تسير على خطى سلفهم من اليهود الذي قال الله عز وجل عنـهم: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ۞ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾[2].

المبحث الثانـــي

مزاعم وأساطير يهودية باطلة.

اليهود –لعنهم الله– قوم بهت وكذب، وهذه الصفة من أقبح الصفات التي انغرست في نفوسهم –خاصة في زعمائهم– وأصبحت طبعاً لازماً لهـــم كـــأنهم جُبلوا عليها، وقد بلغت بهم الجرأة في الكذب والكفر إلى حد الإفتراء والكذب على الله عز وجل، وقد سجّل القرآن الكريم عليهم تلك الصفة المذمومة فقـــال تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هـذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[3]، وقال تعـــالى: ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[4]، وقـــال تعـــالى: ﴿... ومن الذين

(١) سورة المائدة، آية ٧٨،٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ٢١،٢٢.

(٣) سورة البقرة، آية ٧٩.

(٤) سورة آل عمران، آية ٧٨.

هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تأتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[1]، وغيرها من الآيات الكريمة[2].

كما شهد عليهم شاهد من أنفسهم هداه الله إلى الإسلام فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : ((أي رجل عبد الله بن سلام فيكم))؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا – وفي رواية: ذلك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا – فقال النبي ﷺ : ((أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام)) ؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[3].

وقد استخدم الصهاينة[4] اليهود سلاح الكذب والإفتراء في خداع الرأي

---

(١) سورة المائدة، آية ٤١.

(٢) إقرأ الآيات الأخرى في سورة النساء، آية ٥٠، وسورة هود، آية ١٨، وسورة الصف، آية ٧،٨.

(٣) أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري ٧/ ٢٥٠،٢٧٢).

(٤) الصهيونية: نسبة إلى جبل صهيون في القدس، ثم أصبحت كلمة (الصهيونية) اسماً لحركة سياسية عنصرية يهودية متطرفة، تسعى إلى تجميع اليهود من أنحاء العالم، وإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ثم إخضاع العالم لحكمهم.
– انظر للتوسع: بروتوكولات حكماء صهيون، جذور البلاء – عبدالله التل، الصهيونية – أحمد العوضي، الصهيونية وخطرها على البشرية – د. حمود الرحيلي، الموسوعة الميسرة ص٣٣١، وغيرها من الدراسات والكتب المؤلفة عن الحركة الصهيونية.

العالمي -خاصة الغربي- وتضليله وتسخيره لأطماعهم ومخططاتهم الصهيونية وذلك بواسطة نشر الأكاذيب والأساطير والدعاوى اليهودية الكاذبة وتقديمها إلى الناس على أنها حقائق ثابتة لا تقبل الشك والريب بها - بزعمهم - عن طريق مختلف الوسائل الإعلامية العالمية اليهودية وأبواقها التابعة لها، ومن أبرز تلك الأكاذيب ما يأتي:

١- الإدعاء بأنهم أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار.

٢- الزعم بنقاء الجنس والعنصراليهودي المتميز.

٣- الإدعاء بأن لليهود حقاً تأريخياً ودينياً في فلسطين.

إن هذه الإدعاءات أسهمت في تبرير جرائمهم ومكائدهم وحروبهم ومفسادهم أمام الرأي العالمي لتحقيق الهدف الصهيوني في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين -والغاية تبرر الوسيلة حسب القاعدة الميكافيلية اليهودية-، حيث ترافق وتزامن نشر هذه الإدعاءات اليهودية الصهيونية وغيرها مع الخطوات والمراحل السابقة لمخطط اليهود في احتلال فلسطين، وسوف نبين إن شاء الله تعالى بطلان هذه المزاعم بالأدلة والبراهين الساطعة.

المطلب الأول: زعمهم بأنهم شعب الله المختار.

إن الشعور بالاستعلاء والاستكبار على جميع الخلق داء عضال ومزمن عند الأمة اليهودية ذكره القرآن الكريم عنهم في آيات كثيرة وتزخر به نصوص كتبهم المقدسة لديهم ومنها ما ورد في توراتهم المحرفة (أنتم أولاد للرب إلهكم...لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[1].

(١) انظر: سفر التثنية ١٤/١ وتكررت التسمية في مواضع كثيرة في التوراة المحرفة منها خروج

ويقول الرِّبِّي عقيبا في المشنا (وصايا الآباء ١٨/٣) : بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة: (أنتم أولاد للرب إلهكم) [١].

وفي مصطلحاتهم نجدهم يخلعون على أنفسهم صفات المدح والتعظيم فيسمون أنفسهم أيضاً بـ (الشعب الأزلي) وبالعبرية [عام عولام]، و(الشعب الأبدي) وبالعبرية [عام ينصح]، و(شعب الله) وبالعبرية [عام ألوهيم] [٢].

وانبنى على ذلك احتقارهم للأمم الأخرى وتسميتها بألفاظ السباب والشتائم مثل (الجوييم) و(عاريل) و(ممزير) [٣]، ثم تمادوا في ادعائهم بأن لهم حق السيطرة على العالم ما داموا أنهم أبناء الله وأحباؤه.

بطلان هذه الدعوى:

لقد بيّن القرآن الكريم بطلان زعمهم بالأدلة الواضحة الدامغة فقال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن

١٩/٦ وتثنية ٧/٢-٨، ٩/٢٨ وغيرها.

(١) النص من كتاب التلمود نقلاً من كتاب (أبحاث في الفكر اليهودي)، ص١١١ د. حسن ظاظا.

(٢) انظر: الشخصية الإسرائيلية ص٢٨، ٥٠ د. حسن ظاظا.

(٣) الجوييم: كلمة عبرية تعني القذارة المادية والروحية والكفر، أما كلمة (عاريل) فتعني (الأقلف) أي الذي لم يختتن فهو قذر وكافر، وهذه الكلمة أصبحت من نصيب النصراني لأن الختان غير شائع عنده ، أما (ممزير) فتعني ابن الحرام أو ابن الزنا ويطلقها اليهود على المسلم لأنه من سلالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من هاجر -وهي عندهم جارية وأجنبية- فكل من ينتمي إليها منتسباً بالأصل أو بالدين إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من سلالة إسماعيل عليه الصلاة والسلام فهو عند اليهود (ممزير). (انظر: الشخصية الإسرائيلية ص٤٩) بتصرف بسيط.

خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾[١].

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: ((لم يكونوا يخلون من أحد أمرين:-

إما أن يقولوا: هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذاً أبناؤه ولا أحباؤه فإن الحبيب لا يعذب حبيبه ، وأنتم تقرون بعذابه وذلك دليل على كذبكم ، وإما أن يقولوا: لا يعذبنا، فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت به رسلهم ، ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم فيلتزمون أحكام كتبهم))[٢].

قلتُ: قد كان وسيكون عذاب الله عز وجل لليهود على ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة كما بيّناه في أثناء الحديث عن تاريخهم[٣].

ثم بَيَّن الله عز وجل بطلان اصل الادعاء، وبيّن لهم ما هو الحق من أمرهم فقال تعالى: ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ أي ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل الحق أنكم كسائر البشر من خلق الله إن آمنتم وأصلحتم أعمالكم نلتم الثواب، وإن بقيتم على كفركم وجحودكم نلتم العقاب، لا فضل لأحد على أحد عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح[٤].

فالناس من أصل وأب واحد من آدم عليه الصلاة والسلام وهو من تراب قال تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية ١٨.
(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٢٦/١.
(٣) انظر ص٢٩ وما بعدها.
(٤) انظر: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص٥٦٢ د. الطنطاوي.
(٥) سورة الروم، آية ٢٠.

فلا فرق بين أسود وأبيض ولا ميزة لفرد على آخر ولا فضل لإنسان على إنسان عند الله إلا بالتقوى وهو المقياس الصحيح قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

كما أبطل الله عز وجل زعمهم بقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ۝ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا﴾[2].

وتحداهم الله عز وجل في القرآن الكريم لإظهار كذبهم بقوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ۝ ولا يتمنونه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين ۝ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[3].

وبقوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدّار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ۝ ولن يتمنوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾[4].

ثم نقول متعجبين ومستنكرين كيف يكون اليهود أبناء الله وأحباؤه وقد غضب الله عليهم ولعنهم في كتبه المقدسة المنزلة على أنبيائه الكرام؟!، فقد ورد في القرآن الكريم لعن الله عز وجل وغضبه عليهم صراحة في أحد عشر موضعاً في الآيات القرآنية الآتية:-

- قال تعالى: ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾[5].

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٣.
(٢) سورة النساء، آية ٤٩-٥٠.
(٣) سورة الجمعة، آية ٦-٨.
(٤) سورة البقرة، آية ٩٤،٩٥.
(٥) سورة البقرة، آية ٨٨.

– و قال تعالى: ﴿ ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾[١].

– وقال تعالى: ﴿ إن الذين يكتمون ما آنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[٢].

– و قال تعالى: ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾[٣].

– و قال تعـــالى: ﴿ من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾[٤].

– و قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾[٥].

– وقال تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا۞ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾[٦].

– و قال تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف

---

(١) سورة البقرة، آية ٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران، آية ٨٧.

(٤) سورة النساء، آية ٤٦.

(٥) سورة النساء، آية ٤٧.

(٦) سورة النساء، آية ٥١-٥٢.

عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾[1].

– وقال تعالى: ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾[2].

– وقال تعالى: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء..﴾[3].

– وقال تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون۞ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[4].

ولعنهم الله ضمناً مع الكافرين والمنافقين والظالمين والكاذبين في آيات كثيرة في القرآن الكريم.

كما عذبهم عز وجل بألوان من العذاب لم تحدث لغيرهم كالمسخ قردة وخنازير. قال تعالى:﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل۞ وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون۞ وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون۞ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[5].

وحرّم عليهم طيبات أحلت لغيرهم. قال تعالى:﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل

---

(١) سورة المائدة، آية ١٣.
(٢) سورة المائدة، آية ٦٠.
(٣) سورة المائدة، آية ٦٤.
(٤) سورة المائدة، آية ٧٨،٧٩.
(٥) سورة المائدة، آية ٦٠-٦٣.

ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون• فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾[1].

وقضى الله عز وجل عليهم بالتشريد والعذاب والمسكنة والغضب عليهم قال تعالى : ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[2].

وإن إنزال العذاب من الله عز وجل على اليهود بسبب كفرهم وعصيانهم ثابت في كتبهم التي يقدسونها لتظل شاهداً على افترائهم وكذبهم فقد ورد في توراتهم قول موسى عليه الصلاة والسلام: ((لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هو ذا وأنا بعد حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحري بعد موتى... لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم)) [3].

وذكرت المزامير بعض العقوبات الإلهية التي نزلت على اليهود بسبب كفرهم وعصيانهم، وفيها: ((وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء، فوقف فينحاس ودان فامتنع الوباء... لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم، بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم، وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركاً، وذبحوا بنيهم وبناهم للأوثان، وأهرقوا دماً زكياً،

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٤٦، ١٤٧.

(٢) سورة آل عمران، آية ١١٢.

(٣) تثنية ٣١/٢٧-٣٠.

دم بنيهم وبناهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه، أسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم، وضغطهم أعداؤهم فذلوا تحت يدهم...))[١].

وقال نبيهم أرميا في رثاء بيت المقدس وما أصابها من الأعداء : ((لأن الرب قد أذلها لأجل كثرة ذنوبها، ذهب أولادها إلى السبي قدام العدو))[٢].

وقال أرميا عن الله وعذابه: ((نحن أذنبنا وعصينا أنت لم تغفر، إلتحفت بالغضب وطردتنا))[٣] وقال: ((ردّ لهم جزاءً يا رب حسب عمل أياديهم، لعنتك لهم، اتبع بالغضب وأهلكهم من تحت سماوات الرب))[٤].

ثم قال في نهاية رثاءه لما أصاب بني إسرائيل ((لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام، ارددنا يا رب إليك فنرتد ، جدد أيامنا كالقديم، هل كل الرفض رفضتنا؟! هل غضبت علينا جداً ؟!))[٥].

كما أن الأناجيل نسبت إلى المسيح عليه الصلاة والسلام ذم اليهود وتوعدهم بالعذاب الإلهي، فقال: ((يا أورشليم يا أروشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها

(١) المزمور ١٠٦/١٩-٤٧.
(٢) مراثي أرميا ١/٥.
(٣) مراثي أرميا ٣/٤٢، ٤٣.
(٤) مراثي أرميا ٣/٦٥،٦٦.
(٥) مراثي أرميا ٥/٢١،٢٢.
وللاستزادة من الأسفار المقدسة لديهم في غضب الرب عز وجل وسخطه عليهم بسبب كفرهم وضلالهم. راجع: سفر أرميا - الإصحاحات (٤)،(٦)،(١٣)، وسفر أشعيا - الإصحاح (١٤)،(٥١).

تحت جناحها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً))[١].

ونكتفي بهذه النصوص في بيان بطلان دعــوى اليــهود بــأنهم أبنــاء الله وأحباؤه.

المطلب الثاني: زعمهم نقاء الجنس اليهودي

إن الإحساس بالتميز والاستعلاء والاستكبار لابد أن يؤدي باليـــهود إلى التعصب لجنسهم، وزاد في ذلك تأثرهم بمن كانوا يعيشون بينـــهم في أوروبــا القومية، وبالتعصب الديني السائد في أوروبا في العصور الوسطى مما ألجأ اليــهود إلى الانعزال – إضافة إلى عوامل أخرى – والانفراد بأحياء خاصة بهم عرفـــت باسم (الجيتو) كما عرفت في الدول العربية باسم (حارة اليهود)، فادعوا تلـــك الدعوى الزائفة (بأن جميع يهود العالم من سلالة شعب إسرائيل، وأن يهود كـــل بلدان العالم إنما هم امتداد عضوي للآباء الأول من عصر إسحاق ويعقوب)[٢].

وقال زعيم الصهيونية هرتزل: إن اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متمـــيزاً، إن قوميتهم المتميزة لا يمكن أن تزول، ويجب أن لا تنقرض ، لذلك لا يوجد غير حل واحد فقط للمسألة اليهودية، هي الدولة اليهودية[٣].

بهذا النص يتبين لنا الهدف والمغزى من تلك الدعوى الزائفة وهـــو تـــبرير الاحتلال اليهودي الصهيوني لفلســـطين بدعــوى العــودة إلى أرض الآبــاء والأجداد!!

وقد بلغ من تأثير الدعاية الصهيونية وترويجها لهذه الأسطورة أن صدقـــها

---

(١) إنجيل متّى ٢٣/٢٩-٣٩.

(٢) انظر: التاريخ اليهودي ٢/١٦٥.

(٣) انظر: اليهود والتحالف مع الأقوياء ص١٥٠ د. نعمان السامرائي.

بعض العرب فاعتقدوا بأن اليهود المتجمعين في إسرائيل هم من سلالة النبي الكريم يعقوب (إسرائيل) عليه الصلاة والسلام.

بطلان هذه الدعوى:

إذا عدنا إلى تأريخ اليهود وكتبهم المقدسة لديهم وجدنا أن الإختلاط الجنسي بين اليهود وغيرهم ثابت منذ بداية تاريخهم، فقد ورد في كتبهم ما يأتي (فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم)[1].

ولو ألقينا نظرة خاطفة على اليهود المعاصرين لوجدناهم مختلفي الألوان والأشكال حسب البلاد التي عاشوا فيها وقدموا منها إلى فلسطين ، لذلك يقول عالم الأنثروبولوجيا السويسري أوجين بيتار: ((إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدّعيه اليهود والمنضوون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى (جنس يهودي)، وكما يقول رينان: (لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية)، وليس هناك أصحّ من قوله هذا، فنحن لا نستطيع أن نعتبر اليهود الحالين مكوّنين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد، ولا حق في فلسطين، بعد أن جرَّت إليها الحركات الصهيونية كثيراً من الإسرائيليين دون اختيار أو تمييز . فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من

(١) سفر القضاة ٣/٥-٦ وتكرر ذلك منهم في مواضع متعددة من كتبهم وأزمان مختلفة وخاصة في السبي البابلي.

اليهود الأحباش -الفلاشة-، إلى اليهود الأشكناز- من الجنس الجرمـــاني-، إلى التاميل - اليهود الأفارقة الزنوج -، إلى اليهود الهنود الذيـــن يســـمّون بـــني إسرائيل، واليهود الخزر الذي ينتمون إلى الجنس التركي، فهل هناك من هــــذه الأنواع الإسرائيلية نوع يعتبر من ناحية التشريح والتحليل ممثلاً حقيقياً ونقيـــاً للجنس اليهودي ؟!)) ويستمر عالم الأجناس البشرية السويسري في تحليل كـــل نوع من الجاليات اليهودية في العالم، من حيث القامة والجمجمة والهيكل العظمي والتقاطيع ولون البشرة والشعر والعينين وشكل الأنف وغيرها مـــن المميـــزات البيولوجية، ليخرج بنتيجة حاسمة وهي أن الدعوى العنصرية التي يجـــاهر بهـــا اليهود من ناحية وأعداء اليهود من ناحية أخرى ليست إلا ادعاءً خرافياً مـــــن نسج الخيال)) [١].

ولو أردنا معرفة حقيقة الكثرة الغالبة من اليهود المعـــاصرين في فلســـطين المحتلة وخاصة الطبقة الحاكمة في إسرائيل من السياسيين وكبار القادة العسكريين وأقطاب الصهيونية الحديثة، لوجدنا أنهم ينتمون إلى يهود الأشـــكناز[٢] وهـــم أحفاد الخزر الذين كانوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنـــين السابع والثامن الميلادي.

(١) الأجناس البشرية والتاريخ ص٤١٣-٤٣٢ يوجين بيتار، نقلاً من الشخصية الإســـرائيلية ص٣٥،٣٦، وأبحاث في الفكر اليهودي ص١٠٤ كلاهما للدكتور حسن ظاظا، وراجـــع أيضاً كتاب (العرب واليهود في التاريخ) ص٥٥١ للمؤلف أحمد نسيم سوســـه (كـــان يهودياً فأسلم)، وانظر: اليهود والتحـــالف مـــع الأقويـــاء ص١٥١،١٥٢ د. نعمـــان السامرائي، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص٨٢-٩٢ إسماعيل الكيلاني.

(٢) ينقسم جمهور اليهود إلى طائفتين كبيرتين جداً همـــا:- الإشـــكناز، والســـفرد، فأمـــا الإشكناز: فهم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها، وأما السفرد: فهم اليـــهود الذي استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط والبلاد العربية والآسيوية (انظر: الفكـــر الديني اليهودي ص٢٠٢-٢٠٤ د. حسن ظاظا).

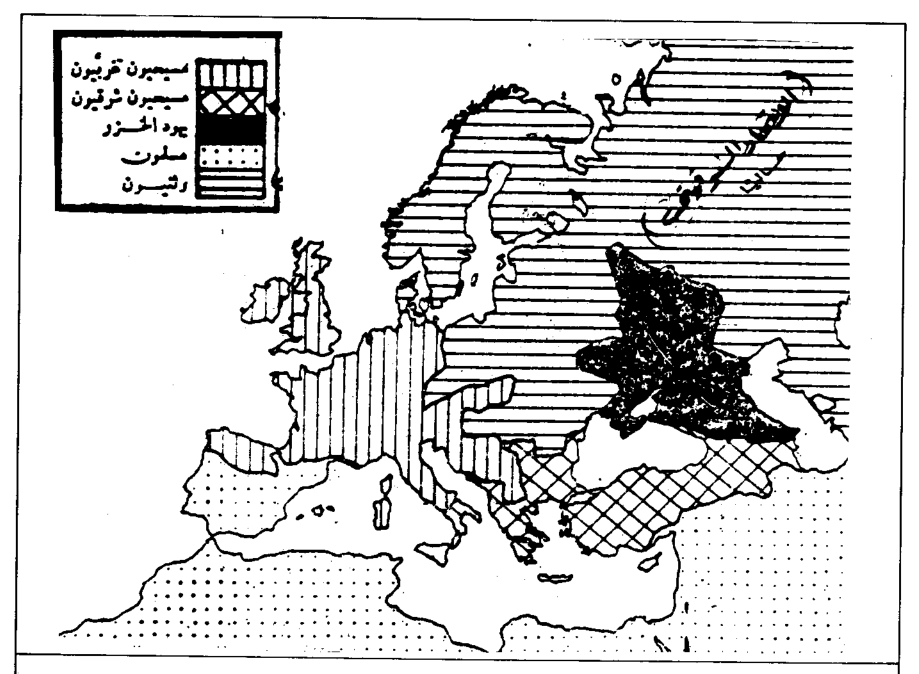
وعن هؤلاء الخزر تقول الموسوعة اليهودية طبعة ١٩٠٣م في المجلد الرابع ص١-٥ ما يأتي :

((الخزر: شعب تركي الأصل تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا... أكرهته القبائل البدوية في السهول من جهة ، ودفعه توقه إلى السلب والانتقام من جهة أخرى... على توطيد أسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية، قبل قيام الفارنجيين (سنة ٨٥٥م) بتأسيس الملكية الروسية... في هذا الوقت (٨٥٥م) كانت مملكة الخزر في أوج قوتها تخوض غمار حروب دائمة... وعند نهاية القرن الثامن... تحوّل ملك الخزر ونبلاؤه وعدد كبير من شعبه الوثنيين إلى الديانة اليهودية... كان عدد السكان اليهود ضخما في جميع أنحاء مقاطعة الخزر، خلال الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن العاشر... بدا عند حوالي القرن التاسع، أن جميع الخزر أصبحوا يهودا، وأنهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط))[١]

إن مملكة الخزر اليهودية التي قامت في جنوب روسيا -بمنطقة القوقاز فيما بين نهري الفولجا والدون- استمرت لمدة قرنين تقريباً وكان اسم عاصمتها (إتل) وسقطت على يد أمراء (كييف) الروس في الفترة بين سنة ٩٦٤ و٩٧٣م، ودامت لهم ولاية في القرم نصف قرن آخر إلى سنة ١٠١٦م[٢].

(١) نقلاً من كتاب (يهود اليوم ليسوا يهودا ص١٩ للمؤلف بنيامين فريدمان) ترجمة زهدي الفاتح.

(٢) انظر: دولة الخزر الجديدة أو إسرائيل ص١٢،١٣،٣٥،٣٦، عبد الرحمن شاكر، والقدس عربية إسلامية ص١٧٥ د. سيد فرج راشد، يهود اليوم ليسوا يهودا ص٣٩-٤٤ بنيامين فريدمان.



خريطة منقولة عن دائرة المعارف اليهودية تبيّن التوزيع الديني في أوربا عام ٩٠٠ ميلادية، وفي وسطها تظهر امبراطورية الخزر اليهوديــــة، الـــتي دامت ثلاثة قرون، وكانت كبرى دول اليهود في التاريخ ولا تمت بأية صلة عرقية إلى دولتي " إسرائيل ويهوذا " التاريخيتين على أرض فلسطين.

والحقيقة أنَّ من يزعمون أنفسهم (يهودا) المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر يشكلون أكثر من ٩٢% بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم (يهودا) في كــــل مكان من العالم اليوم، والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبـــا الشرقية أصبحوا يسمون أنفسهم (يهودا) بالتحول والاعتناق ســـنة (٧٢٠م)، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط (الأرض المقدسة) في تاريخ العهد القديم، هذه حقيقة تاريخية لا تقبل جدلاً.

ويؤيد ذلك معظم الباحثين في علوم الإنسان والآثار والتاريخ المختصون بموضوع خزر أمس ويهود اليوم[1].

وإن حرص اليهود المعاصرين – الذين بيّنا حقيقة أصلهم ونسبهم – على الانتساب – كذباً وزوراً وبهتاناً – إلى نسل بني إسرائيل القدماء، لتكون لهم حجة ودليلٌ لتعزيز ادعائهم الباطل بأن لهم حقاً تأريخياً ودينياً في أرض فلسطين، وهو ما سنبين بطلانه إن شاء الله تعالى في الأكذوبة الثالثة من أكاذيب اليهود وأساطيرهم.

المطلب الثالث: زعمهم أن لهم حقاً تاريخياً ودينياً في فلسطين

يدعي اليهود أن لهم حقوقاً تاريخية في فلسطين لأن أجدادهم سكنوها فترة من الزمن، بدءاً بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومروراً بموسى ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام، وإقامة مملكتهم زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وانتهاءاً بطرد آخر يهودي من بيت المقدس في عصر التشرد والتشتت اليهودي الذي بدء عام ٧٠م.

ويدعي اليهود أيضاً أن لهم حقاً دينياً على ما جاء في كتبهم المقدسة لديهم أن الله وعدهم بامتلاك (أرض كنعان) فلسطين وما جاورها (من النيل إلى الفرات) وهي أرض الميعاد لتكون لهم ملكاً ووطناً ويستدلون على ذلك بما ورد في التوراة أن ذلك الوعد كان مع أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما

---

(١) انظر: يهود اليوم ليسوا يهودا ص٤٤،٤٥، بنيامين فريد مان بتصرف بسيط، وراجع دولة الخزر ص٣٦،٣٧ عبد الرحمن شاكر، التاريخ اليهودي العام ص١٦٥-١٨١ د. صابر لعيمة، والمماليك الصهاينة -عبد الرحمن شاكر، والمخططات التلمودية اليهودية ص٣١-٣٨ أنور الجندي.

قال له الرب: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)[١]. وقال له الرب أيضاً (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم)[٢]. ويزعم اليهود المعاصرون أنهم أحفاد إبراهيم وسلالته وأنهم شعب الله المختار فهم الأحق إذاً بفلسطين وما جاورها أرض الآباء والأجداد.

بطلان هذه الدعوى:

فأما بالنسبة لزعمهم بالحق التاريخي فنبين بطلانه بالآتي:

١- أن من الثابت تأريخياً وجود القبائل العربية من الكنعانيين والفينقيين في فلسطين قبل ظهور اليهود بآلاف السنوات، ولم ينقطع وجود العرب واستمرارهم في فلسطين إلى يومنا بخلاف اليهود. وقد بينا ذلك من قبل[٣].

٢- أن على اليهود المعاصرين -سلالة الخزر- أن يطالبوا بالحق التاريخي لمملكة الخزر بجنوب روسيا وبعاصمتهم (إتل) ، وليس بفلسطين أو بيت المقدس، لأن أجدادهم لم يطأوها من قبل، وقد أوضحنا ذلك أيضاً[٤].

٣- كانت مدة بقاء بني إسرائيل في فلسطين لا تزيد عن ثلاثة قرون

---

(١) سفر التكوين ١٥/١٨ وقد ذكر الوعد أولاً في تكوين ١٢/٧ ثم ١٣/١٥ ثم ١٧/٨ ، ثم تكررت الوعد لإسحاق ويعقوب في تكوين ٢٦/١-٤، ٢٨/١٣، ثم تكرر مع يوشع في سفر يوشع ١/٢-٤ ، ثم تكرر مع داود في المزمور ٦٩/٢٥ ، ٢٦، وسفر صموئيل الثاني ٧/٤-٦، ١٢-١٦.

(٢) تكوين ١٧/٧،٨.

(٣) انظر ص٦.

(٤) انظر ص٥٣ وما بعدها.

ونصف قرن - وبعض المؤرخين يرى أنها تبلغ خمسة قرون - فهل المدة التي مكثوها في فلسطين كافية في إثبات حقهم مقابل وجود العرب في فلسطين من قبلهم وبعدهم لمئات القرون ؟!!

وأما بالنسبة للحق الديني والوعد الإلهي لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وانتسابهم إليه دينياً فهو باطل من وجوه عديدة نذكر منها ما يأتي:-

١ - بعد أن أوضحنا بطلان انتساب معظم اليهود المعاصرين إلى سلالة إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فقد بين لنا القرآن الكريم بطلان انتساب اليهود إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام دينياً فقال عز وجل: ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون۝ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون۝ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين۝ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[١].

وقال عز وجل : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون﴾[٢].

٢ - أنه لايسلم لليهود صحة كتبهم المقدسة لديهم وما احتجوا بها من نصوص، فقد أثبت القرآن الكريم أنهم تجرؤا على كتب الله المنزلة على أنبياء بني إسرائيل بالتحريف والتزوير والتغيير قال تعالى:﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم

(١) سورة آل عمران، آية ٦٥-٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٠.

وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه. . .﴾[١]. وهذا ما سنبينه ونذكر الشواهد والأدلة عليه فيما سيأتي[٢] إن شاء الله تعالى.

٣- وعلى فرض التسليم لهم -جدلاً- صحة ما استدلوا به على الوعد الإلهي من كتبهم، فإنا نقول إن الوعد الإلهي قد أعطي لإبراهيم أولاً عند وصوله أرض كنعان ولم يولد له ولد حينئذ (تكوين ١٢/٧)، وتكرر الوعد حين رجوعه إلى أرض كنعان من مصر (تكوين ١٣/١٥)، ثم تكرر الوعد ولم يكن لإبراهيم ولد (تكوين ١٥/١٨)، ثم تكرر الوعد لإبراهيم بعد أن ولد له إسماعيل عليهما الصلاة والسلام (تكوين ١٧/٨).

بناء على ذلك فالوعد الإلهي من حق إسماعيل عليه الصلاة والسلام جدُّ العرب والمسلمين دون غيره، لأن إسحاق الابن الثاني لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام لم يولد بعد[٣].

فإن قيل: بأن الوعد الإلهي لهم بالأرض المقدسة إرثٌ وموطنٌ أبديٌ قد ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ۝ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[٤].

فالجواب: أنه بقطع النظر عن كون يهود اليوم هم غير بني إسرائيل القدماء

---

(١) سورة المائدة، آية ١٣.

(٢) في بحث عنوانه (الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم - عرض ونقد)

(٣) انظر: الصهيونية والعنف ص٦٦ د. حسن ظاظا، الصهيونية وخطرها على البشرية ص٧٢ د. حمود الرحيلي.

(٤) سورة المائدة، آية ٢٠،٢١، وبنحو هذه الآية في سورة الأعراف، آية ١٣٧، وسورة الإسراء، آية ١٠٤، وسورة الشعراء، آية ٥٧-٥٩.

– كما بيناه من قبل – وأن ما جاء في الآية لا يعنيهم ؛ لأنها لا تشمل من دان باليهودية من غير بني إسرائيل وهم معظم أو كل يهود اليوم، فإن الحق في هذا الأمر الذي عليه جمهور المفسرين هو أن عبارة الآية ليست على التأبيد، وإنما هي خاصة بالزمن الذي وعدوا فيه بذلك ونتيجة لما كان من استجابتهم لأوامر الله وصبرهم[1].

وذلك الجزاء لإيمانهم وتفضيلهم على عالمي زمانهم سنّة إلهية في عباده عز وجل، قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[2].

فلما انحرف بنو إسرائيل عن دين الله الحق وارتدوا وفسدوا وأفسدوا في الأرض لم يعد لهم حق بالتمسك بالوعد الإلهي لهم، بل كان الجزاء عليهم بما تضمنته الآيات الكريمة بلعنة الله عليهم وغضبه وعقابه بتشتيتهم في الأرض وتسليط من يسومهم سوء العذاب عليهم إلى يوم القيامة، وضرب الذلة والمسكنة عليهم أين ما ثقفوا جزاءً لنقضهم مواثيق الله وكفرهم بآياته.

٤– كما يمكن القول أيضاً أن وعد الله لهم قد تحقق بعد موسى عليه الصلاة والسلام حينما دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون – فتى موسى عليهما الصلاة والسلام – وأقاموا فيها زمن داود وسليمان عليهما السلام حينما فضلهم الله عز وجل على عالمي زمانهم، ولكن حينما كفروا بالله وفسدوا وأفسدوا في الأرض غضب الله عليهم فعذبهم وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب وحرمهم من الأرض المقدسة وشردهم وشتتهم في الأرض.

---

(١) انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص٥٣٧، ٥٣٨، محمد دروزة.
(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٥.

وأما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كان الوعد أبديا ولا يمكن نســـخه فيقــول الدكتور الفرد جلوم -أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن: بأنه لم يقطع إطلاقاً أي وعد غير مشروط بأن التملك سيكون أبدياً، هذا مــع أن المقصــود كان فترة طويلة غير محددة.اهــ[١].

٥- إن الوعد الإلهي مشروط بالإيمان والعمل الصالح ، فقد ورد في التوراة الأمر بذلك وبالمثوبة عليه، والوعيد الشديد لمن كفر بالله وارتد عن دينه ونصه : ((فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها، فــإني أنبئكم أنكم لا محالة هالكون)) [٢].

وقد ثبت في أسفارهم المقدسة لديهم أنهم قد كفروا بالله وارتدوا وعبــدوا آلهة وأوثاناً أخرى، وقد أوضحنا ذلك أثناء سردنا لتاريخهم[٣].

لذلك حل بهم العذاب والبلاء والغضب من الله وهــــو ثــابت أيضــاً في أسفارهم حيث يقول نبيهم أرميا: ((لماذا بادت الأرض واحترقت كبريـــة بــلا عابر؟! فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم، ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم[٤] التي علمهم إياهــا آباؤهم، لذلك قال رب الجنود إله إسرائيل: ها أنـــذا أطعــم هــذا الشــعب أفسنتينا[٥]، وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آبــاؤهم،

---

(١) نقلاً من كتاب الخلفية التوراتية للموقف الإمريكي ص٧٠ إسماعيل الكيلاني.

(٢) سفر التثنية ١٥/٢٠-١٨.

(٣) انظر: ص٢٤ وما بعدها، وراجع سفر الملوك الثاني ٩/١٧-١٧ وغيره.

(٤) البعليم: جمع إله البعل، وهو إله المزارع ورب الخصب عند القبائل الوثنية.
- انظر: قاموس الكتاب المقدس ص١٨٠.

(٥) نبات مُرٌّ وسام (المرجع السابق ص٩٥).

وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم))[1].

وقال: ((هكذا قال الرب: إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل فرائض السماوات والأرض، فإني أرفض نسل يعقوب وداود عبدي))[2].

بل قد ورد التصريح في أسفارهم المقدسة لديهم بحرمانهم من بيت المقدس بسبب كفرهم وضلالهم وعصيانهم، فقال أشعيا: ((فكان إليّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض ونحن كثيرون، لنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، أفترثون الأرض !! وقفتم على سيفكم فعلتم الرجس، وكل منكم نجّس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض !!))[3].

فمتى نقض اليهود عهد الله فإنه عز وجل لا ينفذ عهده ووعده لهم بل ينفذ وعيده وعذابه، فالأرض لله يورثها من أقام دينه واتبع تعاليمه لا من يفسد في الأرض ويعيث فساداً قال الله تعالى: ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض

(١) سفر أرميا ٩/١٢-١٦.
(٢) سفر أرميا ٣٣/١٩ - ٢٥ باختصار.
(٣) سفر أشعيا ٣٣/٢٣-٢٦.
(٤) سورة الأعراف، آية ١٢٨.
(٥) سورة الأنبياء، آية ١٠٥.

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾(١).

وقـــال تعـــالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(٢).

والمسلمون هم المراد بهذه الآيات الكريمة إذا صدقوا ما عاهدوا الله عليـــه ورجعوا إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ، وتمسكوا بالإسلام كاملاً أفـــراداً وأسراً ومجتمعات ودولاً ، ونكتفي بهذه الأوجه في الرد على مزاعم اليهود وبيان بطلانها(٣).

---

(١) سورة النور، آية ٥٥.

(٢) سورة الحج، آية ٤١.

(٣) انظر: للتوسع التاريخ اليهودي العام ١/٣١٧-٣٢٢ د. صابر طعيمة، الخلفية التوراتيـــة للموقف الإمريكي ص٤١-٩٤ إسماعيل الكيلاني، اليـــهود والتحـــالف مـــع الأقويـــاء ص١٤٦-١٦٨ د. نعمان السامرائي، الصهيونية وخطرها على البشرية ص٦٩-١٠٦ د. حمود الرحيلي، بنو إسرائيل في القرآن الكريم ص٢٦٣-٢٦٥ د.محمد عبد السلام محمد.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الأخوة الزائفة - جاك تني، تعريب أحمد التازوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ ـ أبحاث في الفكر الديني اليهودي - د. حسن ظاظا، الطبعة الأولى دار القلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٤ ـ أحجار على رقعة الشطرنج - وليم كار.

٥ ـ إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة - أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة - ١٩٧٢م.

٦ ـ البداية والنهاية - لابن كثير، دار الفكر العربي - القاهرة.

٧ ـ بابوات من الحي اليهودي - واكيم بيرنز، تعريب خالد أسعد عيسى.

٨ ـ بنو إسرائيل في القرآن الكريم - د. محمد عبد السلام محمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

٩ ـ بنو إسرائيل في الكتاب والسنة - د. محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ.

١٠ ـ تاريخ الإسلام - للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام، ط(١)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ .

١١ ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - محمَّد دروزة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

١٢ ـ تاريخ الإسرائيليين - شاهين مكاريوس - مطبعة المقتطف، مصر ١٩٠٤م.

١٣ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد بك، تحقيق: د. إحسان حقي، الطبعة الثانية، دار النفائس - بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٤ ـ التاريخ اليهودي العام - د. صابر طعيمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - دار الجيل، بيروت.

١٥ ـ تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ - شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الخليفة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، سنة ١٤١٧هـ.

١٦ ـ الجامع الصحيح – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري – مطبوع مع فتح البـاري شرح صحيح البخاري.
١٧ ـ الجامع الصحيح – للإمام مسلم النيسابوري – تحقيق محمَّد فؤاد عبـد البـاقي، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٨ جذور البلاء – عبد الله التل، عبد الله التل، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
١٩ ـ جريدة المسلمون – الصادرة من لندن.
٢٠ ـ حكومة العالم الخفية – يشيريب سيبريد وفيتشى، ترجمة مأمون سعيد دار النفائس– بيروت ١٩٨٢م.
٢١ ـ الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي – ماجد كيلاني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، الدار السعودية – جدة.
٢٢ ـ خطر اليهودية العالمية – عبد الله التل، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بـيروت، ١٣٩٩ هـ.
٢٣ ـ خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) – للمقريزي – مطبعـة بولاق، القاهرة، ١٢٧٠هـ.
٢٤ ـ الخلفية التوراتية للموقف الإمريكي – إسماعيل الكيلاني، الطبعـة الأولى، مكتبـة الأقصى، قطر، ١٤٠٧ هـ.
٢٥ ـ دروس اللغة العبرية – د. يحيى كمال، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢ م.
٢٦ ـ دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية – د. محمد محمد إبراهيم زغـروت، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة.
٢٧ ـ دولة الخزر الجديدة (إسرائيل) – عبد الرحمن شاكر، الطبعـة الأولى، ١٩٨١ م، دار مصباح الفكر – بيروت، لبنان.
٢٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة – للشيخ محمَّد نـاصر الديـن الألبـاني، المكتـب الإسلامي، بيروت.
٢٩ ـ السيرة النبوية – لابن هشام، تحقيق: د. همام عبدالرحيم، ومحمد عبدالله، الطبعـة الأولى، مكتبة المنار – الأردن، سنة ١٤٠٩هـ.
٣٠ ـ السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمي – زياد أبو غنيمة.
٣١ ـ الشخصية الإسرائيلية – د. حسن ظاظا، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٢ ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – للقلقشندي ، الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية للتأليف.
٣٣ ــ صراعنا مع اليهود – محمَّد إبراهيم قاضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
٣٤ ــ الصهيونية وخطرها على البشرية – د. حمود الرحيلي، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤ هـ.
٣٥ ــ الصهيونية والعنف – د. حسن ظاظا، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٣٦ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني دار المعرفة، بيروت.
٣٧ ــ الفكر الديني اليهودي – د. حسن ظاظا، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٣٨ ــ فلسطين عربية إسلامية – د. سيد فرج، دار المريخ للنشر، ١٤٠٦هـ، الرياض.
٣٩ ــ قاموس الكتاب المقدَّس – تأليف مجموعة من الأساتذة اللاهوتيين.
٤٠ ــ قصة الحضارة – ول ديورانت، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٧٣م.
٤١ ــ الكتاب المقدَّس – طبعة دار الكتاب المقدَّس، القاهرة.
٤٢ ــ الكتاب المقدَّس – منشورات دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣ م.
٤٣ ــ الكنز المرصود في قواعد التلمود – د. روهلنج، ترجمة: د. يوسف نصر الله، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، دمشق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
٤٤ ــ لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان – الملك محمد صديق حسن خان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٥ ــ المخططات التلمودية اليهودية – أنور الجندي – دار الاعتصام، القاهرة.
٤٦ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٤٧ ــ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة – محمد محمد حسن شُراب– الطبعة الأولى، دار القلم – دمشق ١٤١١هـ.
٤٨ ــ المماليك الصهاينة – عبد الرحمن شاكر، مطبعة خطاب سنة ١٩٤٨م، القاهرة.
٤٩ ــ المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة السابعة والعشرون، المكتبة الشرفية، بيروت، لبنان.

٥٠ ــ الموسوعة الفقهية الميسرة – دار نهضة لبنان، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٥١ ــ النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة – غــازي محمــد فريــج، طبعــة ١٤١١هــ، دار النفائس – بيروت.
٥٢ ــ النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية – فؤاد سيد الرفاع.
٥٣ ــ اليهود والتحالف مع الأقوياء – د. نعمان الســامرائي، الطبعــة الأولى، كتــاب الأمــة، قطر، ١٤١٢ هــ.
٥٤ ــ اليهود وراء كل جريمة – وليم كار، تعليق خير الله الطلفــاح، الطبعــة الثانيــة، ١٤٠٢ هــ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٥ ــ يهود اليوم ليسوا يهودا – بنيامين فريدمان، ترجمة زهدي الفاتح، الطبعة الثانيــة، ١٤٠٣ هــ، دار النفائس – بيروت.
٥٦ ــ اليهودي العالمي – هنري فرود، تعريب خيري حمــاد، دار الآفــاق الجديــدة – بيروت.
٥٧ ــ اليهودية والمسيحية – د. محمد الأعظمي، الطبعة الأولى، مكتبة الــدار، المدينــة المنورة، ١٤٠٩هــ.

المحتويـــــات

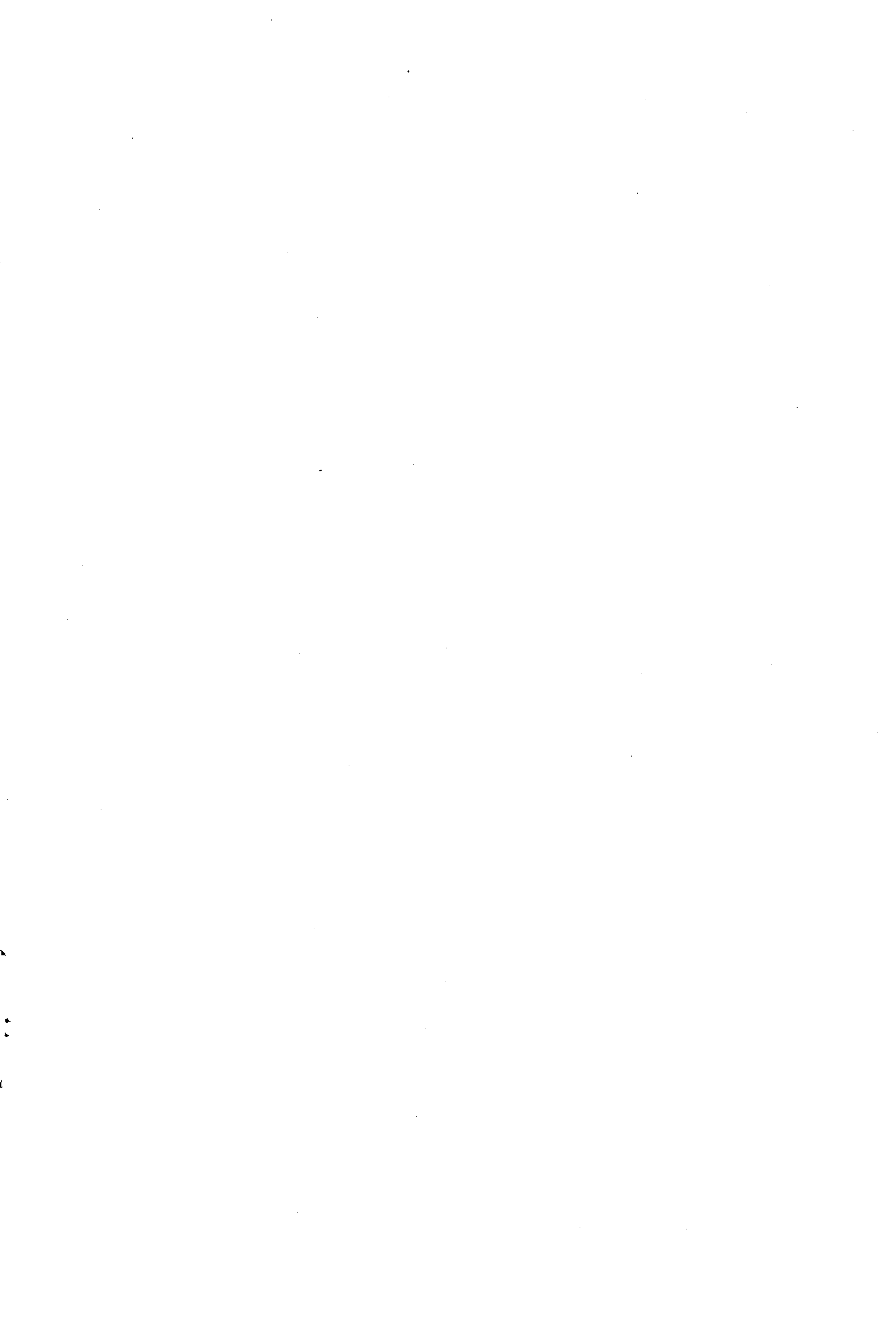
من ذخائر ابن مالك في اللغة

مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق

تحقيق :

د. محمد المهدي عبد الحي عمار

كلّيّة اللّغة العربيّة – الجامعة الإسلاميّة



مقـــدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أمـــا بعـــد :

فإنه لجلى كل الجلاء ما لتحقيق المخطوطات ونفض الغبار عنها وإخراجها من ظلمات المخازن من عظيم المزية وكبير الفائدة في خدمة لغة القرآن ولسان السنة.

ولقد كان ابن مالك من العلماء الأفذاذ الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم المفيدة في مختلف مجالاتها، وقد حُقّق بعض مؤلفاته ونشِر، ولكن بعضها ما زال مخطوطاً ينتظر من يقوم بخدمته.

ورغبة مني في المشاركة في خدمة هذا التراث المفيد فقد قمت بتحقيق مسألة لابن مالك في الاشتقاق ، ولما كانت المسألة المحققة مختصرة وخاصة بجزئية محدودة من الاشتقاق فقد مهدت لها بتقديم اشتمل على أهم مسائل الاشتقاق؛ ليكون القارئ لهذه المسألة مستحضراً لموضوع الاشتقاق؛ ليسهل عليه فهمها واستيعاب محتواها ومضمونها، وقد سلكت في عملي الخطة التالية:

أولاً: الاستفتاح .

ثانياً: التقديم وقد ضمنته سبعة مطالب وهي :

المطلب الأول: في بيان فائدة الاشتقاق وقوة الحاجة إليه.

المطلب الثاني: في بيان جهود العلماء في الاشتقاق.

المطلب الثالث: في تعريف الاشتقاق وبيان أنواعه.

المطلب الرابع: في الخلاف في وقوع الاشتقاق والآراء في أصل المشتقات.
المطلب الخامس: في بيان أركان الاشتقاق والأنواع التي لا يدخلها.
المطلب السادس: في المرجحات التي يؤخذ بها عند تردد الكلمة بين أصلين.
المطلب السابع: في التغييرات التي تحصل بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق.

ثالثاً: الدراسة وهي قسمان:

أ- دارسة المؤلّف وقد اختصرت الحديث عنه لشهرته وقصرت كلامي عنه في : نسبه: اسم وكنيته ولقبه ونسبته ، وتاريخ ميلاده ووفاته، وذكرت عدد مصنفاته إجمالاً.

ب- دراسة المسألة وقد تضمنت: توثيق نسبتها ، وسبب وضعها وبيان أهميتها، وأتبعت ذلك بوصف المخطوط.

رابعاً: تحقيق نص المسألة:

وقد قمت فيه بكتابتها وفق القواعد الإملائية، وشرحت وجه التمثيل من الأمثلة وفسرت الكلمات الغريبة مع توثيق ذلك كله من مراجعه.

خامساً: الفهرس:

هذا وإني لأحمد الله العلي القدير على أن مكنني من إنجاز هذا العمل الذي ما قصدت منه إلا وجه الله ثم خدمة اللغة العربية، فإن أكن قد وفقت فيه فذلك من فضل الله وجوده، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بذلت جهدي وما بخلت بطاقتي ، والتوفيق من الله. نسأله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

تمهـــــيد

المطلب الأول

في بيان فائدة الاشتقاق وقوة الحاجة إليه

إنّ المتأمل في اللغة العربية وما يحصل في بعض كلماتها من تفريعات، ومـــا يتولّد منها من ألفاظ مختلفة المبنى متقاربة المعنى ليدرك بوضوح قيمة الاشـــتقاق، الذي يُعَدُّ من أبرز الخصائص التي مَهَّدت للغة الضاد سُبُل التوسع ، ومكنتها من القدرة على مواكبة التطور الحضاري، والتفاعل مع واقع البيئة والمجتمع، فـــهي بواسطته تتجدد مع كل طور من أطوار الحياة ، مُزَوِّدَةً المتكلم بها بكل متطلبات عصره من الألفاظ ، والتراكيب التي تمكنه من التعبير عن كل ما يطرأ في حياتـــه السياسية، والاجتماعية ، والفكرية ، والاقتصادية، مع الحفاظ علـــى الأصـــول الأولى لتلك الألفاظ وبسبب الاشتقاق ظل آخر هذه اللغة يتصل بأولها في نسيج متقن ، من غير أن تذهب معالمها، أو يَنْبَهِم ما خَلَّفَه السلف من تُـــراث علـــى الأجيال بعدهم، فالاشتقاق يُسَهِّل إيجاد صِيغ جديدة من الجذور القديمة، بحسـب ما يحتاج إليه الإنسان ، فعن طريقه يستطيع العربي استبدال المصطلحات الأجنبية بكلمات عربية فصيحة هي أحسن تعبيراً وأدق دلالة على مفهومـــها، وذلـــك باستمدادها من الأصول المناسبة المتمتعة بسمات الرسوخ والحيوية الدائمة [١]، وقد اشتدت الحاجة إلى الاشـــتقاق في عصرنـــا الحـــاضرة عصـــر التقنيـــات والمخترعات التي نحتاج إلى تعريبها، وسبيلنا إلى ذلك هو الاشتقاق.

وقد كان لمجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق دور بـــارز في اشـــتقاق الأسماء المناسبة لكثير من تلك المخترعات.

(١) تنظر الفصحى لغة القرآن ص١٢، ومقدمة محقق العلم الخفاق ص٧.

المطلب الثاني

جهود العلماء في الاشتقاق

لقد فطن العلماء منذ القدم لفائدة الاشتقاق وأهميته واتضح لهم دوره البارز في إثراء اللغة العربية بما ينتج عنه من توليد للألفاظ والصيغ وربط بين الكلمات ذات الحروف المتجانسة والمعاني المتقاربة.

فلذلك أولوه عناية فائقة ، وقاموا بدرسه وسطرت أقلامهم فيه تراثاً عظيماً وصلنا بعضه وسطت غير الزمان على بعضه، فقد ذكر المؤرخون جمعا غفيراً من المتقدمين الذين كانت لهم جهود جبارة في هذا الميدان ، فمنهم من أفرد له مؤلفات، ومنهم من جعل له فصولاً ضمن كتبهم.

وقد ربط المحدثون الحاضرَ بالماضي في هذا المجال، فقاموا هم أيضاً ببحثه وتمحيصه، وأودعوا مرئياهم فيه كتباً مستقلة ، وأبحاثاً ضمن مؤلفاهم.

وقد قام الدكتور عبد السلام هارون في تقديمه لكتاب الاشتقاق لابن دريد بحصر شامل لِجُلِّ مؤلفات الاشتقاق مع ذكر أسماء مؤلفيها من المتقدمين والمحدثين، ونقل عنه ذلك الحصر نذير محمد مكتبي في مقدمته لتحقيق العلم الخفاق من علم الاشتقاق، وزاد عليه بعض المؤلفات التي توصل إليها من خلال بحثه في هذا المجال، وكذلك قام بحصر أكثر تلك المؤلفات الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمته لتحقيق اشتقاق الأسماء للأصمعي.

وفيما يلي ثبت بأسماء أصحاب تلك المؤلفات كما ذكرها أولئك المحققون

مضاف إليها ما وقفت عليه من المؤلفات التي فاتتهم فلم ترد في كتبهم.

١ – أبو علي محمد بن المستنير " قطرب " المتوفى سنة ٢٠٦هـ، لـه كتاب (الاشتقاق)[(١)].

٢ – أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة ٢١٥هـ، له (اشتقاق الأسماء)[(٢)].

٣ – أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥هـ لـه : (الاشتقاق)[(٣)].

٤ – أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ابن أخت الأصمعي المتوفى سنة ٢٣١هـ له: (اشتقاق الأسماء)[(٤)].

٥ – أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني المتوفى سنة ٢٥٣هـ ، له (اشتقاق الأسماء مما لم يأت به قطرب)[(٥)].

٦ – أبو الفضل أحمد بن طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠هـ. له (المشتق)[(٦)].

٧ – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ ، له (الاشتقاق)[(٧)].

---

(١) ينظر معجم الأدباء ١٩:٥٢ والمزهر ٣٥١/١ ، وتقديم هارون ومقدمة كل من رمضان عبد التواب ونذير محمد مكتبي.

(٢) ينظر المزهر ٣٥١/١ ، والبغية ١١٣/٢،وقد طبع بتحقيق د/رمضان عبد التواب ود/صلاح الدين الهادي سنة ١٤٠٠هـ مكتبة الخانجي.

(٣) ينظر معجم الأدباء ٢٣٠/١١، وبغية الوعاة ٥٩١/١ ، والمزهر ٣٥١/١ والمقدمات السابقة.

(٤) تنظر طبقات النحويين ص ٢٥٠، والفهرست ٨٣، والمزهر ٣٥١/١ وتقديم هارون ٢٨ ومقدمة رمضان وصلاح الدين ٤٦ ومقدمة نذير محمد مكتبي ص ٤٠.

(٥) تنظر طبقات النحويين واللغويين ٢٥٠ والبغية ١١٤/٢ ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص ٤٧، ومقدمة محمد نذير مكتبي ص ٤٠.

(٦) تنظر الفهرست ٢١٥، والمقدمتان السابقتان في الصفحات نفسها.

(٧) تنظر الفهرست ص٨٨، ووفيات الأعيان ٣١٣/٤، والمزهر ٣٥١/١، وتقديم هارون ٢٩، ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص٤٧، ومقدمة نذير محمد مكتبي ص ٤٠.

٨ – أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٣٠٠هـ ، له (الاشتقاق)[١].

٩ – أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج المتوفي سنة ٣١١هـ له (الاشتقاق)[٢].

١٠ – أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦هـ له (الاشتقاق) ولم يتمه[٣].

١١ – أبو بكر محمد بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ ، له (الاشتقاق)[٤].

١٢ –أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفي سنة ٣٣٧هـ له (اشتقاق أسماء الله وصفاته)[٥].

١٣ – أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي ابن النحاس المتوفي سنة ٣٣٨هـ له كتابان :

أ – كتاب الاشتقاق لأسماء الله عزوجل.

ب – كتاب الاشتقاق[٦].

---

(١) ينظر معجم الأدباء ١/١٥١، وبغية الدعاة ٢/٢٩٧ والمزهر ١/٣٥١، ومقدمة رمضان عبد التواب وصلاح الدين ص ٤٧ وطبقات ابن قاضي شهبة ١/٢٥٤.

(٢) تنظر الفهرست ص٩١ ومعجم الأدباء ١/١٥١ والمزهر ١/٣٥١ وتقديم عبد السلام هارون٢٩ ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص ٤٧، ومقدمة نذير محمد مكتبي ص ٤٠.

(٣) ينظر معجم الأدباء ١٨/٢٠٠ ، والمزهر ١/٣٥١، والبغية ١/١١٠ وقد نشره محمد صلاح التكويتي ١٩٧٣ كما نشره محمد علي الدرويش ومصطفى الحدري في دمشق سنة ١٩٧٣م ، تنظر مقدمة نذير محمد مكتبي للعلم الخفاق ص ٤٢.

(٤) طبع بتحقيق الدكتور عبد السلام هارون ومن تقديمه له استقيت جل هذه المعلومات.

(٥) طبع بتحقيق عبد الحسين المبارك.

(٦) ينظر فصل المقال ص ٣٤ وفهرست ابن خير ٣٨٦ ومعجم الأدباء ٤/٢٢٨، وتقديم هارون ٢٩ ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص٥٠، ومقدمة نذير محمد مكتبي ص ٤٠.

١٤ – أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه المتوفي سنة ٣٤٧هـ. له كتابان:

أ– الاشتقاق الصغير.

ب– الاشتقاق الكبير[١].

١٥ – أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفي سنة ٣٧٠هـ ، له كتاب (الاشتقاق)[٢].

١٦ – أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفي ٣٧٤هـ له كتابان :

أ– الاشتقاق الصغير .

ب – الاشتقاق الكبير[٣].

١٧ – أبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي المتوفي سنة ٤١٥هـ، له: اشتقاق الأسماء، أو اشتقاق أسماء الرياحين[٤].

١٨ – أبو عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي المتوفي سنة ٤٨٧هـ له (اشتقاق الأسماء)[٥].

١٩ – حجة الأفاضل علي بن محمد الخوارزمي المتوفي سنة ٥٦٠هـ ، له كتاب (اشتقاق أسماء المواضع والبلدان)[٦].

---

(١) تنظر الفهرست لابن النديم ص ٩٥، والتقديم والمقدمتان الصفحات السابقة.

(٢) تنظر الفهرست ١٢٢، وبغية الوعاة ٥٣٠/١، وتقديم هارون ٢٩، ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص ٥١، ومقدمة العلم الخفاق ص ٤٠.

(٣) ينظر معجم الأدباء ٧٤/١٤ والمزهر ٣٥١/١، وتقديم هارون ومقدمة رمضان وصلاح الدين ومقدمة نذير محمد مكتبي.

(٤) ينظر معجم الأدباء ٦٠/٢٠، والبغية ٣٥٨/٢، وكشف الظنون ٢١٢/٢، وتقديم هارون ٢٩، ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص ٥١، ومقدمة نذير مكتبي ص ٤١.

(٥) تنظر بغية الوعاة ٤٩/٢، وتقديم ومقدمتا المحققين السابقين .

(٦) تنظر البغية ١٩٥/٢، وهدية العارفين ٦٩٨/١ والتقديم والمتقدمتان.

٢٠ – أبو بكر محمد بن وائل البكري الأندلسي المتوفي سنة ٦٨٥هـ ، له كتاب (الاشتقاق)[١].

٢١ – علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٥٦هـ ، له أرجوزة سماها: لمعة الإشراق في أمثلة الاشتقاق[٢].

٢٢ – الإمام محمد بن علي الشوكاي المتوفي سنة ١٢٥٠هـ ، له (نزهة الأحداق في علم الاشتقاق)[٣].

ومما ينبغي أن يضاف إلى كتب الاشتقاق.

٢٣ – كتاب (مقاييس اللغة لأحمد بن الحسين ابن فارس المتوفي سنة ٣٩٥هـ[٤] . فإنه تناول مواده اللغوية في ضوء الاشتقاق.

٢٤ – ومثل ذلك معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ فقد جرى فيه على بيان اشتقاق أسماء البلدان[٥].

٢٥ – السيد الإمام أبو الطيب محمد بن صديق خان الحسيني المتوفي سنة ١٣٠٧هـ ، له : العلم الخفاق من علم الاشتقاق[٦].

٢٦ – العلامة عبد القادر المغربي المتوفي سنة ١٣٧٦هـ له : الاشتقاق والتعريب[٧].

(١) تنظر هدية العارفين ١٣٥/٢، وبغية الوعاة ٤٤/٢ ومقدمة رمضان عبد التواب وصلاح الدين لاشتقاق الأسماء للأصمعي ص ٥١ ومقدمة نذير محمد مكتبي للعلم الخفاق ص٤٣.

(٢) تنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٨٦/١٠، وتنظر مقدمة العلم الخفاق ص ٤٣.

(٣) تنظر مقدمة محقق العلم الخفاق ص ٤٣.

(٤) طبع بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٤١١هـ بدار الجيل ، بيروت .

(٥) مطبوع في دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٦) طبع بتحقيق نذير محمد مكتبي وقد أفدت من مقدمة محققة في جل ما أثبته هنا.

(٧) ينظر تقديم هارون ص ٣٠ ومقدمة رمضان وصلاح الدين ص ٥٠.

٢٧ – الأستاذ عبد الله أمين له : كتاب الاشتقاق[١].

٢٨ – الدكتور فؤاد حنا ترز له (الاشتقاق)[٢].

٢٩ – الدكتور عبد الحميد أبو سكين له : (الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي)[٣].

ولم تهمل كتب فقه اللغة والدراسات اللغوية والصرفية جانب الاشتقاق ، بل إنها قد تطرقت إليه وتناولته من جميع النواحي، ومن أمثلة ذلك الخصائص لابن جني، والصاحبي لابن فارس، والمزهر للسيوطي من الكتب القديمة، ومن الحديثة تصريف الأسماء لمحمد الطنطاوي، ودروس الصرف لمحمد محي الدين عبد الحميد، ودقائق العربية للأمير أمين آل ناصر ، وفي أصول النحو لسعيد الأفغاني، والمدخل إلى علم النحو والصرف للدكتو عبد العزيز عتيق، ودراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ، كما تناوله الدكتور عبد السلام هارون في تقديمه لكتاب الاشتقاق لابن دريد.

ومن العلماء من أفرد كلاً من القلب والإبدال والنحت بالتأليف دون أن يذكر أنها من أنواع الاشتقاق مع أنها من صميمه ومن أمثلة ذلك:

١ – أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت المتوفي سنة ٢٤٤ له كتاب القلب وله كتاب الإبدال[٤].

٢ – عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي المتوفي بعد سنة ٣٥٠هـ له كتاب الإبدال[٥].

---

(١) تنظر مقدمة رمضان وصلاح الدين ص٥٠ وتقديم هارون ٣٠ ومقدمة العلم الخفاق ص٤٣.

(٢) تنظر المقدمتان السابقتان.

(٣) مطبوع بمطبعة الأمانة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ.

(٤) تنظر طبقات الزبيدي ص ٢٢٣ و قد طبع كتاب الإبدال بتحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف تنظر مقدمته ص ٢٧.

(٥) تنظر بغية الوعاة ١٢٠/٢.

٣ – أبو علي الظهير الفارسي العماني له كتاب في النحت سماه (تنبيه البـــارعين على المنحوت من كلام العرب)[١].

٤ – جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك له : الوفاق في الإبدال[٢].

٥ – أحمد فارس الشدياق له : سر الليال في القلب والإبدال[٣].

ومن الكتب التي اشتملت على مباحث من الأنواع الثلاثة جمهرة ابن دريـــد والمزهر للسيوطي.

المطلب الثالث

تعريف الاشتقاق وبيان أنواعه

أولاً: تعريفــه :

في اللغة: يطلق على معان منها : أخذ الشيء من الشيء، ومنها الأخـــذ في الكلام والخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه، وكذلك أخذ الكلمة من الكلمة، واشـــتقاق الكـــلام إخراجـــه أحســـن مخرج[٤].

وقد ورد بمعنى أخذ شيء من شيء في حديث قدسي وهو قوله عليه الصلاة

---

(١) ينظر المرهز ٤٨٢/١.

(٢) ينظر بغية الوعاة ١٣٠/١ و ما بعدها وقد طبع بتحقيق بدر الزمان النيبالي.

(٣) طبع بالمطبعة العامرية بالاستانة سنة ١٢٤٨هـــ.

(٤) ينظر الصحاح واللسان والقاموس ((شقق))، و مقاييس اللغة ١٧١/٣.

والسلام فيما يرويه عن ربه عزوجل : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها مـــن اسمي[(١)].

وفي الاصطلاح : أخذ كلمة من أخرى مـــع تناســـب بينـــهما في المعـــنى واختلاف في الصيغة[(٢)].

ثانياً: أنواعـــه :

حصر العلماء الاشتقاق في أربعة أنواع وهي :

الأول: الصـــغير أو الأصـــغر .

ويُعَرَّف بأنه : أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئـــة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصلية بزيادة مفيدة ؛ لأجلها اختلفا حروفا وتركيبا كضارب من الضرب، وحَذِر من الحذَرِ[(٣)].

وهذا النوع هو أكثر أنواع الاشتقاق وروداً وهو المـــراد عنـــد إطـــلاق الاشتقاق.

وأفراده عشرة هي:

١- الفعل الماضي ٢- الفعل المضارع ٣- فعل الأمر

---

(١) ورد هذا الحديث في مسند الإمام أحمد ١/١٩٠، ١٩٤ و ينظر المزهر ١/٣٤٦، والعلـــم الخفاق ص ٩٤، وأصول النحو لسعيد الأفغاني ص ١٣٠.

(٢) ينظر المزهر ١/٣٤٦، والعلم الخفاق ص ٦٥ و دقائق العربية ١٩، وتصريف الأسماء لمحمد الطنطاوي ص ٣٨، ودروس التصريف لمحمد محي الدين ص ١٠ وفي أصول النحو لسـعيد الأفغاني ص ١٣٠ ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ١٧٤،وتقديم عبـــد السـلام هارون لكتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦، والاشتقاق لعبد الحميد أبو سكين ص ١٠.

(٣) المزهر ١/٣٤٦، وينظر التبيين للعبكري ص ١٤٤، والاشتقاق وأثره في النمـــو اللغـــوي ص١٥.

٤- اسم الفاعل ٥- اسم المفعول ٦- الصفة المشبهة

٧- اسم التفضيل ٨- اسم الزمان ٩- اسم المكان

١٠- اسم الآلة [١].

الثاني: الاشتقاق الكبير :

وعَرَّفوه بأنّه أخذ كلمة من كلمة مع تناسبهما في المعنى واتفاقهما في الحروف الأصلية دون ترتيبها، مثل: حمد ومدح. وأيس ويئس ، والحلم والحمل، ودهده وهدد[٢]، وجمهور الصرفيين يطلقون على هذا النوع القلب المكاني[٣]. وأول من فكر فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) وعلىّ أساس تلك الفكرة رتب معجمه (كتاب العين) ولكن أول من بسط فيه القول وبين جوانبه ووضحه أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) الذي ذكر أن شيخه أبا عليّ (ت ٣٧٧هـ) كان يستأنس بن يسيراً[٤].

الثالث : الاشتقاق الأكبر

وهوأخذ لفظة من أخرى مع تناسبهما في المعنى واتحادهما في أغلب الحروف، مع كون المتبقي من الحروف من مخرج أو مخرجين متقاربين مثل: نعق

(١) تنظر المراجع السابقة في الحاشية ٢ ص ٣١٥، والصرف العربي نشأة ودراسة للدكتور فتحي الدجني ص ١٦٦.

(٢) ينظر الخصائص ١/٥، ٢/١٣٤، والمزهر ١/٣٤٧، ودقائق العربية ص ١٩ وتصريف الأسماء للطنطاوي ص ٣٩، ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص ١٨٦.

(٣) ينظر الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ٩١.

(٤) تنظر المراجع السابقة.

ونهق، وهـــتن وهـــتل، وثلب وثلم، ويطلق على هذا النوع أحيانـــاً الإبـــدال اللغوي[١].

الرابع : الاشـــتقاق من الْكُـــبَّار :

وهو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع تناسب المأخوذ والمأخوذ منه في اللفـــظ والمعنى مثل: عبشمي وعبدري في عبد شمس وعبد الدار، وبسمل وسبحل قال بسم الله وسبحان الله، وكثير من العلماء يسميه بالنحت[٢].

المطلب الرابع

الخلاف في وقوع الاشتقاق والآراء في أصل المشتقات.

أولاً : الخـــلاف في وقوعـــه :

اختلفت الآراء في وقوع الاشـــتقاق في اللغة العربية فقال الخليـــل بـــن أحمـــد ت (١٧٠هـــ) وسيبويه (ت١٨٠هـــ) وجمع غفير من أئمة العربية: إن بعض الكلـــم مشتق وبعضه غير مشتق، وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين إن كل الكلم مشـــتق، ونسب هذا القول إلى سيبويه والزجاج (ت ٣١١هـــ).

وقال فريق ثالث – وصفهم السيوطي بالنظار[٣] – إن الكلم كله أصل،

(١) تنظر دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص ٢١٠ وتصريف الأسماء للطنطـــاوي ص ٣٩، والمدخل في علم النحو والصرف ص ٥٥، والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ٣٩.

(٢) تنظر المراجع السابقة ، وتقديم عبد السلام هارون لكتاب الاشتقاق لابـــن دريـــد ص ٢٨، وفي أصول النحو لسعيد الأفغاني ص ١٣٤، والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ١٢٥.

(٣) النظار هم أصحاب النظر والجدل ، تنظر التعريفات للجرجاني ص ٢٠٧ وينظر المزهـــر ٣٤٨/١.

والراجح هو الأول[١].

ثانياً: الآراء في أصـــل المشـــتقات:

تباينت آراء العلماء قديماً وحديثاً في أصل المشـــتقات، فذهـــب جمـــهور البصريين : إلى أن المصدر هو أصل المشتقات، وقد احتجوا لرأيهم بأدلة أوصلها بعض العلماء إلى العشرة، وقد اختار أكثر المتقدمين والمتأخرين رأيهم.

وقال الكوفيون : إن الفعل هو أصل المشتقات، وأوردوا على ذلك عـــدة أدلة، وقد حاول بعض المحدثين تاييد رأيهم[٢].

وهذا الخلاف وأدلة الفريقين و ردودهم مبسوط في كثير من كتب الصرف بخاصة وكتب النحو بعامة ولا يتسع المقام هنا لتفصيله[٣].

---

(١) ينظر همع الهوامع ٢/٢١٢، ٢١٣، والمزهر ١/٣٤٨، والعلـــم الخفـــاق ص ٩٨، ١٠١ والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ١٦.

(٢) ينظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني ص ١٤١.

(٣) ينظر الكتاب ١/١٢، والأصول ١/١٦٢، والإيضاح في علل النحو ص ٥٦، والتكملـــة لأبي علي ص ٥٠٧، وشرح الكتاب للســـيرافي ١/٥٤، وأســـرار العربيـــة ص ١٧١، والإنصاف المسألة ٢٨، والتبيين ١٤٣ وشرح التسهيل لابن مـــالك ٢/١٧٨، وشـــرح الكافية للرضى ٢/١٩٢ وبدائع الفوائد ١/٢٧، والأشباه والنظائر ١/٥٦، والمدخـــل إلى علم النحو ص ٥٨،٦٠ و في أصول اللغة لسعيد الأفغاني ص ١٤١ والاشتقاق وأثـــره في النمو اللغوي ص ١٢١.

المطلب الخامس

في بيان أركان الاشتقاق والأنواع التي لا يدخلها

أولاً: أركـــان الاشـــتقاق :

لابد في عملية الاشتقاق من تحقق أربعة أمور هي أركانه.

١- المشتق ٢- المشتق منه ٣- تشاركهما في المعاني والحروف.

٤- أن يكون بينهما تغيير لفظاً مثل: طالب من الطَّلَبِ أو تقديـــراً مثـــل طَلَبَ من الطَّلَبِ(١).

ثانياً: الأنـــواع التي لا يدخلها الاشـــتقاق:

يذكر العلماء ستة أنواع لا ينقاس الاشتقاق منها وما ورد من ذلك يَعُدُّونه نادراً مقصوراً على السماع، والأنواع هي:

١ – الأسماء الأعجمية.

٢ – أسماء الأصوات

٣ – الأسماء المتوغلة في الإبهام مثل: (مَنْ ، ماء ، مهما).

٤ – الألفاظ النادرة مثل : طوبى .

٥ – الأسماء التي لها معان متقابلة مثل الجون للأبيض والأســـود والجلـــل للكبير والصغير.

---

(١) أصول النحو لسعيد الأفغاني ص ١٠٠، وتنظر دروس التصريف ص ١١ مع حاشيته (١) وص ١٢ مع حاشيتها.

٦ - الحروف [1].

وقد أجاز مجمع اللغة العربية الاشتقاق من الأعيان عند الضرورة[2] .

المطلب السادس

في المرجحات التي يؤخذ بها عند تردد الكلمة بين أصلين:

لما كانت بعض الكلمات العربية محتملة للاشتقاق من أكثر من أصل فقد بحث العلماء عن ما يرجح كونها من أحد تلك الأصول وقد أورد السيوطي ت ٩١١ في المزهر تلك المرجحات فقال:

(وإذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طُلِب الترجيح وله وجوه:

أحدها: الأمكنية كمهدد علما من الهد أو المهد فيرد إلى المهد؛ لأن باب كُرُم أمكن وأوسع وأفصح وأخف من باب (كرّ) فيرجح بالأمكنية .

الثاني: كون أحد الأصلين أشرف؛ لأنه أحق بالوضع له ، والنفوس أذكر له وأقبل كدوران اشتقاق كلمة (الله) –فيمن اشتقها – بين الاشتقاق من ((ألَهَ)) أو ((لوه)) أو ((وَله)) [3] فيقال من ((أَلَه)) أشرف وأقرب.

الثالث : كونه أظهر وأوضح كالإقبال والقُبُل.

---

(١) المزهر ١/٣٥٣، ٣٥٤، وينظر في أصول اللغة للأفغاني ص ١٥١ ، والعلم الخافق ١٠٧ ودروس الصرف ٢٠ (الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ٢١.

(٢) تنظر مجلة المجمع ١/٢٣٣، ٢٣٥، ٢/٩،١٠ ، والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ٣٥.

(٣) تنظر الآراء في اشتقاق كلمة (الله) في اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢٣ وما بعدها.

الرابع : كونه أخص فيرجح الأعم كالفضل والفضيلة وقيل عكسه.

الخامس: كونه أسهل وأحسن تصرفا كاشتقاق المعارضة من العرض بمعنى الظهور أو من العرْض وهو الناحية فمن الظهور أولى.

السادس: كونه أقرب والآخر أبعد كالعقار يرِد إلى عقر الفهم لا إلى أنها تسكر فتعقر صاحبها.

السابع: كونه أليق كالهداية بمعنى الدلالة لا بمعنى التقدم من الهوادي بمعنى المتقدمات.

الثامن: كونه مطلقاً فيرجح على المقيد كالقرب والمقاربة.

التاسع: كونه جوهراً والآخر عرضا لا يصلح للمصدرية ولا شأنه أن يشتق منه فإن الرد إلى الجوهر حينئذ أولى لأنه أسبق، فإن كان مصدراً تعين الرد إليه ؛ لأن اشتقاق العرب من الجوهر قليل جداً والأكثر من المصادر(١).

المطلب السابع

في التغيرات التي تحصل بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق

من ينعم النظر في المصدر - أصل الاشتقاق - وما أخذ منه يتضح له أن الفرق بينهما لا يخرج عن كونه زيادة حركة أونقصها، أو زيادة حرف أو

(١) المزهر ١/٣٤٩، ٣٥٠، وينظر العلم الخفاق ص ١٠٤، والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ١٩، ٢٠.

نقصه، أو نقص أحدهما وزيادة الآخر أو نقص الاثنين أو زيادهما ، أو الجمع بين ذلك.

وقد قال أبو حيان ت (٧٤٥): إنَّ التغييرات التي تعــرض بــين المشــتق والمشتق منه تسعة[١] .

ولكن السيوطي ت (٩١١) ذكر أن تلك التغييرات تنحصر في خمســـة عشر تغييراً، وفيما يلي بياهَا كما في المزهر :

الأول : زيادة حركة كعَلِم و عِلْم .

الثاني : زيادة حرف كطَالِب وطَلَبَ.

الثالث: زيادهما كضَارِب وضَرْب .

الرابع : نقصان حركة كالفُرْس من الفَرَس[٢] .

الخامس: نقصان مادة كـــ ((ثَبتَ وثَباتٍ)).

السادس: نقصاهما كنَزَا ونَزَوَان .

السابع : نقصان حركة وزيادة مادة كغضبي وغضب.

الثامن: نقص مادة وزيادة حركة كـــ حَرَمٍ وحِرْمَان .

التاسع : زيادهما مع نقصاهما كـــ : استنوق من الناقة[٣] .

العاشر : تغاير الحركتين كـــ : بَطِرَ بَطَرًا .

الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كـــ : أَضْرِب من الضَّرْبِ.

الثاني عشر :نقصان مادة وزيادة أخرى كـــ : راضع من الرَّضَاعَةِ.

(١) ينظر همع الهوامع ٢/٢١٣، و لم أعثر على ما نسب لأبي حيان في مؤلفاته التي بين يدي.
(٢) لم أجد في المعاجم مايثبت أن الفُرْس مأخوذ من الفَرَس.
(٣) هذه التسعة هي التي ذكرها أبو حيان ، ينظر الهمع ٢/٢١٣.

الثالث عشر: نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة كـ ((خَافَ من الخَوْف))؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب.

الرابع عشر: نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط كـ ((عِدْ)) من الوَعْدِ فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة العين.

الخامس عشر: نقصان حركة وحرف وزيادة حرف كـ : فَاخِرْ من الفَخَارِ نقصت ألف وفتحة وزادت ألف [(١)].

وهذه التغييرات بين المشتق والمشتق منه هي موضوع المسألة التي قدمت لها بهذه المطالب.

وقد بلغت التغييرات التي اشتملت عليها هذه المسألة أربعة وعشرين تغييراً[(٢)].

---

(١) ينظر المزهر ٣٤٨/١ والعلم الخفاق ص ١٠٢ والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي ص ١٧.

(٢) ينظر النص المحقق ص ٢٩.

الدراســـــة

أ – ابن مالك

اسمه – نسبه – لقبه – كنيته تاريخ ميلاده – تاريخ وفاته عدد مصنفاته .

ب – المســـألة

توثيق نسبتها – سبب وضعها – أهميتها – وصف المخطوط

أ ـ ابن مالك

اسمه ونسبه :

أجمع المترجمون لابن مالك على أن اسمه ((محمد)) ولكنهم اختلفوا في سلسلة آبائه ويمكن تلخيص آرائهم في الصور التالية :

١ - محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك.

وردت هذه الصيغة في أول بعض مؤلفاته[(١)] وذكرها بعض من ترجمه[(٢)].

٢ - محمد بن عبد الله بن مالك ، وقد وردت هذه الصيغة أيضاً في أوائل بعض كتبه[(٣)]، وكذلك صرح بها بعض مترجميه[(٤)].

٣ - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك.

وردت هذه الصيغة في أول تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد

---

(١) وردت في أول المخطوط موضوع البحث ووردت أيضاً في أوائل كل من شواهد التوضيح والتصحيح ص ٣، والاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ص ٣٣ وفي أول شرحه للتسهيل جـ١ص١ وجاءت أيضاً على غلاف نسخة من شرح عمدة الحافظ توجد بمكتبة الأوقاف ببغداد ، وفي إكمال الإعلام بتثليث الكلام ١/ص٤.

(٢) منهم الذهبي في العبر ٣٠٠/٥، والسبكي في طبقات الشافعية ٦٨/٨، وابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ص ١٣٣، وابن مكتوم في ذيل معرفة القراء الكبار ص ٦١٠، والفيروز آبادي في البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٢٢٩، وابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ١٨٠/٢ والسيوطي في بغية الوعاة ١٣٠/١.

(٣) منها شرح النظم الأوجز في ما يهمز وما لا يهمز ص ٢٩ ، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد ص ٢٣، ووفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم ص ٤٣.

(٤) منهم ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٤٥٢/٢ واليافعي في مرآة الجنان ١٧٣/٤ والأسنوي في طبقات الشافعية ٤٥٤/٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٢٦٧/١٣ وغيرهم كثير.

للدماميني(١) وذكرها بعض المترجمين له (٢).

٤ – محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن مالك ذكر هذه الصيغة ابن طولون في القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية القسم الثاني(٣).

٥ – محمد بن مالك وردت هذه الرواية في أول كتاب الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة(٤).

كنيتـه ولقبـه:

لقد اشتهرت تكنيته بابنه عبد الله ، فهو أبو عبد الله، ولقبه المشهور هو جمال الدين(٥)، وذكر بعضهم له لقبا آخر وهو: جلا الأعلى(٦).

وهو ينتسب إلى قبيلة طئ العربية، وكان مذهبه الفقهي – في بداية حياته المذهب المالكي ثم انتقل إلى المذهب الشافعي(٧) ، وقد ولد رحمه الله في مدينة

---

(١) ينظر تعليق الفرائد ١/٢٥.

(٢) ينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥/٢٧٥ ودائرة المعارف الإسلامية ١/٢٧٢ وقد رجح الدكتور محمد كامل بركات هذه الصيغة في مقدمته لتسهيل الفوائد ص١، ورد عليه الدكتور سعد حمدان الغامدي في مقدمته لإكمال الإعلام بتثليث الكلام ص ١٣.

(٣) تنظر مقدمة التسهيل لمحمد بن كامل بركات ص ١.

(٤) ينظر كتاب الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ص ٢١، وينظر نفح الطيب للمقري ٢/٤٢٧ وما بعدها فقد وردت فيه الآراء المختلفة في سلسلة نسبه وأشار إليها ايضاً د/محمد بركات في مقدمته للتسهيل ود/سعد بن حمدان الغامدي في مقدمته لكتاب إكمال الإعلام بتثليث الكلام والدكتور عبد الرحمن السيد في مقدمته لشرح التسهيل لابن مالك وعدنان الدوري في مقدمته لشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ.

(٥) تنظر العبر ٥/٣٠٠، وطبقات النحاة واللغويين ١٣٣ والبلغة ٢٢٩ والبغية ١/١٣٠.

(٦) مقدمة عبد المنعم هريدي على شرح عمدة الحافظ ص ٣٢.

(٧) تنظر طبقات الشافعية للسبكي ٨/٦٨، وطبقات الشافعية للأسنودي ٢/٤٥٤، ونفح الطيب ٢/٤٢٧ وما بعدها وتنظر المراجع السابقة.

جَيَّان[١] الأندلسية وتوفي في دمشق.

تاريخ ميلاده ووفاته

تـــاريخ ميـــلاده:

اختلفت أقوال المؤرخين في تحديد تاريخ ميلاده رحمه الله ، فمنهم من يـــرى أنه ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[٢] . ومنهم من ذكر أنه ولد سنة إحــــدى وستمائة[٣] وقيل: إنه ولد سنة ستمائة[٤]، وتردد بعضهم فقالوا إنه ولد ســـنة ستمائة أو إحدى وستمائة[٥] .

تـــاريخ وفـــاته :

أ ـــ أجمع المترجمون له على أنه توفي سنة ٦٧٢هـــ ودفن بدمشق[٦] .

مـــؤلفاتـــه :

بلغت مؤلفاته التي وقفت على أسمائها خمسة وخمسين مصنفا، طبع بعضـــها

(١) جيان مدينة لهاكورة واسعة بالأندلس تقع شرقي قرطبة ، ينظر معجم البلدان ١٦٩/٢.
(٢) ينظر نفح الطيب ١٩٦/٢ وغايـــة النهايـــة ١٨٠/٢ وذيـــل معرفـــة القـــراء الكبـــار ص ٦١٠.
(٣) ينظر الوافي بالوفيات ٣٥٩/٣، النجوم الزاهرة ٢٤٤/٧.
(٤) تنظر مقدمة شرح التسهيل للدماميني وتعليق الفرائد ص ١١، وفوات الوفيـــات ٤٥٢/٢، والبلغة في تاريخ اللغة ٢٢٩.
(٥) تنظر طبقات الشافعية للسبكي ٦٧/٨، وبغية الوعاة ١٣٠/١ ونفح الطيـــب ٤٢١/٢، وشذرات الذهب ٣٣٩/٥، وانظر الآراء عن تاريخ ميلاده في مقدمـــة التســـهيل ص ٢ ومقدمة شرح عمدة الحافظ تحقيق عدنان الدروي ١٩ ومقدمة إكمال الإعلام بتثليـــث الكلام ص ١٥، ١٦.
(٦) تنظر المراجع السابقة.

وبعضها مازال مخطوطاً[١] .

ب – المســــــــــألة

توثيـــق نســـبة المســـألة:

لقد جاءت نسبة هذه المسألة لابن مالك صريحة في أول المخطوط حيث جاء في أوله بعد البسملة (مسألة من كلام الشيخ الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن عبـــد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني رحمه الله)[٢] .

وكذلك نسبها له حاجي خليفة في كشف الظنون[٣] ، وذكرها الدكتور حاتم الضامن ضمن مؤلفات ابن مالك[٤] ، وممن نسبها له أيضاً بدر الزمان محمد شـــفيع النيبالي[٥]وعنوانها في المخطوط ((مسألة)) وفي المراجع التي ذكرها (رســـــالة في الاشتقاق) ولكن الرسالة يصح إطلاقها على المسألة كما يجوز أن تسمى الرســـــالة مسألة إذا كانت في موضوع واحد .

---

(١) تنظر مقدمة التسهيل لمحمد كامل بركات ومقدمة سعيد حمدان الغامدي لإكمال الإعلام ومقدمة عدنان الدوري لشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ومقدمة وفـــاق المفـــهوم في اختلاف المقول والمرسوم ومقدمة شرح التسهيل لابن مالك.

(٢) ينظر التحقيق ص ٣٣٣.

(٣) ينظر كشف الظنون ٢/١٢٧.

(٤) ينظر تقديمه لكتاب الاعتماد في نظائر الظاء والضاد للمصنف ص ١٤.

(٥) تنظرمقدمته لوفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم للمصنف ص ١٣.

سبب وضع المسألة:

لقد أوضح ابن مالك السبب الذي دفعه إلى وضع هذه المسألة، فقال : (فهذه أمثلة الأقسام التي تعرض في السؤال، وفي السؤال تقصير، من قبل ذكر الاسم، فالذي ينبغي أن يسأل عن أمثلته تغيّر المشتق بالنسبة إلى المشتق منه، ليدخل في ذلك الفعل، فإنه أصل الاشتقاق..).

فهذا تصريح منه بسبب وضعه لهذه المسألة ، وهو ذلك السؤال الذي عُرِض عن أمثلة التغيير الذي يحصل بين الأسماء المشتق بعضها من بعض.

ولكن الشيخ لم يكتف بالإجابة على هذا السؤال وقال: إن فيه تقصيرا؛ لكونه خاصاً بالإسم.

وقال إن الذي ينبغي أن يسأل عنه هو تغيّر المشتق بالنسبة إلى المشتق منه، على وجه العموم؛ ليدخل في ذلك الاسم والفعل على حد سواء.

وقد أجاب الشيخ عن ذلك السؤال المفترض وذكر أمثلته.

أهمية هذه المسألة

إن أهمية المسألة تكمن في أنها أوسع مبحث مستقل - حسب علمي - يحصر التغيرات التي تحدث بين المشتق والمشتق منه مع توضيحها بالأمثلة وعلى ذلك تكون هذه المسألة عند نشرها أول مسألة مستقلة تنشر في هذا الموضوع.

وصف المخطوطة

لقد اعتمدت في تحقيق هذه المسألة على نسخة واحدة، عثرت على مصورة منها في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت رقم (٤٢٣٩).

وهي مصورة من مجموع تحتفظ به المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ١٥٩٣، تبدأ فيه من (٧٥/ب إلى ٧٧/أ) فهي تقع في ورقتين وعدد أسطر الصفحة ١٨ سطراً عدا الصفحة الأخيرة فإن أسطرها لا تتجاوز ٧ أسطر ، ولم يكتب عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، إلا أنني وجدت ضمن المجموع الذي يحويها رسالة أخرى لابن مالك وهي ((الاعتماد في نظائر الظاء والضاد)).

وقد نسخت هذه الرسالة في ٥ جمادي الأولى سنة ٧٣٥هـ وكاتبها هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد بن مالك النفري الأندلسي وبمقابلة الرسالتين مع بعضهما تبين لي اتحاد خطهما، وتأكد لديّ أنّ كاتبهما واحد . والله أعلم.

التحقـــــيق

مســـألة من كلام الشيخ الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بـــن عبد الله بن مالك الطائي الجيائي رحمه الله .

المشتق إمّا بزيادة حرف، أو حركة ، أو حركة وحرف ، وإمّـــا بنقصـــان حرف أو حركة ، أو حركة وحرف.

فهذه ستة مع إفراد الزيادة وإفراد النقص ثم ينضم إليها زيادة حرف مـــع نقصان حركة ، وزيادة حركة مع نقصا حرف، فتصير ثمانية:

فأول أمثلتها: كـــ ((طَـــالِب)) وكَـــرِيم ، فاشـــتقاقهما مـــن الطَّلَـــب، والكَرَم[(١)].

وثانيها: كـــ ((حَسَنَ)) و ((مَزَق)) فاشتقاقهما من الحُسْنِ والمَزْق[(٢)].

وثالثها :كـــ ((فَاضل و مَجِيد)) فاشتقاقهما من الفَضْلِ والمَجْدِ[(٣)].

---

(١) زيدت الألف في ((طالب)) والياء في ((كريم)).

(٢) زادت فتحة السين في حَسَنَ وفتحه الزاي في ((مزق)) والمَزْق: الخَرْق والشق للثيـــاب ونحوها ، يقال : مَزَقَه يمْزقه مَزْقاً ومِزْقةً ، وصار الثوب مَزَقاً أي قِطعاً ، وسحاب مَـــزِق، على التشبيه ، الصحاح واللسان مزق.

(٣) زادت الألف وكسرة الضاد في فاضل، والياء وكسرة الجيم في مجيـــد، والفضـــل ضـــد النقص، والمجد المروءة والسخاء والشرف وقيل: لا يكون إلا بالآباء، يقال: مَجَدَ يَمْجُـــدُ فهو ماجد، ومَجُدَ مَجَادَةً فهو مجيد، الصحاح واللسان مجد.

ورابعها : كـ ((شُجَاع)) و ((يَقِظ)) فاشتقاقهما من الشَّجَاعَة واليَقَظَةِ(١).

وخامسها: كـ ((ضَخْم ورِجْس)) فاشتقاقهما من الضخم والرجس أي قذر(٢).

وسادسها: كـ ((حُلْوٍ)) و ((عَذْب)) فاشتقاقهما من الحَلاوَة والعذُوبة(٣).

وسابعها : كـ ((أَشْنَبٍ)) و((يَعْمَل)) فاشتقاقهما من الشَّنَبِ والعَمل(٤).

وثامنها : كـ ((فَطِن)) و ((خَضِر)) فاشتقاقهما من الفِطْنَة و الخُضرَة(٥).

فهذه أمثلة الأقسام التي تُعَرَّض في السؤال ، وفي السؤال تقصير من قِبَل

---

(١) نقصت التاء من الشجاعة واليقظة ، والشجاعة شدة القلب عند البأس، وقد شَجُعَ الرجل - بالضم - فهو شُجَاع بضم الشين وروى بكسرها المشوف المعلم ٤١٨/١، واليَقَظَة محركة نقيض النوم ورجل يَقِظ ويَقْظ متيقظ حذر. اللسان يقظ.

(٢) نقصت حركة الخاء في ضخْم والجيم في رجْس والضَّخَم بالفتح والتحريك العظيم من كل شيء والجرم الكثير اللحم والرجس بالكسر القذر ويحرك وتفتح الراء وتكسر الجيم وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح اللسان ضخم ورجس .

(٣) نقصت الألف وفتحة اللام من الحلاوة والواو وضمة الذال من العذُوبة .

(٤) زادت الهمزة في أشْنَب ونقصت منها حركة الشين وزاد الياء في يعملٍ ونقصت منها حركة العين والشَّنَب محركة ماء و رقة وعذوبة وبرد في الأسنان أو نُقَط بيض فيها أو حدة الأنياب، يقال : شَنَب كفرح فهو شانب وشنيب وأشنَب وهي شنباء وشمباء وشانبة ((اللسان)) شنب. واليَعْمَلَة الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والجمل يَعْمَل ولا يوصف بهما إنما هما اسمان القاموس واللسان ((عمل)).

(٥) في فَطِنٍ زادت حركة الطاء ونقصت التاء من آخره، وفي خَضر زادت حركة الضاد ونقصت التاء من آخره والفِطنة بالكسر الحذق يقال فَطَن به وإليه كفَرح ونَصَر وكرم فطنا - مثلثه وبالتحريك فهو فاطن وفطين وفَطُون وفَطِنٌ وفَطْنٌ ، القاموس و اللسان ((فطن)).

وخَضر الزرع كفرِح واخضوضر وأخضرٌ فهو أخضر وخضور وخَضِرٌ القاموس واللسان ((خضر)).

ذكر الاسم، فالذي ينبغي أن يسأل عن أمثلته تغير المشتق بالنسبة إلى المشتق منه؛ ليدخل في ذلك الفعل، فإنه أصل في الاشتقاق؛ إذ لا فعل إلا وهو مشتق من مصدر مستعمل أو مقدر[(١)]، والاسم تبع له؛ ولذلك كثر فيه الجمود.

وبعد ذلك فالاعتبار الصحيح يقتضي كون المشتق بالنسبة إلى مباينة المشتق منه عشرين قسماً أو أكثر من ذلك.

أولها: متغير بزيادة حرف دون تبدل حركة : كـ ضَاحِك فاشتقاقه من الضَّحك[(٢)].

وثانيها: متغير بزيادة حرف مع تبدل حركة كـ : طَالب فاشتقاقه من ((الطَّلَبِ)) [(٣)].

وثالثها: متغير بزيادة حركة دون تبدل أخرى: كـ ((مَزَق فاشتقاقه من المَزْق)) [(٤)].

ورابعها: متغير بزيادة حركة مع تَبَدُّلِ أُخرى : كـ ((حَسَنَ فاشتقاقه من الحُسْنِ)) [(٥)].

---

(١) كلام ابن مالك هنا مؤكد لما ذكره في التسهيل وشرحه من أن الفعل مأخوذ من المصدر وهو بذلك ينهج نهج البصريين الذي تقدمت الإشارة إليه، لكن كلامه هنا يدل على أنه يرى أن الفعل أصل لبقية المشتقات بينما نجده يصرح في شرحه للتسهيل بأنه يجب كون الصفة مشتقة من المصدر ، وبهذا يكون له في المسألة رأيان، وقد ذكر محقق شرح التسهيل أنه من آخر مؤلفاته ، وعلى ذلك يكون ما في شرحه هو الرأي الأخير لابن مالك والله أعلم. ينظر شرح التسهيل لابن مالك ١٧٨/٢ ، وما بعده والتقديم ص ٦.

(٢) زادت فيه ألف فاعل وفي الصحاح ضحك يضحك ضَحْكاً وضِحْكاً وضِحَكاً وضَحِكاً أربع لغات.

(٣) زادت فيه ألف فاعل وتغيرت حركة اللام من الفتح إلى الكسر .

(٤) زادت فيه حركة الزاي ، والمزق الخرق والشق للثياب ونحوها يقال: مَزَقه يَمْزِقه مَزْقاً ومزقة. ، الصحاح واللسان ((فزق)).

(٥) زادت حركة الشين وتغيرت حركة الحاء من الضم إلى الفتح.

وخامسها: متغير بزيادة حرف وحركة ، دون تبدل أخرى، كـ ((ضَارِب)) فاشتقاقه من الضَّرْبِ[1].

وسادسها: متغير بزيادة حرف وحركة مع تبدل أخرى ((عَالِم فاشتقاقه من العِلْم))[2].

وسابعها : متغير بنقصان حرف دون تبدل حركة، كـ ((حَصَان)) فاشتقاقه من الحَصَانة[3].

وثامنها: متغير بنقصان حرف مع تبدل حركة كـ ((شُجَاع)) فاشتقاقه من الشَّجَاعَة[4].

وتاسعها: متغير بنقصان حركة فقط : كـ ((شَأْزٍ))، فاشتقاقه من شَئِزَ المكان إذا كثرت حجارته[5].

وعاشرها: متغير بنقصان حركة مع تبدل أخرى كـ ((ضَخْم)) فاشتقاقه من الضَّخَم[6].

والحادي عشر: متغير بنقصان حرف وحركة دون تبدل أخرى، كـ :

---

(١) زادت فيه الألف وحركة الراء.

(٢) زادت فيه الألف وحركة اللام وتغيرت حركة العين من الكسر إلى الفتح.

(٣) سقطت منه التاء التي في آخر الحصانة، والحاصِن والحَصَان: المرأة المتعففة الحاصنة فرجها. مقاييس اللغة ٢/٦٩.

(٤) نقصت منه التاء ، وتغيرت حركة الشين من الفتح إلى الضم، ويجوز فيها الكسر شِجاع: المشوف المعلم ١/٤١٨.

(٥) نقصت منه حركة الهمزة ، وشئز المكان كفرح شأزا وشؤزا فهو شَئِزٌ وشَأْزٌ ، غلظ وارتفع والشأز الموضع الغليظ الكثير الحجارة. اللسان ((شأز)).

(٦) نقصت حركة الخاء وتغيرت حركة الضاد من الكسر إلى الفتح ، والضخم العظيم من كل شيء والجرم الكثير اللحم ((اللسان)).

((حيٍ)) فاشتقاقه من الحياة[١].

والثاني عشر : متغير بنقصان حرف وحركة مع تبدل أخرى كـ ((حَــرٌّ)) فاشتقاقه من الحِرَار وهو الحرَّة[٢].

والثالث عشر : متغير بزيادة حرف ونقصان حركة : كـــــ ((أَشْــيَب)) فاشتقاقه من الشَّيبِ[٣].

والرابع عشر: متغير بزيادة حرف وحركة ونقصان أخرى: كـــ ((أشْنب)) فاشتقاقه من الشَّنَب[٤].

والخامس عشر: متغير بزيادة حركة ونقصـــان حــرف: كــــ ((رَؤُفَ)) فاشتقاقه من الرَّأْفَة[٥].

والسادس عشر: متغير بزيادة حركة مع تبدل حرف: كــــــ ((رَحِيــم)) فاشتقاقه من الرَّحْمَة[٦].

والسابع عشر: متغير بتبـــدل حــرف دون زيـــادة ولا نقصـــان: كــــ

(١) نقصت منه التاء التي في آخره كما نقصت حركة الياء والحي ضد الميت ، والحي واحــد آباء العرب الصحاح ((حي)) .

(٢) حذفت منه الألف، وكذلك نقصت حركة الراء وتغيرت حركة الحاء مــن الكســر إلى الفتح والحرَّة والحرارة العطش وقوم حِرار عطاش ، مقاييس اللغة ٦/٢ والصحاح واللسان ((حرر)).

(٣) زادت الهمزة في أوله، ونقصت حركة الشين، والشيب بياض الشعر وربما سمي به الشعر : شاب يشيب شيباً ومشيباً وشيبة وهو أشيب، الصحاح واللسان ((شيب)).

(٤) زادت الهمزة وحركتها ونقصت حركة الشين.

(٥) زادت الهمزة وحذفت التاء والرأفة أشد من الرحمة يقال رجل رؤوف على فَعُول ورؤف على فَعُل الصحاح ((رأف)).

(٦) تحركت الحاء ونقصت التاء وزادت الياء والرحمة الرقة والتعطف ، والرحمــن والرحيــم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعـــنى الراحــم ((الصحاح)) رحم.

((مُدَحْرِج)) فاشتقاقه من الدحْرَجَة[١].

والثامن عشر: متغير بتبدل حركتين ونقصان حرفين : كـ ((جُنُب)) فاشتقامه من الجَنَابَة[٢].

والتاسع عشر: متغير بتبدل حرف ونقصان حركة : كـ ((أسْوَد)) فإنه مشتق من السّواد[٣].

الموفي عشرين : متغير بزيادة حرفين ونقصان حركة : كـ ((شَنْبَاء)) فاشتقاقه من الشَّنَب[٤].

الحادي والعشرون: متغير بتبدل حركة فقط: كـ ((فَرِح)) فاشتقاقه من الفَرَح[٥].

الثاني والعشرون : متغير بزيادة حرفين وتبدل حركة ، وتسكين متحرك كـ ((مَطْلُوب)) فاشتقاقه من الطَّلَب[٦].

الثالث والعشرون :متغير بزيادة حرفين وتحريك ساكن وتسكين متحرك

---

(١) نقصت منه التاء وزادت فيه الميم.

(٢) تغيرت حركة الجيم والنون من الفتح إلى الضم ونقصت الألف والتاء ورجل جنب من الجنابة يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث وربما قالوا في جمعه أجناب وجُنوب الصحاح ((جنيب)).

(٣) زادت الهمزة في أوله ونقصت الألف من وسطه، كما نقصت حركة الشين منه.

(٤) زادت فيه الألف والهمزة ونقصت منه حركة النون ، والشنباء مؤنث الأشنب وقد تقدم شرحه في الحاشية ١/٢٦.

(٥) تغيرت حركة الراء من الفتح إلى الكسر.

(٦) زادت فيه الميم والواو، وتغيرت حركة اللام من الفتح إلى الضم، وسكنت الطاء التي كانت متحركة.

كــ ((مَضْرُوب)) فاشتقاقه من الضَّرْب(١).

والرابع والعشرون : متغير بتبدل المصحوب مع اتحاد اللفظين كــ ((طَلَبَ وضَحِكَ)) فإنهما مشتقان من الطَّلَبِ والضَّحِكِ(٢).

هذا شرح ما حضرني ، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً ، وباطناً ، عــدد ماخلق، وعدد ما هو خالق، حمداً يوافي نعمه الجسيمة، ويكافئ مننه العظيمــة، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وأصحابه ، والتــابعين لهم بإحسان ، والمقتدين بهم في كل زمان، ما ذكره الذاكرون ، وما غفل عــن ذكره الغافلون.

---

(١) زادت فيه الميم والواو وتحركت الراء التي كانت ساكنة وسكنت الضــاد الــتي كــانت متحركة.

(٢) اتحد لفظ الفعل والمصدر في الكلمتين فهما في الأولين فعلان وفي الأخيرتين مصــدران، ووزن طَلَب وضحك مختلف ومن هنا جاء التغاير بين المصحوب ومصاحبه.

فهــرس المصــادر والمراجــع

١ ــ الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي تحقيق عز الدين التنوخي طبع في دمشق سنة ١٩٦٢م.

٢ ــ الإبدال لابن السكيت تحقيق حسين محمد محمد شرف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٨هـ.

٣ ــ أخبار النحويين البصريين للسيرافي : الكاثوليكية بيروت عام ١٩٣٦م.

٤ ــ أسرار العربية للأنباري تحقيق بهجت البيطار، مطبعة الترقي، بدمشق سنة ١٣٧٧هـ.

٥ ــ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، تحقيق طه عبد الرؤف سعد مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٣٩٥هـ.

٦ ــ اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي، تحقيق عبد الحسين المبارك مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ.

٧ ــ الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل سنة ١٤١١هـ.

٨ ــ اشتقاق الأسماء للأصمعي، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م.

٩ ــ الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي لعبد الحميد أبو سكين، مكتبة الفنون النموذجية، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ.

١٠ ــ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليمني، تحقيق عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١ ــ الأصول لابن السراج تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ..

١٢ ــ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد لابن مالك نشره ببغداد حسين تورال وطه محسن سنة ١٩٧٢م.

١٣ ــ الاعتماد في نظائر الظا والضاد ، تحقيق صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

١٤ ــ الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

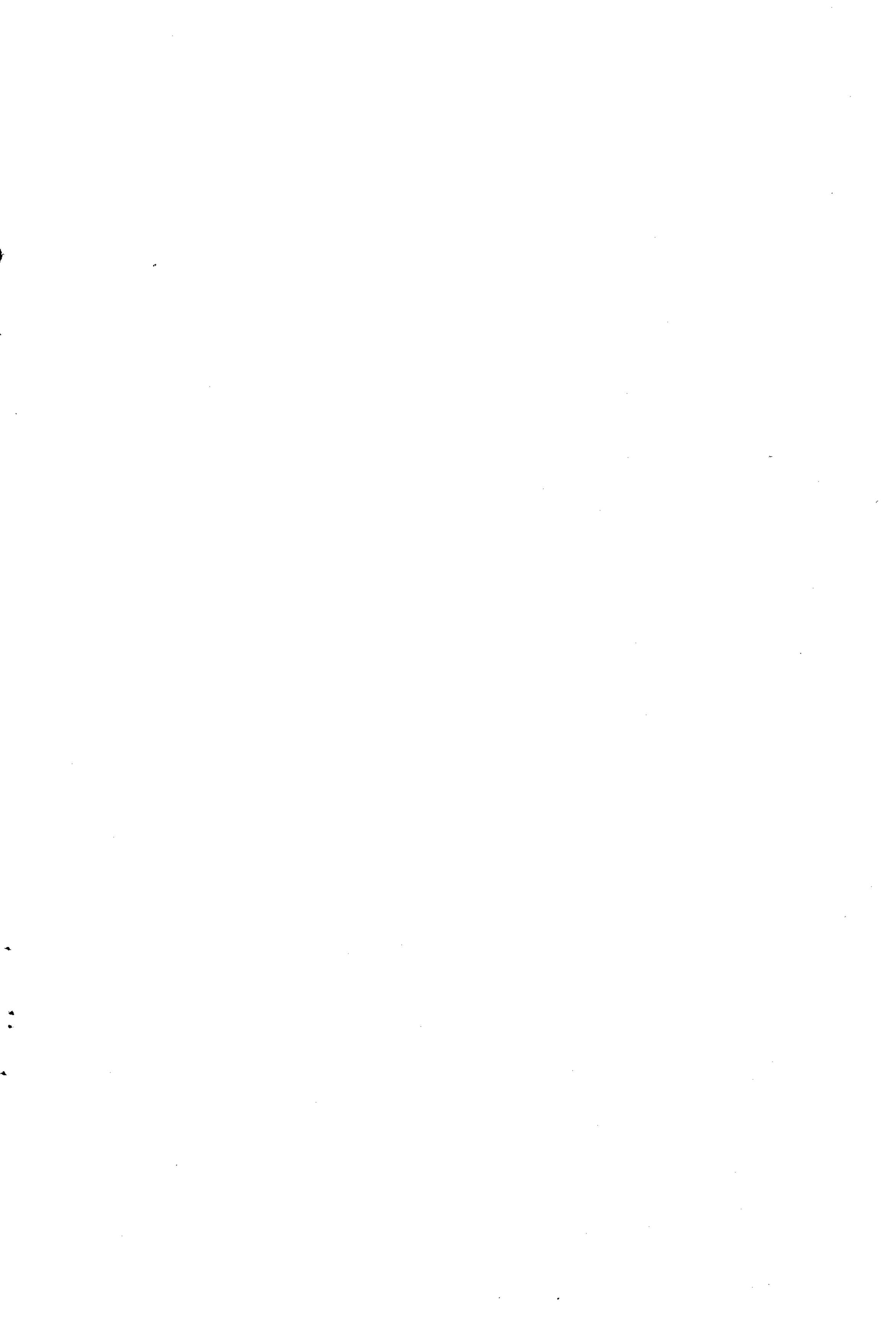
١٥ ــ إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك، تحقيق سعد حمدان الغـامدي، مركـز البحث وإحياء التراث بمكة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
١٦ ــ الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري تعليق محمد محي الدين المكتبة التجارية بمصر.
١٧ ــ الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق مازن المبارك،دار النفائس ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.
١٨ ــ بدائع الفوائد لابن القيم نشر دار الكتاب العربي ببيروت .
١٩ ــ البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
٢٠ ــ بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضـل، دار الفكـر، الطبعـة الثانيـة ١٣٩٩هـ.
٢١ ــ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥هـ.
٢٢ ــ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري، تحقيق عبـد الرحمـن العثيمين، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٣ ــ تسهيل الفوائد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي سنة ١٣٧٨هـ.
٢٤ ــ تصريف الأسماء لمحمد الطنطاوي، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السادسة.
٢٥ ــ التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى.
٢٦ ــ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني، تحقيق عبد الرحمن المفدي، الطبعـة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.
٢٧ ــ التكملةلأبي علي الفارسي ، تحقيق كاظم المرجان العراق ١٤٠١هـ.
٢٨ ــ جمهرة اللغة لابن دريد حيدر آباد سنة ١٣٤٥هـ.
٢٩ ــ الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ.
٣٠ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية محمد الفندي وأحمد الشنتاوي وآخـرون ١٣٥٢هـ المجلد (١).
٣١ ــ دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين بيـروت ، الطبعـة الثالثـة سـنة ١٣٨٨هـ.
٣٢ ــ دروس في التصريف لمحمد محي الدين ، المكتبة العصرية ببيروت عام ١٤١١هـ.
٣٣ ــ دقائق اللغة العربية للأمير أمين آل ناصر مكتبة لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
٣٤ ــ ذيل معرفة القراء الكبار لابن مكتوم نشر مع معرفة القراء الكبار بتحقيق محمـد سيد جاد الحق، مطبعة دار التأليف بمصر.

٣٥ ــ سر الليال في القلب والإبدال ، لأحمد فارس الشدياق ، المطبعة العامرة بالاستانة سنة ١٣٤٨هـ.
٣٦ ــ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدس بمصر ١٣٥٠هـ.
٣٧ ــ شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد موسى المختون هجر للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٨ ــ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٩٥هـ.
٣٩ ــ شرح الكافية للرضى ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الثانية.
٤٠ ــ شرح الكتاب للسيرافي الجزء الأول ، بتحقيق مجموعة من الأساتذة نشر الهيئة المصرية عام ١٩٨٦م.
٤١ ــ الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٤٢ ــ الصرف العربي نشأة ودارسة للدكتور فتحي الدجني دار الكتاب الغربي بيروت.
٤٣ ــ طبقات الشافية الكبرى للسبكي تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٩٩٤م.
٤٤ ــ طبقات الشافعية للأسنوي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد ، ببغداد سنة ١٩٧٠م.
٤٥ ــ طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبه نشر د/محسن عياض.
٤٦ ــ طبقات النحويين للزبيدي ،تحقيق محمد أبو الفضل دار المعارف س ١٩٧٣هـ.
٤٧ ــ العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، تحقيق فؤاد السيد الكويت ١٩٦١م.
٤٨ ــ العلم الخفاق من علم الاشتقاق ، لمحمد صديق خان تحقيق نذير محمد مكتبي ، دار البصائر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٤٩ ــ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، تحقيق برحستراسر وبرتزل القاهرة ١٩٣٢م.
٥٠ ــ الفصحى لغة القرآن للجندي.
٥١ ــ فصل المقال لأبي عبيد الكبري تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابد من مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٥٢ ــ الفهرست لابن النديم الرحمانية بالقاهرة.
٥٣ ــ فهرس ابن خير الإشبيلي تحقيق مرنستكه قدارة وخليان طرغوه ، نشر المكتب التجاري والمثنى والخاني ، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٥٤ ــ فهرس مخطوطات ، دار الكتب الظاهرية ، علوم اللغة أسماء الحمضى بدمشق.
٥٥ ــ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م.
٥٦ ــ في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغاني دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ.
٥٧ ــ في علم الصرف للدكتور أمين السيد ، دار المعارف ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م.
٥٨ ــ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مطبعة الحلبي بمصر الطبعة الثانية.
٥٩ ــ قراءة في النحو العربي.
٦٠ ــ كتاب الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة لابن مالك، تحقيق د/نجات حسن نولي مركز إحياء التراث بأم القرى الطبعة الأولى.
٦١ ــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق د/ عبد السلام هارون عالم الكتب ، الطبعة الأولى.
٦٢ ــ كشف الظنون لحاجي خليفة من منشورات مكتبة المثنى ببغداد.
٦٣ ــ لسان العرب لابن منظور مصور عن طبعة بولاق.
٦٤ ــ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة أبحاث متفرقة.
٦٥ ــ المدخل في علم النحو والصرف للدكتور عبد العزيز عتيق دار النهضة ببيروت.
٦٦ ــ المدرسة النحوية بمصر والشام ، للدكتور ، عبد العال مكرم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
٦٧ ــ مرآة الجنان لليافعي بيروت ١٩٧٠م.
٦٨ ــ المزهر للسيوطي، تحقيق محمد بك والبجادي ومحمدإبراهيم ، الطبعة الثالثة مكتبة دار التراث بالقاهرة.
٦٩ ــ مسند الإمام أحمد ، المطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣هـ.
٧٠ ــ المشوف المعلم لأبي البقاء العكبري، تحقيق ياسين السواس مركز إحياء التراث بأم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٧١ ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي دار الفكر ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠هـ.
٧٢ ــ معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع — رقم الصفحة

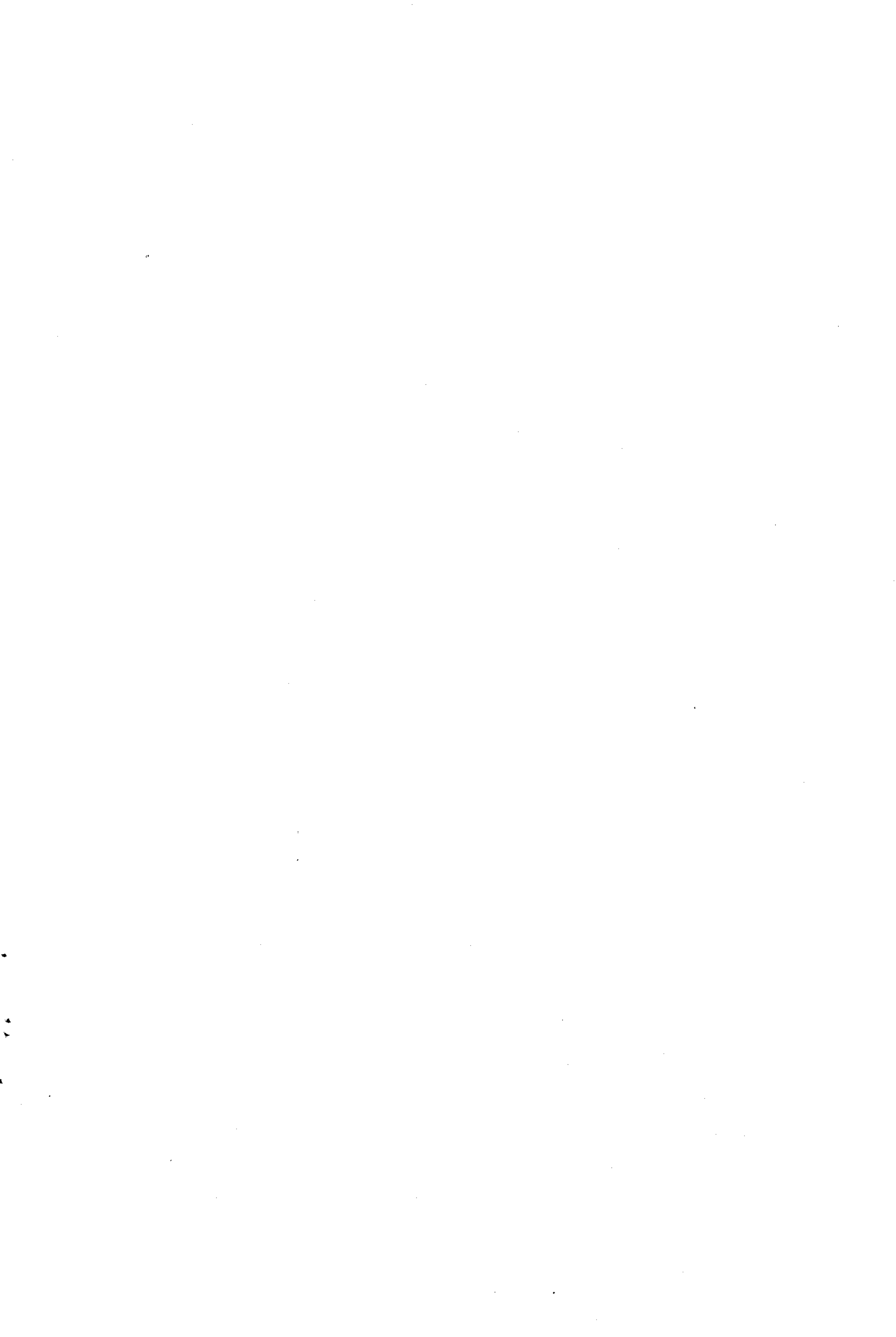




بقلم :

د. عبد الرزّاق بن فرّاج الصّاعديّ

كلّيّة اللّغة العربيّة – الجامعة الإسلاميّة



المقـــدمـــة

الحمد لله الحكيم الباعث والمحيي المميت، والصلاة والسلام علـــى صفـــوة الخلق محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن من ألفاظ العربية ما يملك مقومات الحياة والبقاء فيبقى، ومنها ما يفقد تلك المقومات فيموت ويفنى، فاللغة كائن حي(١) نام خاضع لنـــاموس التطور والارتقاء، وليس فيها كسب دائم من النمو والتجديد، فكـــل نمـــو في جانب يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر، وهي ((تحاول دائماً أن تصـــل إلى نوع من التوازن، فهي كما تقترض ألفاظاً من اللغات الأخـــرى لتســـعف حاجات المتكلمين بها نراها تستغني عن ألفاظ أخرى تختفي من الاستعمال))(٢).

ومن الألفاظ ما يعمر فلا يموت، ولو مضى عليه آلاف السنين، لما فيه مـــن ضروب المناعة الداخلية كقوة المعنى ودوامه، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرســـه، أو المناعة الخارجية، كألفاظ القرآن الكريم التي تكفّل الله – عز وجل – بحفظـــها، وما صح من ألفاظ الحديث النبوي الشريف.

أما ما دُوْنَ ذلك فإنه معرّض للتبديل والهجر والموت والانقـــراض، إلا أنّ هذا لا يكون أبدياً؛ فكل لفظ مات واندثر قابل للبعث لتدبّ فيه الحيـــاة مـــن جديد، وتجري به الألسنة بمعناه القديم أو بإلباسه معنى جديداً.

---

(١) ينظر: اللغة العربية كائن حي ٩٢.
(٢) المولد في العربية ١٥١.

وفي العربية الفصحى ألفاظ هجرت في الاستعمال لأسباب عديدة فماتت ، كالمِرْباع، والنَّشيطة، والفُضُول، والحُلْوَان، والصَّرورة من الأسماء[1]، وجَعْتَبَ، وحَنْجَدَ، وخَنَدَ، وحَبَّ، وكَهَفَ، وعَذَطَ، من الأفعال[2].

وهذه مع غيرها ألفاظ أميتت في العربية منذ وقت مبكر، وقــد صادفــها علماء العربية عند تدوين اللغة في عصور الاحتجاج مماتة ساقطة من الاستعمال، فوردت عنهم إشارات لها متفرقة في مصادر اللغة المتنوعة؛ تدل علـــى موتهـا؛ فأردت أن أجمع ما تفرق مما أميت من ألفاظ العربية زمن الفصاحة وأدرسه، أمـا ما هجر بعد عصور الاحتجاج منذ نهاية القرن الرابع إلى عصرنا هذا فليس ممـا أهدف إليه في هذا البحث، وهو كثير، ولا اعتداد بهجره من الاســتعمال، ولا يعدّ من الممات في العربية، وإنما تركه المولدون لابتعادهم عن منابع اللغة وضعف سلائقهم ولما استجد من أمور الحضارة، و ((لو ذهبنا إلى المعارضة بــين ألفــاظ الحياة العربية الأولى وما اختصت به من المعاني وبين هــذه الحيــاة الحضريــة ومستحدثاتها، لرأينا قسماً كبيراً من اللغة يتنــزل منــها منــزلة البقايــا الأثرية))[3] مما يعد من فضول الحاجات كأسماء الإبل وصفاتها وأسماء الحشرات وأدوات البداوة، وأسماء النبات، وما جاءت به اللغات المتعددة، وهــو كثــير مستفيض، وليس هو من الممات، وإن تركه المعاصرون.

وقد حافظ علماء اللغة على الممات القديم ودونوه في معجماتهم ، ولعل من أبرز العوامل التي أدت إلى اشتمال العربية على هذا الثراء اللفظي أن الممات من ألفاظها كتب له البقاء، بتدوينه، وكأن احتفاظهم به إرهاص لإحيائه[4].

---

(١) ينظر معاني هذه الأسماء في باب الممات من الأسماء.

(٢) ينظر معاني هذه الأفعال في باب الممات من الأفعال.

(٣) تاريخ آداب العرب ١/١٦٨.

(٤) ينظر: دراسات في فقة اللغة ١/٢٥.

إلا أن التدوين بعامة لم يشمل اللغة كلها لسعتها، وقد كان أبو عمرو بن العلاء يقول: ((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير))(١).

ويقول: ((قد ذهب من كلامهم شيء كثير))(٢).

وقال ابن فارس: ((ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل.

قال: ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير. وأحر بهذا القول أن يكون صحيحاً))(٣).

ولهذا وجب الحذر في الأحكام بموت الألفاظ، والتسليم بأن الإلمام بكل الممات في اللغة غاية لا يمكن الوصول إليها، فثمة ما أميت قديماً من العربية القديمة؛ كالثمودية والصفوية واللحيانية من العربية الشمالية، والسبئية والمعينية والقتبانية والحميرية، من العربية الجنوبية، وهي مما يسمى ((العربية البائدة)) أو عربية النقوش التي بادت قبل الإسلام بما فيها من ألفاظ وظواهر لا نكاد نعرف منها إلا القليل.

وللممات في اللغة وجهان رئيسان:

الأول: موت الألفاظ، وهو موضوع هذا البحث.

الثاني: موت المعاني ، أي أن يموت المعنى ويبقى اللفظ لتطوّر دلالته وانتقالها إلى معنى آخر، كالألفاظ الإسلامية التي تركت معانيها القديمة مثل: الصلاة، والزكاة، والصّوم، والكفر، وما أشبه هذا، وهو كثير، ولا يدخل في هذا البحث.

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٥/١.

(٢) اللسان (جدف) ٢٤/٩.

(٣) الصاحبي ٥٨.

وقد دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع ((موت الألفاظ في العربية)) أمور، من أهمها:

١- أهمّيّة البحث في الممات، لكونه أحد الظّواهر اللّغويّة الّتي تحتاج إلى درس، يفصّل فيها ويكشف عن مخبوئها ويبحث في أسبابها.

٢- دور الممات في نموّ اللّغة وإثرائها عن طريق إحيائه واستعماله، كما سيأتي بيانه في الباب الأخير من هذا البحث.

٣- دوره في وصل الحلقات المفقودة في التطوّر اللّغويّ والكشف عن تاريخ العربيّة، وإسهامه في التّعرف على أحوال العرب الغابرين، وتفهّم شؤون حياتهم الاجتماعية، فهو لا يقلّ في قيمته العلميّة عن القطع الأثريّة الّتي يُعنى بها علماء الحفريّات والآثار.

٤- جِدّة الموضوع، وطرافته، إذ لم يكتب فيه - فيما أعلم - بحث مستقلّ يجمع شتاته ويبسط القول فيه، ويبين أسبابه، ودوره في نمو اللغة، فليس في تراثنا اللّغويّ قديمه وحديثه شيء منه سوى إشارات وأقوال متناثرة في بعض الألفاظ المماتة، وعلى رأس هؤلاء: الخليل في ((العين)) وسيبويه في ((الكتاب)) وابن دريد في ((الجمهرة)) والسّيوطي في ((المزهر)).

أو مباحث قصيرة عارضة في مؤلّفات بعض المعاصرين؛ كالرّافعي في ((تاريخ آداب العرب))(١).

وأنستاس الكرملي في ((نشوء اللّغة ونموّها واكتهالها))(٢).

والدكتور حلمي خليل في كتابه ((المولّد في العربية))(٣) وقد استلّ ماكتبه

---

(١) ١/١٦٦ - ١٧٠.
(٢) ص ٩٩ - ١٠١.
(٣) ص ١٤١ - ١٥١.

في كتابه هذا فنشره في ((المجلة العربية))[١] بعنوان: ((انقــــراض الكلمــــات)) ((وهو عنوان مطابق لفصل قصير كتبه ستيفن أولمان في كتابه: ((دور الكلمـــة في اللغة))[٢] إلا أن ما كتبه ((أولمان)) لا يخصّ لغة بعينها، فهو يبحث في علـــم اللغة العام، مع تركيز على اللغات الأوربية، كالإنجليزية والفرنسية.

وللأستاذ شفيق جبري محاضرة بعنوان ((حياة الألفاظ)) أشار فيها إلى شيء من الممات والمهجور ، ومسهما مساً خفيفاً، ونشرت محاضرته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٣].

وللشيخ عبد القادر المغربي مقالة وجيزة بعنوان ((توهم الميت حياً)) نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٤] ناقش فيها أربع كلمات مناقشة صرفيـــة موجهاً ما جاء فيها من شذوذ صرفي في الجمع أو اشتقاق اسم المفعول توجيـــهاً يستند على قاعدة سماها: توهم الميت حياً.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي هذا البحث في أربعة أبواب يســـبقها تمهيد ويتلوها خاتمة، وفق الخطة التالية:

المقـــدمـــة

التمهيد : مصطلحات الممات .

الباب الأول : الممات من الأسماء

الفصل الأول : الممات من أسماء الأيام .

الفصل الثاني : الممات من أسماء الشهور .

(١) السنة الخامسة، العدد ١ جمادي الثانية ١٤٠١هـــ ص ٥٦ – ٥٨.

(٢) ص ٢٠٩ – ٢١٤.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٨، ج ٥ ص ٢٥٧.

(٤) المجلد الثاني عشر (سنة ١٩٣٢) الجزء ٥، ٦ ص ٣٥٥ – ٣٦١.

الفصل الثالث : الممات من أسماء متفرقة .

الفصل الرابع : أسماء أميت مفردها .

الفصل الخامس : أسماء مصغرة أميت مكبرها .

الباب الثاني : الممات من الأفعال .

الفصل الأول : أفعال أميتت صيغها وتصريفاتها .

الفصل الثاني : أفعال اختلف في موتها .

الفصل الثالث : أفعال أميت المجرد منها دون المزيد .

الفصل الرابع :أفعال أميتت بعض تصريفاتها .

الفصل الخامس : أفعال مبنية للمجهول أميت المبني للمعلوم منها .

الباب الثالث : أسباب إماتة الألفاظ

الفصل الأول : العامل الصوتي .

الفصل الثاني : العامل الدلالي .

الباب الرابع : إحياء الممات .

الفصل الأول : الحاجة إلى إحياء الممات .

الفصل الثاني : موقف العلماء من إحياء الممات .

الفصل الثالث : دور مجامع اللغة العربية في إحياء الممات .

الخـــاتمـــة.

فهرس الألفاظ .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

ولقد شغلني هذا البحث زمناً، وكان حاضراً في ذهني وأنا أكتب بحث الدكتوراه، فجمعت مادّته على مُكثٍ طويل، ولا أزعم بلوغ الغاية فيه، ولكني أرجو المقاربة والسّداد، ولا أبرّئ نفسي من التقصير وسوء الفهم والعثرة والزّلّة، والمأمول مِمّن ينظر فيه أن يصلح ما طغى به القلم، وزاغ عنه البصر، وقصر عنه الفهم، فالإنسان محل النسيان، وعلى الله التكلان، ومنه العون وهو حسبي ونعم الوكيل.

التمهـــــيد

مصطلحات الممات

لظاهرة موت الألفاظ في اللّغة مصطلحات متعدّدة عند اللّغويين القدامـى، كـ ((الممات)) و((المتروك)) و((العُقميّ)) و((الاستغناء))، وهـي مترادفـة في مدلولاتها.

وأضاف اللغويون المعاصرون مصطلحات أخـرى منـها: ((المنقـرض))، و((البقايا الأثريّة)) و((الكلمات التاريخيّة)).

وثمّة مصطلحات قديمة ليست بعيدة في مفهومها عن الممات، أو هي تـدلّ على ألفاظ في طريقها إلى الانقراض، وهي على درجات متفاوتة في الفصاحـة؛ كـ ((الضّعيف)) و((المنكـر)) و((الحوشـي)) و((النّـادر)) و((الشّـارد)) و((الغريب)) و((المذموم)) و((المرغوب عنه)) مـن اللغـات، و((الـرّديء)) و((القبيح)) و((الخبيث)).

فمن مصطلحات الممات:

١- الممـــات :

وهو ما كان مستعملاً من ألفاظ اللّغة، ثمّ أميت بالهجر، أو التطوّر اللّغويّ، أو النّهي عن استعماله، فاستغنت عنه اللّغة تماماً، كأسماء الأيّام والشّهور القديمة، وبعض الألفاظ الجاهليّة الّتي زالت لزوال معانيها أو لنهي الإسلام عن استعمالها.

ومن أقدم من ذكر هذا المصطلح بهذا المعنى الخليل في مواضع متعدّدة مـن ((العين)) ومنها قوله: ((عندأوة: فعللوة، والأصل أميت فعله))[١].

(١) العين ٢/٢١٥.

وروي عن الكسائي قوله: ((محبوب: من حببت، وكأنها لغة قد ماتت))[1].

٢- المتروك :

وهو ما ترك واستغنت عنه اللّغة تماماً فمات وحلّت محله ألفاظ أخرى جديدة[2] كأسماء الأيام والشّهور في الجاهليّة، فالمتروك مصطلح مرادف للممات ويعرّفه السّيوطي بقوله: إنه ((ما كان قديماً من اللّغات ثمّ ترك واستعمل غيره))[3].

قال ابن دريد: ((وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: مضَّني: كلام قديم قد ترك، كأنه أراد أن أمضّني هو المستعمل))[4].

٣- العُقميّ :

العقمي هو ما درس من الكلام، أو الغريب الّذي لا يكاد يُعرف، قال ابن سيده: ((كلام عُقميّ: قديم قد درس؛ عن ثعلب. وسَمِعَ رجلٌ رجلاً يتكلّم، فقال: هذا عقميّ الكلام: أي قديم الكلام))[5].

وقال الأزهري: ((وقال ابن شُميل: إنه لعالم بعقميّ الكلام وعُقبي الكلام، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه الناس، وهو مثل النوادر.

وقال أبو عمرو: سألت رجلاً من هُذيل عن حرف غريب، فقال: هذا كلام عُقْمِيّ، يعني أنه من كلام الجاهلية، لا يعرف اليوم))[6].

(١) المزهر ٢١٩/١.
(٢) ينظر: المولد في العربية ١٤٨.
(٣) المزهر ٢١٤/١.
(٤) الجمهرة ١٤٨/١.
(٥) المحكم ١٥٠/١.
(٦) التهذيب ٢٨٩/١.

٤- الاســـتغناء :

وهو أن يستغني بكلمة عن أخرى مماتة، وقد أكثر سيبويه من اســـتعماله، فمنه قوله: إن العرب استغنت بتركْتُ عن وَدَعْتُ[١]، وباشتدّ عن شَـــدُد[٢] وباحمارّ عن حَمِرَ[٣]، وباستنوك عن نَوِك[٤].

٥- الانقـــراض :

هو أن تهجر الكلمة فتزول من الاستعمال وتندثر، كأسماء الأيام والشـــهور في الجاهلية، وهذا من اصطلاحات المعاصرين[٥].

٦- البقـــايا الأثريّـــة :

وهذا من مصطلحات الرّافعي[٦]، وهو يريد بالبقايا الأثريّة ما أراده علماء اللغة أنفسهم بمصطلحات المتروك والممات والمنكر ، ومثّل له بما مثلوا له في هذه المصطلحات الثّلاثة.

٧- الكلمات التّاريخيـــة :

وهي الكلمات الّتي تزول من الاستعمال لزوال مدلولاتها واندثارها، وذكر هـــذا المصطلح اللغويّ الفرنسي ((درمستيتر)) (Darmesteter) في قوله: ((إنّ الكلمـــات الّتي تخرج من الاستعمال مع الأشياء التي نعبّر عنها تندثر لأسباب تاريخيّة ، ويمكن أن

(١) الكتاب ١/٢٥، ٤/٦٧، ٩٩.
(٢) المصدر السابق ٤/٣٣.
(٣) المصدر السابق ٤/٣٣.
(٤) المصدر السابق ٤/٣٦.
(٥) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٢٠٩، ٢١٠، والمولّد في العربيّة ١٤٥، والـــدّلالات الجديـــدة في المعجم الوسيط ٢٥٧.
(٦) ينظر: تاريخ آداب العرب ١/١٦٨.

نسميها بالكلمات التاريخية))[١]، ومثّل لها بالأسلحة، والمعدات، والعملات، والقوانين، والأحداث الاجتماعية، التي سادت في عصر ثم زالت لزوال تلك المدلولات.

٨- المهمل :

هذا من المصطلحات التي قد تلتبس بالممات، وليس هو مما يرادف الممات في دلالته، والفرق بينهما كبير، فالمهمل من الألفاظ هو ما لم يستعمل في الأصل اللغوي مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول اللغوية المتصوّرة أو المستعملة، وأكثره مهمل للاستثقال[٢] لتقارب حروفه نحو: سص وظث وثظ، ومقلوبات ((خرع)) و((هكع)) و((خشع)) و((خضع)) وهو كثير في الثلاثي ، وأكثر في الرباعي، وكثير جداً في الخماسيّ؛ إذ تأتلف من الخماسيّ نحو ((سفرجل)) عشرون ومائة أصل يحتملها التقليب أهملت جميعاً سوى سفرجل، وكذلك في ((فرزدق)) و((جحمرش)) فالمهمل في العربية أكثر من المستعمل، ومع ذلك فالمستعمل كثير، وهذا يدل على الطاقة الكبيرة للعربية.

أمّا الممات فهو ما كان مستعملاً من ألفاظ اللّغة ثمّ أميت لعلّةٍ، كما تقدّم ذكره.

ومن المصطلحات الّتي تلحق بالممات أو تدلّ على ألفاظ في طريقها إلى الانقراض، أو ممّا يتّصل بفصاحة اللّفظ.

١- الضّعيف:

وهو ((ما انحطّ عن درجة الفصيح))[٣] كقولهم للضّفدع: خُنْدَع،

---

(١) المولد في العربية ١٤٥.

(٢) ينظر: الخصائص ١/٥٤.

(٣) المزهر ١/٢١٤.

ولغلاف القارورة أو غطاء الرأس: برصوم، وللقصـــير: بُعْقُــوط، وللبعــوض: الطَّيْثَار، وللرِّخْو: بَخْو[1].

٢- المنكر:

وهو أقلّ درجة من الضعيف؛ بحيث أنكره بعض أئمة اللّغـــة، ولم يعرفـــه، كقولهم: بَلَقُ الدّابّة؛ وهو سواد وبياض[2].

٣- الغريب والحوشي والنّادر والشّارد:

وهي مصطلحات متقاربة، وكلّها خلاف الفصيح. وتندرج تحت الغريــــب الّذي لا يكاد يعرف من الألفاظ.

فالحوشيّ من الكلام: ما نفر عن السّمع، كأنّه منسوب إلى الحُوش؛ وهـــي بقايا إبل وَبَار[3] بأرض قد غلبت عليها الجنّ، كما يزعمون[4].

ويحمل النّادر والشّارد على ما في الغريب والحوشيّ من معنى، وهي الألفاظ القليلة الاستعمال الّتي توشك أن تهجر فتموت.

ومن ذلك: البَرْت: الرّجل الدليل، والحَرْش: الأثر، والعَيْقَة: ساحل البحر، والوَبيل: الحُزْمة من الحطب[5].

---

(١) المزهر ٢١٥/١، ٢١٦.

(٢) المصدر السابق ٢١٤/١، ٢١٨، واللسان (بلق) ٢٥/١٠.

(٣) وبَار مثل قَطَام : أرض كانت لعاد بين اليمن ورمال يبرين كما قيل، غلبت عليها الجـــن، فمن العرب من يجريها مجرى نَزَالِ ومنهم من يجريها مجرى سُعاد. ينظر :اللسان (وبـــر) ٢٧٣/٤.

(٤) المزهر ٢٣٣/١.

(٥) المصدر السابق ٢٣٣/١ - ٢٣٧.

٤- الرّديء والمذموم والقبيح والخبيث والمرغوب عنه:

كلّ ذلك من اللّغات، وهو أقبحها وأنزلها درجة[١] ؛ كالكشكة، والعنعنة، والفحفحة، والاستنطاء.

ومنه في الألفاظ: الطَّعْسَفَةُ، قال ابن دريد: ((وهي لغة مرغوب عنها؛ مرّ يطعسف في الأرض، إذا مرّ يخبطها))[٢].

ومنه قولهم: غَلَقْتُ الباب غلقاً، وهي لغة رديئة متروكة[٣].

وثحجه برجله ثحجاً: ضربه بها، مهريّة مرغوب عنها[٤].

ويقال: الفِصّ بالكسر – لغة في الفصّ، وهي أردأ اللّغتين[٥].

ويقال: مِنتن – بالكسر – وهي رَديئة خبيثة[٦].

(١) المزهر ٢٢١/١.
(٢) الجمهرة ١١٥٥/٢.
(٣) الصحاح (غلق) ١٥٣٨/٤.
(٤) ينظر: المجمل ١٥٧/١، واللسان (ثحج) ٢٢٢/٢.
(٥) ينظر: المزهر ٣٣٤/١.
(٦) المصدر السابق ٣٣٤/١.

الباب الأول

الممـــات من الأســـماء

الفصل الأول: الممات من أسماء الأيام

الفصل الثاني: الممات من أسماء الشهور

الفصل الثالث: الممات من أسماء متفرقة

الفصل الرابع: أسماء أميت مفردها

الفصل الخامس: أسماء مُصغّرة أميت مُكبّرها

مــدخـــل

ثمة أسماء أُميتت في العربية الفصحى، وترك العرب استعمالها بعد أن كـانت في لغتهم، فانقرضت وزالت، كأسماء الأيام والشّهور في الجاهلية، وما تركـه العـرب من ألفاظ خاصّة زالت بزوال معانيها، والمكـبّر الّذي أميت ودلّ عليه مصغّـره، وهو المصغّر الّذي لا واحد له، والمفرد الّذي أميت ودلّ عليه مثناه أوجمعـه، وهمـا المثنّى الّذي لا واحد له والجمع الّذي لا واحد له من لفظه، وغير ذلك ممّـا نـصّ العلماء على أنه من الممات أو المتروك في اللغة، أو أشاروا إليه بطرف خفي.

وأكثر هذه الأسماء أميت لفظاً، و أميت المعنى في بعضها القليل وبقي اللفظ مستعملاً في أشياء أخرى، مثل ((أول)) اسم يوم الأحد، و((مؤنس)) اسم يـوم الخميس في الجاهلية، وقد أُميتا ولكن اللفظ بقي في دلالات أخر ، وقد ذكـرت هذه الألفاظ القليلة لاتّصالها بأخواتها ممّا أميت اللّفظ فيها.

والممات من الأسماء على النّحو التّالي:

الفصل الأول

الممات من أسماء الأيام

كانت الأيام في الجاهلية على النّحو التّالي:

الأحد: أول.

الاثنين: أَهْوَن وأَوْهَد، وقالوا: هذا يوم الثُّنَى – أيضاً.

الثلاثاء: جُبار

الأربعاء: دُبار أو دِبار

الخميس: مؤنس.

الجمعة: العروبة، وحَرْبَة – أيضاً.

السبت: شِيار.

ثم أميتت هذه الألفاظ واستخدمت مكانها الأيام المعروفة: السبت والأحـد .... ألخ.

وقد جمعها شاعر جاهليّ، فقال [1]:

أُؤَمّل أن أَعِيشَ وإنَّ يَومِي ... بأوّلَ أو بـاهونَ أو جُبـارِ

أَوِ التَّالِي دُبارَ [2]، فإن أَفُتْهُ ... فمؤنِسَ [3] أو عَرُوبَةَ أو شِيارِ

هِيَ الأَيَّامُ دُنيانا عَلَيها ... مَمَرُّ اللَّيلِ دَأباً والنَّهارِ

(١) ينظر: الأيام والليالي والشهور ٣٧، والجمهرة ١٣١١/٣، والإبدال لأبي الطيب اللغوي ٣٩٣/١، والمقاييس ١٥٩/١، والإنصاف ٤٩٧/٢.

(٢) ترك صرف ((دُبار)) للضّرورة، وهو منصرف، وقيل: ترك الصّرف على اللّغة القديمة الميّتة. ينظر: اللسان (عرب) ٥٩٣/١.

(٣) ترك صرف ((مؤنس)) للضّرورة، أو على اللّغة القديمة الميّتة. ينظر: اللسان (عرب) ٥٩٣/١.

أمّا معاني ذلك، فإنهم قالوا للأحد ((أوّل)) لأنهم جعلوه أوّل عدد الأيـــام، وقالوا للاثنين: ((أَهْوَن)) و((أَوْهَد)) فأهون من الهَوْن وهو السّكون ، ومنه قوله تعالى ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً﴾(١) ويدلّ ((أَوْهَدُ)) على هذا المعنى ؛ لأن الوَهْدَة الانخفاض، كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا في العدد.

وقالوا للثلاثاء: ((جُبار))؛ لأن العدد جُبِرَ به، وقوي إذ حصل بـــه فـــرد وزوج(٢)، وقيل: هو من الأَرْش: ما يُهْدر، والأَرْش: الدية(٣).

وقالوا للأربعاء ((دُبار)) لأنه عندهم آخر العدد، وبه يتـــمّ العقـــد الأول، ودبر كلّ شيء مؤخره.

أمّا الخميس والجمعة فسمّيت بأشياء تصنع فيها، فاستغنوا بها عن عددهـــا، فقالوا للخميس ((مؤنس)) لأنّه يؤنس به لقربه من الجمعة التي يتـــأهّبون فيـــها للاجتماع.

وقالوا للجمعة ((عروبة)) لبيانها عن سائر الأيّام، والإعـــراب في اللغـــة: الإبانة والإفصاح. وقيل: من العَرُوبة، وهي المتحبّبة إلى زوجها أو لأن كلمتـــهم اجتمعت، وبان لهم من الرأي ما كان خافياً؛ فتعربوا واتّفقوا.

وتسمّى الجمعة ((حَرْبة)) أيضاً، لبياضها ونورها وتعظيمها؛ فهي في الأيـــام كالحَرْبة.

وقالوا للسبت ((شِيار)) من قولهم: شُرت الشّيء إذا أظهرته وبيّنته(٤).

والعَروبة بالألف واللام، وربّما لم تدخل عليها، قال القطاميّ:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٢) ينظر: الأزمنة والأمكنة ١/٢٧٠.

(٣) ينظر العين ٦/١١٦.

(٤) ينظر: الأزمنة والأمكنة ٢٧٩ - ٢٨١.

نَفْسِي الفِدَاءُ لأَقْوَامٍ هُمُ خَلَطُوا يَوْمَ العَرُوبَةِ أَوْراداً بأَوْرَادِ [(١)]

فأدخل الألف واللام، وقال ابن مقبل:

وإذا رَأى الرُّوَّادَ ظَلَّ بأَسْقفٍ يَوْماً كَيومِ عَرُوبَةَ المُتَطَاوِلِ [(٢)]

الفصل الثاني

المـــات من أســـماء الشـــهور

كانت أسماء الشّهور في الجاهليّة على النحو التّالي[(٣)]:

المؤتمر: المحرم.

ناجر: صفر.

خَوّان أو خُوّان: ربيع الأوّل.

وُبْصَان أو وَبْصَان: ربيع الآخر.

الحَنين: جمادى الأولى.

رُنّى [(٤)]، ويقال: رُبّى – بالباء: جمادى الآخرة.

---

(١) ديوان القطامي ٨٨.

(٢) ديوان ابن مقبل ٢٢١.

(٣) الأيام والليالي والشهور ٤٩، والأزمنة وتلبيـــة الجاهليـــة ١٢٩، والجمـــهرة ١٣١١/٣، والأزمنة والأمكنة ٤٣/٩ والمخصص ٤٣/٩.

(٤) اختلف العلماء في اسم هذا الشهر فقال بعضهم: هو بالباء. ومن هؤلاء قطـــرب وابـــن الأنباري والسيوطي. (ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية ١٢٩، واللســـان (رنى) ٢٤٠/١٤، والمزهر ٢١٩/١) ويرى أكثرهم أنه بالنون. (ينظر: الأيـــام والليـــالي والشـــهور ٤٩، والجمهرة ١٣١٢/٣، والأزمنة والأمكنة ٢٨١/١، والآثـــار الباقيـــة ٦٢، والمخصـــص ٤٣/٩) ونقل عن أبي عمر الزاهد أنه قال : رُبّى بالباء تصحيف ، إنما هو بالنون. (ينظر: اللسان (رنى) ٣٤٠/١٤.

الأَصَمّ: رجب.

عاذِل: شعبان.

ناتق: رمضان.

وَعِل [١] : شوّال.

وَرْنَة، وقيل: هُوَاع [٢] : ذو القعدة.

بُرَك: ذو الحجة.

وثّمة من خالف جمهور العلماء في أسماء هذه الشهور ، فقد ذكر البيروني أنها كما يلي:

المؤتمر وناجر وخوّان وصُوان وحنتم وزَبّاء والأصمّ وعادل ونافق وواغِل وهُوَاع وبُرَك [٣]

ونظمها الصاحب بن عبّاد في قوله [٤]:

أَرَدْتَ شُهُورَ العُرْبِ في الجَاهِلِيَّةِ ... فَخُذْهَا عَلَى سَرْدِ الُمحَرّم تشتَرِكْ

فمؤتمرٌ يأتي ومِن بَعْدُ ناجرٌ ... وخَوَّانُ مع صُوَان يُجْمَعُ في شَرَكْ

حَنينٌ وزَبّا والأصَمُّ وعادل ... ونافِق مَعْ وَغْلٍ وَرَنَّةُ مَعْ بُرَكْ

والموازنة بين بعض هذه الأسماء، وما يقابلها في الروايتين ترجح أن ثّمة تصحيفاً أو تحريفاً في بعض أسمائها، قارن مثلاً بين وبصان وصوّان، والحنين وحنتم، ورنّى وربّى وزباء، وعاذل وعادل، وناتق ونافق، و وَعِل و واغل.

(١) في اللسان (وعل) ٧٣٢/١١: وَعْل بالسكون شعبان و وَعِل بالكسر: شوال، وفيه أيضاً: وقيل: وَعِل شعبان.

(٢) ينظر: الأيام والليالي والشهور ٥٣.

(٣) ينظر: الآثار الباقية ٦٠، ٦١.

(٤) المصدر السابق ٦٣.

والتصحيف في أسماء هذه الشهور غير غريب، لإماتة هذه الألفاظ وتركـها في الاستعمال مع قدمها، وقد تكون لغات لبعض القبائل.

وخالف المسعودي – أيضاً – في بعض أسمائها، فهي عنده: نـاتِق وثَقِيـل وطَلِيق ونَاجِر وأَسْلَخ وأَمْيَح وأَحْلَك وكُسَع وزَاهِر وبُرَك وحُرَف ونُعَس، وهـو ذو الحجة [١].

واشتقاق هذه الشهور المماتة – وفق ما ورد في الروايـات المشـهورة في أسمائها – على النحو التالي[٢]:

((المؤتمر)) (المحرم) من أحد ثلاثة؛ أحدها أنّه يؤتمر فيه الحرب والثـاني أن يكون من أَمَرَ القومُ إذا كثروا؛ فكأنّهم لما حُرِموا القتال فيه زادوا وكثروا.

والثّالث: أن يأتمر بكلّ شيء ممّا تأتي به السّنة من أقضيتها.

وأمّا ((ناجر)) (صفر)فهو من النجر، وهو شدة الحرّ، أو لأنّ الإبل تَنْجَـرُ فيه، أي: يشتدّ عطشها حتّى تيبس جُلودها.

أمّا ((خوان)) (ربيع الأول)فهو من الخَون وهو النّقص؛ لأن الحرب يكـثر ويشتدّ فيه فيتخوّهم أي يتنقّصهم، وقد يكون من الخيانة.

أمّا ((وُبصان)) أو ((وَبصان)) (ربيع الأول) فهو من الوبيص أي البريـق، ومن قال: بُصان فهو من البصيص.

واشتقاق ((الحنين)) (جمادي الأولى) من حنين النـاس إلى أوطـاهم؛ لأن النّاس يحنّون فيه إلى أوطاهم – كما يقول المرزوقي[٣].

و ((رُنّى)) (جمادي الآخرة): (فعلى) من الشّدّة في كل شيء، قيل: يـوم أَرْوَنانٌ: شديد في كل شيء ووزنه (أفوعال) من الرّنين فيما ذهب إليـه ابـن

(١) ينظر: مروج الذهب ٢/١٩١.
(٢) ينظر: الأزمنة والأمكنة ٢٨٠ – ٢٨٢.
(٣) ينظر: الأزمنة والأمكنة ٢٨١.

الأعرابي، وهو عند بعضهم (أفعلان) من قولك: كشف الله عنك رونـــة هـــذا الأمر، أي غمّته وشدّته[١].

وأنكر بعضهم النّون – كما تقدم – وقال هو: رُبّى – بالباء، مأخوذ مـــن الشّاة الرُّبّى، وهي الحديثة النِّتاج؛ لأن فيه يعلم ما نتجت حروبهم إذا انجلـــت عنه، قال الشاعر:

أتيتك في الحَنِين فقلت: رُبَّى وماذا بين رُبّى والحَنِينِ[٢]

وقد يقال في ((رُنّى)): ((رُنَّة)) بحذف الألف وتخفيف النّون، قـــال ابـــن منظور: ((رُونة، وهي محذوفة العين، ورُونة الشيء: غايته في حَرٍّ أو بردٍ أو غيره، فسمّي به جمادى لشدّة برده، ويقال: إنهم حين سمّوا الشّهور وافق هذا الشَّـــهر شدّة البرد فسُمّوه بذلك))[٣].

وسُمِّيَ رجب: ((الأصمّ)) لتركهم الحرب فيه حتى لا تســـمع صلصلـــة حديد.

وسُمّيَ شَعبان: ((عاذلاً)) كأنّه كان يعذلهم على الإقامة، وقد حلّت الحرب والغارات.

وقيل: ((عاذل)) اسم شهر شوال، أمّا شعبان فاسمه وَعِـــل، أي: أنّـــهم عكسوا[٤]، وأكثرهم على ما ذكرت، أي أن عـــاذلاً هـــو شـــعبان ووَعِـــلاً شوال[٥].

---

(١) ينظر: اللسان (رنن) ١٣/١٨٧، ١٨٨.
(٢) ينظر: المصدر السابق (رنن) ١٣/١٨٨.
(٣) المصدر السابق (رنى) ١٤/٣٤٠.
(٤) ينظر: الأزمنة والأمكنة ١/٢٨٢.
(٥) ينظر: اللسان (عذل) ١١/٤٣٨.

وسمّي رمضان: ((ناتِقاً)) لكثرة الأموال فيه، يقال : نَتَقَت النّاقة أو المرأة إذا كثر ولدها. أو هو مشتقّ من النّتْق ، وهو الجذب كأنّه كان يجذب النّاس إلى غير ما هم عليه ، قال الراعي[1]:

وفي نَاتِقٍ كانَ اصْطِلامُ سَرَاتِهم لَيَالِيَ أَفْنَى القَرْحُ جُـلَّ إِيَـادِ
نَفَوا إخْوَةً ما مِثْلَهُم كَانَ إخْوَةٌ لِحَيٍّ وَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا لِفَسَـادِ

وسُمِّيَ شوّال ((وَعِلاً)) لأن الغارة كانت تكثر فيه فيلتجي كلٌّ قوم إلى ما يُتَحَصّنُ به، والتَوَعّل: التَّوقّل وهو العلو والاحـتراز، ومنـه اشـتقّ الوعـل والمستوعل من الحمير المتحرزة.

وسُمّي ذو القعدة : ((وَرْنَة)) للتَّنَعُّم فيه، قال ابن الأعرابي: التَّوَرُّن: كـثرة التّدهّن والتّعيم[2].

أمّا ((هُوَاع)) – وهو الاسم الآخر الّذي روي لشهر ذي القعدة – فقـد قيل له ذلك ((لأنه كان يهوع الناس، أي: يخرجهم من أماكنـهم إلى الحـج، ويقال: هاع فلان يهوع هوعاً إذا قاء وهَوّع وما يخرج من حلقه هُواعة))[3].

أمّا ((بُرَكُ)) وهو شهر الحج، فهو معدول عن ((بارك)) وكأنّه الوقت الذي تبرك فيه الإبل للموسم، وقد يكون مشتقاً من البَرَكة، لأنّـه وقـت الحـجّ، فالبركات تكثر فيه، وأصل البَرَكة من الثَّبات، كأنه من قولهم: بَرَكَ البَعِـير، أو هو من مبرك البَعير الّذي يثبت فيه.

وقد سمّت العرب أشهرها بالأسماء المعروفة المحرّم وصفر ... إلخ، واشـتقوا أسماءها من أمور اتّفق وقوعها عند تسميتها، والمتأمل لاشتقاق أسمـاء شـهور

(١) ديوان الراعي النميري ٢٠.
(٢) ينظر: التهذيب ١٥/٢٣٧.
(٣) الأزمنة و الأمكنة ١/٢٨٣.

الجاهلية أوّلاً ثمّ اشتقاقها ثانياً يتبين له أنّ بين التسميتين زماناً طويلاً، لاختلاف المدلول الزمني بين التسمتين لكل شهر.

الفصل الثالث

الممات من أسماء متفرقة

ترك العرب مما كان مستعملاً في الجاهلية ألفاظاً كثيرة أماتوها بعد أن زالت معانيها، فمن ذلك[١]:

١- المِرباع: وهو ربع الغنيمة يكون لرئيس القوم في الجاهليّة دون أصحابه وصار في الإسلام الخمس على ما فرضه الله تعالى.

٢- النَّشِيطة: وهي من الغنيمة ما أصاب الرئيس لنفسه، مثل السّيف والفرس والجارية، قبل أن يصير إلى بيضة القوم.

٣- الصَّفايا: جمع صَفِيّ، وهو ما يصطفيه الرئيس لنفسه، مثل السّيف والفرس والجارية، قبل القسمة مع الربع الذي له، وبقي الصّفيّ حيناً في الإسلام، وقد خصّ بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقد اصطفى صلى الله عليه وسلم سيف منبّه بن الحجّاج المسمّى ذو الفِقار، يوم بدر ، وغير ذلك، قال ابن فارس: ((وزال اسم الصّفيّ لّما توفّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم))[٢].

٤- الفُضُول، وهو ما فضل من القسمة مما لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير والسكين ونحوهما، قال عبد الله بن عَنَمَة الضّبّي حليف بني شيبان

---

(١) ينظر : الصاحبي ١٠٢، ١٠٥، والحيوان ١/٣٢٧ - ٣٣٠، والمزهر ١/٢٩٦ - ٢٩٨.

(٢) الصاحبي ١٠٣.

في رثاء بسطام بن قيس:

لَكَ المِرْبَــاعُ مِنها والصَّــفَايا　　　وحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ[1]

٥- إتاوة، وهو الخراج أو الرّشوة، نص ابن فارس على أنه مما ترك مــن ألفاظ الجاهليّة[2]، وربّما أحيي هذا اللّفظ فيما بعد.

٦- المَكْسُ، وهو الجباية، دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلع في الأســواق الجاهليّة، وهو ما يأخذه العشّار من ضريبة، ولهذا يقال للعشّار: ماكِس.

قال جابر بن حُنَيّ[3]:

وفِي كُلِّ أَسْوَاقِ العِراقِ إتَاوَةٌ　　　وفِي كلِّ مَا بَاعَ امْرِؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ[4]

٧- الحُلوان: الرشوة، ومنه أن يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه، وهــذا عار عند العرب، قالت امرأة في مدح زوجها:

لا يَأخُذُ الحُلْوانَ مِن بَنَاتِنَا[5]

٨- صَرُورة: رَوَى أبو عبيـــد في غريـــب الحديـــث: ((لا صــرورة في الإسلام))[6] وهو في الحديث: ((التَّبتّل وترك النكاح؛ أي ليس ينبغي لأحد أن يقول: لا أتزوج؛ لأنه ليس من أخلاق المؤمن، وهو فعل الرُّهبان))[7].

---

(١) ينظر: الحماسة ٥٠٣/١، والحيوان ٣٣٠/١، والأمالي للقالي ١٤٤/١، واللآلي ٣٨٩/١.
(٢) ينظر: الصاحبي ١٠٣.
(٣) شاعر جاهلي قديم، كان صديقاً لامرئ القيس. ينظر: معجـــم الشـــعراء ٢٠٦، ٢٠٧، والمفضليات ٢٠٨.
(٤) ينظر: المفضليات ٢١١.
(٥) ينظر: اللسان (حلو) ١٩٣/١٤.
(٦)ينظر: سنن أبي داود ١٤١/٢، ومستدرك الحاكم ٤٤٨/١، ومسند أحمد ٣١٢/١ وغريب الحديث لأبي عبيد ٩٧/٣، وكنز العمال ٦٥٨/٣وضعفه الألباني في ضعيـــف الجـــامع الصغير وزياداته ٩٠٩.
(٧) النهاية ٢٢/٣.

وروي عن ابن مسعود: أنه قال: ((لا يقولنّ أحدكم: إني صرورة، فإن المسلم ليس بصرورة))[١].

قال ابن دريد: ((الأصل في الصّرورة أنّ الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثا ولجأ إلى الكعبة لم يُهَجْ، فكان إذا لقيه وليّ الدم بالحرم قيل له : هو صرورة فلا تَهِجْهُ، فكثر ذلك في كلامهم حتّى جعلوا المتعبّد الّذي يجتنب النّساء وطيّب الطّعام صرورة وصروريّاً، وذلك عنى النّابغة الذّبياني بقوله:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبَدَ الإِلَهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ

أي: متقبّض عن النّساء والتّنعم)) [٢].

ومن هذا سمّيَ من لم يَحُجّ: صرورة أو صروريّاً، فترك تسمية بذلك، وأميت لفظه [٣].

٩- النّوافج؛ وهي الإبل التي تساق في الصّداق، فتكثر بها إبل الرجل وتعظُم، وكانت العرب تقول في الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت: هنيئاً لك النّافجة، أي المعظّمة لمالك، وذلك أنّه يزوّجها فيأخذ مهرها من الإبل، فيضمّها إلى إبله فينفجها، أي يرفعها ويكثّرها[٤].

قال شاعرهم وقد كره ذلك:

لَيْسَ تِلادِي مِن وِرَاثَةِ وَالِدِي ولا شَانَ مَالي مُسْتَفَادُ النَّوافِجِ[٥]

(١) ينظر: المجموع للنووي ٢٨١/٨.

(٢) الجمهرة ١٢٥٢/٣.

(٣) ينظر: الصاحبي ١٠٣.

(٤) ينظر: الجمهرة ٤٨٩/١، واللسان (نفج) ٣٨٢/٢.

(٥) ينظر: الصاحبي ١٠٥.

١٠- غُلامة، وهي مؤنث الغلام، كان يقال للجارية ؛ قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى عن أبي عبدالرحمن يونس بن حبيب النّحوي حين أنشده شعر الأسديّ:

ومِرْكَضَــةٍ صَرِيحِــيّ أَبُوهــا   تُهــانُ لَهَا الغُلامَــةُ والغُــلامُ

قال: فقلت له: فتقول للجارية: غلامة؟ قـــال: لا، هـــذا مـــن الكـــلام المتروك[١].

١١- الرَّتيمة، وهي شيء كان يفعله الجاهليّون، كان الرّجل إذا أراد سفراً عمد إلى شجرتين متقاربتين فعقد غصنين منهما فإذا رجع من سفره نظر إليــهما، فإن كان الغصنان بحالهما علم أنه لم يُخَن في أهله، وإن كانا منحلّين ظنّ بأهلـــه ظنّ سوء[٢] .

١٢- عَدَوْلاة، وهو اسم موضع في البحرين، قال الخليل: ((والعَدَوْلِيّـــة: ضرب من السفن، نُسب إلى موضع يقال له: عدولاة، أميـــت اسمـــه))[٣] أي أميت لفظ ((عَدَوْلاة)).

والّذي في كتب البلدان أنّ اسم القرية ((عَدَولَى))[٤] قـــال البكـــريّ: ((عَدَوْلَى: قرية بالبحرين، والعَدَولِيُّ من السُّفن منسوب إليها، قال طرفة:

عَدَوْلِيّةٌ أو من سَفِين ابن يامِنٍ   يَجُوزُ بها المَلاّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي[٥]

وذكره سيبويه فيما جاء من الأسماء على مثال فَعَولَى، وزعم الخليـــل أنـــه موضع كانت تنسب إليه السفن، فأميت اسمه))[٦].

(١) ينظر: الحيوان ١/٣٢٩، ٣٣٠.
(٢) ينظر: اللسان (رتم) ١٢/٢٢٥.
(٣) العين ٢/٤٠.
(٤) ينظر: معجم البلدان ٤/٩٠.
(٥) ينظر: ديوان طرفة ٢٠.
(٦) معجم ما استعجم ٢/٩٢٦.

١٣- الجَدَف، وهو ما لايغطّى من الشراب، ورد في حديث عمر، قال أبو عمرو بن العلاء: ((الجَدَف لم أسمعه إلا في هذا الحديث، وما جاء إلا وله أصل، ولكن ذهب من كان يعرفه ويتكلم به كما قد ذهب من كلامهم شيء كثير))[١].

١٤- الأرداف، وهم الوزراء في الجاهلية، قال الأزهري : ((أرداف الملوك في الجاهلية الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة، بمنزلة الوزراء في الإسلام))[٢].

وقال الجوهري: ((الرِّدافة: الاسم من إردافِ الملوك في الجاهلية. والردافة: أن يجلس الملك ويجلس الرِّدف عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك قعد الردف في موضعه، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف المرباع.

وكانت الرِّدافة في الجاهلية لبني يربوع، لأنه لم يكن في العرب أحد أكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الرِّدافة، ويكفّوا عن أهل العراق الغارة))[٣].

فهذه كلمات متفرّقة أميتت في الجاهلية، وهجرت، وربما أحيي بعضها فاستعمل مرة أخرى في معناه القديم أو بمعنى آخر، وإحياء الممات وارد في اللغة على النحو الذي سيأتي تفصيله في الباب الرابع – إن شاء الله تعالى.

١٥- عُبسُور ، وهي السريعة من النوق، وهذه الكلمة مما انفرد به المتقدمون وتركه المتأخرون؛ لاستعمالهم مرادفه. قال ابن فارس: ((.. وقد كان

(١) اللسان (جدف) ٢٤/٩.
(٢) التهذيب ٩٧/١٤.
(٣) الصحاح (ردف)١٣٦٣/٤.

لذلك كله ناس يعرفونه. وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم نحن من قولنا: عُبسُور، في الناقة، وعَيْسَجور ، وامرأة ضِناكٌ وفرس أَشَقُّ أمقُّ خِبَقٌ ذهب هذا كله بذهاب أهله))[1].

١٦- عَيْسجُور ، وهي الناقة الصلبة، وقيل السريعة القوية، ذكر ابن فارس أنه مما ذهب بذهاب أهله - كما تقدم في النص السابق في الفقرة (١٥).

١٧- ضِناك، في قولهم: امرأة ضِناك، وهي ثقيلة العجز الضخمة، ذكر ابن فارس أنه مما ذهب بذهاب أهله - كما تقدم في الفقرة رقم (١٥).

١٨- خِبَقٌ ، في قولهم : فرس: أَشَقُّ أَمَقُّ خِبَقٌّ، وناقة كذلك، وهي السريعة، وقيل : خِبقٌّ إتباع ، وذكر ابن فارس أنه مما ذهب بذهاب أهله - كما تقدم.

الفصل الرابع

أسماء أميت مفردها

وهو نوعان: الجمع، والمثنى، وهما على النحو التالي:

أ - الجمع :

المفرد من الأسماء هو الأصل للجمع، فلكل جمع مفرد مسموع أو مقدّر، قياساً على الكثير الغالب من كلام العرب، وثمّة جموع قليلة لم يوجد من مادّها مفرد البتة[2]؛ روى اللحياني عن الأصمعيّ: ((أن المطايب والأطايب والمحاسن

(١) الصاحبي ٦٥، ٦٦.

(٢) ثمة خلاف في همزة البتة فهي همزة وصل عند بعض العلماء، وهي همزة قطع عند بعضهم الآخر، وقد بحثتُ في هذه المسألة قبل سنوات، ولم أصل إلى ما أقطع به في ذلك، وأنا =

والمساوئ والمغازي والمقاليد لا يعرف لها واحد))[١] وكذلك نسوة وعبابيد وعباديد ومذاكير.

وأغلب الظن أن مفرداها أميتت فانقرضت[٢]، وظلّت تلك الجموع دليلاً على مفرداها، ولا خلاف بين العلماء أن المفرد من تلك الجموع مقدر، وأنه يكون عند التقدير على حسب القياس[٣]، ولكنه مهجور في الاستعمال لإماتته، اكتفاء – فيما نقدر – بلفظ الجمع، وهو يسمّى عند بعض العلماء ((المفرد التقديري)) أو ((الخيالي)) أو ((غير الحقيقي))[٤] ولو سمّي المفرد الميت أو الممات أو المتروك لكان صحيحاً.

أما المفردات التي لم يسمع لها جموع، نحو المرء والمرأة، والدّبور؛ وهي ريح الصبا؛ فإنه لا يصح أن يقال: إن تلك الجموع مماتة؛ لأن الجمع فرع والمفرد أصل، ووجود الأصل – وهو المفرد – لا يقتضي وجود الفرع وهو الجمع، ويصح معكوس ذلك لفظاً ومعنى؛ أي أن وجود الفرع في الاستعمال يقتضي وجود الأصل في الاستعمال ولو مرة واحدة قبل الإماتة.

ومن الجموع الّتي أميتت مفرداها وزالت من الاستعمال[٥]:

١- الخَلابيس، وهي الأمور التي لا نظام لها، لم يعرف البصريون لها واحداً، وقال البغداديون: خِلْبِيس – كما يقول ابن دريد[٦].

= أتبع الأصل فيها، وهو أن الهمزة فيها همزة وصل، وعلى هذا كثير من علمائنا، والذي يكتبها همزة قطع فهو مصيب غير مخطئ.

(١) التهذيب ١٤/٤٠.

(٢) ينظر: في علم الصرف ١٢٥.

(٣) ينظر: تصريف الأسماء ٢٣٣.

(٤) ينظر: المعجم المفصل في النحو العربي ٢/١٠٣٤.

(٥) ينظر: الكتاب ٢/٢٨٢، ٣/٢٣، ٢٥٦، ٣٧٩، ٢٧٥، ٤٢٥، والجمهرة ٣/١٢٧١، والمزهر ٢/١٩٧، وأزاهير الفصحى ٢٥٦.

(٦) ينظر: الجمهرة ٣/١٢٧١.

٢- سَمادير العين، وهو ما يراه الْمُغْمَى عليه من حُلْم، والمفرد ممات .

٣- معاليق، وهو ضرب من التّمر، والمفرد ممات.

٤- عبابيد وعباديد ، وهم الفرق من الناس، والخيل الذاهبــون في كــل وجه، والمفرد ممات.

٥- تَبَاشير الصّباح، وهي أوائلة الّتي تبشربه، وتباشير النخـــل بواكــيره، والتباشير - أيضاً - البشرى، وأميت مفرده.

٦- التَّعَاشِيب في قولهم: أرض مملوءة بالتعاشيب، وقيل: هو أول ما يظــهر من العشب، ويكون متفرقاً، وهو مما أميت مفرده.

٧- تضاعيف الشيء، وهو ما ضُعِّف منه، والمفرد ممات، قال ابن ســيده: ((ليس له واحد، ونظيره في أنه لا واحد له: تباشير الصبح... وتعاشيب الأرض، لما يظهر من أعشابها أولاً))(١).

٨- التعاجيب، وهي العجائب، وتعاجيب الدهر: ما يأتي مــن عجائبــه. أميت المفرد.

٩- التماسي، وهي الدواهي، قال أبو عمرو بن العلاء: ((لقيت من فــلان التماسي، أي الدواهي، لا يعرف واحده(٢).

١٠- الهزائز، وهي الشدائد، حكاها ثعلب، قال: ولا واحد لها(٣) .

١١- الزآنب، وهي القوارير، ذكر ابن الأعرابي أنّه لا واحد لهـا(٤)، أي أنّ المفرد ممات.

---

(١) المحكم ٢٥٥/١.

(٢) اللسان (مسا) ٢٨١/١٥.

(٣) ينظر: اللسان (هزز) ٤٢٥/٥.

(٤) ينظر: التاج (زأنب) ٣٨٤/١.

١٢- مطايب اللحم وغيره: خياره وأطيبه، قال ابن منظور نقلاً عن ابن سيده: ((ومطايب اللحم وغيره: خياره وأطيبه؛ لا يفرد، ولا واحد له من لفظه، وهو من باب محاسن وملامح؛ وقيل: واحدها مَطَاب ومَطَابة، وقال ابن الأعرابي: هي من مطايب الرطب، وأطايب الجزور. وقال يعقوب: أطعمنا من مطايب الجزور ولا يقال: من أطايب. وحكى السيرافي أنه سأل بعض العرب عن مطايب الجزور، ما واحدها؟ فقال: مَطْيَب، وضحك الأعرابي من نفسه كيف تكلّف لهم ذلك في كلامه))(١).

١٣- المحاسن، وهي المواضع الحسنة من البدن، قال ابن سيده: ((قال بعضهم: واحدها محسن، وليس هذا بالقوي ولا بذلك المعروف، إنّما المحاسن عند النحويين، وجمهور اللغويين جمع لا واحد له، ولذلك قال سيبويه: إذا نسبت إلي محاسن قلت: محاسنيّ ، فلو كان له واحد لردّه إليه في النسب، وإنما يقال: إنّ واحده: حَسَنٌ على المسامحة))(٢).

١٤- ملامح الإنسان: ما بدا من محاسن وجهه ومساويه مفرده: ((مَلْمَحَة)) استغنوا عنه بلمحة، فأميت(٣).

ب - المثَـنَّى :

من المثنّيات في العربيّة ما أميت واحده، وترك في الاستعمال، وهي قليلة منها(٤):

---

(١) اللسان (طيب) ٥٦٦/١.
(٢) المحكم ١٤٣/٣.
(٣) ينظر: الكتاب ٢٧٥/٣، ٤٢٥.
(٤) ينظر: المثنّى لأبي الطّيّب اللّغويّ ٥٦ - ٦٢.

١- اثنان، لا واحد له من لفظه، وقد أميت مفرده فيما نقدّر.

٢- المِذْروان، طرفا الأليتين، ليس لهما واحد، وقيل واحده مِـــذْري، وفي اللّسان: ((قيل: المِذروان: أطراف الأليتين، ليس لهما واحد، وهو أجود القولين؛ لأنه لو قال مِذرى لقيل في التثنية مِذْريان بالياء للمجاورة))[1].

ذكره أبو الطيب اللغويّ فيما ليس له مفرد من لفظه[2].

٣- هجاجان؛ يقال هم هجاجيه ، أي عن يمينه وشماله، ذكر أبو الطّيّب أنه لا واحد له من لفظه[3].

٤- دَوَاليك، ومعناه مُداولة بعد مُداولة، قال الزّجَاجيّ: ((ولا يفرد لــــه واحد))[4].

الفصل الخامس

أســـماء مصغرة أمـــيت مكبرهـــا

من الأسماء ما جرى في العربيّة مصغّراً وأميـــت مكـــبّره، مثـــل: كُعَيـــت وكُميت، وقد تناوله علماء اللغة في كلامهم في التّصغير[5] علـــى وجـــه مـــن الإيجاز، ومثّلوا له بألفاظ قليلة من أبرزها:

١ - كُعَيت؛ وهو البلبل، وحُكِيَ عن المبرّد أنّه قال: يشبه البلبل ويقاربـــه، وقد يصغّر الشيء لمقاربة الشيء كقولهم دُوين ذلك وفويقه، ويقولون في جمعـــه:

(١) اللّسان (ذرا) ١٤/٢٨٥.

(٢) ينظر: المثنّى ٥٩.

(٣) نفسه ٦٢.

(٤) أمالي الزّجّاجيّ ١٣٠.

(٥) ينظر: الكتاب ٣/٤٧٧، والمقتضب ٣/٢٣٣، والأصول في النحو ٣/٦١، والمخصـــص ١٤/١٠٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/١٣٦، والتسهيل ٢٨٧، والمساعد ٣/٥٢٠.

كعتان؛ لأنّ تقدير مكبّره الممات أن يكون على كُعَت[(١)].

٢ – جُميل، وهو البلبل – أيضاً – لا يستعمل إلا مصغّراً بعد إماتة مكبّره.

٣ – كُمَيت، لون ليس بأشقر ولا أدهم، بين السّواد والحمرة، قال سيبويه: ((سألت الخليل عن كُميت، فقال: هو بمنزلة جُمَيل؛ وإنما هي حمرة مخالطها سواد، ولم يخلص؛ فإنما حقّروها لأنّها بين السّواد والحمرة، ولم يخلص أن يقال له أسود ولا أحمر، وهو منهما قريب، وإنّما هو كقولك: دوين ذلك))[(٢)].

٤ – الثُّريّا، كواكب في السماء، سمّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلّ، لازمت التّصغير[(٣)] بعد إماتة مكبّرها، وهو ((ثَرْوَى))[(٤)].

٥ – القُصَيرى، وهي أسفل الأضلاع، وقيل: هي الضِّلع الّتي تلي الشّاكلة، وهي الواهنة، وقيل: هي آخر الضّلوع[(٥)]. استغنى بمصغّرها عن مكبّرها الممات.

٦ – ويكثر ذلك في الأعلام، مثل حُنين، موضع بين الطائف ومكّة، وأمّ حُبين؛ دويّبة على خلقة الحرباء، وهُذيل، وقُريظة، وقصيّ، وطُهيّة، وبُثينة[(٦)].

وتكاد تنحصر نظرة علماء العربيّة إلى مكبّر هذه الكلمات في أحد أمرين:

---

(١) ينظر: المخصص ١٤/١٠٦.

(٢) الكتاب ٣/٤٧٧.

(٣) ينظر: المساعد ٣/٥٢٠.

(٤) ينظر: تفسير رسالة أدب الكاتب ٨٧.

(٥) ينظر: اللسان (قصر) ٥/١٠٣.

(٦) ينظر: شرح الكافية الشافية ٤/١٩٢١.

الأوّل: أنّ المكبّر لم يستعمل أصلاً ، ولم ينطق به، وإنّما نطق بالمصغّر ابتداء، فجرى في الكلام دون غيره ((كأنهم في أصل الوضع فهموا تصغيره، فوضعوا اسمه على التّصغير))[1] وقد نطقوا بهذه الكلمات مصغّرة؛ لأنها عندهم مستصغرة[2]، والصّغر من لوازمها، فوضعوا الألفاظ على التّصغير))[3].

قال الرّضي: ((وقولهم في جُمَيل وكعيت: جِملان وكِعتان؛ كصِردان ونِغْران تكسير لمكبّريهما المقدّرين، وهما الجُمَل والكُعَت، وإنّما قُدّرا على هذا الوزن؛ لأنه أقرب وزن مكبّر من صيغة المصغّر، فلمّا لم يسمع مكبّراهما قُدّرا على أقرب الأوزان من وزن المصغّر))[4].

الثّاني أن المكبّر كان مستعملاً ثم أميت وتُرِك[5]، واستغنى عنه بالمصغّر، وتنوسي التّصغير فأصبح كالمكبّر.

قال سيبويه: ((هذا باب ما جرى في الكلام مصغّراً وترك تكبيره؛ لأنه عندهم مستصغر، فاستغنى بتصغيره عن تكبيره))[6] ولا يكادون يلفظون به[7].

ومما يقوّي هذا الرأي أنّ المصغّر فرع كالجمع والمثنّى، والمكبّر أصل كالمفرد، والفرع تالٍ والأصل سابق في الوضع، فدلّ هذا على سبق المكبر في الاستعمال.

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل ١/٥٨٤.
(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥/١٣٦.
(٣) ينظر: شرح الشافية للرضي ١/٢٨٠.
(٤) المصدر السابق ١/٢٨٠، ٢٨١.
(٥) ينظر: المفصل ٢٠٦.
(٦) الكتاب ٣/٤٧٧.
(٧) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥/١٣٦.

ويقويه – أيضاً – أن للمصغّر قياساً يتّبع في التّصغير، وهو أن يكون علـــى وزن واحد من الأوزان الثلاثة المعروفة، وهي: فُعَيل للثّلاثي وفعيعل للرّبـــاعي، وفعيعيل للخماسي الذي رابعه حرف لين ، أو ما حذف منه وعُوّض عن محذوفه، ويتعذر اختيار أحد الأوزان الثّلاثة في التّصغير قبل معرفة المكبّر وعدد حروفه ، فدلّ قولهم: جُمَيل وكُعَيت – مثلاً – على معرفتهم بأن المكبر ثلاثـــي وهـــو : جُمَل و كُعَت، وليس رباعياً أو خماسياً.

الباب الثاني

الممـــات مـــن الأفعـــال

الفصل الأول: أفعال أميتت صيغها وتصريفاها.

الفصل الثاني: أفعال اختلف في موهّا.

الفصل الثالث: أفعال أميت المجرد منها دون المزيد.

الفصل الرابع: أفعال أميتت بعض تصريفاها.

الفصل الخامس: أفعال مبنية للمجهول أميت المبـــنى للمعلـــوم منها.

مــــدخـــــل :

ثمّة أفعال كثيرة أُميتت في العربيّة ، وترك العرب استعمالها بعد أن كانت في لغتهم، فانقرضت وزالت، وبقي ما يَدُلّ عليها من الأسماء أو بعض اشــــتقاقات الفعل.

والإماتة في هذه الأفعال على أربعة أوجه:

أوّلها: إماتة الفعل بكل تصريفاته وصيغه.

ثانيها: إماتة المجرّد وإحياء المزيد.

ثالثها: إماتة بعض التصريفات (الأزمنة)

رابعها: إماتة المبني للمعلوم.

وينبغي – قبل تفصيل هذه الأنواع – أن يعلم الباحث اللّغويّ في متن اللّغة أنّ علماء العربية اعتادوا في معاجمهم أن يتركوا ذكر القياســـيّ مـــن الأفعـــال والأسماء وتصريفاهما اختصاراً أو استغناء بالقياس، فوجب الحذر وأخذ ذلك في الحسبان عند الحكم بالإماتة وخاصة حين لا يكون هناك نصّ صريح لأولئـــك العلماء المتقدّمين أو لأحدهم من غير إنكار عليه منهم، أو يكون ثمة دليل لغـوي يُهتدى به، كاستعمال المضارع أو الأمر دون الماضي نحو ((يَهيط)) بمعنى ، يصيح فإن المضارع فرع والماضي أصل له، ووجود الفرع دون الأصل دليل على إماتة ذلك الأصل، وهذا قياس لغوي.

ومن علماء العربيّة الّذين يمكن للباحث أن يظفر بإشارات لهم فيما أميـــت من الأفعال: الخليل في ((العين)) وابن دريد في ((الجمـــهرة)) و((الاشـــتقاق)) والأزهريّ في ((تهذيب اللّغة)) والصّغانيّ في ((الذّيل والتّكملة والصّلة)).

وفيما يلي تفصيل الأوجه الأربعة في إماتة الأفعال:

الفصل الأول

أفعال أميتت صيغها وتصريفاها

أمكن لي الظّفر بجملة من الأفعال المماتة بكامل تصريفاهـا مستخرجة من المصادر اللّغويّة القديمة ، وعلى رأسها ((الجمهرة)) لابن دريد الّذي عني في معجمه هذا بذكر الممات والإشارة إليه في مواضع عديدة، ولم يرد لها ذكر في معاجم الأفعال لابن القوطيّة والسّرقسطيّ وابن القطّاع أو المعاجم الكبيرة مثل ((التهذيب)) و((الصّحاح)) و((المحكم)) و((اللسان)) و((القاموس المحيط)) و((التاج)) فدلّ ذلك على أها مماته، كما قال ابن دريد وغيره من العلماء.

وأنبه – بين يدي هذا الفصل قبل أن أعرض لعدد من الأفعال المماته – إلى أن ثمة خلافاً بين البصريين والكوفيين في أصل المشتقات، فالبصريون يرون أن المصدر هو الأصل والفعل منه ، ويرى الكوفيون أن الفعل هو الأصل والمصدر مشتق منه.

واستدل البصريون على أن المصدر أصل الفعل بأمور، منها أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل.

واستدل الكوفيون على أن الفعل أصل المصدر بأمور، منها أن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتل لاعتلاله، كما في قولك: قاوَم قِوَاماً و قام قياماً ، فلما صح المصدر لصحة الفعل واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه.

والخلاف في هذه المسألة مبسوط في كتب النحو والصرف(١) ، فلا حاجة

(١) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٢٣٥، ٢٤٥، وأسرار العربية ١٧١، وائتلاف النصرة ١١١.

لبسطه هنا، وقد رجح جمهور العلماء مذهب البصريين.

ويبدو أن ابن دريد الذي نقلت عنه قدراً صالحاً من ممات الأفعال في هـــذا الفصل والذي يليه – يختار مذهب الكوفيين في أصل الاشتقاق مع أنه بصري.

والحق أنه يصعب الجزم بصحة أحد المذهبين وتخطئة الآخر، فالطابع العـــام لهذه المسألة نظري – كما يقول بعض الباحثين المعاصرين – ((ولذا كان الخلاف فيها ميداناً لتصارع الحجج النظرية ، ومن هنا ترددتْ خلال الحجـــج قضايـــا فلسفية، مثل الأصالة والفرعية، والإطلاق والتقييد، والبساطة والـــتركيب، وفي الوقت نفسه لم تخل المسألة من استئناس بالواقع اللغوي))[(١)].

ويبدو أن الموازنات السامية ترجح مذهب الكوفيين ، وفي ذلـــك يقـــول ولفنسون : ((وقد نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو الفعـــل أن ســـادت العقلية الفعلية– إذا صح هذا الاستعمال – على اللغات السامية، أي أن لأغلب الكلمات في هذه الكلمات مظهراً فعلياً...

وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمي هو الأصـــل الـــذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ولكن هذا الرأي خطأ – في رأينا – لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع أخواتها السامية.

وقد تسرب هذا الرأي إلى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغـــة العربية بعقليتهم الآرية، والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصـــدر اسمي.

أما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء ، فمنه تتكـــون الجملـــة ،ولم يخضع الفعل للاسم والضمير، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبطـــاً بـــه

(١) الخلاف بين النحويين ٢٠٤.

ارتباطاً وثيقاً))[1].

ولست بصدد مناقشة هذا الرأي، ولكن هذا يكفي – على الأقل – لجعلي أقبل – في هذا البحث – برأي ابن دريد حينما يجعل الفعل أصلاً للمصدر في الاشتقاق ويقول بموته حين يجد المصدر مستعملاً و لا فعل له.

وأذكر فيما يلي ما وقفت عليه من الأفعال المماتة، مرتبة على حروف المعجم، وهي :

١ ــ بحن :

أميت الفعل ((بَحِنَ)) بكلّ تصريفاته وأزمنته. قال ابن دريد: ((البَحَنُ: فعل ممات، ومنه اشتقاق البَحْوَن، وهو الرّمل المتراكب))[2]، وقوله : فِعل ممات؛ أي: فعله ممات، أي أنه مشتق من فعل ممات.

ومنه رجل بَحْوَن: عظيم البطن[3] .

وتقدير الفعل:بَحِنَ يَبْحَنُ.

وسأقدر جميع الأفعال التّالية وفق أقيسة الأفعال، واحتمال الخطأ في تقدير ضبط العين وارد، لعدم السّماع ، لأنّ عين الماضي و المضارع في العربيّة لا تنضبطان انضباطاً كاملاً، والعمدة في كثير منهما على السماع[4].

---

(١) تاريخ اللغات السامية ١٤، ١٥.

(٢) الجمهرة ١/٢٨٥.

(٣) ينظر: اللسان (بحن) ١٣/٤٦.

(٤) صوابي في تقدير ضبط عين الفعل الماضي والمضارع في هذا النوع أو خطئي فيه ليس له تأثير على إماتة الفعل، فهذا التقدير من لزوم ما لا يلزم في هذا البحث، حملني عليه رجاء الفائدة – إن شاء الله –.

٢ ـــ تـــير :

تَيّار البحر: موجه، وهو من فعل ممات، قال الأزهري: ((التَّيّار: فَيعَال مـــن تار يَتُور، مثل القيام من قام يقوم، غير أن فعله ممات))(١).

٣ ـــ ثتـــل :

قال ابن دريد: ((ثتل: استعمل منها الثَّتْل، ثمّ أميت(٢)، ومنه بناء ثَيْتَـــل، وهو جبل معروف... والثَّتْل ضرب من الطير زعموا))(٣).

وتقدير الفعل : ثَتَلَ يَثْتِلُ أو يَثْتُلُ .

٤ ـــ ثعـــر :

قال ابن دريد: ((الثَّعْر ممات، وهو أصـــل بنـــاء الثُّعـــرور، والثعـــروران كالحلمتين تكتنفان غرمول الفرس عن يمين وشمال، وكذلك الزائدتان على ضرع الشّاه))(٤).

وذكر هذا المعنى في بعض المعاجم(٥) ولم أجد من قدّر له فعلاً مماتاً غير ابن دريد.

وتقدير الفعل: ثَعَرَ يَثْعَرُ.

٥ ـــ جعـــتب :

قال أبو بكر: ((جُعْتُب: اسم مأخوذ من فعل ممات))(٦).

(١) التهذيب ٣١٠/١١.
(٢) أي أميت الفعل.
(٣) الجمهرة ٣٨٤/١.
(٤) المصدر السابق ٤٢١/١.
(٥) ينظر: اللسان (ثعر) ١٠٢/٤.
(٦) الجمهرة ١١١٠/٢.

ورويَ هذا الاسم بالثّاء المثلّثة فقد جاء في التّاج: ((جُعْثُب كقُنْفُذ؛ أهمله الجوهري، وهو بالمثلّثة في سائر النسخ، وقال ابن دريد هو بالثاء المثناة الفوقية؛ اسم مأخوذ من فعل ممات))[(١)].

وتقدير الفعل: جَعْتَب يُجعتِب، أو جَعْثَبَ يُجعْثِبُ.

٦ ـ حتد :

قال السّرقسطيّ: ((حَتَدَ بالمكان يَحتِد حتداً إذا أقام به... وهي لغة مرغوب عنها، وقد أميتت))[(٢)].

وفي ((الجمهرة))[(٣)]: ((لغة مرغوب عنها)) وفي ((اللّسان))[(٤)] : ((مماتة)) وكذلك في ((التّاج))[(٥)].

وتقدير الفعل: حَتَدَ يَحتِد، كما قال السَرقسطي.

٧ ـ حجد أو حنجد :

حُنْجُود اسم جد جاهلي، مشتق من فعل ممات، كما يرى بعض اللّغويين، وهو ثلاثي، ولا يمتنع أن يكون رباعياً بأصالة النون؛ لأنها ثانية.

ومن أقدم من قال بإماتة هذا الفعل ابن دريد، قال في ((الجمهرة))[(٦)] : ((حُنجُود: اسم ... والنّون والواو فيه زائدتان، وهو فعل ممات)).

وذكر في ((الاشتقاق))[(٧)] أنه من الأسماء المشتقة من الأفعال التي أميتت.

---

(١) التاج (جعثب) ١/١٨٣.
(٢) الأفعال ١/٣٩٤.
(٣) ١/٣٨٥.
(٤) (حتد) ٣/١٣٩.
(٥) (حتد) ٢/٣٣٠.
(٦) ١/٤٣٥.
(٧) ٢١٣.

وتقدير الفعل حَجَدَ يحجُد، مثل هَجَدَ يهجُدُ، أو حَنْجَدَ يُحَنجدُ إن كـــان الفعل رباعياً.

٨ ـــ حمـــط :

قال ابن دريد: ((الحَمْطُ من قولهم: حَمَطتُ الشّيء أَحْمِطُـــهُ حَمْطـــاً إذا قشرته، وهذا فعل قد أُميت))[١].

وقد أشار إلى إماتة هـــذا الفعـــل بعـــض العلمـــاء كـــابن منظـــور[٢] والزّبيديّ[٣]. وأنكر الأزهري[٤] الحَمْط بمعنى القشر، وذكر أنّه لم يسمعه لغير ابن دريد.

وتقدير الفعل: حَمَطَ يَحْمِط، كما قال ابن دريد.

٩ ـــ خنـــذ :

قال الأزهري: ((الخِنذيذ – بوزن فِعليل – كأنه بني من خنذ، وقد أميـــت فعله، ويقال هو الخَصّيُّ من الخيل، ويقال الطّويل... وقال شمـــر: قـــال ابـــن الأعرابي: كلّ ضخم من الخيل وغيره خِنذيذ – خصياً كان أو غير خصيّ))[٥].

وتقدير الفعل: خَنذَ يَخْنِذ، مثل خَنِثَ يخنثُ، أو خَنَذَ يخنِذُ ويَخْنُـــذُ مثـــل خَنَسَ يخنِسُ ويخنُسُ، ويكون بعد الإلحاق: خَنْذَذَ يُخَنْذِذُ.

---

(١) الجمهرة ٥٥١/١.
(٢) ينظر: اللسان (حمط) ٢٧٦/٦.
(٣) ينظر: التاج (حمط) ١٢١/٥.
(٤) ينظر: التهذيب ٤٠١/٤.
(٥) التهذيب ٣٢٥/٧.

١٠ ــ درح :

قال ابن دريد: ((الدِّرحاية الرَّجل الضخم... واشـــتقاق الدِّرحَايـــة مـــن الدرح، وهو فعل ممات))[١]، أي: أن فعله ((دَرَحَ)) ممات.

وتقدير الفعل: دَرَحَ يدرَح، مثل سَرَحَ يسْرَح.

١١ ــ دفـــص :

الدَّفْصُ المُلُوسة،و فعله ممات[٢]، ومنه اشتقاق الدّوفـــص وهـــو البصـــل الأبيض الأملس، والواو زائدة.

وتقدير الفعل: دَفِصَ يدفَصُ مثل: دَلِصَ يدلَص، بمعنى: زَلِقَ أو لانَ.

١٢ ــ ردك :

قال ابن دريد: ((الرَّدْك فعل ممات استعمل منـــه غـــلام رَوْدَك، وجاريـــة رَوْدكة: في عنفوان شبابها))[٣].

ونقل عنه هذا جماعة من العلماء من غير إنكار عليه؛ ومنهم الصّغـــاني[٤]، والفيروز آبادي[٥] والزبيدي[٦].

وتقدير الفعل: رَدُك يردُك، أو رَدِكَ يردَك.

١٣ ــ زتـــن :

يحتمل لفظ الزّيتون – وهو الثمر المعروف – أحد أصلين: (زيت) و(زتن)

(١) الجمهرة ٥٠١/١.

(٢) ينظر: الجمهرة ٦٥٥/٢، ١١٧٧، و القاموس (دفص) ٧٩٩.

(٣) الجمهرة ٦٣٧/٢.

(٤) ينظر: التكملة والذيل والصلة (ردك) ٢٠١/٥.

(٥) ينظر: القاموس (ردك) ١٢١٤.

(٦) ينظر: التاج (ردك) ١٣٥/٧.

فالأول مشتقّ من الزّيت، فوزنه حينئذ (فعلون) والثاني مشتق من الزَّتن ، والفعل منه ممات كما ذكر بعض العلماء(١)، ووزنه حينئذ (فيعول) ولذا وضعه ابـــن منظور في الأصلين (زيت) و(زتن).

وتقدير الفعل الممات: زَتَنَ يزتِن أو يزتُنُ، أو زتِن يزتَن.

١٤ ــ زعـــك :

قال ابن دريد: ((الزَّعْك: فعل ممات، ومنه اشتقاق قولهم رجل أزعكـــيّ، وهو الدّميم، وذكر يونس أنّه سمع زعكوك، قصير مجتمع الخلق))(٢).

وهذا مما انفرد به ابن دريد.

وتقدير الفعل:زَعَكَ يَزْعَك أو زَعِكَ يَزْعَك.

١٥ ــ ســـلحف :

قال أبو بكر: ((سَلْحَف (فعل) ممات، ومنـــه اشـــتقاق السّـــلحفاة. تمـــدّ وتقصر))(٣).

وتقدير الفعل: سَلْحَفَ يُسَلْحِفُ.

١٦ ــ ســـمدع :

السّميدع هو السيّد الشّريف الكريم، وذكر بعض العلماء أنّه مشتق مـــن فعل رباعيّ ممات وهو: سَمْدَع يُسَمْدِعُ(٤).

---

(١) ينظر: الخصائص ٢٠٣/٣.
(٢) الجمهرة ٨١٥/٢.
(٣) المصدر السابق ١١٤٢/٢.
(٤) المصدر السابق ١١٤٨/٢.

١٧ ـ سـنر :

السّنر ضيق الخلق وشراسته، وهو مشتقّ من فعل ثلاثي ممات، تقديـره: سَنَر يسنُرُ، ومنه اشتقاق السِّنَّور[١].

١٨ ـ سـهق :

السَّهْوَق هو الظّليم الطّويل الرّجلين، وربّما سمّي الرجّل الطّويل السّـاقين سَهْوَقاً، واشتقاقه من فعل ممات، وهو سَهْوَق كما يرى ابن دريد[٢]. والواو فيه للإلحاق بالرّباعي.

١٩ ـ ضعـز :

الضّعز: الوطء الشّديد، وهو مشتقّ من فعل ممات في رأي ابن دريـد[٣] وقد ذكر ابن القطّاع هذا الفعل، قال: ((ضَعَزَ المرأة نكحها))[٤].

وأشار الزّبيدي إلى أن هذا الفعل ممات[٥].

٢٠ ـ ضعـس :

قال ابن دريد: ((الضَعْسُ فعل ممات، واشتق منه: رجل ضَعْـوَس، وهـو الحريص النَّهِم))[٦]. وقال ابن منظور: ((الضّعرس: النّهم الشّديد))[٧] فكأنـه منه أو مرادف له أو تحريف منه، وفي ((القاموس))[٨]: الضّغـرس – بـالغين المعجمة.

---

(١) الجمهرة ٧٢٢/٢.
(٢) المصدر السابق ٨٥٣/٢.
(٣) المصدر السابق ٨١٢/٢.
(٤) الأفعال ٢٧٤/٢.
(٥) ينظر: التاج (ضعز) ٤٦/٤.
(٦) الجمهرة ٨٣٣/٢.
(٧) اللسان (ضعرس) ١٢٠/٦.
(٨) (ضعرس) ٧١٣.

وتقدير الفعل الثلاثي: ضَعُسَ يضعُس، مثل ضَعُف يضعُف ، والرباعي ضَعْوَسَ يُضَعْوِسُ و ضَعْرَسَ يُضَعْرِسُ.

٢١ ــ طهش :

الطَّهْش: أن يختلط الرجل فيما أخذ فيه من عمل بيده فيفسده [(١)] .

وذكر جماعة من علماء العربية أن فعله أميت، ومنه بناء ((طَهْوَشٍ))[(٢)] وهو اسم.

وتقدير الفعل: طَهَشَ يَطْهَشُ، مثل:طَهَسَ في الأرض يطهَس، إذا دخل فيها.

٢٢ ــ عتص :

قال ابن دريد: ((العَتَصُ: فعله ممات، وهو - زعموا - كالاعتياص، وليس بثبت؛ لأن بناءه لا يوافق أبنية العرب، استعمل الاعتياص، وهو الافتعال من قولهم اعتاص يعتاص اعتياصاً، وهذه الألف أصلها ياء كأنه اعتَيَصَ))[(٣)] .

وذكر إماتة هذا الفعل ((عَتَصَ)) الصّغاني[(٤)]، والفيروز آبادي[(٥)] والزبيديّ [(٦)] وهو لا يوافق أبنية العرب؛ لأن العرب تتجنّب التاء بجوار الصّاد، لثقل ذلك، أو تقلب التّاء طاء، كما حدث في تاء الافتعال في اصطفى ونحوه.

---

(١) ينظر: اللسان (طهش) ٣١٢/٦.

(٢) ينظر: الجمهرة ٨٦٨/٢، والتكملة والذيل والصلة (طهش) ٤٨٧/٣، والتاج (طهش) ٣٢٠/٤.

(٣) الجمهرة ٤٠٠/١.

(٤) ينظر: التكملة والذيل والصلة (عتص) ١٩/٤.

(٥) ينظر: القاموس (عتص) ٨٠٣.

(٦) ينظر: التاج (عتص) ٤٠٥/٤.

وليس العتص من الاعتياص، فهما أصلان مختلفان تماماً فالأول مــن (ع ت ص) والثّاني من (ع و ص) فالتّاء في ((الاعتياص)) زائدة، وهي تاء الافتعــال، والتّاء في ((العتص)) أصليّة، وهي عين الكلمة.

وتقدير هذا الفعل الممات: عَتَصَ يعتِص، مثل عَتَمَ يَعْتِم، إذا كــفّ عــن الشيء بعد المضيّ فيه.

٢٣ ــ عضنــك :

العَضَنّك: الغليظ الشّديد من الرّجال، والعجزاء اللفاء من النّساء. وذكــر ابن دريد أن فعله[١] أميت، وهو رباعيّ، ويجوز أن يكون ثلاثياً بزيادة النّون.

وتقدير الفعل: عَضْنَكَ يَعْضْنِكُ.

٢٤ ــ عظــر :

يقال: عَظِرَ الرّجل، أي كَرِهَ الشّيء، وهذا فعل ممات، قال ابــن دريــد: ((رجل عِظْيَرّ: كَزّ غليظ، ويقال هو الشيء الخلق، وهذا اسم مشتقّ من فعل قد أميت، وهذا من عَظِرَ الرّجل، إذا كدّه الأمر واشتد عليه، ولا يكادون يتكلمون به ولا يصرّفون له فعلاً))[٢].

وأشار ابن منظور إلى إماتة هذا الفعل وأهم لا يكادون يتكلمون بــه[٣]. وتقدير الفعل: عَظِرَ يعظَرُ.

---

(١) ينظر: الجمهرة ١١٥٨/٢.

(٢) المصدر السابق ٧٦٢/٢.

(٣) ينظر: اللسان (عظر) ٥٨٣/٤.

٢٥ ـ عقــز :

العَقْز: تقارب دبيب النّمل وما أشبهه[١]، ذكر الزّبيديّ[٢] أنّ الفعل منه ممات، وتقديره: عَقَزَ يعقز، مثل: عَقَر يَعْقِر.

٢٦ ـ عقــس :

العَقَسُ شُجيرة تنبت في الثُّمام[٣]، وكذلك العَوقس، قال ابـــن دريـــد: ((العَقَسُ فعل ممات، ومنه اشتقاق عَوْقَس، وهو ضرب من النّبت))[٤].

وتقدير الفعل : عَقِسَ يَعْقَسُ مثل عَكِشَ يَعْكَشُ.

٢٧ ـ عــدو أو عنــدأ :

العِندأوة التواءٌ وعسر وجرأة في الرجل، والعندأو الدّاهية أو الجرئ المقدام من الرّجال. قال الخليل: ((ويقال عندأوة (فِعللوة) والأصل أميــت فعلــه، لا يدرى أمِنْ عَنْدَى يُعندي أم عدا يعدو، فلذلك اختلف فيه))[٥].

وذكر الأزهري[٦] أن فعله ممات ، وأنه ((عدو)) بزيادة النون والهمزة، أو أنه من ((عندأ)).

من الممكن أن نقيس على ((عدو)) في إماتة فعلــه والاختــلاف في تقديــره: ((الحنطأو)) وهو عظيم البطن من الرجال، و((السّــند أو)) المقــدام، و((القنــدأو)) الصّلب الشّديد و((الكنثأو)) عظيم اللحية.

---

(١) المصدر السابق (عقز) ٥/٣٨٠.
(٢) ينظر: التّاج (عقز) ٤/٥٩.
(٣) ينظر: اللسان (عقس) ٦/١٤٤.
(٤) الجمهرة ٢/٨٤٠.
(٥) العين ٢/٢١٥.
(٦) ينظر: التهذيب ٣/١١٨.

٢٨ ــ عهــج :

العَوْهَج: الطّويلة العُنُق من الظّباء والظّلمان والنّوق .

قال ابن دريد: ((العَهْج فعل ممات، ومنه اشتقاق: ظبية عَوْهَــج، طويلــة العنق، الواو زائدة))(١).

وتقدير الفعل: عَهَجَ يَعْهَجُ، وأميت لسبب صوتيّ يأتي بيانه في الباب الثالث إن شاء الله.

٢٩ ــ عهــم :

العَهْم فعله ممات، ومنه اشتقاقهم: ناقة عَيْهَم وعَيهامة وعَيْهَمانــة، وهــي السَّريعة الجرئية على السّير(٢).

وتقدير الفعل: عَهِمَ يَعْهَم، مثل عَهِدَ يَعهَد.

٣٠ ــ فســط :

أميت فعل ((الفَسْط)) ومنه اشتقاق الفسيط - كما يقول ابن دريــد(٣)، وهو قلامة الظفر، واحدته فسيطة.

وتقدير الفعل: فَسَطَ يَفْسُطُ أو يَفْسِط.

٣١ ــ فلــم :

الفَيلم: الرجل العظيم، والجبان، والعظيم الجُمَّة(٤).

وقال ابن دريد: ((الفَلْم فعل ممات، ومنه اشتقاق الفَيلَــم، وهــي الجُمَّــةُ

(١) الجمهرة ٤٨٦/١.
(٢) المصدر السابق ٩٥٤/٢.
(٣) المصدر السابق ٨٣٥/٢.
(٤) ينظر: القاموس (فلم) ١٤٧٩.

العظيمة))[١] وتقدير الفعل: فَلم يَفْلَم.

٣٢ ــ قــدل :

قال أبو بكر: ((القَدْل: فعل ممات، وهو أصل بناء القَنْدَل، والنون زائــدة، وهو الصّلب الشّديد، وقال قوم: هو الصّلب الرأس))[٢].

وتقدير الفعل: قَدُلَ يَقْدُلُ أو يَقْدُلُ ، أو قَدِلَ يقْدَلُ.

٣٣ ــ قعــن :

القَيْعون من العشب: نبت على زنة (فيعول) مثل القَيصوم، وهو ما طــال منه، يقال اشتقاقه من القعن، وفعله ممات[٣].

وتقدير الفعل: قَعَنَ يَعْعَنُ.

٣٤ ــ قلــط :

القلطيّ والقُلاط والقيليط: القصير المجتمع من الرجال[٤] ، وهو مشتق من فعل ممات كما يقول ابن دريد[٥].

وتقدير الفعل: قَلَط يقلُط، بمعنى اجتمع الشيء وقَصُر.

٣٥ ــ قــنر :

قال ابن دريد: ((القنر فعل ممات، ومنه اشتقاق: رجل قَنَوَّر، وهو السّــيّء الخلق الشَّكِسه))[٦].

---

(١) الجمهرة ٢/٩٧٠.

(٢) الجمهرة ٢/٦٧٥.

(٣) ينظر: العين ١/١٧٠.

(٤) اللسان (قلط) ٧/٣٨٥.

(٥) ينظر: الجمهرة ٢/٩٢٣.

(٦) المصدر السابق ٢/٧٩٣.

وتقدير الفعل: قَنَر يَقْنُرُ، أو قَنِرَ يَقْنَر.

٣٦- لخــم :

قال ابن دريد: ((لَخْم: قبيلة من العرب، واشتقاق أصله من قولهم: لَخُـــم الرجل، إذا كثر لحم وجهه وغَلُظ، وهذا فعل ممـــات لا يكـــادون يتكلمـــون به))[١].

وأيد المعجميون ابن دريد، وأشاروا إلى إماتة هذا الفعل[٢].

وتقدير الفعل: لَخُم يلخُم، كما قال ابن دريد.

٣٧ ــ مــدن :

ذكر علماء اللّغة أن المَدن فعل ممات، ومعناه الإقامة والثّبات، وأنّـــه مـــن قولهم: مدن بالمكان إذا قام به، وبه سمّيت المدينة في لغة هؤلاء.

٣٨ ــ نــرز :

النّرز: الاستخفاء من فزع، وبه سمّي الرجل: نَرْزَة ونارزة، وفعله ممات عند بعض المعجميين كابن دريد[٣]، والصّغاني[٤]، وابن منظور[٥]، والزبيديّ[٦].

وتقديره مع المضارع: نَرَزَ ينرِز، وهو ثقيل - كما تـــرى - لمجـــئ الـــراء

(١) المصدر السابق ١/ ٦٢٠.

(٢) ينظر: التكملة والذيل والصلة (لخم) ٦/١٤٥، والقاموس (لخم) ١٤٩٤، والتاج (لخـــم ٩/٥٨.

(٣) ينظر: الجمهرة ٢/٧١١.

(٤) ينظر: التكملة (نرز) ٣/٣٠٥.

(٥) ينظر: اللسان (نرز) ٥/٤١٦.

(٦) ينظر: التاج (نرز) ٤/٨٥.

المتحرّكة بعد النون السّاكنة، وهذا نادر في العربيّة، وهو من أسباب إماتة هـــذا الفعل ، كما سيأتي .

٣٩ ــ هــلف :

الرجل الِهلَّوف: الكثير الشّعر الجافي، ومنه لحية هِلّوفة: كثيرة الشعر، ومنه الهَلَف، وهو مشتق من فعل ممات، كما يقول ابـــن دريـــد[١] والصغـــاني[٢]، وتقدير الفعل مع مضارعه: هَلِفَ الشعرُ يَهْلَف؛ أي: طال وكثر.

٤٠ ــ وده :

قال ابن دريد: ((الوَدْهُ: فعل ممات من وَدَهَ يَوْدَه وَدَها، وأودهني عن كـــذا و كذا ؛ أي: صدّني عنه، وهي لغة قديمة))[٣].

وأشار جماعة مـــن علمـــاء العربيـــة إلى إماتـــة هـــذا الفعـــل، ومنـــهم السرقسطي[٤]، وابن سيده[٥]، وابن منظور[٦].

٤١- وذل:

قال ابن دريد : ((الوَذْل فعل ممات، ومنه الوذيلة، وهي السبيكة من الفِضّة خاصّة، وقال قوم: بل من الفضة والذهب))[٧].

وتقدير الفعل: وَذَل يذِل.

(١) ينظر: الجمهرة ٢/٩٧١.
(٢) ينظر: العباب (هلف) ٦٦٠.
(٣) الجمهرة ٢/٦٨٩.
(٤) ينظر: الأفعال ٤/٢٨٢.
(٥) ينظر: المحكم ٤/٢٩٨.
(٦) ينظر: اللسان (وده) ١٣/٥٦٠.
(٧) الجمهرة ٢/٧٠٢.

الفصل الثاني

أفعـــال اختلف في موتهـــا

يلحق بتلك الأفعال المماتة التي أوردناها في الفصل الأول من هذا البـــاب أفعال ذكر بعض العلماء أنّها أميتت، وذكرها آخرون في مؤلفاتهم من غير نـــصّ على إماتتها وتركها فكأنّها عندهم من المستعمل في الكلام. وليس لدينا ما نقطع به في إماتة كثير من هذه الأفعال أو بقائها في الاستعمال اللّغوي، ومـــن هـــذه الأفعال:

١ ــ أَبَـــوَ و أَمَـــمَ :

ذكر الهروي في ((إسفار الفصيح))[١] أن العرب تركت الفعل مـــن الأب والأمّ بعد أن أميت فعلاهما. ولكن جاء في ((لســـان العـــرب))[٢]: ((أَبَـــوْتَ وأَبَيتَ: صرتَ أباً ... وأبوتُ الرجلَ أَأْبوه، إذا كنت له أبا، ويقال: مالـــه أب يأبوه، أي يغذوه ويُربّيه)).

ويقال: ((أمّت أمومة، أي صارت أُمّاً))[٣] و((لقد أمِمْـــتِ أمومـــةً؛ أي: صرتِ أمّاً))[٤].

وقد يكون هذا تقديراً للفعل الممات، وقد يكون إحياء له، وقد تكون الإماتـــة في بيئة دون غيرها.

---

(١) ص ١٥٨.

(٢) اللسان (أبو) ١٤/٨.

(٣) القاموس (أمم) ١٣٩١.

(٤) الأفعال للسرقسطي ٨٢/١.

٢ ـــ بتـــو :

قال ابن دريد: ((البَتْو فعل ممات، ثم قالوا: بتا يبتو بتوّاً فلم يهمزوا، وهمـز قوم، فقالوا: بتأ يبتأ بتوءاً، إذا أقام بالمكان))[١].

وذكر ابن منظور هذا الفعل بمعناه من غير إشارة إلى إماتته[٢].

٣ ـــ حـــظب :

ذكر ابن دريد أن قولهم رجل حُظُبٌّ، وهو الجافي الغليـــظ أو البخيـــل - مشتقّ من فعل ممات، وهو حَظَب يحظِب ويحظُبُ.

وهذا الفعل مذكور بمعناه في بعض المعاجم[٣]، ولم يُذكر أنه ممات.

٤ ـــ خـــفد :

يرى ابن دريد أن الخَفْد مشتق من فعل ممات، وهو خَفَدَ يخفِد خَفْـــداً، إذا أسرع في المشي. ومنه اشتقاق الخفيدد وهو الظّليم[٤].

والفعل مذكور في بعض المعاجم[٥].

٥ ـــ دره :

قال الخليل: دَرَهَ: أميت فعله إلا قولهم رجل مِدْرَه حرب، وهـــو مِـــدْرَه القوم؛ أي: الدّافع عنهم))[٦].

---

(١) الجمهرة ٢/١٠١٦.

(٢) ينظر: اللسان (بتأ) ١/٢٦، و (بتو) ١٤/٦٤.

(٣) ينظر: الأفعال لابن القوطية ٢١١، والأفعال للسرقسطي ١/٣٩٤، والأفعال لابن القطاع ٢٣٨، واللسان (حظب) ١/٣٢٣.

(٤) ينظر: الجمهرة ١/٥٧٩.

(٥) ينظر: الأفعال لابن القطاع ١/٣٠٦، واللسان (خفد) ٣/١٦٣.

(٦) العين ٤/٢٤.

ووافقه ابن عبّاد فذكر أن هذا الفعل ممات(1).

وقال السّرقسطيّ: ((دَرَهَ لقومه دَرْها: دفع عنهم بلسانه ويده))(2).

وقالوا: دَرَهَ على القوم: هجم، و دره فلان علينا ودرأ؛ إذا هجم من حيث لم نحتسبه(3)، ولم يذكر هؤلاء أنه ممات.

٦ ــ دسـق :

أميت فعل الدّسق على رأي ابن دريد، ومنه اشتقاق الدَّيسق بزيادة اليـاء، وهو ترقرق السّراب على الأرض، وترقرق الماء المتضحضح، وكلّ لمعان مـاء أو سراب فهو ديسق(4).

ولكن ورد في الاستعمال اللّغويّ قولهم: دَسِقَ الحوض دَسَقاً: امتلأ وسـاح ماؤه، ومنه قالوا الدّيسق وهو ترقرق الماء أو السّراب(5).

٧ ــ رمـغ :

ذكر ابن دريد أن الرَّمْغ أميت فعله، وهو عرك الشيء باليد(6).

وورد في المعاجم: رَمَغَ الشيء يرمغه رَمْغاً: دلكه بيده كما تدلـك الأديم ونحوه(7)، وهذا يدلّ على أنّ هذا الفعل لم يزل حياً.

---

(١) ينظر: المحيط ٣/٤٤٢.

(٢) الأفعال ٣/٣١٧.

(٣) ينظر: اللسان (دره) ١٣/٤٨٧، ٤٨٨.

(٤) ينظر: الجمهرة ٢/٦٤٦.

(٥) ينظر: الأفعال السّرقطيّ ٣/٣٢١، واللّسان (دسق) ١٠/٩٦،٩٧.

(٦) ينظر: الجمهرة ٢/٧٨١.

(٧) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ٣/٧٧، والأفعال لابن القطـاع ٢/٣١، واللّسـان (رفـع) ٨/٤٣٠.

٨ ــ زغــر :

قال ابن دريد: ((الزَّغْر فعل ممات ، وهو اغتصابك الشيء، زعموا، زَغَرْتُ الشّيء أزغر زغراً))[١].

وهذا فعل مذكور بمعناه في معاجم اللّغة الكبيرة، كـــــ ((اللّســـان))[٢] و((القاموس))[٣] و((التاج))[٤] وهو في معاجم الأفعال[٥].

٩ ــ ســكم :

ذكر ابن دريد أنّ العرب أماتت فعل السَّكْم، ومنه اشتقاق ((سَــــيْكم)) وهو تقارب خطوٍ في ضعف[٦]، ونقله عنه الأزهري[٧]، وابـــن منظـــور[٨]، والزّبيدي[٩]، وورد هذا الفعل في بعض المعاجم دون إشارة إلى أنّه ممات[١٠].

١٠ ــ ضــرك :

قال ابن دريد: ((الضَّرك فعل ممات، ومنه اشتقاق الضَّريك، وهو المضرور، ولا يكادون يصرّفون للضّريك فعلاً، لا يقولون: ضَرَكه، في معنى ضَرَّه))[١١].

---

(١) الجمهرة ٧٠٥/٢.
(٢) (زغر) ٣٢٤/٤.
(٣) (زغر) ٥١٢.
(٤) (زغر) ٢٣٨/٣.
(٥) ينظر: الأفعال للسّرقطيّ ٤٦٦/٣، والأفعال لابن القطّاع ٩٨/٢.
(٦) ينظر: الجمهرة ٨٥٥/٢.
(٧) ينظر: التهذيب ٩٠/١٠.
(٨) ينظر: اللسان (سكم) ٢٨٩/١٢.
(٩) ينظر: التاج (سكم) ٣٣٦/٨.
(١٠) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ٥٤٤/٣، والأفعال لابن القطّاع ١٥٤/٢.
(١١) الجمهرة ٧٥١/٢.

ونقل الجوهري عن الأصمعي أنّهم لا يصرّفون له فعلاً، أي لا يقولـون: ضركه، في معنى ضرّه[(١)]. وهذا يعضّد ما قاله ابن دريد.

وفي ((الأفعال))[(٢)] للسّرقسطيّ ما يدلّ علـى أن الفعـل مسـتعمل في الكلام، قال: ((ضَرُكَ ضراكة: أصابه ضُرٌّ في جسمه، وضَرُكَ الجسم وضـرِكَ ضراكة: عَظُم واشتدّ... وضَرُكَ الرّجل وحدَه: ساءَتْ حاله من الهزال)).

ومثله في ((الأفعال))[(٣)] لابن القطّاع.

١١ ـ عـذف :

قال ابن دريد: ((العَذْف فعل ممات، يقال منه: ما له عذوف يوم، أي قوت يوم، وما أكلت عذوفاً، أي ما أكلت شيئاً، والعذوف، والعزوف واحد))[(٤)].

ولكن جاء هذا الفعل في بعض المعاجم، قـالوا: ((عـذف مـن الطّعـام والشّراب يعذف عذفاً: أصاب منه شيئاً))[(٥)].

١٢ ـ عشـد :

ذكر ابن دريد أن العَشْد – وهو جمعك الشّيء – أميت فعله[(٦)].

وجاء في بعض المعاجم: عَشَدَه يَعْشِده عَشْداً: جمعه[(٧)].

---

(١) ينظر: الصّحاح (ضرك) ٤/١٥٩٨.
(٢) ٢/٢٣٣.
(٣) ٢/٢٧٦.
(٤) الجمهرة ٢/٦٩٧.
(٥) ينظر: اللسان (عذف) ٩/٢٣٦.
(٦) ينظر: الجمهرة ٢/٦٥١.
(٧) ينظر: الأفعال لابن القطاع ٢/٣٨٣، واللسـان (عشـد) ٣/٢٩١، والتـاج (عشـد) ٢/٤٢٣.

١٣ ـــ عشـــز :

قال ابن دريد: ((العَشْز فعل ممات، وهو غِلَظُ الجسم، ومنه اشتقاق العَشَوزَن، وهو الغليظ من الإبل والنّاس))(١).

وهذا يخالف ما ذكره السّرقسطي، فالفعل عنده مستعمل، قال: ((عَشَزَ المقطوعُ الرّجل عَشَزانا: مشى مِشْيَته))(٢).

وكذا في المعاجم الكبيرة(٣)، فقد لا يكون من الممات، وقد يكون مما أُحيِيَ بعد موته.

١٤ ـــ علـــد :

ذكر ابن دريد أنّهم أماتوا فعل العَلْد، ومعناه: اشتدّ وصَلُب، ومنه: رجل عِلّود وبعير عِلّود))(٤).

وورد هذا الفعل في بعض المعاجم من غير إشارة إلى إماتته، قالوا: عَلِدَ يَعْلِد عَلَداً بمعنى اشتدّ وصَلُب ورَسَى(٥).

١٥ ـــ غـــرد :

قال ابن دريد: ((الغَرْد فعل ممات، استعمل منه: غَرَّد الطّائر تغريداً، وهو مغرّد، إذا طرّب في صوته))(٦).

ولكن جاء في بعض المعاجم : غَرِدَ الطائر كفرح، فهو غرد، وهو مثل غرّد

---

(١) الجمهرة ٨١١/٢.

(٢) الأفعال ٢٦١/١.

(٣) ينظر: اللسان (عشز) ٣٧٩/٥، والقاموس (عشز) ٦٦٥، والتاج (عشز) ٥٩/٤.

(٤)ينظر: الجمهرة ٦٦٢/٢.

(٥) ينظر: اللسان (علد) ٣٠١/٣، والقاموس (علد) ٣٨٤، والتاج (علد) ٤٣٠/٢.

(٦) الجمهرة ٦٣٣/٢.

تغريداً(١)، وهذا يدلّ على أنّ الفعل ليس مماتاً، أو أنّه ممّا استعمل بعد إماتته.

١٦ ــ غطـــر :

ذكر ابن دريد أنّ الغَطْر فعل ممات، ونقل عن يونس أنّهم يقولون: مرّ فلان يغطر بيديه مثل يخطر سواء(٢)، فكيف يكون مماتاً؟

وفي ((اللّسان)): ((الغَطْر لغة في الخطر؛ مرّ يَغْطِرُ بّذنبه أي يَخْطِرُ))(٣).

وكذا في أفعال السّرقسطيّ(٤).

١٨ ــ مســـر :

ذكر صاحب ((الجمهرة)) أن المَسْر فعل ممات، وهو مَسَـــرتُ الشـــيء أمسُره مَسْراً، إذا استللته فأخرجته، أي أخرجته من ضيق إلى سعة(٥).

وجاء في أفعال السّرقسطيّ: مَسَرت الشـــيء مَسْـــراً: اســـتخرجته مـــن ضيق(٦)، ومثله في ((اللّسان))(٧).

١٩ ــ مظـــع :

ذكر ابن دريد أن المظع فعل ممات، ومنه اشتقاق مظّعت العود، إذا تركتـــه في لحائه ليشرب ماءه(٨).

---

(١) ينظر: اللّسان (غرد) ٣/٣٢٤، والقاموس (غرد) ٣٨٨.
(٢) ينظر: الجمهرة ٢/٧٥٤.
(٣) اللسان (غطر) ٥/٢٥.
(٤) ٢/٣١.
(٥) ينظر: الجمهرة ٢/٧٢١.
(٦) الأفعال ٤/١٨٤.
(٧) ٥/١٨٣ (مسر)
(٨) ينظر: الجمهرة ٢/٩٣١.

وحكى المعجميون: مَظَعَ الخَشَبة مظعاً؛ أخرج نُدُوَّها، والوتر ملّسه، ومَظَعَ العود مَظْعا، ومظّعه تمظيعاً، شرّبه ماء لحائه[(١)].

٢٠ ــ نفــه :

قال ابن دريد: ((النَّفْهُ ممات، منه رجل منفّه، ضعيف القلب، نفّهت الرجل تنفيها فهو منفّه))[(٢)].

وليس هذا الفعل مماتاً عند بعض المعجميين، فقد حكى السرقسطي: ((نَفِهَ البعير نَفَها: أعيا... ونُفِهَ الرجل نَفْها: ضَعُف قلبه))[(٣)].

٢١ ــ نيــح :

النَّيح عند ابن دريد مما أميت فعله، وذكر منه قولهم : ما نّيحته بخير، أي ما أعطيته شيئاً.

وحكى المعجميون قول العرب: ناح العظيم نيحا: اشتدّ بعد رطوبتــه[(٤)]، وناح الغُصْن نيحا، ونَيَحانا: مال.

وفي غريب الحديث: لا نيّح الله عظامه؛ أي: لاصلّبها ولا شدّ منها[(٥)].

٢٢ ــ هــدس :

قال ابن دريد: ((الهَدْس: لغة يمانيّة مماتة، وأصله من قولهم: هدسته أهدسته

---

(١) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ١٧٧/٤، والأفعال لابن القطّاع ١٧٧/٣، واللّسان (مظـــع) ٣٣٩/٨.

(٢) الجمهرة ٩٧٢/٢.

(٣) الأفعال ٢٢٧/٣، وينظر: الأفعال لابن القطاع ٢٢١/٣.

(٤) ينظر: الأفعال للسرقسطي ٢٣٦/٣، واللسان (نيح) ٦٢٨/٢.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث ١٤٠/٤.

هَدْساً، إذا زجرته وطردته، وقد أميت هذا الفعل))[1].

وذكر بعض المعجميين[2] هذا الفعل من غير إشارة إلى إماتته.

٢٣ ـــ همـــغ :

ذكر ابن دريد أنّ الهمغ مما أميت فعله، ومنه بنـــاء الهِمْيَـــغ، وهـــو المـــوت الوَحِيّ،[3] أي السّريع.

ويقال – عن شمر: هَمَغَ رأسه وثدغه وثمغه؛ إذا شدخه[4].

٢٤ ـــ وطـــح :

ذكر ابن دريد أنّ الوطح – وهو الدفع باليدين – مّما أميت فعله[5]. وجاء في ((التّاج))[6]: ((وطحه يطِحه طِحة كعدة؛ إذا دفعه بيديـــه عنيفـــاً، أي في عنف)) ولم يشر إلى إماتة الفعل، وكأنه – عنده – من المســـتعمل، ومثلـــه في ((أقرب الموارد))[7] من غير إشارة إلى إماتته.

---

(١) الجمهرة ٢/٦٥١.

(٢) ينظر: الأفعال للسرقسطي ١/١٦٣، واللسان (هدس) ٦/٢٤٧.

(٣) ينظر: جمهرة ٢/٩٦٣.

(٤) ينظر: التهذيب ٥/٢٨٩.

(٥) ينظر: الجمهرة ١/٥٥٢.

(٦) (وطح) ٢/٥٤٨.

(٧) (وطح) ٢/١٤٦٣.

الفصل الثالث

أفعال أميت المجرد منها دون المزيد

قد يمات مجرد الفعل الماضي، ويستغنى عنه ببعض الصّيغ المزيدة، فتكـــون تلك الصّيغ – مع انتفائه – شاهداً قوياً على موته.

ومن تلك الصّيغ الّتي شقّت طريقها في الحياة، وأميت مجرّدهـــــا: أَفْعَـــلَ، وفَعَّلَ، وفَاعَلَ، وفنعَلَ، فَعْوَلَ وَفَوْعَلَ، وفَعْيَلَ، وتَفَعّـــلَ، وتَفَـــاعَل، وتَفَنْعَـــلَ، وافتَعَلَ، واستَفْعَلَ، وافْعَلَلَّ، وافْعَلَّ، وافْعَالَّ. وهي على النّحو التّالي:

أ ـــ مجرَد (أَفْعَلَ)

باب فعلت وأفعلت من الأبواب المعروفة في اللّغة، وألّف فيه جماعـــة مـــن علماء اللّغة، وثمّة أفعال استغنى فيها بأَفْعَلْتُ عن فَعَلْتُ، فتَرِكَ هذا الأخيرُ مع أنّه هو الأصل، فأميتَ، وهي أفعال قليلة، قال سيبويه : ((استُغنِيَ عن جَنَنتُ ونحوها بأَفْعَلْتُ))[(١)].

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: ((مَضَّنِي)) كلام قديم قد تُرِكَ فـــأُميت؛ أراد أنّ ((أمضّني)) هو المستعمل[(٢)].

أمّا ابن دريد فكان يقول : إنّ غَاثَه يغُوثُهُ غَوثاً أصل لقولهم: أغاثه يُغيثـــه إغاثة، فأميت الأصل من هذا، واستعمل الفرع وهو المهموز[(٣)]، إلا أنّ هـــذا الفعل الممات مذكور في بعض المعاجم[(٤)].

---

(١) الكتاب ٦٧/٤.

(٢) ينظر: الجمهرة ١٤٨/١.

(٣) الجمهرة ٤٢٩/١.

(٤) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ٢١/٢.

وأميت الفعل ((حَبَّ)) اكتفاء بـ ((أَحَبّ)) قال الكسائي: ((محبوب من حَبَبتُ، وكأنّه لغة قد ماتت))[1] يريد أنّ الفعل الثلاثي المجرّد هو الّذي أميت، وبقي اسم المفعول منه وهو محبوب، فهم يقولون: أحبّه فهو محبوب، مبنياً على الثّلاثيّ الممات، وليس على الرّباعيّ.

قال أبو جعفر النحّاس : ((قال الكسائي: يقال: يحِبّ وتَحِبُّ وأَحِبُّ، ويِحِبُّ – بكسر الياء – وتِحِبُّ ونِحِبُّ وإِحِبّ، قال: وهذه لغة بعض قيس يعني الكسر، قال: والفتح لغة تميم وأسد وقيس، وهي على لغة من قال: حَبَّ، وهي لغة قد ماتت. قال الأخفش: لم تسمع حببت. قال الفراء: لم نسمع حببت إلا في بيت أنشده الكسائيّ:

[فَوَ اللَّهِ] لَوْ لا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ ... ولا كَانَ أَدْنَى مِن عُبَيدٍ ومُشْرِقِ))[2]

وقال الأصمعي : ((يقال تَحِب – بفتح التاء، ولا أعرفه في غير التاء، ولا أعرف حَبَبْتُ))[3].

ومثل هذا قولهم: أحنط الرِّمث، فهو حانط؛ إذا أثمر، فحانط اسم فاعل من الفعل الثّلاثيّ الممات، وهو ((حنط))[4].

وشبيه به قولهم: أَيْفَعَ الغُلام فهو يافع وأبقل الموضع فهو باقل، وأَوْرَسَ الرّمث فهو وارس[5]، فكأنّهم أماتوا (فَعَلَ) من هذه الأفعال، أو شرعوا في

---

(١) شرح القصائد المشهورات ١١/٢.

(٢) إعراب القرآن ٣٦٧/١، وما بين المعقوفين تصويب من المصادر. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ١٣٧/٧، ومغني اللبيب ٤٧٣، وشرح شواهد المغني ٧٨٠/٢.

(٣) ينظر: شرح القصائد المشهورات ١١/٢.

(٤) ينظر: الجمهرة ٥٥١/١.

(٥) ينظر: المخصص ٦٨/١٥، ٦٩.

إماتتها، فبقيت منها بقايا مذكورة في المعاجم، قال السّرقسطيّ: ((يَفَعَ الغـــــلام يُفُوعاً – لغة – وأيفع الأعمُّ: شبّ))[١].

وأماتوا ماضي ((أنذر)) وهو: ((نَذَرَ)) قال الأزهريّ: ((والنّذير يكون بمعنى المُنذر، وكان الأصل نَذَرَ، إلا أنّ فعله الثّلاثيّ ممات))[٢].

ب ـــ مجرّد (فعّل)

أميت مجرد (فعّل) في مثل: نبّأ وحدَّثَ من الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل المتضمنة معنى (أَعْلَم) ولم يستعمل الثلاثي في هذا المعنى[٣].

ومن مجرد (فعّل) أميت ((ضِحْتُ)) فقالوا: ضَيَّحْتُ اللـــبن تضييحـــاً، إذا مزجته بالماء.

وأشار إلى إماتة هذا الفعل بعض العلماء[٤].

وقال بعضهم إن ضِحْتُ مثل ضيّحت[٥] أي أن الثلاثي مستعمل.

وأماتوا مجرّد ((ورّخ)) الكتاب بمعنى وقّته، وقالوا : ((أرّخه)) والهمزة مبدلة من الواو، أو العكس[٦]، والرّاجح الأوّل لقولهم في الجمع: تواريخ، ولم يقولوا: تآريخ[٧].

---

(١) الأفعال للسرقسطي ٢٩٤/٤.
(٢) التهذيب ٤٢٠/١٤.
(٣) ينظرك حاشية الشيخ ياسين الحمصي على التصريح ٢٦٤/١.
(٤) ينظر: الجمهرة ٥٤٩/١، والتكملة والذيل والصلة (ضيح) ٦٩/٢، واللســـــان (ضيـــح) ٥٢٧/٢.
(٥) ينظر: التكملة (ضيح) ٦٩/٢.
(٦) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ٢٩١/٤ واللّسان (أرخ) ٤/٢، و (ورخ) ٦٦/٢.
(٧) ينظر: التطور اللّغويّ مظاهره وعلله ٨٢.

ج ــ مجرّد (فاعل)

أميت ماضي (فَاعَل) في الدَّلْس، ومنه قولهم: دَالَسَ يُدالس مُدالسة ودلاساً، بمعنى خادع، ويقال: فلان لا يدالس ولا يوالس؛ أي: لا يخادع ولا يغدر[(١)].

ومن أقدم من قال بإماتة هذا الفعل ابن دريد[(٢)]، واستعملوا منه – أيضاً– (فعّل) فقالوا: دلّس في السّلعة، إذا كتم عيبها[(٣)].

د ــ مجرّد (فَنعَلَ)

أميت الفعل المُجَرّد للفعل المزيد على وزن (فَنعَل) ومنه قولهم: كَنْهَفَ عنا؛ أي: تَنَحّى، وفي هذا يقول ابن دريد: ((الكَهْف – زعموا – السّرعة في المشي والعدو، وهو فعل ممات، ومنه بناء كنهَفَ عنا، إذا تنحّى))[(٤)].

ولم يذكر الفعل الثّلاثيّ الممات في المعاجم الّتي اطّلعت عليها، وأشار الصّغاني[(٥)] والفيروزاباديّ[(٦)] والزّبيدي[(٧)] إلى إماتة هذا الفعل الثّلاثيّ.

هـ ــ مجرّد (فَعْوَلَ)

أماتوا الفعل ((هَرَلَ))[(٨)] بمعنى أسرع في مشيه دون الخبب، واشتقّوا منه المزيد على وزن (فعول) فقالوا: هَرْوَلَ يُهَرْوِلُ هَرْوَلَة وهِرْوالاً، بمعنى الفعل الثّلاثي، فأغناهم عنه.

---

(١) ينظر: اللّسان (دلس) ٦/٨٦.
(٢) ينظر: الجمهرة ٢/٦٤٧.
(٣) ينظر: الأفعال لابن القطّاع ١/٣٥٥.
(٤) الجمهرة ٢/٩٧٠.
(٥) ينظر: العباب (كهف) ٥٥٧.
(٦) ينظر: القاموس (كهف) ١١٠١.
(٧) ينظر: التّاج (كهف) ٦/٢٤١.
(٨) ينظر: الجمهرة ٢/٨٠٢.

وقالوا قَهْوَس الرّجل في مشيه قَهْوَسَةً إذا أسرع في مشيه، أو عدا من فزع، وفعله الثلاثي ((قهس)) ممات[١].

وقالوا: قَعْوَل يُقعول قعولة، إذا جاء يسفي التّراب بصدر قدميه في مشيته، وقيل: القعولة: إقبال القدم كلها على الأخرى، وقيل: هي مشي ضعيف[٢]، وقد أميت فعله الثّلاثيّ المجرد ((قعل)) كما قال ابن دريد[٣].

و ــ مجرّد (فَوعَلَ)

قالوا: هَوْذَلَ في مشيه هَوْذَلَةً؛ أسرع، وقيل: الهَوْذَلَةُ: اضطراب في العدو، والفعل على وزن (فَوْعَلَ).

وذكر ابن دريد أنّ الفعل المجرّد أميت وأنّ أصله: هَذِلَ يهذَل هَذَلاً وهذلاناً[٤].

ز ــ مجرّد (فَعْيَلَ)

قالوا: عَذْيَطَ الرّجل يُعَذْيِط عَذْيَطَة؛ أي: أحدث عند غشيان النّساء، وهو العِذْيوط[٥]. والفعل المجرّد منه ممات[٦].

ح ــ مجرّد (تَفَعّل)

ذكر الأصمعيّ أنّ العرب تقول تَطَوَّسَتِ المرأة والجارية؛ إذا تزيّنت[٧]

(١) ينظر: المصدر السابق ٢/٨٥٣، والأفعال للسّرقسطيّ ٢/١٣٠.
(٢) ينظر: اللّسان (قعل) ١١/٥٦٠.
(٣) ينظر: الجمهرة ٢/٩٤٠.
(٤) الجمهرة ٢/٧٠٢.
(٥) ينظر: الأفعال للسّرقسطيّ ١/٣٢٤.
(٦) ينظر: الجمهرة ٢/١١٤٩.
(٧) ينظر: التّكملة والذّيل والصّلة (طوس) ٣/٣٨٠.

وهو مأخوذ من الطّوس كما يقول السّرقسطي[1].

وذكر ابن دريد أن فعله المجرّد ممات[2].

ويقال تزنّر الشيء إذا دقّ، وهو على زنة (تفعّل) والمجرّد منه ممات علـــى رأي ابن دريد[3].

ط- مجرّد (تَفَاعَل)

قال ابن دريد: ((اللّحك من قولهم: لَحِكَ يلحَك لَحْكاً ولَحَكاً، إذا تداخل بعضه في بعض، وقد أميت هذا الفعل فاكتفوا بقولهم: تلاحك تلاحُكاً))[4].

وفي ((اللّسان))[5]: ((وربما قيل لَحِكَ لَحَكاً، وهـــي مماتـــة)) ومثلـــه في ((التاج))[6].

ي ـــ مجرّد (تَفَنْعَلَ)

العكث: اجتماع الشّيء والتئامه، وقد أميت الفعل الثّلاثيّ منه، واســـتعمل مزيده ((تعنكث)) على زنة ((تفنعل)).

قال الزّبيديّ: ((العكث أميت أصل بنائه، وهو الاجتماع والالتئـــام؛ أي لم يستعملوه ثلاثياً، وإنّما استعمل مزيداً كما يدلّ على ذلك قولـــه: ((وتعنكـــث الشيء: اجتمع))[7].

---

(١) ينظر: الأفعال ٢٨٦/٣.
(٢) ينظر: الجمهرة ٨٣٨/٢.
(٣) المصدر السابق ٧١١/٢.
(٤) المصدر السابق ٥٦٣/١.
(٥) (لحك) ٤٨٣/١٠.
(٦) (لحك) ١٧٣/٧.
(٧) التاج (عكث) ٦٣٣/١.

وقد ذكر غير واحد من علماء اللغة إماتة الفعل المجرد من هذا الفعل[١].

ك ـــ مجرّد (افْتَعَلَ)

أميت المجرّد من فعلي افتقر واشتدّ وبقي منهما المزيد، قال سـيبويه: ((ولم نسمعهم قالوا فَقُرَ ، كما لم يقولوا في الشّديد: شَدُد، استغنوا باشتدّ وافتقر، كما استغنوا باحمارّ عن حَمِرَ))[٢].

وذهب ابن دريد[٣] إلى أن العرب أماتت الفعل المجرد من ((المحن)) وبقـي منه في الاستعمال: امتحنه امتحاناً؛ أي ابتلاه ابتلاء واختبره.

وحكى السّرقسطيّ قولهم : ((مَحَنَ الرجلَ وغيرَه: اختبره))[٤] ولم يذكـر أنه ممات.

وذكر بعض اللغويين أنه أميت مجرّد ((اعترط)) بمعنى أبعد في الأرض[٥].

ل ـــ مجرّد (اسْتَفْعَلَ)

أماتوا مجرّد ((استنوك)) والمُستنوِك هو الأحمق، وكذلك الأنوك، والجمـع النوكى. قال سيبويه: ((وقالوا: استنوك، ولم نسمعهم يقولون نَـوِك، كمـا لم يقولوا: فَقُر))[٦].

---

(١) ينظر: الجمهرة ٤٢٦/١، والتكملة (عكث) ٣٧٣/١، والقاموس (عنكث) ٢٢١.
(٢) الكتاب ٣٣/٤.
(٣) ينظر: الجمهرة ٥٧٢/١.
(٤) الأفعال ١٨٧/٤.
(٥) ينظر: الجمهرة ٧٥٣/٢.
(٦) الكتاب ٣٦/٤.

ولكن جاء في ((اللّسان))[1]: نَوِكَ نَوَكاً ونَوْكاً ونَوَاكةً: حَمُــــقَ، وهــو أنوك)) ومثله في أفعال السّرقسطي[2].

م ــ مجرد (افْعَلَلّ)

أميت الفعل الرّباعيّ ((ضَمْحَل)) واستُغْنِي بمزيده: ((اضمحلّ)) بمعنى ذهب وتلاشى[3].

وأميت الفعل الرّباعيّ ((زَمْهَلَ))[4] واستغنى عنه بمزيده ((ازمهلّ)) فقالوا: ازمهلّ المطر ازمهلالاً؛ وقع، وازمهلّ إذا الثلج إذا سال بعد ذوبانه[5].

ن ــ مجرد (افعلّ) و(افعالّ)

أميتت بعض الأفعال المجرّدة الدّالّة على الألوان، واستغنوا عنها بالمزيد نحـو افعلّ وافعالّ. قال سيبويه: ((وقد يستغنى بافعالّ عن فَعِل وفَعُل، وذلــك نحـو ازراقّ، اخضارّ، واصفارّ، واحمارّ، واشرابّ، وابياضّ، واسوادّ، واسودّ وابيــضّ واخضرّ واحمرّ واصفرّ أكثر في كلامهم))[6].

---

(١) (نوك) ١٠/٥٠١.
(٢) ٣/١٦٩.
(٣) ينظر: الجمهرة ٢/١١٤٢.
(٤) ينظر: الجمهرة ٢/١١٥٥.
(٥) ينظر: اللسان (زمهل) ١١/٣١٢.
(٦) الكتاب ٤/٢٦.

الفصل الرابع

أفعـــال أميتت بعض تصريفاتهـــا

يغلب في العربيّة استعمال الفعل بتصرّفاته الثّلاثة ، أي أزمنته، الماضي والمضارع والأمر؛ والماضي هو الأصل، والمضارع مشتقّ منه، ومن المضارع اشتقّ فعل الأمـــر على مذهب الجمهور من علماء اللغة.

وثمّة أفعال قليلة لازمت صيغة واحدة؛ كالماضيّ أو المضارعة أو الأمر، مـــع إماتة الصيغتين الأخريين، أو لازمت صيغتين كالمضارع والأمر مثلاً مـــع إماتـــة الصيغة الثالثة، كما سيأتي بيانه ، أولا لازمت صيغة واحدة، وأميت ما عداهـــا، نحو ليس ونعم وبئس.إلا أنه ينبغي التحرّز في هذا النّوع خاصّة؛ لأنه ليس ثمّـــة دليل قاطع على إماتة المضارع والماضي، أي أنّهما استُخدما ثمّ أميتا ؛ لأن الماضي هو الأصل والمضارع ومن بعده الأمر :فرعان ، ووجـــود الأصـــل لايقتضـــي بالضّرورة وجود الفرع، فقد يكون الفرع مهملاً لم يستعمل قـــط فـــلا إماتـــة حينئذ، ويصح عكس ذلك؛ أي أن وجود المضارع – مثلاً – يقتضـــي وجـــود الماضي، مستعملاً أو مماتاً، ولا يمنع هذا أن نظن ظناً أنّ المضارع والأمر من بعده من الممات، إذا فقدناهما في الاستعمال ووجدنا ماضيهما؛ لأن الكثير الغـــالب في لغة العرب أن يكون للفعل في الاستعمال تصريفات ثلاثة: المـــاضي والمضـــارع والأمر، فنحمل القليل مما قصّرت تصريفاته على الكثير مما كملت تصريفاتـــه أي أزمنته الثلاثة.

واحتمالات الإماتة في هذا كلّه على النّحو التّالي:

١- إماتة الماضي دون غيره.

٢- إماتة المضارع دون غيره.

٣- إماتة الأمر دون غيره.

٤- إماتة الماضي والمضارع دون الأمر.

٥- إماتة الماضي والأمر دون المضارع.

٦- إماتة المضارع والأمر دون الماضي.

وفيما يلي ما وقفت عليه ممّا أميت من هذه الأوجه الستة:

أ - إماتة الماضي دون غيره :

اشتهر عند اللّغويين والنّحاة قولهم إن العرب أماتت ماضي الفعل ((يَدَعُ)) وكذلك ماضي ((يَذَرُ)) استغناء عنهما بـ ((تَرَكَ))[(١)] وهم يقولون : ذر ذا ودعه؛ أي: اتركه، كما يقولون: يذره ويدعه، ولا يقولون: وَذَرْتُهُ ولا وَدَعْتُهُ، ولكن تركته، ولا يقولون: واذرٌ ولا وادع ولكن تارك[(٢)]؛ قال تعالى﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾[(٣)] و﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[(٤)].

واستعملوا (فعّل) من ((وَدَعَ)) قالوا: ودّعته، وفي القرآن﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[(٥)].

ولم يكن حكمهم بإماتة الفعل ((وَدَعَ)) محلّ اتفاق عند النّحاة ؛ لورود هذا الفعل في قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – وعروة بن الزُّبير وأبي حَيْوَة وابن أبي عبلة ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [(٦)].

(١) ينظر: الكتاب ٢٥/١، ٣٩٩/٤، والفصيح ٢٨٩، والمسائل العسكرية ١٣٥، ١٣٦، وتصحيح الفصيح ١٢٧ أ، والمغرب ٣٤٥/٢.
(٢) ينظر: إسفار الفصيح ٢٠٣، ٢٠٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
(٤) سورة الأنعام الآية ١١٢.
(٥) سورة الضحى: الآية ٣.
(٦) سورة الضحى: الآية ٣، وينظر: المحتسب ٣٦٤/٢، ومختصر في شواذ القرآن ١٧٥، والدر المصون ٣٦/١١.

ولوروده في الشّعر، كقول أبي الأسود:

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذي غَـــالَهُ في الحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ [١]

وقول الآخر:

وثُمَّ وَدَعْـــنَا آلَ عَمْرٍو وعَامِرٍ فَرَائِسَ أَطْرَافِ المُثَقَّفَةِ السُّمْرِ [٢]

وجاء المصدر من ((وَدَعَ)) في الحديث: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أقـــوامٌ عـــن وَدْعِـــهم الجُمُعات)) [٣] وروي ((الجماعات)) [٤].

وقد روي عن شمر قوله: ((زعمت النّحويّة أنّ العرب أماتوا مصدر يـــدع، والنّبيّ عليه السّلام أفصح العرب، وقد رويت عنه هذه الكلمة)) [٥].

ولورود هذا الفعل في القرآن والحديث والشّعر قال الفيّوميّ: ((وما هـــذه سبيله فيجوز القول بقلّة الاستعمال ولا يجوز القول بالإماتة)) [٦].

وأرى أنّ ما قاله النّحاة صحيح، فالماضي من هذا الفعل ممات، كما قـــالوا، وقد يظهر الممات في الاستعمال، على قلة، كما ظهر هذا الفعل في قراءةٍ وشـــعرٍ وحديثٍ؛ فيكون هذا من باب إحياء الممات عند الحاجة، كما ســـيأتي بيانـــه في الباب الرابع.

أمّا ماضي الفعل الآخر ((وَذَرَ)) فهو من الممات عند أكثر اللّغويّين، فـــلا يقال: وذرته، ولكن يقال يذرُ وذَرْهُ، قال الخليل: ((والعرب أماتت المصدر مـــن

(١) ينظر: ديوان أبي الأسود (ملحق الديـــوان) ٣٥٠، والخصـــائص ٩٩/١، والإنصـــاف ٤٨٥/٢. ونسب لأنس بن زنيم في حماسة البحتري ٢٥٩، وخزانة الأدب ٤٧١/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٨٥/٨، والدر المصون ٣٦/١١.

(٣) ينظر: صحيح مسلم: جمعة ٤٠ (١٠/٣)

(٤) ينظر: سنن ابن ماجة: مساجد ح ٧٩٤ (٢٦٠/١)

(٥) المغرب ٣٤٦/٢.

(٦) المصباح (ودع) ٦٥٣.

يَذَرُ والفعل الماضي، واستعملته في الحاضر والأمر، فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْهُ تركاً، أي اتركه))[(١)].

ويرى بعضهم أنّه قد يستعمل على قلّة، قال الفيّوميّ: ((وربّما استعمل الماضي على قلّة، ولا يستعمل منه اسم فاعل))[(٢)].

ب – إماتة المضارع دون غيره :

أي أن يستعمل الماضي والأمر ويمات المضارع، ولم أجد لهذا النّوع شاهداً، وسبب ذلك فيما أرى أنّ استعمال فعل الأمر يقتضي – في الغالب – استعمال الفعل المضارع؛ لأنّ الأمر مقتطع من المضارع المجزوم بحذف حرف المضارعة، فثمّة تلازم بين المضارع والأمر، وقد يمات المضارع إذا أميت الماضي، فتكون الإماتة حينئذ للمضارع والماضي معاً، كما سيأتي في الفقرة (د).

جـ – إماتة الأمر دون غيره :

أُميت الأمر – فيما نقدّر – في بعض الأفعال، نحو مازال وأخواتها، وهنّ أربعة: زال وفتئ وبرح وانفكّ، ويشترط في عملهنّ النّفي[(٣)].

قال الأزهريّ: ((يقال: مازال يفعل كذا وكذا، ولا يزال يفعل كذا؛ كقولك ما برح، وما فتئ، وما انفكّ، ومضارعه: لا يزال ؛ ولا يُتكلّم به إلا بحرف نفي))[(٤)].

ولا يستعمل منه فعل الأمر، وكذلك في أخواتها: ما فتئ وما برح وما انفكّ[(٥)]، ولعلّ فعل الأمر من هذه الأفعال من الممات.

---

(١) العين ٨/١٩٦.

(٢) المصباح (وذر) ٦٥٤.

(٣) ينظر: المساعد ١/٢٥٥.

(٤) التهذيب ١٣/٢٥٣.

(٥) ينظر: شرح ابن عقيل ١/٢٧١.

وأميت الأمر في بعض أفعال المقاربة نحو كادَ وأَوْشَكَ على الصّحيح،[(١)] أو الرجح،حكى الجوهريّ مضارع طَفِقَ، قال: ((طَفِقَ يفعل كذا يطفَق طفوقاً... وقال بعضهم طفَقَ – بالفتح – يطفِق طفوقاً))[(٢)] وحكى الكسائيّ مضارع جعل[(٣)].

ويعمل الماضي والمضارع من هذه الأفعال، نحو كاد ويكاد، وأوشك ويوشك وطَفِق يطفِقُ وجعل يجعل، تقول مثلاً: يَطفِق الحجيجُ يعود إلى بلاده، ولم يستعمل الأمر من هذه الأفعال فقد يكون مهملاً من الأصل، وقد يكون مماتاً.

د – إماتة الماضي والمضارع دون الأمر:

أميت الماضي والمضارع من قولهم: هَاتَى يُهَاتِي، وبقى منه الأمر، وهو : هاتِ، قال الخليل: ((المُهاتاة من قولك : هاتِ، يقال: اشتقاقه منه هاتى، الهاء فيه أصليّة، ويقال: بل الهاء في موضع قطع الألف من آتيَ يؤاتيَ، ولكن العرب أماتوا كلّ شيء من فعلها إلا هاتِ في الأمر، وقد جاء قوله:

للّه ما يُعْطِي وما يُهَاتِي

أي: ما يأخذ))[(٤)].

ومثل ذلك في ((التهذيب))[(٥)] و((اللّسان))[(٦)].

ومنه في القرآن: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُم﴾[(٧)].

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ٣٣٨/١، والمغني في تصريف الأفعال ١٦٠.
(٢) الصحاح (طفق) ١٥١٧/٤.
(٣) ينظر: شرح ابن عقيل ٣٤١/١.
(٤) العين ٨٠/٤.
(٥) ٣٩٥/٦.
(٦) (هتى) ٣٥٢/١٥.
(٧) سورة الأنبياء: الآية ٢٤.

وقيل: إن ((هاتِ)) اسم فعل، كما سيأتي بعد قليل.

وقالوا في النّداء: تعالَ؛ أي: اعلُ، ولا يستعمل في غير الأمــر[١]، وهــو بمعنى الارتفاع ، قال عز وجل ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢].

والأصل في هذا الفعل أنه من مادة (العلو) من التّعالي، بمعنى الارتفاع وعلى هذا فإنّ وزن تعالَ: (تفاعَ) حذفت لامه للجزم.

والعرب تقول في النّداء للرّجل: تعالَ أو تعالَه – بها السّكت، وللاثنــين: تعاليا، وللرّجال: تعالَوا، وللمرأة تعالَيْ، وللنّساء: تعالَينَ، وهم لا يبالون إن كان المدعو في مكان أعلى من مكان الدّاعي، أو في مكان دونه[٣].

قال الخليل : ((وأماتوا هذا الفعل سوى النداء))[٤] يعني سوى الأمر، وفي هذا نظر؛ فقد جاء الماضي من هذا الفعل في القرآن بكثرة كقوله عــز وجــلّ ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥] و﴿تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٦] وقوله ((عُلُواً)) ليس مصدر ((تعالى)).

و((هاتِ)) و((تعالَ)) فعلا أمر على الرّاجح؛ لأن اسم الفعل لا تبرز فيــه ضمائر الرّفع على مذهب الجمهور، فلماّ برزت هذه الضمائر معهما دلّ ذلــك على أنّهما ليسا من أسماء الأفعال، وقد عدّهما بعض العلماء من أسماء الأفعــال،

(١) ينظر: اللسان (علو) ١٥/٩٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٣) ينظر: التهذيب ٣/١٨٩، والزاهر ٢/٢٦٥.
(٤) العين ٢/٢٤٧.
(٥) سورة النمل: الآية ٦٣.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٣.

قال ابن هشام : ((وأما هاتِ وتَعالَ فعدّهما جماعة من النّحويين في أسماء الأفعال، والصّواب أنّهما فعلا أمر، بدليل أنّهما دالان على الطّلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، تقول: هاتِي وتعالَيْ))[(١)].

ويلحق بهذين الفعلين ((هَلُمَّ)) على لغة بني تميم إذ تلحقها الضّمائر البارزة، بحسب ما أسندت إليه، فتقول: هَلُمَّ، وهلمّا، وهلمّوا، وهَلْمُمْنَ، بفكّ الإدغام وسكون الّلام، وهَلُمِّي، وهي عند هؤلاء فعل أمر لدلالتها على الطلب وقبولها ياء المخاطبة، وقد أميت ماضيها ومضارعها[(٢)].

وهي اسم فعل على لغة من ألزمها طريقة واحدة مع الواحد والمثنّى والجمع، وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء التّتريل، قال تعالى﴿والقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِم هَلُمَّ إِلَينَا﴾[(٣)] أي: ائتوا إلينا.

هـ – إماتة الماضي والأمر دون المضارع :

((يَهِيط)) مضارع لا ماضي له ولا أمر، قال ابن القطّاع: ((وما زال يهيط مرة ويميط أخرى، لا ماضي ليهيط، والهياط: الصياح منه، والمياط الدّفاع))[(٤)].

وفي ((اللّسان))[(٥)]: ((ما زال منذ اليوم يَهيط هيطاً، وما زال في هيط وميط وهياط ومياط؛ أي في ضجاج وشرّ وجلبة... وقد أميت فعل الهياط)) أي: أميت الفعل الماضي.

ومن هذا قولهم: ينبغي له أن يفعل كذا، قال تعالى﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا

(١) شرح قطر الندى ٤١.

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤/٤٤، وشرح قطر الندى ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ١٨.

(٤) الأفعال لابن القطاع ٣/٣٦٦.

(٥) (هيط) ٧/٤٢٤.

يَنْبَغِي لَهُ﴾[1] وهو ملازم لهذه الصّيغة، أي: أميت ماضيه وأمره ، وحكى اللّحياني: انبغى[2].

وذكر بعض الباحثين المعاصرين أنّ قول بعض النّحويين : ((انبغى لفلان أن يفعل، أي صلح له أن يفعل؛ من قبيل الأمثلة المصنوعة، فليس له نظير في قديم فصيح يحتج به عليه، ولو أنّهم وجدوا شيئاً من ذلك ما تركوه، ومن هنا كان هذا الفعل الماضي مما حُذقت فيه الصّنعة، وهو شيء مهجور))[3] أي ممات.

و – إماتة المضارع والأمر دون الماضي :

أميت المضارع والأمر من بعض الأفعال الّتي ترفع المبتدأ اسماً لها وتنصب الخبر، مثل ليس ودامَ، قال ابن مالك: ((وما سوى ليس ودام من أفعال هذا الباب يتصرّف؛ أي : يستعمل منه ماض ومضارع وأمر واسم فاعل ومصدر، إلا أنّ الأمر لا يتأتّى صوغه من ملازمات النّفي))[4].

وثمّة خلاف في إماتة المضارع من ((دام)) ومذهب الفرّاء وكثير من النّحاة أنّها لا تتصرّف، فلا تستعمل إلا بلفظ الماضي[5].

ولازمت أفعال المقاربة لفظ الماضي إلا ((كاد)) و((أوشك)) عند الجمهور[6] و((طفق)) عند الجوهري – كما تقدم.

ومن أقدم من نصّ على إماتة المضارع والأمر في الفعل ((عسى)) الخليلُ،

(١) سورة يس: الآية ٦٩.
(٢) ينظر: اللسان (بغى) ١٤/٧٩.
(٣) في شعاب العربية ١٨٧.
(٤) شرح التسهيل ١/٣٤٣.
(٥) ينظر: الارتشاف ٢/٧٩، وشرح ابن عقيل ١/٢٤٣.
(٦) ينظر: شرح التسهيل ١/٤٠٠، ٤٠١.

إذ قال: ((ويستعمل منه الفعل الماضي، فيقال، : عسيت وعيسنا وعسوا وعسيا وعسين – لغة – وأميت ما سواه من وجوه الفعل ، لا يقال يفعل ولا فاعل، ولا مفعول))(١).

ومرة أخرى أذكّر بأنّ المضارع والأمر فرع، والماضي أصل، و استعمال الأصل دون الفرع لا يعني بالضّرورة إماتة الفرع – أي المضارع والأمر– إنّما نأخذه بالقياس على الكثير، وبقول العلماء، فنقول فيه بالإماتة، من غير قطع به، ولهذا قال الرّافعي في حديثه عن بعض الألفاظ المماتة: ((ومن ذلك (ليسْ) الفعل الناقص؛ فإن بعضهم يظنّ مضارعه وأمره من الأفعال المماتة))(٢).

الفصل الخامس

أفعال مبنية للمجهول أميت المبني للمعلوم منها

في العربية أفعال لازمت صيغة البناء للمجهول سماعاً، بعضها مجرّد وبعضها مزيد، وقد ذكر النّحاة أنّ المبني للمعلوم منها لم تستعمله العرب، أي: أنّه أميت استغناء بصيغة المبني للمجهول، مثل: سُلَّ وزُكم وجُنَّ ودُهِشَ وشُدِهَ وأُوْلِعَ به واستُهْتِر به، وأُغْرِمَ به.

ولّما كانت صيغة المبني للمجهول صيغة فرعية، محوّلة من الصيغة الأصليّة، وهو المبني للمعلوم، فقد تبيّن أنّ فقد هذه الصّيغة الأصليّة – مع وجود الصّيغة الفرعيّة المحوّلة عنها – دليل على إماتة تلك الصّيغة الأصلية.

(١) العين ٢/٢٠١.

(٢) تاريخ آداب العرب ١/١٦٩.

ومن أقدم من عقد لهذه الأفعال باباً، وأشار إلى إماتـــة أصولهـــا، المبنيّـــة للمعلوم: سيبويه، إذ قال: ((هذا باب ما جاء فُعِلَ منه على غير فَعَلْتُه، وذلـــك نحو: جُنَّ وسُلَّ وزُكم ووُرِد، وعلى ذلك قالوا: مجنون ومسلول مزكوم ومحمـوم مورود.

وإنّما جاءت هذه الأفعال على جَنَنته وسَلَلته وإن لم يستعمل في الكـــلام، كما أنّ يَدَعَ على وَدَعْتُ ويَذَرُ على وَذَرْتُ وإن لم يستعملا، استغنى عنـــهما بتركت، واستغنى عن قَطِعَ بقُطِع، وكذلك استغنى عن جَنَنْتُ ونحوها بـــأفعلت، فإذا قالوا: جُنَّ وسُلّ فإنّما يقولون جُعل فيه الجنون والسِّل))[1].

وذكر ثعلب[2] طائفة من هذه الأفعال، وأشار إلى أنّها لا تبني للمعلـــوم، وتبعه جماعة من العلماء، كابن قتيبة[3]، والسّـــيوطيّ[4]، وأفردهـــا بعـــض المتأخّرين بتأليف مستقلّ جمع فيه متفرّقها، ومن هؤلاء: ابن أبي السّعود بن ظهيرة القرشيّ المخزوميّ المكّيّ (من علماء القرن العاشر) في ((المنهل المأهول في الفعل المبني للمجهول)) وابن علان الصّدّيقي (١٠٥٧هـــ) في ((اتحـــاف الفـــاضل بالفعل المبني لغير الفاعل)).

وهذه الأفعال من حيث الإماتة والإحياء على نوعين :

أحدهما : ما لازم صيغة المجهول، نحو حُمَّ الأمر، بمعنى قضي ، وحُمَّ الرّجل بمعنى أصابته الحمَّى، وسُلَّ: أصيب بذات الرّئة، وامتُقِعَ لونه؛ أي: تغيّر، من حزن أو فـــزع، وهذا النّوع هو الّذي أميت أصله المبني للمعلوم، وأمثلته كثيرة مذكورة في الكتـــابين المشار إليهما آنفاً، ولا حاجة إلى سردها هنا.

---

(١) الكتاب ٤/٦٧.

(٢) ينظر: الفصيح ٢٦٩ – ٢٧١.

(٣) ينظر: أدب الكاتب ٤٠١ – ٤٠٣.

(٤) ينظر: المزهر ٢/٢٣٣ – ٢٣٦.

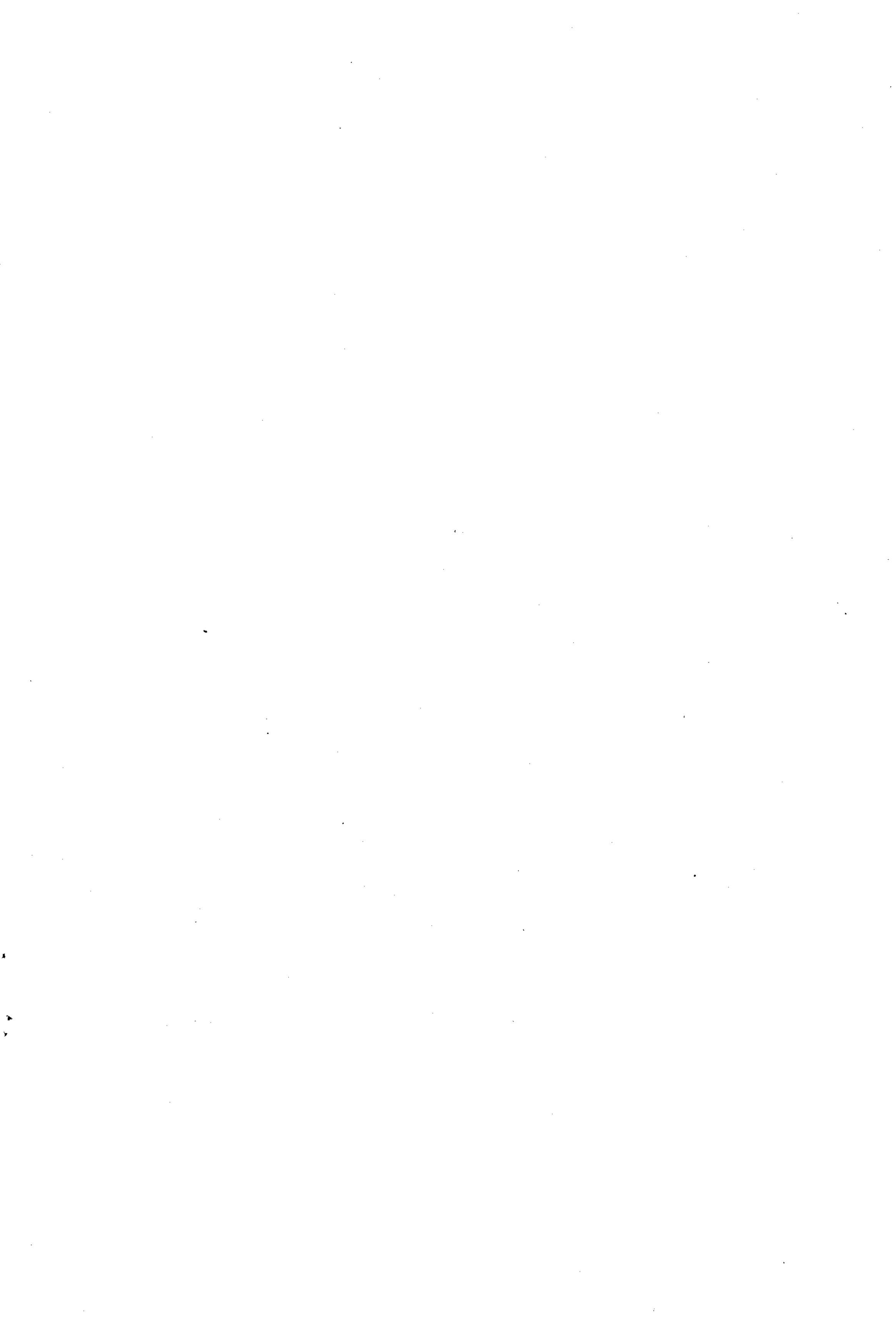
والآخر : ما جاء على صيغتي المعلوم والمجهول معاً، ولكن استعماله علـــى صيغة المجهول أكثر، نحو بُهت الرّجل؛ أي: تحيّر، وزُهِـــيَ علينـــا؛ أي: تكـــبّر، ونُفِسَت المرأة؛ أي: وضعت حملها، وما شابه ذلك، وليس المبني للمعلوم – مـــن هذا النّوع الثّاني – من الممات، لاستعماله.

الباب الثالث

أســـباب إمـــاتة الألفـــاظ

الفصل الأول : العامل الصوتي

الفصل الثاني : العامل الدلالي



مـــدخـــل :

تقوم اللّغة في أصل من أصولها على مبدأ الاختيار والاصطفـــاء، فتمـــوت ألفاظ فتندثر، وتولد ألفاظ فتحيا وتزدهر، وموت الكلمات نتيجـــة مباشـــرة للتطوّر اللّغوي الّذي لا يتوقّف، وهذا التطوّر نتيجة لاستعمال اللّغة وحركتـــها الدائمة.

وقد تختفي بعض الألفاظ من الاستعمال فتموت لأسباب عديدة، تتّفـــق في بعضها سائر اللّغات، وتنفرد ببعضها لغات، وللعربيّة أسبابها الخاصّة الّـــتي أدّت إلى إماتة الألفاظ فيها مما حُكِمَ بموته عند تدوينها، وهي ترجع – في الجملـــة إلى أسباب صوتيّة ومعنويّة، وقد ربط علماء العربيّة القدماء في معرفتهم لفصاحـــة الكلمة، وشيوعها في الاستعمال، بين عنصرين هامّين من عناصر الكلمة، وهما:

١– العنصر الصّوتيّ.

٢– القيمة الدلاليّة.

وهذان العنصران في حقيقة الأمر هما ما يعطيان الحياة للكلمة أو يســـلبانها إيّاها فتترك ويستغني عنها ثمّ تموت[١]، وهما كما يلي:

(١) ينظر: المولد في العربية ١٤٤.

الفصل الأول

العامـــل الصـــوتي

قد تموت الكلمة لسبب داخليّ فيها، وهو ما تشتمل عليه من أصوات، فلا تمتدّ بها الحياة كثيراً كمن ولد مريضاً فلا يلبث أن يمـــوت، وآفـــة الكلمـــة أن تتقارب مخارج الحروف فيها، ((فلا يكاد يجيئ في كلام العرب ثلاثة أحرف مـــن جنـــس واحـــد في كلمـــة واحـــدة لحزونـــة ذلـــك علـــــى ألســـــنتهم وثقله))[١] وحروف الحلق خاصّة يقلّ اتصالها في الكملة من غير فصل، وأمّـــا القاف والكاف فلا تجيئ متّصلة في كلام العرب، وندر ائتلاف القاف والجيـم أو الكاف والجيم، فلم يأت عنهم : قج ولا جق، ولا كج وجك، ولا قك ولا كق، كلّ ذلك لتجنّب الثّقل الذي يعيق آلة اللسان بسببٍ من تقارب المخارج.

وبالجملة فإنّ تأليف الحروف العربيّة يأتي على ثلاثة أقسام[٢]:

فالأول: تأليف الحروف المتباعدة، نحو: كتب وجلس ودخل، وهو الأحسن والمختار، هو الكثير في كلام العرب.

والثّاني: تضعيف الحرف نفسه، نحو: عدّ وفكّر ، أو تكريره ، نحو وســـوس وهمهم، وهو يلي القسم الأول في الحسن ، وأقل منه في الكثرة والاستعمال.

والثّالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو قليل في كلامـــهم أو منبـــوذ في الاستعمال كما تقدّم.

وهذا القليل الّذي قد يقع في كلامهم هو الّذي يكون عرضة للإماتة لثقله،

---

(١) سر الفصاحة ٥٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق ٥٨.

نحو العَهْق، فإن فعله ممات، كما يقول ابن دريد[1]، لمجاورة الهاء العين، ومثلـــه إماتة الفعل ((عهم)) لتجاور حرفي الحلق[2]، وقد ندر مجيء الرّاء بعد النّـــون ولاسيّما إن كانت النّون ساكنة والرّاء متحرّكة، وهذا قليل جدّاً في العربيّة.

وقد جاء في اللّسان[3]: ((النّرز: فعل ممات، وهو الاستخفاء، من فـــزع، وبه سمّي الرجل: نَرْزة ونارزة ، ولم يجيء في كلام العرب نون بعدها راء إلا هذا، وليس بصحيح)).

وعلّة الإماتة واضحة؛ لأن اللّسان يميل إلى الأسهل في النّطـــق في العـــادة؛ ولأنّ الحروف المتباعدة تجري من السّمع مَجرى الألوان من البصر، ولا شـكّ في أنّ الألوان المتباينة إذا اجتمعت بان حسنُها لعين النّاظر، بخلاف الألوان المتقاربة؛ ولهذا كان البياض مع السّواد أحسن منه مع الصّفرة[4]، واللّغة تميل في أصـــل من أصول تطوّرها إلى مبدأ الاختيار والاصطفاء، فيترك ما ثقل على الألســـن، وينبو عن الأسماع، فيموت.

ومن القواعد الصوتية لبنية الكلمة العربية أن الخماسي لا يخلو من حـــرف أو أكثر من حروف الذلاقة الستة : الراء واللام والنون والباء والفاء والميــــم، المجموعة في قولك : ((مربنقل)).

وكذلك الرباعي غير المضاعف إلافي النادر، وعلة ذلك أن هذه الأحـــرف خفيفة في اللسان فناسب أن تأتي في الخماسي والرباعي لتعطيهما شيئاً من الخفة.

أما الثلاثي فهو خفيف بعدد حروفه ، فلا يجب أن يكون فيه حـــرف مـــن حروف الذلاقة.

---

(١) ينظر: الجمهرة ٢/٩٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢/٩٥٤.

(٣) (نرز) ٥/٤١٦.

(٤) ينظر: سرّ الفصاحة ٦٤.

فإذا وُجد كلمة خماسية أو رباعية خالية من حروف الذلاقة فإنها تحتمل وجهين:

أحدهما : أن تكون دخيلة أو محدثة مبتدعة – كما قال الخليل[1].

والآخر: أن تكون من بقايا الممات القديم .

قال الخليل: ((فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهنّ اللسان، وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي يعرى منها أو من بعضها...

فإن وردت عليك كلمة رباعية أوخماسية معرّاة من حروف الذّلَق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذّلَق والشفوية واحد واثنان أو أكثر))[2].

وقال الليث: ((قلت : فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف؟ فقال [الخليل] : نحو الكَشَعْثج، والخَضَعْثج، والكَشَعْطج، وأشباههنّ، فهذه مولّدات لا تجوز في كلام العرب...

وأما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذُّلْق، أومن بعضها، إلاكلمات نحواً من عشر كنّ شواذّ .

ومن هذه الكلمات : العَسْجَد والقَسْطوس والقُداحِس والدُّعشوقة...))[3].

(١) ينظر : العين ١/٥٢.
(٢) الصاحبي المصدر السابق ١/٥٢.
(٣) العين ١/٥٢، ٥٣.

ومن الرباعي الذي خلى من حروف الذلاقة: ((تَخْطَعٌ)) و هو اسم ذكره ابن منظور في الرباعي ، وقال : ((قال ابن دريد: أظنه مصنوعاً، لأنه لم يعرف معناه))(١).

وقد يكون مماتاً ولذلك لم يعرف معناه .

ومنه : ((العُهْعُخ)) قال الخليل: ((سَمِعْتُ كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعي؛ سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى العُهْعُخ، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب. وقال الفذّ منهم : هي شجرة يُتداوى بورقها.

وقال أعرابيّ: إنما هو الخُعْخُع ، وهذا موافق لقياس العربية))(٢).

ومنه ((القُداحِسُ)) وهو الشّجاع أو السيّء الخلق أو الأسد – كما يقول صاحب ((القاموس))(٣).

ومهما يكن من أمر فإن كلماتٍ من هذا النوع الذي خلا من حروف الذلاقة لا يكتب لها البقاء في العربية ؛ لأنها ثقيلة فتهجر وتموت ، وقد لا تعرف، ولعل هذه الألفاظ النادرة التي رواها بعض العلماء هي من بقايا ممات غير قليل، وهذه الألفاظ القليلة المروية معرضة للهجر والإماتة أكثر من غيرها.

(١) اللسان (تخطع) ٣٢/٨.
(٢) العين ٢٧٤/٢.
(٣) مادة: (قدحس) ٧٢٨.

الفصل الثاني

العامـــل الـــدلاليّ

الدّلالة عنصر فعّال فيما يتّصل بإماتة الألفاظ، وإليها يعود موت كثير مـــن الألفاظ المشهورة في العربيّة، وللإماتة هنا عدّة أسباب، ومن أهمّها:

١ – زوال المعنى .

٢ – الاستغناء .

٣ – العامل الديني .

٤ – العامل الاجتماعي.

وهي على النحو التالي :

المبحث الأول : زوال المعنى :

قد يزول معنى الكلمة وليس لها معانٍ أخرى تتشبّث بها، فتموت؛ لتفريغـها من محتواها الّذي هو سرّ بقائها، وقد أشار إلى ذلك ابن فارس في قوله: ((ومـــن الأسماء الّتي كانت فزالـــت بـــزوال معانيـــها قولهـــم: المربـــاع، والنّشـــيطة والفضول...))[١].

وقال الجاحظ: ((قال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونـــس بن حبيب النّحوي حين أنشده شعر الأسدي:

ومركضـــةٌ صَرِيحـــيٌّ أَبُوهَـــا   تُهَـــانُ لَهَا الغُلامَـــةُ والغُـــلامُ

قال: فقلت له: فتقول للجارية: غلامة؟ قال: لا، هذا من الكلام المـــتروك،

---

(١) الصاحبي ١٠٢.

وأسماؤه زالت مع زوال معانيها؛ كالمرباع والنّشيطة...))[١].

وقد قضى الإسلام على كثير من الكلمات الدّالّة على نظم جاهليّة، كالمِرْبَاع والصَّرورة والنَّوَافج والحُلْوَان والمَكْس، وغيرها، فماتت تلك الكلمات؛ لأنّ الإسلام غير من القيم الفكرية والاجتماعيّة الّتي كانت سائدة في الجاهليّة.

ولا مبرّر لوجود الكلمة في اللّغة عند ما لا تقول للعقل شيئاً، فإنّ اللّغة تهملها، كما يقول درمستيتر (Darmesteter)[٢].

وهكذا تتخلّص اللّغة من الألفاظ الّتي لم تعد كافية للتّعبير عن المعنى الّذي يناط بها؛ لأنّها ضعفت أو بليت[٣].

المبحث الثاني : الاستغناء

قد يؤدّي التّرادف إلى ترك بعض الألفاظ استغناء بمرادف لها؛ لأنّه يؤدّي معناها، فتموت الألفاظ المتروكة، قال سيبويه: ((وأمّا استغناؤهم بالشّيء عن الشّيء فإنّهم يقولون: يَدَعُ، ولا يقولون: وَدَعَ، استغنوا عنها بترك، وأشباه ذلك كثير))[٤] وقد استغنوا باشتدّ عن شَدُدَ[٥]، وباحمارّ عن حَمِرَ[٦] وباستنوك عن نوك[٧].

وقال ابن الأنباريّ: ((استغنوا عن وَدَعَ بترك؛ لأنّه في معناه، وكذلك

---

(١) الحيوان ١/٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) ينظر: المولد في العربية ٢١٨.

(٣) ينظر: اللغة لفندريس ٢٧٢.

(٤) الكتاب ١/٢٥.

(٥) المصدر السابق ٤/٣٣.

(٦) المصدر السابق ٤/٣٣.

(٧) المصدر السابق ٤/٣٦.

استغنوا به عن وَذَرَ))[١].

وقال ابن جنّي في تركهم بعض المصادر: ((يقال: نَـذِرْتُ بالشّـيء؛ إذا علمت به فاستعددت له، فهو في معنى فهمته وعلمت به، وطَبِنْتُ لـه، وفي وزن ذلك، ولم تستعمل العرب لقولهم نذرت بالشيء مصدراً، كأنّه مـن الفـروع المهجورة الأصول. ومنه ((عسى)) لا مصدر لها، وكذلك ((ليس)).

وكأنّهم استغنوا عنه بأنْ والفعل، نحو: سرّني أن نَذِرْت بالشيء، ويسرّني أن تَنْذَر به))[٢].

وقد يُمات الفعل المجرّد استغناء بمزيده، قال ابن دريد: ((واللّحَـك مـن قولهم: لَحِكَ يلحَك لَحْكاً، إذا تداخل بعضه في بعض، وقد أميت هذا الفعـل فاكتفوا بقولهم: تلاحك تلاحكاً))[٣].

المبحث الثالث : العامل الديني

كان العرب على أرث من إرث آبائهم في لغتـهم وآدابهـم ونسـائكهم وقاربينهم –كما يقول ابن فارس[٤]– فلمّا جاء الإسلام حالت أحوال، ونقلت دلالات، وأميتت ألفاظ كره العرب النّطق بها في الإسلام؛ لأنّـه نهـى عنـها للمدلول الّذي تحمله، قـال عزّوجـلّ: ﴿يا أيُّها الذِين آمَنُوا لا تَقولوا رَاعِنَا وقولوا انظرْنا﴾[٥] وقد قيل: ((إنّ (راعنا) كلمة كانت تجـري مجـرى الهـزء فنـهى المسلمون أن يلفظوا بها بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وذلك أنّ اليهود

---

(١) الإنصاف ٢/٤٨٥.
(٢) المحتسب ١/٣٦٧.
(٣) الجمهرة ١/٥٦٣.
(٤) ينظر: الصاحبي ٧٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٤.

- لعنهم الله - كانوا اغتنموها فكانوا يسبّون بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفوسهم، ويتسترون من ذلك بظاهر المراعاة منها، فأمروا أن يخاطبوه بالتّعزيز والتّوقير)) (١) .

وقال ابن تيمية : ((ومما يدل من القرآن على النهي عن مشابهة الكفار: قوله سبحانه﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ .

قال قتادة وغيره : كانت اليهود تقوله استهزاء؛ فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم.

وقال أيضاً: كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : راعنا سَمْعَك، يستهزؤون بذلك. وكانت في اليهود قبيحة.

وروى أحمد عن عطية العوفي قال: قال: كان يأتي ناس من اليهود فيقولون: راعنا سَمْعَك ، حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود .وقال عطاء : كانت لغة في الأنصار في الجاهلية.

وقال أبو العالية : إن مشركي العرب كانوا إذا حَدَّث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه : راعني سمعك فنهوا عن ذلك وكذلك قال الضحاك. فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نُهِي المسلمون عن قولها لأن اليهود كانوا يقولونها، وإن كانت من اليهود قبيحة، ومن المسلمين لم تكن قبيحة لما كانت مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار، وطريقهم إلى بلوغ غرضهم)) (٢) .

ومن ذلك أنّهم أماتوا كلمة ((العَتِيرة)) وهي شاة كانت تذبح في الجاهليّة

---

(١) التهذيب ٢/٣٤١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٥، ٤٦.

في رجب يتقرّب بها، ثمّ نسخت العتيرة بالأضاحي[1]، وقيل إنّ العتـــيرة هـــي الشّاة الّتي كانت تذبح في الجاهليّة وتقدّم للأصنـــــام، فيصـــبّ دمـــها علـــى رأسها[2].

ومن ذلك ((الصّرورة)) روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: ((لا صرورة في الإسلام))[3] وهو التبتّل في الإسلام، وأصـــــل الصّـــرورة أنّ الرّجل في الجاهليّة كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحرم لم يُهَجْ، وكان إذا لقيـــه وليّ الدّم في الحرم قيل له : هو صرورة، فلا تَهُجه، ثم كثُر ذلك في كلامهم حتّى جعلوا المتعبّد الّذي يتجنّب النّساء: صرورة، وصرورياً [4] ، كمـــا تقـــدم في الباب الأول.

وللرّافعيّ تعليل في إماتة الإسلام هذا النّوع من الألفاظ، وهو أنّهم كرهـــوا النّطق بها في الإسلام لخوفهم على العرب أن يعودوا في شيء من أمر الجاهليّـــة، فمنعوهم من الكلام الّذي فيه أدنى متعلّق[5].

المبحث الرابع : العامل الاجتماعي

قد تنحطّ دلالة الكلمة فتدلّ مباشرة على ما يستقبح ذكـــره، كدلالتـــها الصّريحة على قذارة أو نجس، أو عضو تناسليّ، أو غريزة جنسيّة، فيكون ذلـــك إيذاناً بتركها ثمّ موتها، فيبحث المجتمع عن كلمة أخرى ليس فيها ذلك المعـــنى المباشر، أو يلجأ إلى الكناية ، ثم تستخدم الكلمة، فتحمل مع كثرة الاستعمال ما تحملته سابقتها، ومن ذلك كلمة ((الغائط)) مثلاً، فإنّها كناية عن ذلك الشّـــيء

(١) ينظر: الجمهرة ٣٩٢/١.
(٢) ينظر: النهاية ١٧٨/٣.
(٣) ينظر: سنن أبي دواد ١٤١/٢، وكتر العمال ٦٥٨/٣.
(٤) ينظر الصاحبي ١٠٤.
(٥) ينظر: تاريخ آداب العرب ٢٠٩/١.

في أصل الاستعمال اللّغوي، ومعناها اللّغويّ القديم المكان المنخفظ.

ويمكن القول: إن الأسباب الاجتماعية ((واضحة جداً في تغيّر الكلمات مراعاة للّياقة ، إذ ليس من الّلائق أن يتكلّم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة، أو بأنّها مما يجرح الحياء))[١].

ويصل الحال إلى التّضييق من دائرة المفردات حتّى لا يتكلّم النّاس إلا تلميحاً أو بالكناية كما يحدث عادة في ألفاظ النّكاح، وهو ما يفسّر كثرتها؛ لأنّ النّاس يلجؤون[٢] إلى ترك الكلمة لمجرد ما يتعلق بها ذلك المعنى، وعلى هذا ماتت كثير من الألفاظ في العربيّة، ورصدت المعاجم بعضه مع أنّه متروك في الاستعمال اللّغويّ الرّاقيّ، والأمثلة على ذلك معروفة.

وقد يكون للكلمة مدلول اجتماعي مكروه، لا يليق بمكانة الإنسان، ومن ذلك ما روي عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وقد جاءه قوم من العرب، فسألهم – عليه السّلام – فقال: من أنتم فقالوا: بنو غيّان، فقال: بل أنتم بنو رِشْدان[٣].

وعلّة ذلك ظاهرة، وهي أنّ غيّان من الغيّ؛ فكره لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الاسم، لما يحمل في طياته من دلالة اجتماعية غير مرغوبة؛ فأمر بتركه وإماتته.

---

(١) اللغة، لفندريس ٢٨٠.

(٢) وتكتب أيضاً: يلجأون، وكتابة الهمزة -هنا- على الواو يرجحها كثير من العلماء . ينظر: الإملاء والترقيم ١٢١، والهمزة في الإملاء العربي ٣٧.

(٣) ينظر: المبهج ٣٥، والمناهي اللّفظية ٢٥٢.

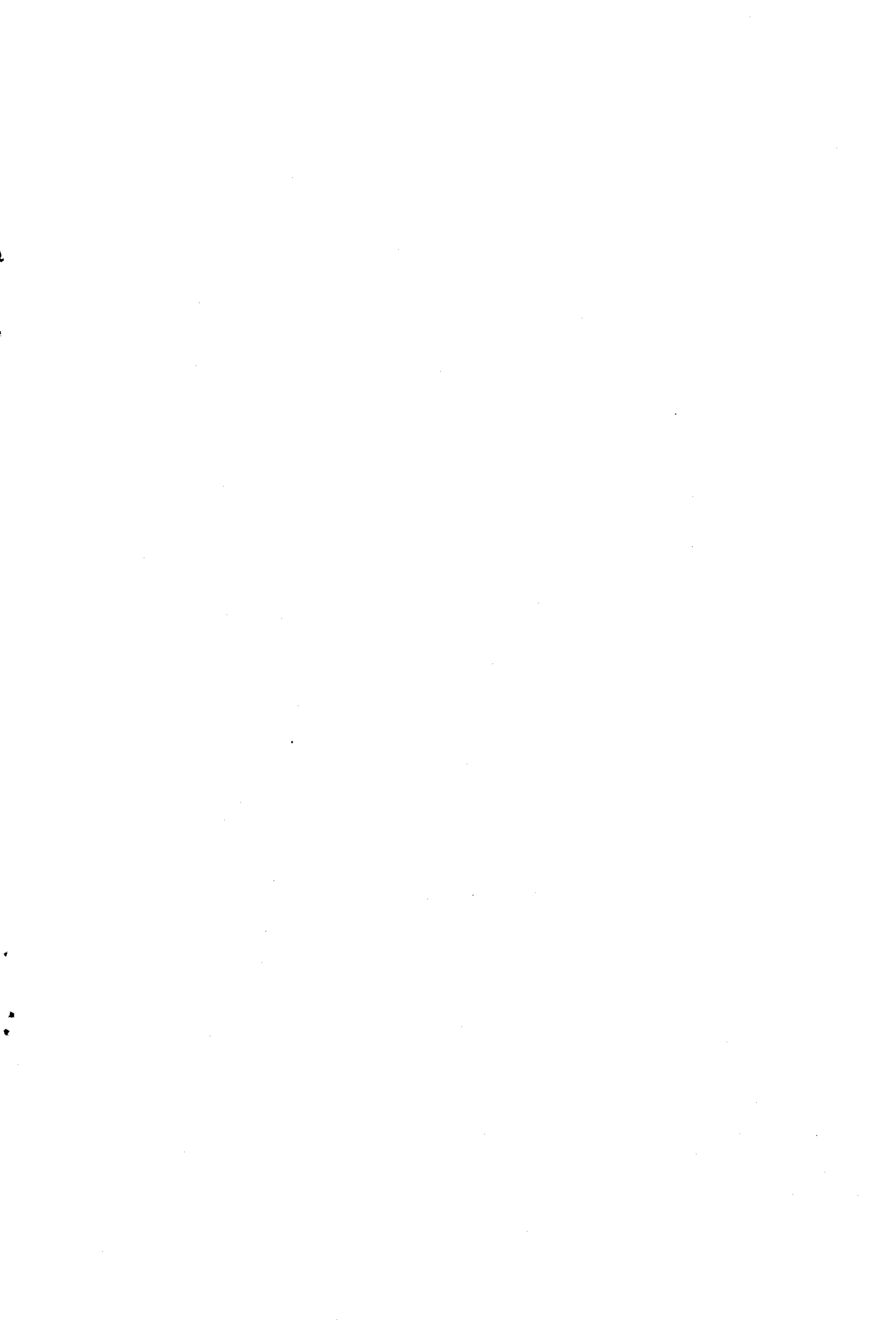
الباب الرابع

إحـــياء الممـــات

الفصل الأول : الحاجة إلى إحياء الممات.

الفصل الثاني : موقف العلماء من إحياء الممات.

الفصل الثالث: دور مجامع اللغة العربية في إحياء الممات .



الفصل الأول

الحـــاجة إلى إحـــياء الممات

اللغة ألفاظ معدودة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض تتجــدد والمعاني تتولّد، والحضارة تقذف كلّ يوم بمخترع، والعلوم تطالب كـــل حـــين بمصطلح جديد، والألفاظ محدودة، والمعاني لا تنتهي واللغة الـــتي لا تســـتوعب حاجات أهلها ولا تساير ركب الحياة تضمحل ثم تموت.

وللغات الحية وسائل تنمو بها، وطرائق تجدد بها شبابها، وللعربية وسائلها وطرائقها التي تنمو بها وتتجدد، ومن أبرز هذه الوسائل(١):

١- القياس .

٢- الاشتقاق .

٣- الوضع والارتجال .

٤- النحت .

٥- القلب والإبدال .

٦- نقل الدلالة .

٧- التعريب .

٨- إحياء الممات .

وهذا الأخير لم أجد من ذكره في وسائل تنمية اللغة، وهـــو في رأيـــي المتواضع أحدها، وإن لم يكن أهمها، ويمكن اللجوء إليه والاستفادة منـــه عنـــد

---

(١) ينظر: من أسرار اللغة ٦، وعوامل تنمية اللغة العربية ٥٩ وما بعدها،وعوامـــل التطـــور اللغوي ١٣ وما بعدها، والاشتقاق والتعريب ٨ وما بعدها.

الحاجة، وبخاصة إذا أردنا أن نحافظ على نقاء اللغة ونحد من ظاهرة الاقتراض في العربية بشقيها المعرب والدخيل .

ويطيب لي أن أقول من خلال هذا البحث أن للمات دوراً في تنمية اللغة العربية يتمثل في إمدادها بألفاظ من مخزونه الثري، فلربما ماتت الكلمة واختفت زمناً طويلاً ثم بعثت من جديد لتستخدم في معناها القديم، أو في معنى جديد، كإحياء الكلمات الميتة للتعبير عن المصطلحات العلمية الجديدة ، ولهذا يقول علماء اللغة المعاصرون : إنه من الخطأ أن نقول : ((إن كلمة ما قد ماتت؛ إذ إنّ هناك دائماً احتمال عودتها للحياة، ولو كان ذلك بعد قرون عديدة من الهجوع والاختفاء من الاستعمال[(١)].

وممّا أعيد استعماله من الممات ((الإتاوة)) بمعنى الجزية والخراج، فقد دبَّتْ في هذه الكلمة الحياة من جديد، فذكرتها المعاجم المعاصرة الّتي تعنى بالمفردات الحية[(٢)]، وقد نصّ علماء اللّغة القدامى على إماتتها ، وأنّها من ألفاظ الجاهلية[(٣)].

وذكر ابن دريد أنّ ((الغوث)) من غاث غوثاً أميت مع فعله، واستعمل منه أغاثه يُغيثه إغاثة[(٤)]. وقد أحيا المعاصرون هذا الفعل الثلاثيّ الممات، واستعملوا منه قولهم : ((غوث اللاجئين)) وهو من تعبيراتهم المشهورة.

وأحيت العامّة في جزيرة العرب فعلاً مماتاً، وهو ((قَلَطَ)) فقالوا في ترحيبهم بالضّيف: اقْلُطْ؛ أي: تفضلْ بالدّخول، وصرَفوه في كافَة أزمنة الفعل

(١) دور الكلمة في اللغة ٢١٤.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط ١/٤.
(٣) ينظر: الصاحبي ١٠٣.
(٤) ينظر: الجمهرة ١/٤٢٩.

واشتقّوا منه اسم الفاعل. وقد ذكر ابن دريد أنّ الفعل ((قَلَط)) ممّا أميت من الأفعال[١]، ولهذا لم يرد له ذكر في معاجم اللّغة؛ كـ ((العين))، و ((الأفعال)) للسّرقسطيّ، و((الأفعال)) لابن القوطيّة، و((الأفعال)) لابن القطّاع، و((اللّسان)) و((القاموس)) و((التّاج)).

وإذا أمكن إحياء لفظ مهجور لمعنى مستجد مع وجود لفظ مولّد يمكن أن يؤدّي الغرض فإنّ إحياء القديم خير من استعمال المولّد ، بشرط أن يكون ممّا يستساغ لفظه ويقبل تركيبه.

وذهب بعض المعاصرين إلى خلاف ذلك فرأى أنّ استعمال اللّفظ المولّد خير من إحياء اللّفظ الميّت واستبقاء المولود الجديد أولى من إحياء الميّت القديم[٢].

وإحياء الممات خير من استعمال المهمل؛ لأنّ المهمل لم تأتلف حروفه من أصل الوضع اللّغوي لعلل صوتيّة في الكثير الغالب، كما يظهر ذلك من تأمّل المهمل في معاجم التقليبات ، وأمّا الممات فإنّه ممّا ائتلفت حروفه وساء حينا ثمّ باد لعلل دلاليّة في الكثير الغالب، والدّلالة دائمة التّغير والدّوران.

ويتّصل بإحياء الممات واستعماله الاشتقاق منه دون إحيائه، وهذا عنصر فعال في تنمية اللّغة، وقد أكثر العرب قديماً من الاشتقاق من ألفاظ مماته نصّ عليها بعض المعجميّن، فمن ذلك اشتقاقهم ((العَدَوليَة)) وهو ضرب من السّفن منسوب إلى لفظ ممات، وهو ((عَدَوْلاه))[٣].

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٢٣.
(٢) ينظر: اللغة العربية كائن حي ٩٣.
(٣) ينظر: العين ٢/٤٠.

واشتقّت العرب من ((كَهَفَ)) وهو فعل ممات قولهم: كَنْهَفَ عنــا، إذا تنحّى[1].

واشتقوا من ((هَرَلَ)) هَرْوَلَ هرولة[2].

وقال اللغويّيون: إنّ اسم هذيــل مشــتقّ مــن فعــل ممــات، وهــو ((هَذَلَ))[3].

واشتقّت العرب ((العذيوط)) من فعل ممات، وهو ((عَذَطَ))[4].

ومثل هذا كثير، أوردنا منه قدراً صالحاً من الأمثلة في الباب الثاني مــن هذا البحث وهو يدل دلالة لا لبس فيها على أنه يجوز الاشتقاق من الممات.

ويمكن – من جانب آخر – أن يعد الممات عند موته عاملاً من عوامــل نمو اللغة ((فكل تجديد أو نمو في جانب يقابل بنوع مــن الخســائر في الجــانب الآخر، واللغة في هذا تشبه الكائن الحيّ))[5] الذي تتجدد خلاياه مع مــرور الزمن، فليس في اللغة كسب دائم من النمو يوفر لها ثراء لا يتناهى، وليس فيــها جمود وثبات مطلق، فهي تحاول دائماً أن تصل إلى نوع من التوازن الدقيق، فكما ((تقترض ألفاظاً من اللغات الأخرى لتسعف حاجات المتكلمين بها نراها تستغني عن ألفاظ أخرى تختفي من الاستعمال))[6].

والممات بهذا المعنى يؤدي دورة في نمو اللغة ، ويسهم مع سائر العوامــل الأخرى في بقاء اللغة قوية قادرة على مواجهة مســتجدات الحيــاة الفكريــة

(١) ينظر: الجمهرة ٢/٩٧٠.
(٢) نفسه ٢/٨٠٢.
(٣) نفسه ٢/٧٠٢.
(٤) نفسه ٢/١١٤٩.
(٥) المولد في العربية ١٤١.
(٦) ينظر : المرجع السابق ١٥١.

والمادية، فشأنه في هذا شأن الخلية الميتة في جسم الإنسان التي تفسح بموتها المجال للخلية الجديدة الشابة ليبقى الجسم قوياً قادراً على الحياة.

وبالجملة فإنّ الممات عامل مهمّ من عوامل نموّ اللّغة، في إماتته وفي إحيائه، ففي إماتته إفساح المجال لتنمية اللّغة وتجديدها، وفي إحيائه حقن للّغة بألفاظ أصيلة مألوفة للّغة ومقاييسها.

الفصل الثاني

موقف العلماء من إحياء الممات

لعلماء العربيّة موقفان متضادّان في إحياء الممات وهم في ذلك فريقان: فريق لا يجيز إحياء الممات، وفريق يجيزه.

وممّن لا يجيزون إحياء الممات ((ثعلب)) فهو يَعُدُّ ماضي وَذَرَ و وَدَعَ من غير الفصيح، ولا يجوز الكلام بهما[1].

ومنهم الفارابيّ إذ نقل عنه الفيّوميّ أنّه قال: ((والعرب قد تميت الشيء حتّى يكون، مهملاً فلا يجوز أن ينطق به))[2] وهذا نصّ صريح الدّلالة.

ولا يجيز أبو عليّ الفارسيّ استعمال ما أميت من ((يَدَعُ)) و ((يَذَرُ)) لأنّ العرب رفضت ذلك واستغنت عنه[3]، وعلى هذا يمكن أن يقال: إنّه يمنع إحياء الممات، قياساً على منعه إحياء ماضي يَدَعُ و يَذَرُ.

ويوافقه في ذلك تلميذه ابن جنّي في كلامه في باب القول على الاطّراد

(١) ينظر: الفصيح ٢٨٩.

(٢) المصباح ٧٠٢.

(٣) ينظر: المسائل العسكرية ١٣٥، ١٣٦.

والشّذوذ، يقول : ((فإن كان الشّيء شاذّاً في السّماع مطّرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله.

من ذلك امتناعك من: وَذَرَ و وَدَعَ؛ لأنّهم لم يقولوهما ولا غرو عليــك أن تستعمل نظيرهما نحو وَزَنَ و وَعَدَ، لو لم تسمعهما، فأمّا قول أبي الأسود:

لَيتَ شِعْرِي عَن خَلِيلِي مَا الَّذِي غَــالَهُ فِي الحُــبِّ حَتَّى وَدَعَــه

فشاذّ، وكذلك قراءة بعضهم: ((ما وَدَعَك ربُّكَ و ما قَلَى))[(١)].

وأشار إلى ذلك السّيوطيّ في ((المزهر))[(٢)].

وأمّا الفريق الثّاني فإنّه يجيز إحياء الممات واستعماله لدوره المهم في تنميــة اللغة وإثرائها، ومن أقدم من قال ابن درستويه في رده على ثعلب الّــذي يمنــع استعمال الماضي والمصدر من وَذَرَ و وَدَعَ،قال ابن درستويه: ((واستعمال مــا أهملوا[(٣)] جائز صواب وهو الأصل وقد جاء في الشّعر منه قول أبي الأســود... وقَرَأتَ القرّاء... واستعمال ما لم يستعمله العرب من ذلك[(٤)] غير خطأ، بل هو في القياس الوجه، وهو في الشّعر أحسن منه في الكلام، لقلّة اعتياده؛ لأنّ الشّعر -أيضاً- أقلّ استعمالاً من الكلام))[(٥)].

ويدلّ هذا الرّأي الجرئ من ابن درستويه على فهم دقيق مبكّر لدور الممــات، وأهميّته في اللّغة ونموّها.

ويبدو لي أنّ كثيراً من علماء العربيّة المتقدّمين يوافقون على هذا الــرّأي وإن لم

(١) الخصائص ١/٩٩.
(٢) ١/٢٢٩.
(٣) يعني هنا ما تركوه؛ أي: الممات.
(٤) أي من الممات.
(٥) تصحيح الفصيح ١٢٧ أ ، ١٢٧ ب .

يصرّحوا به، وإنّما يفهم من موقفهم من ماضي ((يَدَعُ)) فهم يحكمون بأنّه من الممات، مع أنّهم ذكروا بعض الشّواهد على استعماله ، من دون أن يخطّئوا صاحبه، أو يضعّفوا قوله، وذكروا بعض القراءات وهم يرون الاحتجاج بالقراءات الشّاذّة في اللغة، وليس لذلك تفسير عندي سوى الإقرار منهم بأنّ الفعل المَيت قد يظهر في الاستعمال على قلة إذا دعت الحاجة إليه في شعر أو غيره، فيكون من باب إحياء الممات.

وقد حمل الأستاذ سعيد الأفغاني على علماء العربيّة القدامي وسفّه قولهم بإماتة هذا الفعل، وقال : ((والطّريف أنّ بعض المحقّقين ممّن تأخر زمانه عن أولئك صحّح خطّأهم فأثبت صاحب المصابح هذه اللّغة الفصيحة في معجمة واستنكر ادّعاءهم الإماتة...

وبذلك ترى تسرّب الوهن إلى بعض أحكامهم إذ كانت خطّتهم ينقصها الإحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معاً، وكان عليهم قبل إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقلّ والاحتجاج بها))(١).

ولو تدبّر الأستاذ الأفغاني –رحمه الله– في ذلك وتأمّل طريقة علمائنا في تناول هذا الفعل المتمثلة في الجمع بين قولهم بإماتته وروايتهم قدراً من الشّواهد على استعماله لربّما توصّل إلى مثل ما توصّلت إليه، وتجنب اتهامهم –رحمهم الله– بالخلل في المنهج وعدم الكفاية في الاستقراء .

ويبدو أنّ في صنيع أصحاب المعاجم دلالة قويّة على أهمّيّة الممات، وأعني بذلك احتفاظهم بالممات في بطون المعاجم الكبيرة المتأخّرة، كـ ((التكملة)) و((العباب)) و((اللسان)) و((القاموس)) و ((التاج)) و لعلّ ذلك إرهاص لإحيائه عند الحاجة، وفي هذا كانت المزية للعربيّة ، إذ لا تحتفظ سائر اللّغات إلا

(١) في أصول النحو ٣٥، ٣٦.

بالمستعمل، وهو مهدّد بالموت، ومعرّض لقوانين التّطور اللّغويّ والتّعبير الصّوتيّ، فإذا أميت بالترك لم يكن في طبائعها ما تعوض به المتروك الجديد بمتروك قـديم، فتضطرّ إلى الاستجداء من لغات أخرى(١)، فقد تصاب بالتّخمـة والتّسـمم لكثرة ما في أحشائها من الدّخيل.

ولقد ظهرت دعوات في الأوساط اللّغويّة العربيّة المعاصرة للاستفادة مـن الممات وإحيائه بطريقة منظّمة، تتمشّى مع خطّة معيّنة، تمليها السّياسة اللّغويّـة، وتهدف إلى التخلّص من الكلمات الأجنبية أو إلى سـدّ النقـص الملحـوظ في الاستعمال، الّذي لا يمكن معالجته بالطّرق المألوفة، وقد شاع هـذا الاتجـاه في لغات أجنبيّة في القرن الثامن عشر، كاللغة الألمانية، عند ما جاهد دعاة المحافظـة على اللغة وقواعدها في سبيل التّخلّص من الكلمات الفرنسيّة الدّخلية(٢).

أمّا في العربيّة فقد أحيا الأدباء والعلماء في العصور الحديثـة كثـيراً مـن الألفاظ القديمة للحاجة إلى معانيها، وتبعاً للمخترعات الصناعيّة الّـتي تسـتلزم بعض المصطلحات، ومن هنا وجدناهم يعيدون إلى اللّغة شـيئاً مـن الألفـاظ المهجورة ((فكثيراً ما يلجؤون إلى ذلك للتّعبير عن معان لا يجدون في المفـردات المستعملة ما يعبّر عنها تعبيراً دقيقاً، أو لمجرد الرّغبة في استخدام كلمات غريبـة، أو في التّرفع عن المفردات الّتي لاكتها الألسنة كثيراً، وبكثرة الاستعمال تبعـث هذه المفردات خلقاً جديداً، ويزول ما فيها من غرابة، وتندمـج في المتـداول المألوف، ولا يخفى ما لذلك من أثر في نهضة لغة الكتابة واتّساع متنها وزيـادة قدرتها على التّعبير))(٣).

---

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٩٣.

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٢١٣.

(٣) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٥٥، ٢٥٦.

وعلى الرغم من ذلك فثمة فريق من علماء العربية المعاصرين يميل إلى تجديد اللغة وتنميتها عن طريق الوسائل المشهورة كالاشتقاق والارتجال والمجاز والنحت والتعريب ، ويدعو إلى ترك الغريب والحوشي و المهجور والممات وتفريغ المعاجم اللغوية مما تحويه من ذلك(١).

ومن أظهر من يمثل هذا الرأي المعلم الخوري بطرس البستاني الذي عدّ اشتمال المعاجم العربية على الغريب والحوشي والمهجور والممات عيباً من عيوبها وشائبة ينبغي تخليص المعاجم منها لمكان ذلك من الغرابة أو لتوغله في الحوشية والوحشية أو لهجره ، وهو يرى أن دفنه خير من بقائه ويشبه بقاءه بالدُّمَّل في جسم اللغة البهي(٢).

ويتألم هذا الباحث ويتحسر لاتجاه اللغويين والمعجمين إلى الإبقاء على هذا النوع من الألفاظ في معاجم العربية، ويقول: ((ومما هو جدير بالأسف أنه بات من الراسخ في وهمنا أن تلك الألفاظ المستكرهة لا بد من إثباتها في معاجمنا ، وإلا اجترحنا أفظع جريرة في حق لغتنا، وأفقدناها كنزاً ثميناً لا يعوض ولا نعلم متى تسقط هذه الكلمات المنبوذة من معاجمنا))(٣).

وهذه نظرة غير موفقة لهذا النوع من الألفاظ التي يمكن الاستفادة منها بإحيائها في معناها أو بإلباسها معنى جديداً كما استفادت بعض اللغات الحية من ممات اللاتينية القديم .

(١) ينظر: في أصول اللغة ١٠٩، وأعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦، والعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٢، والمعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ٢٦٨.
(٢) ينظر : مجلة المشرق، سنة ١٩٣١م، مجلد ٢٩ ص ٦٨٣، ٦٨٤.
(٣) مجلة المشرق سنة ١٩٣١م ، مجلد ٢٩ ص ٦٨٣.

الفصل الثالث

دور مجامع اللغة العربية في إحياء الممات

تنطلق مجامع اللغة العربية في عنايتها باللغة وحرصها على نقائها وإثرائها بما يضمن لها النماء والحيوية ومسايرة مستجدات العصر من نظرتين متوازيتين :

إحداهما: الحفاظ على التراث اللغوي للعربية، وتقريب بعيدة، وتيسير غريبة، وإحياء مماتة.

ثانيهما: الاقتراض والترجمة.

ولهذه المجامع نشاط ملحوظ في إحياء الممات يتلخص في التشجيع على الاستفادة من ممات العربية فيما استجدّ من المعاني والمصطلحات ، وإحياء ما يلائم روح العصر منه، والحدّ من تسرّب الدخيل المعاصر إلى اللغة ، ليكون الممات أحد الوسائل النافعة التي تمدّ العربية بكلمات جديدة تدعو إليها الحاجة ومقتضيات العصر.

ولكن المجامع اللغوية التي تكاثر فيها الأعضاء المجددون اتجهت بتأثير منهم نحو اعتماد آراء أكثر جرأة في التجديد والانفتاح على اللغات الحية عن طريق التعريب والترجمة، فانعكس ذلك سلباً على نشاط المجامع في إحياء الممات أو العودة إلى الغريب والحوشي والمهجور .

ومن هذا المنطلق تعالت الأصوات الداعية إلى ترك الممات وإهمال المهجور والألفاظ الحوشية الجافية بحجة عدم الحاجة إليها أو قلة الفائدة منها.

ومن هؤلاء علي الجارم الذي ذكر أنه وجد بمجلة المجمع القاهرة ألفاظاً

قديمة غير مستعلمة، وقد اعتمدت للتعبير عن أشياء جديدة تختلف معانيها عن معانيها القديمة، وهو لا يستسيغ هذه الطريقة[(١)].

وقدم الأستاذ أحمد أمين اقتراحاً يقضي بالتخفف من كثير من مفردات اللغة، وهو يرى ((أن أولى الكلمات بالإعدام هي تلك الكلمات الحوشية فلا بد من استبعادها وعدم إدخالها في المعاجم الجديدة))[(٢)].

وعلق عليه الدكتور إبراهيم أنيس مؤيداً تخليص اللغة من الألفاظ الحوشية والمهجورة[(٣)] وأدى هذا الاقتراح للأستاذ أحمد أمين إلى صدور قرار لمجمع اللغة بالقاهرة في الدورة الثلاثين سنة ١٩٦٤ م وفيما يلي نص القرار :

((من الواجب أن يكون من المعاجم ما يتضمن كل كلمات اللغة، أما وصف بعض الألفاظ بأنها حوشية فذلك اعتبار بلاغي لا لغوي، ولا يستبعد اللفظ من المعاجم بأنه حوشي))[(٤)].

وبهذا رد المجمع الاعتبار للألفاظ القديمة وفتح الباب للإفادة منها في المصطلحات العلمية الجديدة ، فأصبحت القاعدة تنص على تفضيل المصطلحات العربية القديمة على المصطلحات المستحدثة شريطة ألا تكون المصطلحات المستحدثة شائعة في الاستعمال ، وأن تكون المصطلحات القديمة معبرة عن المقصود تعبيراً دقيقاً[(٥)].

وكان لتدخل الشيخين حسين والي وأحمد الأسكندري[(٦)] أثر ظاهر في

---

(١) ينظر :أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٦٦، ومحاضر الجلسات ٧٧/٢.
(٢) في أصول الفقة ٧١.
(٣) في أصول اللغة ١٠٩.
(٤) في أصول اللغة ٧١.
(٥) محاضر الجلسات ٤٣٢/١.
(٦) ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٠٥.

ترجيح كفة المحافظين الداعين إلى الاستعانة بالتراث اللغوي القديم بجميع أوجهه، ومنها الغريب والحوشي والمهجور والممات.

وكان الاتجاه اللغوي في باقي مجامع اللغة العربية مشابهاً لما يدور في أروقـــة مجمع القاهرة فثمة تياران يتنازعان في مجمع دمشق أحدهما محافظ والآخر مجـــدد، يدعو أولهما إلى إحياء التراث اللغوي ، والتحفظ على ظاهرة الاقتراض اللغوي، فثمة باحثون في ذلك المجمع سعوا إلى استثمار رصيد العربية اللغوي – اســتثماراً إيجابياً[(١)].

ومهما يكن من أمر فإن مجامع اللغة – في الجملة – تنظر إلى تراث العربيــة القديم بما فيه من حوشي ومهجور وممات نظرة احـــترام وتقديـــر، وتدعـــو إلى استثمار ذلك الرصيد الوافر لتنمية اللغة والاستعانة به في المصطلحات شـــريطة أن يعالج من قبل لغويين متخصصين ، لا يتقيدون بالمعنى القديم لتلك الألفـــاظ، فقد يعمدون إلى نزع دلالي كامل يطبق على بعض تلك الألفاظ المماتة مثلمـــا فعل العلماء الأوربيون الذين هجموا على الممات في اللاتينية واشتقوا منه كثيراً من مصطلحاتهم[(٢)] بعد تحوير المعنى اللغوي القديم، وتضمينها المعـــنى العلمـــي الجديد.

ويبدو هذا الرجوع إلى القديم واضحاً عند محمود تيمور الـــذي اســـتعمله كثيراً في ((معجم الحضارة)) الذي تتميز مصطلحاته بقدمها و محافظتها[(٣)].

ومن المصطلحات القديمة أو المهجورة أو المماتة التي أحياها بعض المعاصرين

---

(١) ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤١٤، والمصطلحات العلمية في اللغـــة العربيـــة ٦٥،٦٦،٧٥.

(٢) ينظر: اللغة والعلوم ٢٤.

(٣) ينظر : أعمال مجمع اللغة ٤١٥.

ووضعها لما يقابلها من المصطلحات الأجنبيــة : ((زُلّخــة))[١] للتعبــير عــن (LUMBAGO) أحياها عبـد الفتـاح الصعيـدي في بحثـه ((مصطلحـات العلوم))[٢].

ومما أحياه بعض العلماء: ((الوشيعة))[٣] لـ: (LE GRILLAGE)

و((المَثْعَب))[٤] لـ: (LE SIPHON)

و ((السَّحْسَاح))[٥] لـ : (LA DOUCHE)

و ((الشِّمْراخ))[٦] لـ : (PETITE LISTE)

و ((الصَّفْنة))[٧] لـ : (LA TROUSSE)

و ((المَثْبَنَة))[٨] لـ : (LE SACA)

وفي غير المصطلحات تدعو مجامع اللغة الأدباء والكتاب والعلماء للعنايـة بالمفردات المهجورة وإحيائها في كتاباتهم، لأن الكلمة التي تنقرض من لغة المحادثة تأوي إلى ركن شديد في ميادين الشعر أو الأمثال أو الآداب أو الفنون ، فتتوطد لها فيه أسباب المنعة والبقاء[٩]، وتعود إلى الاستعمال عند الحاجـة، وفي هـذا

(١) الزُّلّخة: الزّحلوقة يتزلخ منها الصبيان، أي يتزحلقون . ينظر: القـاموس المحيـط (زلخ) ٣٢٢.

(٢) ينظر: مجلة مجمع القاهرة ج ١٣ ص ٢١٥.

(٣) الوشيعة : خشبة أو قصبة يلف عليها الغَزْل. ينظر: اللسان (وشع) ٨/٣٩٤.

(٤) المثعب: مسيل السطح والحوض ينظر: أقرب الموارد (ثعب) ١/٨٨.

(٥) السَّحْسَح والسحساح : عرصة الدار، عرصة المحلّة. ينظر: اللسان (سحح) ٢/٤٧٧.

(٦) الشمراخ : الغرة التي دقت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الأنف و لم تبلغ الجحفلة . ينظـر: اللسان (شمرخ) ٣/٣١.

(٧) الصَّفْنة : شيء يشبه العيبة يضع فيه الرجل متاعه ينظر : اللسان (صفن) ١٣/٢٧٤.

(٨) المثبنة : كيس تضع فيه المرأة مِرآها وأداها . ينظر : اللسان (ثبن) ١٣/٧٦.

(٩) ينظر : علم اللغة لوافي ٣٠٠.

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي : ((أما نشأة كلمات في اللغة فتدعو إليــها - في الغالب - مقتضيات الحاجة إلى تســمية مســتحدث جديــد مــادّي أو معنوي...

ويتم ذلك بإحدى الوسائل الآتية :

١ - إنشاء الكلمة إنشاء ...

٢ - انتقال الكلمة من اللغة أو اللهجة إلى لغة أو لهجة أخرى ...

٣ - إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات المهجورة في اللغة ...))[١].

وبالجملة ، فإن لمجامع اللغة نشاطاً ملحوظاً مشــكوراً في إحيــاء الممــات والمهجور والحوشي يتلخص في التشجيع على الاستفادة منه فيما يستجد مـــن المعاني والمصطلحات بما يلائم روح العصر، للحد من تسرب الدخيل المعاصر إلى اللغة العربية.

---

(١) علم اللغة لوافي ٢٩٨.

الخـــاتمـــة

والآن؛ وقد انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضاه المنهج وارتضاه البحث، وفق الخطة التي ذكرتها في المقدمة، وإذ انتهيت فيه إلى الصورة التي رجوت، يجدر بي أن أعرض لأبرز ما ورد فيه من أفكار أو حقائق أو نتائج، وهي على النحو التالي :

(أ) من ألفاظ العربية ما يملك مقومات الحياة والبقاء فيبقى، ومنها ما يفقد تلك المقومات فيموت ويفني، فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس التطور والارتقاء ، وليس فيها كسب دائم من النمو والتجدد، فكل نمو في جانب يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر .

(ب) من الألفاظ في العربية ما يُعمر فلا يموت، ولو مضى عليه آلاف السنين، لما فيه من ضروب المناعة الداخلية، كقوة المعنى، ودوامه ، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه، أو المناعة الخارجية، كألفاظ القرآن الكريم التي تكفّل الله – عز وجل – بحفظها.

(ج) لا يكون الموت في الألفاظ أبدياً، فكل لفظ مات واندثر قابل للبعث لتدب فيه الحياة من جديد، وتجري به الألسن بمعناه القديم ، أو بإلباسه معنى جديداً.

(د) للمات في اللغة وجهان رئيسان :

الأول : موت الألفاظ ، وهو موضوع هذا البحث .

الثاني : موت المعاني ؛ أي أن يموت المعنى ويبقى اللفظ لتطور دلالته وانتقالها إلى معنى آخر،كالألفاظ الإسلامية التي تركت معانيها القديمة.

(هـ) الحكم القاطع بموت الألفاظ يقتضي الإطلاع على اللغة كاملة، وهذا من المحال،ولذا يجب الحذر وعدم القطع بالأحكام في الممات، ويحسن الاستئناس بأقوال علماء العربية المتقدمين وإشاراقم في هذا الموضوع؛ لأنهم أقرب عهداً بمنابع اللغة وأصولها، وأكثر إحاطة بكلام العرب.

ويمكن – أيضاً – الاستعانة بمقاييس اللغة، فيقال مثلاً : إن للفعل الملازم للبناء للمجهول فعلاً مبنياً للمعلوم مماتاً ، وإن للاسم الملازم للتصغير مكبراً مماتاً، وإن للجمع الذي لا واحد له مفرداً مماتاً؛ لأن المبني للمجهول والمصغر والجمع فروع، والمبني للمعلوم والمكبّر والمفرد أصول؛ ووجود الفرع في الاستعمال يدلّ على استعمال قديم للأصل .

أما المفرد الذي لا جمع له من لفظه فإنه لا يتعيّن القول بأنّ له جمعاً مماتاً؛ لأن وجود الأصل دون الفرع لا يقتضي ذلك؛ أي: لا يقتضي ظهور الفرع، فيجوز أن يكون الفرع مما لم يستعمل أصلاً، أي أن يكون مهملاً، والمهمل غير الممات .

ومن أظهر الأدلة على هذا المقياس الفعلُ المضارع ، فإن ظهوره في الاستعمال دون الماضي يقتضي القول بأن الماضي ممات، ومن هنا حكم علماء اللغة بإماتة الفعلين ((وَذَرَ)) و ((وَدَعَ)) استدلالاً بمضارعيهما : ((يَذَرُ)) و((يَدَعُ)).

و إن ظهر الماضي في الاستعمال دون المضارع والأمر تعيّن التوقّف في الحكم؛ لأنه لا يستدلّ بالأصل على إماتة الفرع.

(و) جاء الممات في العربية في الأسماء، وجاء في الأفعال – أيضاً. ولم أجد شيئاً منه في الحروف.

ففي الأسماء جاء في : أسماء الأيام، وأسماء الشهور، ومفرد بعض المثنيات أو

الجموع، ومكبّر بعض الأسماء المصغرة، وأسماء متفرقة زالت بزوال معانيها .

وفي الأفعال جاء في أفعال أميتت صيغها وتصريفاتها بالكامل، وأفعال أميت المجرد منها دون المزيد، وأفعال أميتت بعض تصريفاتها، وأفعال مبنية للمجهول أميت المبني للمعلوم منها.

(ز) تموت الألفاظ لأسباب عديدة، وهي ترجع – في الجملة – إلى سببين أوعاملين رئيسين:

أحدهما : العامل الصوتي .

والآخر : العامل الدلالي .

وهذا الأخير هو العامل الفعال فيما يتصل بإماتة الألفاظ ، وإليه يعود موت كثير من الألفاظ المشهورة في العربية ، وللإماتة في هذا العامل عدة أسباب ، من أبرزها :

١– زوال المعنى .

٢– الاستغناء .

٣– العامل الديني .

٤– العامل الاجتماعي .

(ح) يمكن أن يعد إحياء الممات وسيلة فعالة من وسائل تنمية اللغة العربية من داخلها ، إذا أُريد المحافظة على نقاء اللغة والحدّ من ظاهرة الاقتراض فيها بشقيها المعرب والدخيل.

(ط) لعلماء العربية القدامى والمحدثون موقفان متضادّان في إحياء الممات، وهم في ذلك فريقان:

فريق لا يجيز إحياء الممات .

وفريق يجيزه ، ويرى أن يستعان به في تنمية اللغة.

(ي) لمجامع اللغة العربية نشاط ملحوظ في إحيـاء الممـات يتلخـص في التشجيع على الاستفادة من ممات العربية فيما استجد من المعاني والمصطلحـات وإحياء ما يلائم روح العصر منه ، والحد من تسرب الدخيل المعاصر إلى اللغـة، ليكون أحد الوسائل النافعة التي يمكن أن تمد العربية بكلمات جديدة تدعو إليها الحاجة ومقتضيات العصر.

(ك) لظاهرة موت الألفاظ في اللغة العربية مصطلحـات متعـددة عنـد اللغويين القدامى، مثل: ((الممات)) و((المتروك)) و((المـهجور)) و((العُقمـيّ)) و((الاستغناء)) و((المنقرض)) و((البقايا الأثرية)) و((الكلمات التاريخية)) وهـي مترادفة في معناها إلى حد كبير .

وقريب منها : ((الحوشي)) و((النـادر)) و((الشـارد)) و((الغريـب)) و((المذموم)) و((المرغوب عنه)) و((المنكر)) و((الرديء)) و((القبيح)).

الفهـــــــارس

فهـــرس اللغـــة

فهرس المصادر والمراجع

١ – ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، للشرجي الزبيـدي ، بتحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧هـ.

٢ – الآثار الباقية عن القرون الخالية، لأبي الريحان البيروني، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٣ – الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، بتحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٩هـ.

٤ – إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل، لابن علان الصدّيقي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥ – أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، لعباس أبو السعود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.

٦ – الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧ – الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب، بتحقيق الدكتور حنّا جميل حداد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

٨ – الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي، بتحقيق عبد المعين الملوحي، منشورات المجمع العلمي بدمشق ١٣٩١هـ.

٩ – أسرار العربية ، لأبي البركات الأنباري، بتحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق ١٣٧٧هـ.

١٠ – أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١١ – إسفار الفصيح، لأبي سهل الهروي، بتحقيق الدكتور أحمد سعيد قشاش، (رسالة دكتوراة في الجامعة الإسلامية لعام ١٤١٦هـ)

١٢ – الاشتقاق، لابن دريد، بتحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ.

١٣ – الاشتقاق والتعريب، لعبد القادر المغربي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ.

١٤ – إصلاح المنطق، لابن السكيت، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٩م، الطبعة الثالثة.
١٥ – أصوات اللغة العربية، للدكتور عبد الغفار حامد هلال، القاهرة ١٤٠٨هـ.
١٦ – الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩م.
١٧ – الأصول في النحو، لابن السراج، بتحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٨ – إعراب القرآن، للنحاس، بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية.
١٩ – أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، للدكتور محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.
٢٠ – الأفعال، للسرقسطي المعافري، بتحقيق الدكتور حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر ١٣٩٥هـ.
٢١ – الأفعال، لابن القطاع، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ.
٢٢ – الأفعال لابن القوطية، بتحقيق علي فوده، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية.
٢٣ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، بتحقيق محمد حامد الفقي ، المكتبة السلفية، لاهور ١٣٩٨هـ .
٢٤ – أقرب الموارد إلى فِصَح العربية والشوارد، لسعيد الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٨٩م.
٢٥ – أمالي الزّجّاجيّ، لأبي القاسم عبد الرحمن الزّجّاجيّ، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
٢٦ – الأمالي، لأبي علي القالي، بتحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية ١٩٢٦م.
٢٧ – الإملاء والترقيم في الكتابة، لعبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة ١٣٩٥هـ.

٢٨ – الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحيــاء التراث، القاهرة.
٢٩ – الأيام والليالي والشهور، للفراء، بتحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإســلامية، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ الطبعة الثانية.
٣٠ – الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب، بتحقيق الدكتور موسى بنّاي العليلــي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٨٢م.
٣١ – البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثانية.
٣٢ – تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
٣٣ – تاريخ آداب العرب، للرافعي، دار الكتاب العربي ١٣٩٤م.
٣٤ – تاريخ آداب اللغة العربية، لجورجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٣م.
٣٥ – تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القــاهرة الطبعة الخامسة.
٣٦ – تاريخ اللغات السامية،لولفنسون، دار القلم، بيروت ١٩٨٠م.
٣٧ – تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم العربي، للدكتور عبد الرزاق فــراج الصاعدي (رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية ١٤١٤هـ)
٣٨ – التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك، بتحقيق الدكتــور محمــد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ.
٣٩ – تصحيح الفصيح، لابن درستويه، بتحقيق الدكتور عبــد الله الجبــوري، مطبعــة الإرشاد، بغداد ١٣٩٥هـ.
٤٠ – التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، بيروت.
٤١ – تصريف الأسماء، للشيخ محمد الطنطاوي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ الطبعة السادسة.
٤٢ – تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، للشيخ عبد الحميد عنتر، مطابع الجامعة الإسلامية المدينــة المنورة ١٤٠٩هـ.
٤٣ – التطور اللغوي مظاهره وعِلله وقوانينه، للدكتور رمضان عبد التــواب، مكتبــة الخانجي القاهرة ودار الرفاعي الرياض ١٤٠٤هـ.

٤٤ – التطور النحوي في اللغة العربية، لبرجشتراسر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض ١٤٠٢هـ.
٤٥ – تفسير رسالة أدب الكاتب، للزّجّاجيّ، بتحقيق الدكتور عبد الفتاح سليم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٣م.
٤٦ – التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني، بتحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرين، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م.
٤٧ – تهذيب اللغة، للأزهري، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة ١٣٨٤هـ.
٤٨ – توهم الميت حياً، مقال لعبد القادر المغربي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٢٢ السنة ١٩٣٢م المجلد ٦،٥ .
٤٩ – الجمهرة (جمهرة اللغة) لابن دريد، بتحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.
٥٠ – حاشية الشيخ ياسين الحمصي على التصريح، دار الفكر، بيروت.
٥١ – الحماسة، لأبي تمام، بتحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان، المجلس العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠١هـ.
٥٢ – حماسة البحتري، بتحقيق كمال مصطفى، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٩م.
٥٣ – الحيوان، للجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ومصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٥٤ – خزانة الأدب، للبغدادي، بتحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ١٤٠٩هـ، الطبعة الثالثة.
٥٥ – الخلاف بين النحويين ، للدكتور السيد رزق الطويل، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ .
٥٦ – دراسات في العربية وتاريخها، لمحمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي، ومكتبة دار الفتح، دمشق ١٣٨٠هـ.
٥٧ – دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.

٥٨ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، بتحقيق الدكتور أحمد الخـــراط، دار القلم، دمشق ١٤٠٦هـ.

٥٩ – الدلالات الجديدة في المعجم الوسيط (دراسة تحليلية) لعبد السلام بن عبد الرحمــن العوفي (رسالة ماجستر في معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن ســعود ١٤١٦هـ).

٦٠ – دور الكلمة في اللغة، لستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشــباب ١٩٩٠م.

٦١ – دليل الباحث اللغوي في الدوريات العربية، لمحمد خيرة بدرة ، وثريا كرد علــي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ.

٦٢ – ديوان أبي الأسود الدؤلي، بتحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦٤م.

٦٣ – ديوان الراعي النميري، بتحقيق راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشـرقية، بيروت ١٤٠١هـ.

٦٤ – ديوان طرفةبن العبد، المكتبة الثقافية، بيروت.

٦٥ – ديوان القطامي، بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافــة، بيروت، ١٩٦٠م.

٦٦ – ديوان ابن مقبل، بتحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومــي، دمشــق ١٣٨١هـ.

٦٧ – الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، بتحقيق الدكتور حاتم صــالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ.

٦٨ – الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي، عارضه بأصوله وعلّق عليه حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة ١٩٥٧م.

٦٩ – الساميون ولغاهم، للدكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ.

٧٠ – سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٧١ – سنن أبي داود، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٢ – سنن ابن ماجة، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٧٣ – شرح الشافية للرضي، بتحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ.
٧٤ – شرح الشواهد، للعيني، طبع بهامش الخزانة، بولاق ١٢٩٩م.
٧٥ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
٧٦ – شرح فصيح ثعلب، للجبّان، بتحقيق عبد الجبار قزّاز، المكتبة العلمية، لاهور ١٤٠٦هـ.
٧٧ – شرح القصائد السبع الطوال، للأنباري، بتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م.
٧٨ – شرح القصائد المشهورات، لابن النحاس، دار الباز، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.
٧٩ – شرح قطر الندى، لابن هشام، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، بيروت.
٨٠ – شرح الكافية الشافية، لابن مالك، بتحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.
٨١ – شرح مختصر التصريف العزي، للتفتازاني، بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت ١٩٨٣م.
٨٢ – شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٨٣ – الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، بتحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م.
٨٤ – الصحاح، للجوهري، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
٨٥ – صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.
٨٦ – ضعيف الجامع الصغير وزياداته ، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ .
٨٧ – العباب (حرف الفاء) للصغاني، بتحقيق محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م.

٨٨ – العربية، ليوهان فك، بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٠هـ.

٨٩ – علم اللغة، لعلي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٣٨٢هـ.

٩٠ – عوامل التطور اللغوي، للدكتور أحمد عبد الرحمن حمّاد، دار الأندلس، بيروت ١٤٠٣هـ .

٩١ – عوامل تنمية اللغة العربية، للدكتور توفيق شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٩٢ – العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ، للدكتور عدنان الخطيب، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٦هـ .

٩٣ – العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٨هـ.

٩٤ – غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، بتصحيح محمد عظيم الدين، حيدر آباد ١٣٨٤هـ.

٩٥ – فصول في فقه اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ.

٩٦ – الفصيح، لأبي العباس ثعلب، بتحقيق عاطف مَدْكور، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

٩٧ – فعلت وأفعلت، لأبي إسحاق الزجاج، بتحقيق ماجد الذهبي، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ١٤٠٤هـ.

٩٨ – فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٩٩ – فقه اللغات السامية، لبروكلمان، بترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٧هـ.

١٠٠ – فقه اللغة المقارن، للدكتور إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣م.

١٠١ – فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.

١٠٢ – فقه اللغة وسرّ العربية، للثعالبي، بتحقيق سليمان سليم البــوّاب، دار الحكمــة، دمشق ١٤٠٩هــ.
١٠٣ – الفلسفة اللغوية، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت ١٩٨٢م.
١٠٤ – في أصول الكلمات، للدكتور محمد يعقوب تركستاني، بيروت ١٤١٢هــ.
١٠٥ – في أصول الفقه ، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٨٨هــ – ١٩٦٩م .
١٠٦ – في أصول النحو، لسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت.
١٠٧ – في شعاب العربية، للدكتور إبراهيم السامرائي، دار الفكر المعاصر، بـيروت، دار الفكر، دمشق.
١٠٨ – في علم الصرف، للدكتور أمين علي السَّيِّد، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.
١٠٩ – القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هــ.
١١٠ – الكتاب، لسيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هــ.
١١١ – كنــز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لابن حسام الهندي، بتحقيق بكـــري حياني وصفوة السقا، مكتبة التراث الإسلامي، حلب ١٣٩١هــ.
١١٢ – اللآلي في شرح أمالي القالي، لأبي عبيد البكري، بتحقيق عبد العزيز الميمــني، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٤هــ الطبعة الثانية.
١١٣ – لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
١١٤ – اللغة، لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخليّ ومحمد القصّــاص، لجنــة البيــان العربي، القاهرة ١٩٥١م.
١١٥ – اللغة العربية كائن حي، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.
١١٦ – اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمّــام حســان، الهيئــة المصريــة العامــة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
١١٧ – اللغة والعلوم ،لمحمد كامل حسين ، مقال في مجلة مجمع القاهرة ج ١٢ .
١١٨ – المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، لابن جني، بتحقيـــق الدكتــور حســن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار المنارة، بيروت ١٤٠٧هــ.
١١٩ – المثنى، لأبي الطيب اللغوي، بتحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمــي العربي بدمشق ١٣٨٠هــ ١٩٦٠م.

١٢٠ – المجلة العربية، السنة الخامسة، العدد (١).
١٢١ – مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد .
١٢٢ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
١٢٣ – مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
١٢٤ – مجلة المشرق ، سنة ١٩٣١، المجلد ٢٩ .
١٢٥ – مجمل اللغة، لابن فارس، بتحقيق محسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ.
١٢٦ – المجموع، للنووي، بتحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الفجالة، القاهرة ١٣٩١هـ.
١٢٧ – المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، للأصفهاني، بتحقيق عبد الكريم العزباوي، منشورات مركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ١٤٠٦هـ.
١٢٨ – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، بتحقيق عبد الحليم النجار وعلي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح شلبي ، دار سزكين للطباعة ١٤٠٦هـ.
١٢٩ – محاضر الجلسات ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٣٦ – ١٩٦٢م.
١٣٠ – المحكم والمحيط الأعظم،لابن سيده، بتحقيق جماعة من العلماء، القاهرة ١٣٧٧هـ.
١٣١ – المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عبادة ، بتحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت ١٤١٤هـ.
١٣٢ – مختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، عني بنشره برجشتراسر، مكتبة المثنى، القاهرة.
١٣٣ – المخصص لابن سيده، بعناية محمد محمود التركزي الشنقيطي ومعاونة عبد الغني محمود، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣٢١هـ.
١٣٤ – مروج الذهب، للمسعودي، بعناية يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت ١٤٠٤هـ الطبعة السادسة.

١٣٥ – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، بتحقيق محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت.
١٣٦ – المسائل البصريات، لأبي علي الفارسي، بتحقيق الدكتور محمد الشاطر،مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣هـ.
١٣٧ – المسائل العسكرية، لأبي علي الفارسي، بتحقيق الدكتور محمد الشاطر، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣هـ.
١٣٨ – المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، بتحقيق الدكتور محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.
١٣٩ – مستدرك الحاكم (المستدرك على الصحيحين) حيدر آباد (بدون تاريخ).
١٤٠ – مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .
١٤١ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، بتحقيق عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت.
١٤٢ – مصطلحات العلوم، لعبد الفتاح الصعيدي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج١٣.
١٤٣ – المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، للأمير مصطفى الشهابي، دار صادر، بيروت ١٤١٦هـ .
١٤٤ – معاني القرآن، للفراء، بتحقيق محمد علي النجار ورفيقيه، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ.
١٤٥ – معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٤٠٤هـ.
١٤٦ – معجم الشعراء، للمرزباني، بتحقيق عبد الستار فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٩هـ.
١٤٧ – المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦م.
١٤٨ – معجم ما استعجم، للبكري، بتحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ.
١٤٩ – المعجم المفصل في النحو العربي، للدكتورة عزيزة فوّال بابتي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٥٠ – المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس و رفاقة، دار الفكر، بيروت.
١٥١ – المغني في تصريف الأفعال، لمحمد عبد الخالق عضيمة، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.
١٥٢ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، بتحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.
١٥٣ – المفصل في علم العربية، للزمخشري، دار الجيل، بيروت.
١٥٤ – المفضليات، للمفضل الضّبي، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت ١٩٦٤م.
١٥٥ – مقاييس اللغة، لابن فارس، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إيران، قم.
١٥٦ – المقتضب، للمبرد، بتحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
١٥٧ – المقرب، لابن عصفور، بتحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩١هـ.
١٥٨ – من أسرار اللغة، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .
١٥٩ – المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ الطبعة الثالثة.
١٦٠ – المنهل المأهول في الفعل المبني للمجهول، لابن ظهيرة القرشي المكي، نسخة خطية، أصلها محفوظ في مكتبة الحميدية برقم ٣٨٧.
١٦١ – المولد في العربية، للدكتور حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٦٢ – نشوء اللغة ونموها واكتهالها، للأب أنستاس ماري الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت.
١٦٣ – النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير، بتحقيق طاهر الزاوي والدكتور محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٤ – النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ.

١٦٥ – الهمزة في الإملاء العربي، للدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، بيروت ١٤١٥هـ الطبعة الثانية.

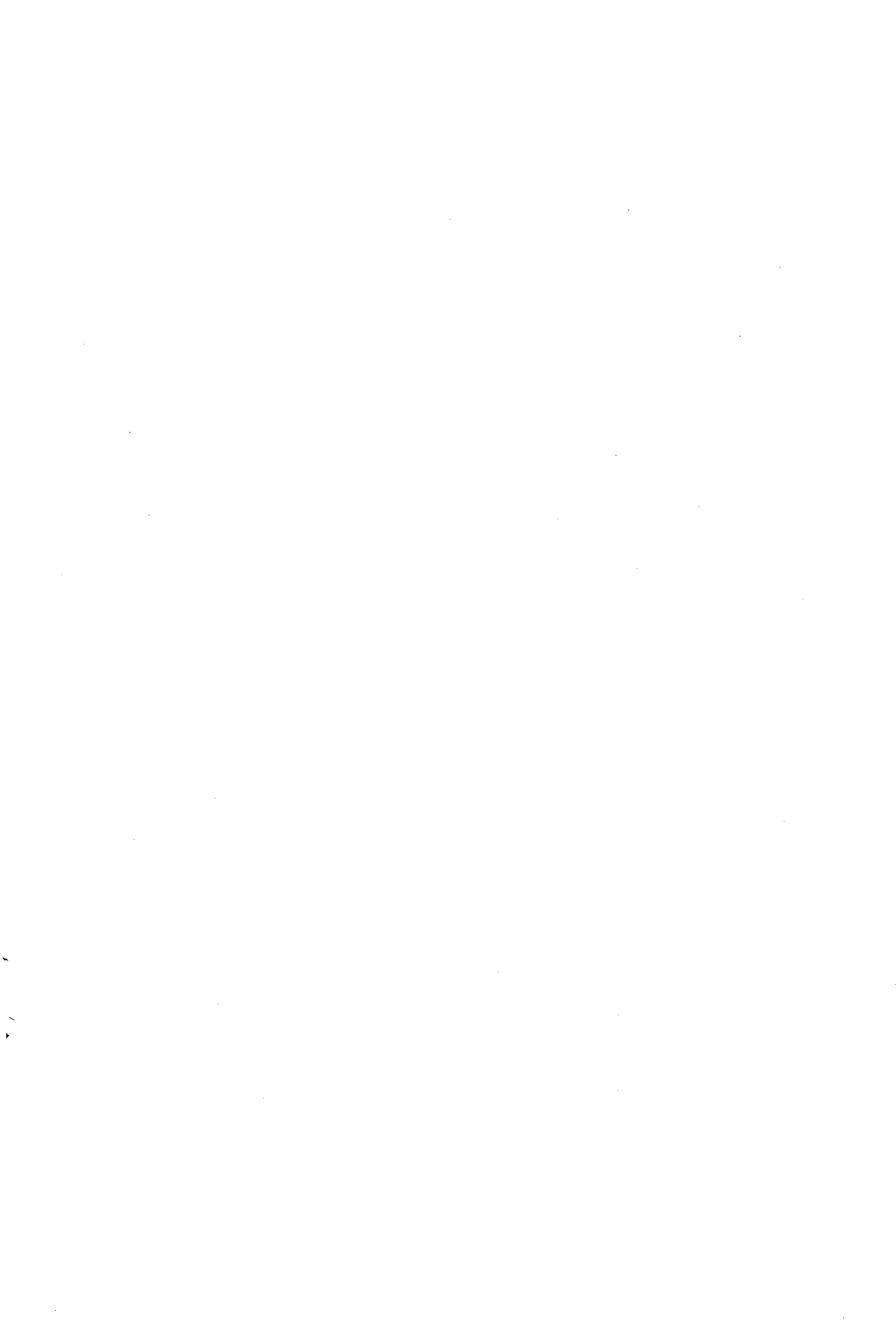
فهـرس الموضـوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الباب الرابع

إحـــياء الممـــات

الفهـــــــــارس

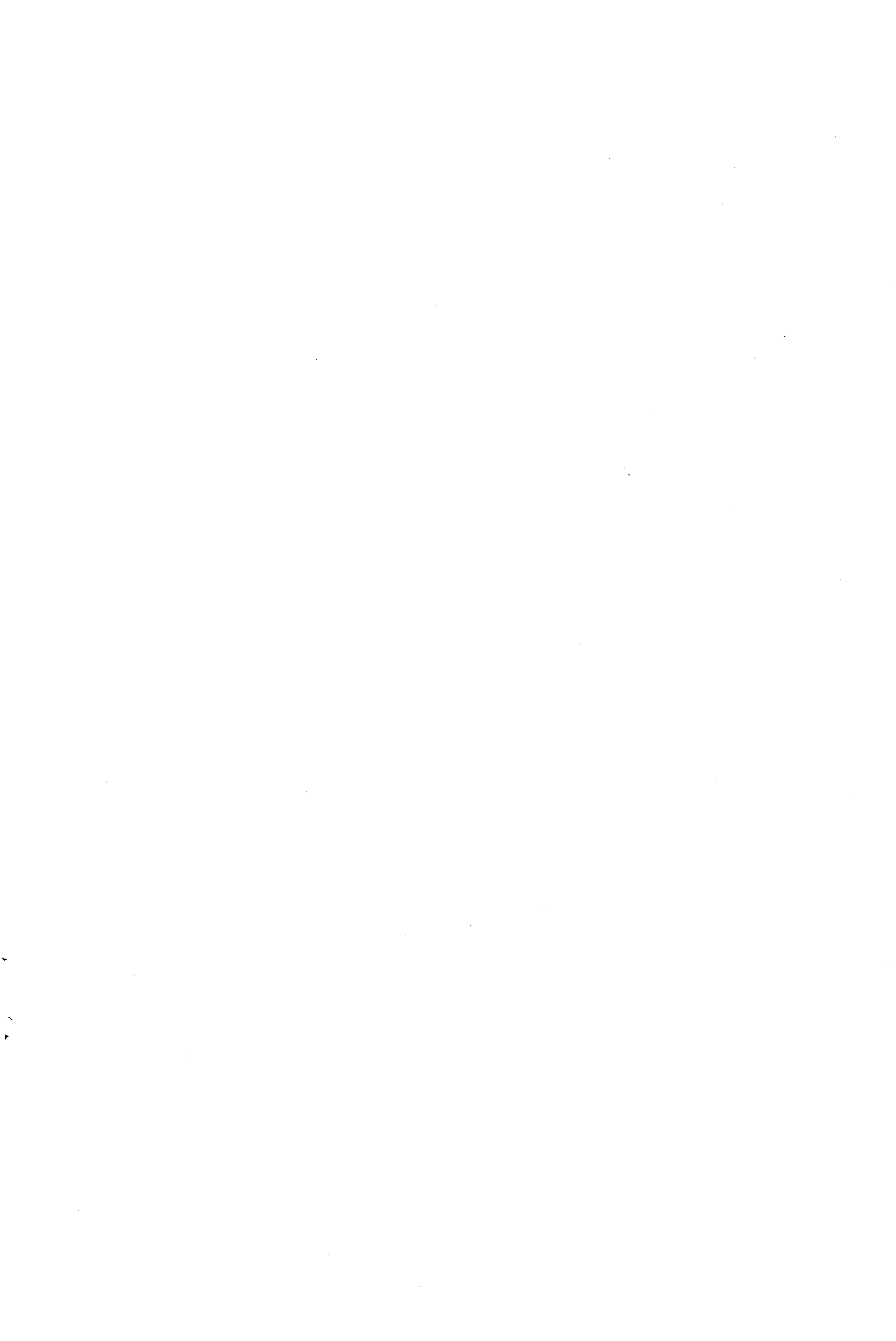




بقلم :

د. إبراهيم بن سليمان البعيمي

كلّيّة اللّغة العربيّة — الجامعة الإسلاميّة



مقـــــدمـــة

الحمد لله منزل الكتاب بلسان عربي مبين لم يجعل له عوجاً ، أنزله على خير خلقه أفصح من نطــق بالضاد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أشــهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يـــوم البعث.

أمّا بعد: ففي ليلة من الليالي كنت أُهاتف زميـــلاً لي في القســـم وتطـرّقَ الحديث بيننا إلى المنصوب على التقريب عند الكوفيين، وأنه من المصطلحـــات الطريفة الجديرة بإفرادها بالبحث فأشار عليَّ أن أنتدب لهـــذه المَهَمَّـــةِ قلمـــي وأكتب فيه ما يوضح ذلك المصطلح ويجليه للقُرّاء ولاسيمّا أنَّ كثيراً من طلبـــة العلم يخفى عليهم المراد منه فقلت له عليك به فاعتذر بما لديه من أعمال تشـغله عن الكتابة فيه فاستعنت بالله تعالى وأخذت أنقِّب عن ما دوّن حوله فإذا أطـــول ما كُتب عنه لا يزيد عن وريقات معدودات في تعريفه أو عرض موجز لأحكامه دون بسط وتوضيح شاف لها، ثم رجعت إلى المصـــــادر الأصيلـــة أســتقرئها، وأستنبط منها ما أُهمل، أو أوجز في أحكامه؛ فإذا به بادئ الأمر يستحق أن يفرد ببحث، و بعد أن استوى الموضوع على سوقه من خلال القراءة والموازنة بـــين الآراء اتضح لي أنه كما قال جريرٌ عن شعر ذي الرُّمة: نقط عروس وأبعار ظباء، وأكبرت عندها البصريين وعلمت أنَّ سرَّ انتشار مذهبهم واستمراره؛ إنما هو من قوّة قواعدهم التي بنوا مذهبهم عليها ، وأن العلماء المتأخرين وازنوا بين المذهبين فتبيَّن لهم رجحان المذهب البصري فأخذوا به.

من خلال هذا البحث أوضحت قواعد النصب على التقريب عند الكوفيين من مؤلفاتهم: تعريفه، وشروط إعماله عندهم، وموانعه، وأحكامه، والفرق بينه وبين الحال في مذهبهم، ثم الفرق بين الحال والقطع عندهم، وما يعمل وما لا يعمل من أسماء الإشارة، وتتبّعت القرآن أستنبط منه الشواهد فتحقق لي منه والحمد لله ما لم أسبق إليه ، وكذلك من كلام العرب المبثوث في المصادر الموثوق بها، ثم عرّجت على كتب البصريين أستقرئها، و أُوازن بينها وبين ما عند الكوفيين فأبرزت السبب المانع الذي جعل البصريين لا يقرّون بالتقريب ولا يقولون به رغم جعجعة ثعلب واتهامه سيبويه بأنه لا يعرف التقريب عندما يقول: «قال سيبويه: هذا زيد منطلقاً فأراد أن يخبر عن هذا بالانطلاق ولا يخبر عن زيد، ولكنه ذكر زيداً ليُعْلَمَ لمن الفعل. قال أبو العباس: وهذا لا يكون إلا تقريباً وهو لا يعرف التقريب»[1]!

وذاك السبب هو الذي جعل القول بإعمال التقريب يموت وليداً؛ حتى إنّ ابن شقير البغدادي تلميذ ثعلب لا يذكر التقريب في كتابه «المُحلَّى وجوه النصب»، بل يعده حالاً كما يقول البصريون ، لا خبراً لاسم الإشارة كما يقول الكوفيون ، وإن كان يستعمل مصطلح «قطع» بدل حال والقطع مصطلح كوفي يقابله عند البصريين الحال.

وقد جعلت البحث في فصلين:

الفصل الأول: التقريب عند الكوفيين

وتحته مباحث:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: شروط إعماله.

(١) مجالس ثعلب: ٤٣.

المبحث الثالث: التقريب وضمير الفصل.

المبحث الرابع: توسيط الخبر.

المبحث الخامس: تقديم معمول الخبر عليه.

المبحث السادس: مجيء الخبر معرفة.

المبحث السابع: مجيء الخبر جملة.

المبحث الثامن: دخول العوامل اللفظية على عامل التقريب.

المبحث التاسع: حكم التقريب.

المبحث العاشر: القياس في إعمال اسم الإشارة.

المبحث الحادي عشر: العامل من أسماء الإشارة.

المبحث الثاني عشر: التقريب والحال عند الكوفيين.

المبحث الثالث عشر: الحال والقطع عند الفراء.

الفصل الثاني: البصريون والتقريب.

وتحته مباحث:

المبحث الأول : التقريب عند سيبويه.

المبحث الثاني: الحال والتقريب عند البصريين:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقسام الحال من حيث التبيين والتأكيد.

المطلب الثاني: التقريب عند البصريين.

المبحث الثالث: رأي البصريين في القريب.

المبحث الرابع: عامل الحال المضمَّن عند البصريين.

المنصوب على التقريب

الفصل الأول : التقريب عند الكوفيين

وتحته مباحث:

المبحث الأول تعريفه

المنصوب على التقريب مصطلح كوفي يراد به: إعمال أسماء الإشارة في الجمل الاسمية عمل كان فيرتفع ما كان مبتدأً على أنه اسم للتقريب ويُنْصَبُ الخبر على أنه خبر له[١] نحو: هذه الشمسُ طالعةً، وهذا الأسدُ مقبلاً وجعلوا منه قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٢] حسب قراءة الجمهور بنصب «شيخاً» على الخبرية لاسم الإشارة وقوله تعالى﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾[٣] وقوله تعالى ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[٤] وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾[٥] وقوله تعالى ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ﴾[٦] بفتح

---

(١) ينظر في تعريف التقريب: دراسة في النحو الكوفي: ٢٣٧، ومصطلحات النحو الكوفي: ٩٤، ومعجم مصطلحات النحو والصرف: ٢٤٧.

(٢) هود: ٧٢، وقراءة النصب هي قراءة الجمهور، وقرأ برفع شيخ ابن مسعود والأعمش والمطوعي.

ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٣، ومعاني القرآن للأخفش: ٢/٣٥٦ ونسباها لابن مسعود، والمحتسب: ١/ ٣٢٤ وعزاها للأعمش، اتحاف فضلاء البشر: ٢٥٩ وعزاها للمطوعي.

(٣) الأنعام: ١٢٦.

(٤) الأعراف: ٧٣.

(٥) الأنعام: ١٥٣ .

(٦) هود : ٧٨، وقراءة الجمهور أطهرُ بالرفع، وقرأ بالنصب الحسن البصري وعيسى بن عمر كما في معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٣٥٦، ورويت عن مروان بن الحكم وزيد بن علي وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان والسُّدِّي.

ينظر في هذه القراءة: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٢٩٥، وشواذ القراءات لابن خالويه: ٦٥، والمحتسب: ١/ ٣٢٥.

الراء من أطهرَ وجَعْل الضمير (هنّ) ضميرَ فصل[1]، وقول جـــريـــر :

هَذا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيْفَةً   لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَيَّ قَطِيْنا[2]

وقول رؤبة:

مَنْ يَــكُ ذا بَــتٍّ فَهَذا بَتِّي   مُقَيِّــظٌ مُصَيِّــفٌ مُشَــتِّي[3]

يجوز عند النحاة النصب والرفع في : (مقيظ مصيِّف مشتِّي) فمن رفع فعلى تعدد الخبر، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف عند من لا يجيز تعدد الخبر، وتوجيـــه النصب إمّا على التقريب[4] على رأي الكوفيين أو حال كما يقول البصريـــون وهو ما سنناقشه إن شاء الله تعالى لاحقاً.

وقال السيوطي في الهمع: «وذهب الكوفيون إلى أن هذا وهذه إذا أريـــد بهما التقريب كانا من أخوات كان في احتياجهما إلى اســـم مرفـــوع، وخـــبر منصوب، نحو : كيف أخاف الظلم وهذا الخليفةُ قادماً وكيف أخاف البرد وهذه الشمسُ طالعةً وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثـــاني

(١) لم يرض البصريون بهذه القراءة؛ ولحّنوا من قرأ ها بالنصب ؛ لأنها تجعل الضمير هنّ فصلاً، وهم يعربون الضمير هنا مبتدأ خبره أطهر، قال أبو عمرو بن العلاء: «احتبى ابن مـــروان في اللحنِ حين قرأ ﴿هنَّ أطهرَ﴾ بالفتح» قال سيبويه: ٣٩٦/٢ «وأمـــا أهـــل المدينـــة فَيَنَـــزِّلُوْنَ هو هاهنا بمنزلته بين المعرفتين، ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع، فزعم يونـــس أن أبا عمروٍ رآه لحناً، وقال: احتبى ابن مروان في ذه في اللحن. يقول لحن وهو رجل مـــن أهل المدينة كما تقول اشتمل بالخطأ وذلك أنه قَرَأَ: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِيْ هُـــنَّ أَطْـــهَرَ لَكُـــمْ﴾ فنصب»أهـــ.

(٢) البيت من الكامل وهو في ديوان جرير: ٣٨٨، وانشده ابن شقيرفي المحلّى وجوه النصـــب ٧، وابن الشجري في أماليه: ١٠/٣.

(٣) بيتان من مشطور الرجز في ملاحق ديوان رؤبة: ١٨٩، وهما في معاني القـــرآن للفـــراء: ١٧/٣، ومعاني القران للأخفش: ٣٧، والأصول لابن السراج: ١٨٣/١، والمحلى لابـــن شقير ٨.

(٤) ينظر المحلّى وجوه النصب: ٨.

له في الوجود نحو هذا ابن –صيّاد أشقى الناس فيعربون هذا تقريباً، والمرفوع اسم التقريب، والمنصوب خبر التقريب؛ لأن المعنى إنما هو عن الإخبار عن الخليفة بالقدوم، وعن الشمس بالطلوع، وأُتي باسم الإشارة تقريباً للقدوم والطلوع، ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران؟ وأيضاً فالخليفة والشمس معلومان فلا يحتاجان إلى تبيينهما بالإشارة إليهما، وتبيّن أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه بالمنصوب؛ لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختلَّ المعنى كما لو أسقطت كان من كان زيد قائماً»[1].

من هذا النص يتضح لنا مراد الكوفيين بالتقريب وشروط الإعمال عندهم، إذ مراد الكوفيين من التقريب هو إعمال اسم الإشارة عمل كان، و احتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب.

المبحث الثاني شروط إعماله

هم يشترطون لإعمال اسم الإشارة شروطاً:

الأول: هو أن يكون الاسم الواقع بعد اسم الإشارة لا ثاني له في الوجود كالشمس والقمر والخليفة وما أشبه ذلك، أو أن يكون الاسم الواقع بعدها معبّراً به عن جنسه لا عن واحد بعينه كالمحلى بـ(أل) مثلاً كقولك ماكان من الأُسْدِ غير مخوف فهذا الأَسَدُ مخوفاً، ولكن الذي يظهر أنَّ الكوفيين لم يلتزموا بهذا الشرط؛ لأن ثعلباً يقول في أماليه : «وقال سيبويه: هذا زيدٌ منطلقاً فأراد أن يخبر عن هذا بالانطلاق، ولا يخبر عن زيد، ولكنه ذكر زيداً لـيُعْلَمَ لمن الفعل قال أبو العباس: وهذا لا يكون إلا تقريباً، وهو لا يعرف التقريب، والتقريب مثل كان»[2].

---

(١) همع الهوامع: ٢/ ٧١.

(٢) مجالس ثعلب: ٤٣.

فكما ترى اعتدَّ ثعلب بالتقريب هنا، وغمز سيبويه بأنه لا يعرف التقريب، والمثال المذكور لم تتحقق فيه شروطهم من كونه اسماً معبّراً به عن جنسه أوكونه لا ثاني له في الوجود، إذ زيد علم على ذات تتكرر التسمية به، وللبصريين أن يقولوا أنت لم تلتزم بما اشترطته على نفسك؛ إذ كيف تغمز سيبويه هنا بأنه لا يعرف التقريب بمثال لم تتحقق فيه الشروط.

وهذا يدل على أنهم لم يلتزموا بذاك القيد التزاماً دقيقاً.

الثاني: أن يكون اسم الإشارة دخوله كخروجه؛ في أن الجملة الاسمية تامّة بالمرفوع بعده والمنصوب، قال ثعلب في أماليه «وكلما رأيت إدخال هذا وإخراجه واحداً فهو تقريب، مثل: من كان من الناس سعيداً فهذا الصيّاد شقيًّا، وهو قولك فالصياد شقيٌّ فتسقط هذا وهو بمعناه»[1].

الثالث: ألا يتقدّم اسم التقريب على اسم الإشارة فلا يصح أن يقال: الشمس هذه طالعةً بنصب طالعة على التقريب قال ثعلب «والتقريب مثل كان إلا أنه لا يقدّم في كان لأنه ردّ كلام فلا يكون قبله شيء»[2]، إلا إذا كان اسم التقريب ضميراً فيقدم على اسم الإشارة قال الفراء «العرب إذا جاءت إلى اسم مكني قد وصف بهذا وهذان وهؤلاء فرَّقوا بين (ها) وبين (ذا) وجعلوا المكني بينهما، وذلك من جهة التقريب لا في غيرها... فإذا كان الكلام على غير تقريب أو مع اسم ظاهر جعلوا (ها) موصولة بـ(ذا) فيقولون: هذا هو، وهذان هما إذا كان على خبر يكتفي كلُّ واحد بصاحبه بلا فعل، والتقريب لا بدَّ فيه من فعل لنقصانه، وأحبُّوا أن يفرِّقوا بذلك بين معنى التقريب وبين معنى الاسم الصحيح»[3].

---

(١) المرجع السابق: ٤٤.

(٢) المرجع السابق: ٤٣.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٢٣١،٢٣٢.

وقال ثعلب أيضاً «وإذا صاروا إلى المكني جعلوه بين (ها) و(ذا) فقالوا : ها أنا ذا قائماً وجاء في القرآن بإعادتها[(١)]، ويقولون هانحن ألاء وها نحن هؤلاء أعادوها وحذفوها، وهذا كله مع التقريب»[(٢)].

ولعل الذي حملهم على القول بعدم تقدم اسم التقريب على اسم الإشارة إذا كان اسماً ظاهراً هو أن إعمال اسم الإشارة محمول على كان وكان لا يصح أن يتقدّم اسمها عليها، فكذلك ما حمل عليها، أما جواز تقدم اسم التقريب إذا كان ضميراً على اسم الإشارة فبسبب توسطه بين حرف التنبيه واسم الإشارة مما يجعله تقدم في اللفظ لا في المحل؛ لأن الضمير فَصَلَ بين حرف التنبيه واسم الإشارة، وهما في حكم المتلازمين فهو وإن تقدم لفظاً إلا أنه مؤخر محلاًّ؛ لأنه فَصل بين متلازمين[(٣)].

وللبصريين الذين يجيزون أن يكون العامل في الحال في قولك ها أنا ذا قائماً إنما هو فعل محذوف وهو أُنَبِّهُ دل عليه حرف التنبيه (ها) أن يقولوا اسم التقريب في هذا المثال لم يتقدّم على عامله.

---

(١) أي بإعادة ها التنبيهية مع اسم الإشارة كما في قوله تعالى ﴿ها أَنْتُمْ هَؤلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ آل عمران ٦٦، ومثال حذفها قوله تعالى: ﴿ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ ولا يُحِبُّونَكُمْ﴾ آل عمران ١١٩.

(٢) مجالس ثعلب : ٤٣.

(٣) هناك خلاف بين سيبويه وابن مالك في نحو ها أنا ذا إذ يرى سيبويه أن (ها) في هذا الأسلوب ليست مقدمة من تأخير، وإنما هي حرف تنبيه جديد بدليل الجمع بينه وبين حرف التنبيه المتصل باسم الإشارة في نحو ها أنتم هؤلاء، قال فلو كانت (ها) هاهنا هي التي تكون أوّلاً إذا قلت هؤلاء لم تُعَد (ها) هاهنا بعد أنتم، وقال ابن مالك إنّ «ها» الداخلة على الضمير هي التي مع اسم الإشارة وفصل بينهما بالضمير قال وقد تعاد بعد الفصل توكيداً.

رأي سيبويه في الكتاب:٢/٣٥٤، ورأي ابن مالك في شرح التسهيل: ١/ ٢٤٤ وينظر في المسألة الجنى الداني: ٣٤٧، ومغني اللبيب:٤٥٦،وجواهر الأدب للإربلي: ٥٠٨.

الرابع: ألاّ يتقدم الخبر على اسم الإشارة فلا يصح أن يقال شقيّاً هذا الصياد لما في عموم قول ثعلب السابق «فلا يكون قبله شيء» ؛ ولأن من قواعد الكوفيين عدم جواز تقدم الحال على عاملها ، إن كان صاحبها اسماً ظاهراً ؛ لأنه يؤدّي إلى تقدم المضمر على المظهر بسبب العائد، ويجيزون تقدمها إن كان صاحبها ضميراً، وهذه من مسائل الخلاف التي ناقشها ابن الأنباري[1].

والعلة التي فرّوا منها هناك متحققة هنا وهي تقدم المضمر على المظهر.

المبحث الثالث: التقريب وضمير الفصل

الكوفيون يمنعون الجمع بين التقريب وضمير الفصل فلا يصحّ عندهم أن يقال هذا هو زيدٌ قائماً بنصب قائماً وإنما يقال هذا هو زيدٌ قائمٌ بالرفع، قال ثعلب: «إلا أنه لا يدخل العماد مع التقريب من قبل أن العماد جواب والتقريب جواب فلا يجتمعان»[2] وقال أيضاً «وقال أبو العباس قال سيبويه احتبى ابن جويّة في اللحن في قوله﴿هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ لأنه يذهب إلى أنه حالٌ قال والحال لا يدخل عليه العماد، و ذهب أهل الكوفة الكسائي والفراء إلى أنّ العماد لايدخل مع هذا لأنه تقريب، وهم يسمُّون هذا زيد القائم تقريباً أي قرب الفعل به»[3].

ويشكل على المذهبين معاً قوله تعالى ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾[4] بنصب أطهرَ فالكوفيون لا يقولون بالتقريب مع وجود ضمير الفصل، أما البصريون فقد حكموا على قراءة النصب باللحن[5] قال سيبويه «وكان الخليل يقول والله

(١) ينظر الإنصاف المسألة الحادية والثلاثون: ٢٥٠، وينظر أسرار العربية: ١٩٢.

(٢) مجالس ثعلب: ٤٣.

(٣) المرجع السابق: ٣٥٩.

(٤) هود: ٧٨.

(٥) ينظر رأي البصريين في الكتاب: ٣٩٧/٢، ومعاني القرآن للأخفش: ٣٥٦/٢، وطبقات فحول الشعراء: ٢٠/١.

إنه لعظيم جعلهم هو فصلاً في المعرفة وتصييرهم إيّاها بمنزلة (ما) إذا كانت مـــا لغواً ؛ لأن هو بمنزلة أبوه ولكنهم جعلوها في ذلك الموضع لغواً كما جعلوا ما في بعض المواضع بمنزلة ليس، وإنما قياسها أن تكون بمنزلة كأنما وإنما»[١].

المبحث الرابع توسيط الخبر

أما توسيط الخبر فقد اختلفوا فيه فأجازه الكسائي ومنعه الفراء قال أبـــو حيان: «واختلفوا في توسيط خبر التقريب فأجازه الكسائي ومنعه الفـــراء»[٢] وللمجيز أن يستدل بقول حسَّان رضي الله عنه:

أَتَرْضَى بِأَنَّا لَمْ تَجِفَّ دِمَاؤُنا   وَهَذا عَرُوْساً باليَمَامَةِ خَالِدُ[٣]

إذ نصب عروساً خبراً للتقريب ورفع خالداً اسماً للتقريب.

المبحث الخامس تقديم معمول الخبر عليه

يجوز في المنصوب على التقريب أن يتقدم عليه معموله كما رأينا في قولـــه تعالى ﴿هَٰذِهِۦنَاقَةُاللَّهِلَكُمْءَايَةً﴾[٤] فـــ(لكم) متعلق بـــ(آية) وقد تقدّم عليه وكذلـك بيت جرير السابق.

هَذا ابْنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَلِيْفَةً

فـــــ(في دمشق) متعلق بـــ(خليفة) وقد تقدّم عليه.

(١) الكتاب ٢/ ٣٩٧.
(٢) ارتشاف الضرب: ٢/ ٧٣.
(٣) البيت من الطويل وهو في ملاحق ديوان حسّان: ٣٨١، وروايته فيـــه برفـــع عـــروس وأستشهد به ابن السراج في الأصول ١/ ١٥٣:على جواز رفع «عروس» ونصبـــه قـــال «وينشد هذا البيت على وجهين – ثم أورد البيت – وقال فينصب عروس ويرفع» وهـــو في شرح اللمع ٣٧٢، وتثقيف اللسان:٧٨، وتصحيح التصحيف: ٣٧٩ بالنصب. وأنشده بالرفع ابن دريد في الاشتقاق: ١٤٩ضمن سبعة أبيات.
(٤) الأعراف: ٧٣.

المبحث السادس : مجيء الخبر معرفة

لا يشترط الكوفيون في الخبر التنكير بل يجوز عندهم أن يكون الخبر معرفة قال أبو حيّان: «وأجازوا التعريف في الخبر فيقولون: وهذا الخليفة القـــادم»[1] وألمح إلى ذلك ثعلبٌ دون تصريح عندما قال «وقال الكسائي سمعت العـــرب تقول هذا زيد إياه بعينه فجعله مثل كان»[2] فزيد اسم التقريب، وإيّـــاه خـــبر التقريب وهو ضمير أعرف المعارف وقال الفراء «والعرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخواهما»[3]، وقال ثعلب أيضاً «وهم يسمُّون هذا زيدٌ القـــائمَ تقريباً، أي قرب الفعل به»[4] فاسم التقريب وخبره هنا معرفتان.

المبحث السابع مجيء الخبر جملة

هل يصح في التقريب أن يكون خبره جملة ؟

لم يتعرض الكوفيون لهذه المسألة لا بإثبات ولا بنفي، وإن كنت أرى الجواز إذ ما المانع من ذلك ويجعل منه قوله تعـــالى﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5] بجعل جملة (ينطق) هي خبر التقريب، والمعربون للقرآن أجازوا فيها أن تكون حالاً، وأن تكون خبراً لاسم الإشارة و(كتابنا) بـــدل أو عطف بيان، أوجملة (ينطق) خبر ثانٍ، والجار والمجرور (بالحق) حـــال، وجعلـــوا العامل في الحال اسم الإشارة قال المنتجب «وقوله ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِـــقُ﴾ هـــذا مبتدأ، وكتابنا خبره، وينطق يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، وأن يكون هو الخبر،

(١) ارتشاف الضرب: ٢/ ٧٣.
(٢) مجالس ثعلب: ٤٣.
(٣) معاني القرآن: ٢/ ١٦٨.
(٤) مجالس ثعلب: ٣٥٩.
(٥) الجاثية: ٢٩.

وكتابنا بدل من هذا أو عطف بيان له، وأن يكون في موضع الحال من الكتاب والعامل في (هذا) معنى الفعل»[١].

فبما أنه جاز في جملة (ينطق) أن تكون حالاً على مذهب البصريين، والعامل في الحال حينئذٍ اسم الإشارة، فما المانع أن تكون على مذهب الكوفيين خبراً للتقريب ولاسيما أن شروط التقريب عندهم منطبقة هنا إذ الكتاب لا ثاني له في الوجود، وهو معرفة بإضافته إلى الضمير، والمراد هنا –والله أعلم – إعلام الأمم بأن كتاب الله شاهد عليها وليس المراد إعلامهم بأن هذا هو كتاب الله لأنهم كانوا يجهلون ذلك، فشروط التقريب هنا متحققة، فما المانع من جعله خبراً للتقريب، ومن ثَمّ القول بصحة أن يكون خبر التقريب جملة.

وكذلك قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[٦] وقوله تعالى ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾[٧]، وقوله تعالى ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾[٨] وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[٩].

---

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٤/ ٢٨٧.
وينظر: أعراب القرآن للنحاس: ٤/ ١٥٣، والدر المصون: ٩/ ٦٥٥.
(٢) البقرة: ٢٣٠.
(٣) البقرة: ٢٥٢.
(٤) البقرة: ٢٥٣.
(٥) أل عمران: ١٤٠.
(٦) الأنعام: ٨٣.
(٧) الأعراف: ١٠١.
(٨) الكهف: ١٥.
(٩) الكهف: ٥٩.

في هذه الآيات أعرب المفسرون للقرآن اسم الإشارة مبتدأ، والمعرفة بعده أجازوا فيها أن تكون خبراً أو بياناً أو بدلاً والجملة الفعلية أجازوا فيها أن تكون هي الخبر عند من قال بالبدلية أو البيان وأن تكون حالاً أو خبراً بعد خبر عند من يعرب الاسم المعرفة بعد الإشارة خبراً[1].

المبحث الثامن: دخول العوامل اللفظية على العامل في التقريب

العامل في التقريب عند الكوفيين اسم الإشارة، فهل تجري عليه أحكام الأسماء من دخول العوامل اللفظية عليه ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نتأمَّل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[4] فاسم الإشارة في هذه المواضع اسم إنّ و﴿صراطي﴾ و﴿أمتكم﴾ خبرانَ لـ(إن) وبهما تتم الجملة الإسنادية، والباقي فضلة، وهو ما جعله البصريون حالاً ، والكوفيون جعلوا خبر إن اسماً للتقريب والمنصوب بعده خبر التقريب، ولا يصح أن يكون ﴿مستقيماً﴾ و﴿أمَّةً﴾ خبران لـ(إن) لكون الكلمتين منصوبتين، ولأنه سيجعل اسم الإشارة لغواً.

ولهذا أقول لا يمنع دخول العوامل اللفظية عند الكوفيين على العامل في التقريب من إعماله ما دامت شروط الإعمال متحققةً، وهم يحملون الإعمال هنا على إعمال الأفعال الناقصة التي دخلت عليها العوامل اللفظية المختصة بالأفعال

(١) ينظر: الدر المصون: ٢/ ٤٥٦، ٥٣٥: ٣ / ٤٠٤: ٥/ ٢٤، ٣٩٧: ٧/ ٤٥٣، ٥١٤.
(٢) الأنعام ١٥٣.
(٣) الأنبياء: ٩٢، وقراءة الجمهور بنصب أمة، وقرأ برفعها: الحسن البصري ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢١٠، وإعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٧٩، والمحتسب: ٢/٦٥.
(٤) المؤمنون: ٥٢.

ولم يمنع ذلك من إعمالها –وهو قياس مع الفارق– كقولك لم يكن زيدٌ حاضراً وكقولك تعالى ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[١] فتحمل عوامل الأسماء على عوامل الأفعال وتصبح عاملة في ما بعدها معمولة لما قبلها.

المبحث التاسع حكم التقريب:

وخبر التقريب بعد استيفاء تلك الشروط وانتفاء تيك الموانع حكمه جواز النصب، إذ يجوز فيه أيضاً الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو قائم، أو على تعدد الخبر عند من يجيز ذلك، أو على جعل اسم التقريب عطف بيان من اسم الإشارة أو بدل منه وما كان خبراً للتقريب هو خبر المبتدأ.

قال سيبويه «هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة وذلك قولك هذا عبد الله منطلقٌ حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب وزعم الخليل أن رفعه يكون على وجهين فوجه أنك حين قلت هذا عبد الله أضمرت هذا أو هو كأنك قلت هذا منطلق، أو هو منطلق، والوجه الآخر: أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا»[٢] وزاد السيرافي الوجهين الآخرين أعني القول بالبدلية أو عطف البيان[٣].

وقال ابن يعيش «ويجوز الرفع في قولك منطلقاً من قولك هذا عبد الله منطلقاً قال سيبويه هو عربي جيّد حكاه يونس وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب»[٤].

---

(١) مريم: ٢٠.
(٢) الكتاب ٢/ ٨٣.
(٣) ما زاده السيرافي هو القول بالبدلية أو عطف البيان وسبقت الإشارة إليهما في صلب هذا البحث. ينظر كتاب سيبويه طبعة بولاق ١/ ٢٥٨.
(٤) شرح المفصل: ٢/ ٥٨.

وقال ابن شقير: معلقاً على بيت جرير السابق «نصب خليفة على القطع من المعرفة بالألف واللام، ولو رفع على معنى: هذا ابن عمي هذا خليفةٌ لجاز، وعلى هذا يَقْرَأُ مَنْ قَرَأَ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فإن جُعل (هذا) اسماً، و(ابن عمي) صفته جاز الرفع ومثل هذا قول الراجز:

مَنْ يَكُ ذَا بَتٍّ فَهَذا بَتِّي مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّي

معناه هذا بتّي هذا مقيِّظٌ، هذا مصيّفٌ، وأما قول النابغة.

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِستَّةِ أَعْوامٍ وذا العامُ سابِعُ

رفع (العام) بالابتداء، و(سابع) خبره... وأما قول الله تبارك وتعالى ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ رفع (عتيد) لأنه خبر نكرة كما تقول هذا شيء عتيد عندي»[1].

من خلال هذا النص نلمح أن الإعمال بعد استيفاء الشروط جائز لا واجب، كما نلمح التزام تعريف اسم التقريب؛ لأنه علل عدم نصب عتيد في الآية الكريمة بسبب كون الاسم الواقع بعد اسم الإشارة نكرة تامة وهي (ما) التي فسّرها بـ(شيء)، وعليه فلا تصح أن تكون اسماً للتقريب.

المبحث العاشر القياس في إعمال اسم الإشارة

يبدو أن الكوفيين قاسوا اسم الإشارة في تجويزهم إعماله عمل كان على بعض الأفعال التي حُملت على صار في الإعمال كـ(آض وآل ورجع و عاد وحار واستحال وتحوّل وارتدَّ وقعد وغدا وراح) أو على أضحى وأمسى كـ(أسحر وأفجر وأظهر) بل توسّع بعض النحاة في هذا الباب فأدخل كل فعل يجيء المنصوب به بعد المرفوع لا يستغني عنه كقام زيد كريماً وذهب عمرو متحدثاً وعاش خالد مجاهداً[2] فالكوفيون قاسوا اسم الإشارة على تلك الأفعال

(١) المحلى وجوه النصب ٧،٨.

(٢) ينظر في هذه الأفعال: ارتشاف الضرب: ٢/ ٧٣، وهمع الهوامع: ٢/ ٦٨، والأشموني: ١/ ٢٢٩.

و لاسيّما إن لحظوا معنى فعلين في اسم الإشارة وهما: الفعل (أُنَبِّهُ) الذي أفادت معناه الهاء، والفعل (أُشِيْرُ) الذي أفاد معناه اسم الإشارة فأعملوا أحدهما في التقريب ، والبصريون يقولون إن العامل في الحال في نحو هذا زيد منطلقاً إنما هو أحد هذين الفعلين أعني: أُنَبِّهُ وأشير الذين أفاد معناهما اسم الإشارة.

المبحث الحادي عشر العامل من أسماء الإشارة

قد يتساءل المرء هل العمل في التقريب خاص بـ(هذا وهذه وهنَّ وهؤلاء) المختصة بالمشار إليه القريب أو يشمل جميع أسماء الإشارة ما كان منها مختصاً بالمشار إليه القريب، والمشار إليه البعيد كـ(ذلك) و(تلك).

للإجابة على هذا التساؤل لا بدّ لنا من الوقوف على نصين للفراء قال في الأول مفسّراً قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] قال: « يصلح فيه ذلك من جهتين، وتصلح فيه هذا من جهة، فأما أحَد الوجهين من ذلك فعلى معنى: هذه الحروف يا أحمد ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك، والآخر أن يكون ذلك على معنى يصلح فيه هذا؛ لأن قوله هذا وذلك يصلحان في كل مكان إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه ألا ترى أنك تقول قد قدم فلان فيقول السامع قد بلغنا ذلك، وقد بلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه هذا لأنه قد قَرُبَ من جوابه فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت فيه ذلك لانقضائه والمنقضي كالغائب ، ولو كان شيئاً قائماً يرى لم يجز مكان ذلك هذا ، ولا مكان هذا ذلك »[2].

ثم أخذ الفراء يوجه إعراب الآية فقال في إعراب هدىً «وأما قوله تعالى

(١) البقرة: ٢.

(٢) معاني القرآن : ١/ ١٠.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فأنه رفع من وجهين ونصب من وجهين»[1] فذكر أوجه الرفع، وقال عَن أوجه النصب «فأما النصب في أحد الوجهين فأن يجعل الكتاب خبراً لذلك فتنصب على القطع لأن هدى نكرة اتصلت بمعرفة قد تمّ خبرها فنصبتها؛ لأن النكرة لا تكون دليلاً على المعرفة، وإن شئت نصبت هدىً على القطع من الهاء التي في فيه كأنك قلت لا شكّ فيه هادياً»[2].

ومراد الفراء بقوله فتنصب على القطع أي على الحال فالقطع عنده الحال وهو من مصطلحات الفراء.

وقد ألحَّ الفراء على مسألة النصب على الحال في آيات كثيرة منها قوله تعالى[3] ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقوله تعالى[5] ﴿الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[6].

وعلى هذا فهل الفراء أعربَ تلك الآيات حالاً لأنه يرى أنها لا يصح فيها النصب على التقريب لما بين (ذلك) المشتملة على اللام التي يشار بها للبعيد، والنصب على التقريب من التنافي في المعنى فبين اللام والتقريب تناف إذ اللام تبعيد لا تقريب هذا هو الظاهر ويؤيده قوله «ولو كان شيئاً قائماً يرى لم يجز مكان ذلك هذا، ولا مكان هذا ذلك» وإن كانت عبارته السالفة «لأن هذا و ذلك يصلحان في كل كلام ذكرته ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه... لأنه قد قَرُبَ من جوابه فصار كالحاضر الذي تشير إليه» توحي بأنه يرى أن هذا وذلك يتقارضان فتحلُّ إحداهما محلّ الأخرى دون تفريق بين ما جعل للبعيد وما جعل

(١) المرجع السابق : ١/ ١١.
(٢) المرجع السابق: ١/ ١٢.
(٣) المرجع السابق : ٢/ ٢٨٦.
(٤) النمل: ١ و٢.
(٥) معاني القرآن: ٢/٣٢٦.
(٦) لقمان: ١و٢و٣.

للقريب على حدّ قول خُفَاف ابن نُدْبَة:

أَقُوْلُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ   تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكا[١]

والنص الثاني هو إعراب الفراء قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾[٢] بنصب ﴿قَوْلَ﴾[٣] على التقريب في أحد وجهي النصب الجائزين في الآية وهي مسبوقة باسم الإشارة ذلك المشار بها للبعيد قال «وقد قرأتِ القُرَّاءُ بالنصب ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ وهو كثير يريدون به حقاً، وإن نَصَبْتَ القولَ وهو في النية من نعت عيسى كان صواباً كأنك قلت هذا عبد الله أخاه بعينه، والعرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخواهما فيقولون هذا عبد الله الأسدَ عادياً كما يقولون أسداً عادياً»[٤].

فجعل (قولَ) منصوباً على أنه مفعول مطلق في الوجه الأول، ومنصوباً على التقريب في الوجه الثاني، والعامل في التقريب هنا اسم الإشارة (ذلك) المختصة بالبعيد، وجعل عادياً حالاً من الأسد لا من عبد الله، وقوله والعرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخواهما دليل على أنه لم يفرّق بين هذا وذلك.

والذي يبدو لي أن الفراء لم يكن مُتحَمِّساً للتقريب، لأنَّ إلحاحه على الحال في الشواهد القرآنية المحتوية على أسماء الإشارة أكثر من إلحاحه على التقريب.

---

(١) البيت من الطويل في ديوان خفاف ضمن شعراء إسلاميون: ٤٨٢، وهو في المنصف: ٤١/٣، والخصائص: ١٨٦/٢، والإنصاف: ٧٢٠.

(٢) مريم: ٣٤.

(٣) قرأها بالنصب ابن عامر، وعاصم بن أبي النجود، وهي التي يقرأ بها اليوم بالمشرق الإسلامي، وقرأها بالرفع ابن كثير، ونافع، و الكسائي، وأبو عمرو.
ينظر: السبعة: ٤٠٩، والمبسوط: ٢٤٣، والكشف: ٨٨/٢، والنشر: ٣١٩/٢.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ١٦٨.

المبحث الثاني عشر التقريب والحال عند الكوفيين

المصطلح النحوي بين الكوفيين والبصريين كثيراً ما يختلف ، ولكن الغالب أن يكون اختلافاً في التسمية فقط كالترجمة للبدل، والمجرى وغير المجرى للمصروف والممنوع من الصرف، والمكني للضمير والتفسير للتمييز، والعماد لضمير الفصل ؛ ولهذا قد يقال هل المنصوب على التقريب هو الحال والاختلاف في تسمية المصطلح؟ نقول: لا. بل الحال شيء آخر، وهم يسمون الحال قطعاً وحالاً، فالقطع عند الكوفيين هو جزء من الحال، والبصريون لا يقرُّون بالقطع ولا يقولون به قال أبو حيّان «وهذا كله منصوب عند البصريين على الحال،ولم يثبت البصريون النصب على القطع، والاستدلال على بطلان ما ذهب إليه الكوفيون مذكور في مبسوطات النحو»[1] والمنصوب على التقريب عند الكوفيين شيء ثانٍ، غير القطع وغير الحال فالتقريب إذن شيء جديد؛ لأن الفراء يقول في النص السابق «هذا عبد الله الأسدَ عادياً».

وإعراب عادياً حال من الأسد، والأسد هو المنصوب على التقريب، فبينهما فرق عنده إذن.

المبحث الثالث عشر القطع والحال عند الفراء

الفراء يستعمل مصطلح القطع كثيراً ويريد به الحال[2]، ويستعمل كذلك مصطلح الحال كما هو عند البصريين ولكنه قليل ، وقد يجمع بينهما لمعنى واحد قال في توجيه نصب ﴿نزّاعةً﴾ من قوله تعالى﴿كَلا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَة لِلشَّوَى﴾[3] نصبه

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٢٠٢.

(٢) ينظر معاني القرآن: ١/ ٧، ١٢ - ٢/ ٢٨٦، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦ - ٣ / ٦، ١١، ١٢، ٨٣، ١٠٤، ١٣٢.

(٣) المعارج:١٥، ١٦.

على القطع وعلى الحال[١]، ويستعمل مصطلح قطع ويريد به النصب بفعل محذوف قال في توجيه نصب ﴿مَطْوِيَّات﴾ من قوله تعالى ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾[٢] قال: «ومن قال مطويات رفع السموات بالباء التي في بيمينه كأنه قال: والسموات في يمينه، وينصب المطويات على الحال أو على القطع والحال أجود»[٣]، ويستعمل مصطلح قطع ويريد به الاستئناف قال في توجيه رفع ﴿خَالِصَةً لَّك﴾ من قوله تعالى ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] قال «ولو رفعت خالصة على الاستئناف كان صواباً كما قال ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ أي هذا بلاغ، وما كان من سنة الله وصبغة الله وشبهه فأنه منصوب لاتصاله بما قبله على مذهب حقاً وشبهه والرفع جائز لأنه كالجواب ألا ترى أن الرجل يقول قد قام عبد الله فتقول حقاً إذا وصلته، وإذا نويت الاستئناف رفعته وقطعته مما قبله، وهذا محض القطع الذي تسمعه من النحويين»[٥].

وحاول أبو حيّان التفريق بين مصطلحي الحال والقطع عند الفراء فقال: «وفرّق الفراء فزعم أن ما كان فيما قبله دليل عليه فهو المنصوب على القطع، وما لا فمنصوب على الحال»[٦].

---

(١) معاني القرآن ١/ ٣٠٩.

وتبعه كذلك أبو بكر ابن الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال:٢٤ في توجيه بيت امرئ القيس

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلّد.

إذ جمع بين مصطلحي الحال والقطع لمعنى واحد.

(٢) الزمر: ٦٧.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٤٢٥.

(٤) الأحزاب: ٥٠.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٣٤٤.

(٦) البحر المحيط: ١/ ٢٠١.

وقال أيضاً في إعراب ﴿مَثَلاً﴾ من قوله تعالى ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾[١] قال: «وأجاز الكوفيون أن يكون منصوباً على القطع، ومعنى هذا أنه كان يجوز أن يعرب بإعراب الاسم الذي قبله، فإذا لم تتبعه وقطعته عنه نصب على القطع... كذا قالوا ماذا أراد الله بهذا المثل فلما لم يجر على إعراب هذا انتصب على القطع»[٢].

وأورد ابن شقير[٣] المصطلحين على أنهما متمايزان وجعل القطع هو ما يجوز فيه أن يعرب بإعراب الاسم الذي قبله؛ فإذا لم يتبعه المتكلم في الإعراب وقطعه عنه نصبه على القطع، ويرى ابن شقير أن مصطلح الحال هو ما لا يجوز فيه الإتباع وقال عنه «والحال لاتكون إلا نكرة»[٤].

الفصل الثاني : البصريون والتقريب

وتحته مباحث

المبحث الأول: التقريب عند سيبويه

هل كان سيبويه يعرف مصطلح تقريب كما يراد منه عند الكوفيين، أم لا؟.

للإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ لنا من الوقوف على هذا النص. قال سيبويه: «وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا، وهذه، وهذان، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وتلك، وذانك، وتانك، وأولئك وما أشبه ذلك... واعلم أن المبهمة

(١) البقرة: ٢٦.
(٢) البحر المحيط: ١/ ٢٠١.
(٣) المحلى وجوه النصب: ٧-١٠.
(٤) المرجع السابق: ١٠.

توصف بالأسماء التي فيها الألف واللام، والصفات التي فيها الألف واللام جميعاً؛ وإنما وصفت بالأسماء التي فيها الألف واللام؛ لأنها والمبهمة كشــــيء واحــد، والصفات التي فيها الألف واللام هي في هذا الموضع بمنزلة الأسمــاء، وليســت بمنزلة الصفات في زيد وعمرو إذا قلت مررت بزيد الطويـــل لأني لا أريــد أن أجعل هذا اسماً خاصاً، ولا صفة له يعرف بها، وكأنك أردت أن تقول مــررت بالرجل، ولكنك إنما ذكرت هذا لتقرِّب به وتشير إليه»[١] أ.هـ

من هذا النص فهم بعض الباحثين أن سيبويه يعرف مصطلـــح التقريـــب، فقال: «سيبويه يستعمل هذا اللفظ – أي التقريب – ويبين دلالته المعنوية»[٢].

والذي يظهر لي أن هذا إغراب في فهم هذا النص؛ لأن مراد ســـيبويه أن يقول إن اسم الإشارة ربما أتي به وُصْلَةً لوصف ما فيه الألف واللام، والإشــارة إليه بالعهد الحضوري لا بالعهد الذهني وهو مراده بقوله «ولكنك إنما ذكــرت هذا لتقرَّب به الشيء وتشير إليه» وللوقوف على حقيقة المعنى المراد نتأمَّل قول الأعلم شارحاً عبارة سيبويه قال: «الإسم المبهم مخالف لغيره في النعت؛ وذلــك أنه ينعت بأسماء الأجناس كقولك مررت بهذا الرجل وركبت هـــذا الفــرس؛ وذلك أن غير المبهم يحتاج إلى النعت إذا شاركه غيره في لفظه فيبان من غـــيره بذكر شيء فيه دون غيره مما يحلّى به، والمبهم إنما دخل وُصْلَةً لخروج مـــا فيـــه الألف واللام عن العهد إلى الحضور»[٣].

والبصريون يستعملون كلمة تقريب ولا يريدون منها إعمال اسم الإشــارة عمل كان كما هو عند الكوفيين وإنما يعنون معناها اللغوي قـــال الأعلــم: «ثم اتفق قُرْبُ زيد منك فأردت أن تنبه المخاطب عليه وتقرّبه له فأدخلت هذا»[٤].

(١) الكتاب ٢/ ٥–٨.
(٢) المصطلح النحوي: ١٣٣.
(٣) النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١/ ٤٤٢.
(٤) المرجع السابق: ١/٤٨١.

المبحث الثاني الحال و التقريب عند البصريين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول أقسام الحال من حيث التبيين والتأكيد

الحال تنقسم بحسب التبيين والتأكيد إلى قسمين كبيرين حال مؤسسة وهي التي لا يستفاد معناها إلا بذكرها كجاء سعد ضاحكاً، وحال مؤكدة وهي التي يستفاد معناها بدون ذكرها؛ وذلك بأن يدلّ عاملها عليها نحو لا تعث في الأرض مفسداً أو يدل صاحبها عليها كقوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعاً﴾[1] أو تكون الجملة السابقة عليها هي التي تدل على معناها هذا أبوك عطوفاً.

ووقع القسمان بعد اسم الإشارة كقولك في الحال المؤسسة هذا زيدٌ منطلقاً، وكقولك في الحال المؤكدة هذا أبوك رحيماً.

المطلب الثاني: التقريب عند البصريين

البصريون لا يقرّون بالتقريب ولا يقولون به ويجعلون ما كان منصوباً على التقريب عند الكوفيين حالاً مؤسسة أو حالا مؤكدة لمضمون الجملة قبلها قال سيبويه «فأما المبني على الأسماء المبهمة فقولك هذا عبد الله منطلقاً وهؤلاء قومك منطلقين وهذا عبد الله معروفاً، فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله... والمعنى أنك تريد أن تنبه له منطلقاً لا تريد أن تعرّفه عبدالله لأنك ظننت أنه يجهله فكأنك قلت انظر إليه منطلقاً فمنطلق حالٌ قد صار فيها عبد الله»[2].

وقال الأعلم شارحاً عبارة سيبويه السابقة «واعلم أن العامل في الحال في قولك هذا زيد منطلقاً الإشارة، أو التنبيه فالتقدير انظر إليه منطلقاً، وإن أعملت

---

(١) يونس: ٤.

(٢) الكتاب: ٢/٧٨.

الإشارة فالتقدير أشير إليه منطلقاً والمقصد أنك أردت أن تنبِّه المخاطب لزيد في حال انطلاقه فلا بدّ من ذكر منطلقاً لأن الفائدة تنعقد به، ولم ترد أن تعرّفه إياه، وأنت تقدّر أنه يجهله كما تقول هذا زيد إذا أردت هذا المعنى ، والأصل في هذه المسألة: زيد منطلق، ثمّ اتفق قُرْبُ زيد منك فأردت أن تنبه المخاطب عليه وتقرِّبه له فأدخلت (هذا)، وهو اسم فلا بد له من موضع إعراب لإصلاح اللفظ فرفع بالابتداء لأنه أول الكلام، وجعل زيد خبره فاكتفى به، ونصب منطلقاً على الحال و لا يستغني عنها لأنها خبر في المعنى كما لايستغنى عن رجل في قولك يا أيها الرجل وإن كان صفة؛ لأنه المقصود بالنداء في الأصل»[١].

وقال المبرّد موضحاً العامل في الحال الواقعة بعد اسم الإشارة «وتقول هذا زيد راكباً وذاك عبد الله قائماً، فإن قال قائل: ما الذي ينصب الحال وأنت لم تذكر فعلاً قيل له (هذا) إنما هو تنبيه كأنك قلت أنبِّه له راكباً، وإذا قلت ذاك عبد الله قائماً (ذاك) للإشارة كأنك قلت: أشير لك إليه راكباً فلا يجوز أن يعمل في الحال إلا فعل أو شيء في معنى الفعل لأنها مفعول فيها»[٢].

المبحث الثالث رأي البصريين في التقريب

من خلال هذه النصوص يبدو لنا جلياً المانع الذي جعل البصريين لا يقولون بالتقريب رغم طرافة الفكرة لو أسعفتها القواعد فهم نظروا إلى أن أسماء الإشارة لها محل من الإعراب بكونها اسماً من الأسماء، والأسماء لها محل من الإعراب سواء كانت في صدارة الجملة أم في وسطها أم في آخرها على خلاف الأفعال التي إذا تصدّرت الجمل فليس لها محل من الإعراب، وبناءً على هذا فاسم الإشارة سيكون مبتدأً والمرفوع الذي بعده خبره وهو ما عدّه الكوفيون

(١) النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١/ ٤٨١.
(٢) المقتضب: ٤/ ١٦٨.

اسم التقريب؛ وهذا ستكون الجملة تمّت إسناداً مبتدأ وخبر، والمنصوب سيكون حالاً لتمام الجملة قبل مجيئه، ولكنه حال لايستغني عنه؛ لأنه خبر في المعنى؛ ولأن الفائدة لا تنعقد إلا به قال سيبويه «فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله»[١].

وأوضح الأعلم المانع من القول بالنصب على التقريب أشد إيضاح في نصه السابق حيث قال «فأدخلت هذا وهو اسم فلا بدّ له من موضع إعراب لإصلاح اللفظ، فرفع بالابتداء لأنه أول الكلام وجعل زيد خبره فاكتفي به، ونصب منطلقاً على الحال ولا يستغني عنها لأنها خبر في المعنى».

أما آض، وآل، ورجع، و عاد، وحار، واستحال، وتحوَّل، وارتدَّ، وقعد، وغدا، وراح، وسواها مِمَّا حملت على كان في الإعمال وارتضاها العلماء فهي أفعالٌ، ليس لها محل من الإعراب إذا كانت في صدارة الجُمَل، بخلاف هذا وأخواتها فهي أسماء لابدّ أن يكون لها محل من الإعراب فالقياس هنا مع الفارق.

ثم أن العرب تنصب الحال وقبله حرف تنبيهٍ فقط دون أن يأتي بعد حرف التنبيه اسم إشارة نحو ها أنا قائماً روى أبو عبد الله بن الجرّاح في كتابه المسمّى: (من اسمه عمرو من الشعراء) النص التالي: «كان عمرو بن معديكرب في مسجد الكوفة يحدّث بأيّامه في الجاهلية إذ: قال فلقيت أنس بن مدركة الخثعمي فطعنته فقتلته، وأنسٌ في القوم فقال: حِلاًّ أبا ثور ها أنا جالساً أسمعك فقال: اسكت ويحك نوزع هذه المرازبة»[٢].

والشاهد هنا: قول أنس بن مدركة: ها أنا جالساً فهل يَعُدُّ الكوفيون (ها) من عوامل التقريب ؟ ويلحقونها بـ(كان وأخواتها) ولاسيما أن مراد

(١) الكتاب: ٢/ ٧٨.

(٢) من اسمه عمرو من الشعراء : ١٤٢.

أنس من عبارته الدلالة على القرب، لم يقل الكوفيون بذلك فيقال لهم: ما الفرق بين هذه العبارة وقولنا ها أنا ذا جالساً؟ أوليس المراد من العبارتين الدلالة على القرب ؟ لماذا تعربون ها أنا جالساً حالاً، وتعربون ها أنا ذا جالساً تقريباً ؟

وكذلك يحتج على الكوفيين بأن العرب أوقعت الحال بعد الضمائر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَالْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾[1] وقول سالم بن دارة:

أَنَا ابْنُ دَارَةَ مَعْرُوْفاً بِهَا نَسَبِيْ وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ[2]

فهل يقال أيضاً إن الضمير هنا محمول على كان في الإعمال ؟ لم يقل بذلك أحد من النحويين. فيقال ما الفرق إذن بين أسماء الإشارة والضمائر أوليست كلها أسماء وكلها معارف، إن كان الإعمال عندكم للتنبيه فقد رفضتم نص أنس بن مدركة، وإن كان الإعمال للاسم فقد رفضتم بيت ابن دارة.

المبحث الرابع عامل الحال المضمَّن عند البصريين

والعامل في الحال عند البصريين في قولك هذا زيد منطلقاً ما في اسم الإشارة من معنى فعل سواء أُعْمِلَ الفعل أُنَبهُ الذي أفادته (ها) التنبيه أو أعمل الفعل أُشِيْرُ الذي أفاده اسم الإشارة قال المبرد «وتقول هذا زيد راكباً وذاك عبد الله قائماً فإن قال قائل: ما الذي ينصب الحال وأنت لم تذكر فعلاً؟ قيل له (هذا) إنما هو تنبيه كأنك قلت أنبِّه له راكباً، وإذا قلت ذاك عبد الله قائماً (ذاك) للإشارة كأنك قلت أشير لك إليه راكباً فلا يجوز أن يعمل في الحال إلا فعل أو شيء في معنى الفعل؛ لأنها مفعول فيها»[3].

---

(١) البقرة: ٩١.

(٢) البيت من البسيط وهو لسالم بن دارة في الكتاب: ٢/ ٧٩، و ابن يعيش: ٢/ ٦٤، والأشموني: ١/ ٢٥٥.

(٣) المقتضب: ٤/ ١٦٨.

وأجاب ابن يعيش عن اختلاف العامل في الحال وصاحبها فقال «فإن قيل فأنتم قد قررتم أن العامل في الحال يكون هو العامل في ذي الحال ، والحال هاهنا في قولك هذا زيد منطلقاً من زيد، والعامل فيه الابتداء من حيث هو خبر، والابتداء لا يعمل نصباً فالجواب أن هذا كلام محمول على معناه دون لفظه، والتقدير أشير إليه أو أنبه له»[1].

وقال ابن مالك «والأكثر أن يكون العامل في الحال هو العامل في صاحبها... ومن ورود الحال وعاملها غير عامل صاحبها قولهم ها قائماً ذا زيد فَنَصَبَ الحالَ حرفُ التنبيه وليس له عمل في صاحبها»[2].

وقال ابن جني أيضاً «ألا ترى أنه قد يجوز أن يكون العامل في الحال هو غير العامل في صاحب الحال ومن ذلك قول الله سبحانه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ فـ﴿مُصَدِّ قاً﴾ حال من ﴿الحَقِّ﴾ والناصب له غير الرافع للحق... وكذلك عَامة ما يجوز فيه وجهان أو أوجه ينبغي أن يكون جميع ذلك مجوّزاً فيه ولا يمنعك قوّة القوي من إجازة الضعيف أيضاً فإن العرب تفعل ذلك تأنسياً لك بإجازة الوجه الأضعف لتصحّ به طريقك وترحب به خناقك إذا لم تجد وجهاً غيره»[3].

---

(١) شرح المفصل: ٢/ ٥٨.
(٢) شرح التسهيل: ٢/٣٥٤.
(٣) الخصائص: ٣/ ٦٠.

فهرس الآيات القرآنية

هود

الكهف

مريم

الأنبياء

المؤمنون

النمل

لقمان

الأحزاب

الزمر

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس الأعلام

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ إتحاف فضلاء البشر لأحمد الدمياطي /مراجعه محمد علي الصباغ / دار الندوة بيروت.

٢ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأثير الدين أبي حيان /تح د. مصطفى النماس/ النسر الذهبي / القاهرة ١٤٠٤هـ.

٣ ـ أسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري / تح محمد بهجت البيطار / مجمع اللغة بدمشق: ١٣٧٧هـ.

٤ ـ الاشتقاق لابن دريد / تح عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي / القاهرة: ١٣٧٨ هـ.

٥ ـ الأصول لابن السراج / تح عبد الحسين الفتلي / مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

٦ ـ إعراب القرآن للنحاس / تح زهير غازي زاهد / عالم الكتب بيروت ١٤٠٥هـ.

٧ ـ أمالي ابن الشجري / تح د: محمود الطناحي / مكتبة الخانجي الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٨ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري / تح محمد محي الدين عبد الحميد / دار الفكر بيروت.

٩ ـ البحر المحيط لأثير الدين أبي حيان / المكتبة التجارية مكة المكرمة ١٤١٢.

١٠ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي /تح مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ.

١١ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف لصلاح الدين الصفدي / تح السيد الشرقاوي / مكتبة الخانجي الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٢ ـ الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي / تح فخر الدين قباوه و محمد نديم الفاضل / دار الآفاق بيروت ١٤٠٣.

١٣ ـ جواهر الأدب في معرفة كلام العرب لعلاء الدين الإربلي / تح د/أميل بديع يعقوب / دار النفائس بيروت ١٤١٢هـ.

١٤ ــ الخصائص لأبي الفتح بن جني / تح محمد على النجار / دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ.

١٥ ــ دراسة في النحو الكوفي: للمختار أحمد ديره / دار قتيبة بيروت ١٤١١هـ.

١٦ ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي / تح د. أحمد الخراط / دار القلم دمشق ١٤٠٦هـ.

١٧ ــ ديوان جرير بشرح محمد ين حبيب / تح د : نعمان محمد طه / دار المعارف الطبعة الثالثة.

١٨ ــ ديوان حسان بن ثابت / رواية الأثرم، ومحمد بن حبيب / تح د. سيد حنفي حسنين / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٩ ــ ديوان رؤبة بن العجاج / جمع وليم بن الورد / دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

٢٠ ــ السبعة في القراءات لابن مجاهد / تح د. شوقي ضيف / دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.

٢١ ــ شرح التسهيل لابن مالك / تح د. عبد الرحمن السيد، و د محمد بدوي مختون / هجر بالقاهرة ١٤١٠هـ.

٢٢ ــ شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر بن الأنباري / تح عبد السلام هارون / دار المعارف ١٣٨٢هـ.

٢٣ ــ شرح اللمع للثمانيني / تح د: فتحي علي حسانين (مخطوط) رسالة دكتوراه في الأزهر.

٢٤ ــ شرح المفصل لابن يعيش / المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٩٢٨م.

٢٥ ــ الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني / تح د. محمد فهمي النمر، وفؤاد مخيمر / دار الثقافة الدوحة ١٤١١هـ.

٢٦ ــ الكتاب لسيبويه / تح عبد السلام هارون / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٢٧ ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع / لمكي بن أبي طالب / تح محي الدين رمضان / مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧هـ.

٢٨ ــ المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني / تح سبيع حمزة حاكمي / دار القبلة جدة: ١٤٠٨هـ.

٢٩ ــ مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب / تح عبد السلام هارون / دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٦٠م.

٣٠ ــ المحتسب لابن جني / تح علي النجدي ناصف وزملائه / لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ١٣٨٦هـ.

٣١ ــ المحلّى «وجوه النصب» لابن شقير / تح فائز فارس /مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ هـ.

٣٢ ــ مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه/مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٣٣ ــ مصطلحات النحو الكوفي للدكتور عبد الله بن حمد الخثران / هجر للطباعة والتوزيع ١٤١١هـ.

٣٤ ــ المصطلح النحوي نشأته وتطوره للدكتور عوض بن حمد القوزي / عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود ١٤٠١ هـ.

٣٥ ــ معاني القرآن للأخفش / تح د. فائز فارس / دار البشير ١٤٠١هـ.

٣٦ ــ معاني القرآن للفراء / عالم الكتب بيروت.

٣٧ ــ معاني القرآن وإعرابه المنسوب للزجاج / تح د. عبدالجليل عبده شلبي / عالم الكتب ١٤٠٨هـ.

٣٨ ــ معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية للدكتور محمد إبراهيم عبادة / دار المعارف لا ط، لا ت.

٣٩ ــ مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري / تح د: مازن المبارك ومحمد على حمد الله / دار الفكر الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م.

٤٠ ــ المقتضب لأبي العباس المبرد / تح محمد عبد الخالق عضيمة / وزارة الأوقاف المصرية ١٣٩٩هـ.

٤١ ــ من اسمه عمرو من الشعراء لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح / تح د عبد العزيز بن ناصر المانع / مكتبة الخانجي ١٤١٢هـ.

٤٢ ــ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لعلي بن محمد الأشموني / عيسى البابي الحلبي.

٤٣ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري / تصحيح علي محمد الضباع / دار الكتب بيروت.

٤٤ ـ النكت في تفسير كتاب سيبويه / للأعلم الشنتمري / تح زهير عبد المحسن سلطان / معهد المخطوطات بالكويت ١٤٠٧هـ.

٤٥ ـ همع الهوامع للسيوطي / تح عبد العال سالم مكرم / دار البحوث العلمية ١٣٩٤هـ.

فهرس الموضوعات